كتاب شفاء قاضي عياض

كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ الحديث

تاليف الامام

القاضي ابو الفضل عياض ابن موسى ابن عياض

ابن عمرون ابن موسى ابن عياض اليحصبي السبتي

رضي الله عنه

746

قد وقف هذه النسخة الجليلة سلطاننا الاعظم والخاقان المعظم مالك البرين والبحرين خادم الحرمين الشريفين السلطان ابن السلطان السلطان الغازي محمود خان وقفا صحيحا شرعيا لمن طالع وتعلم اكرمه الله تعالى بالطف والحسنى حرره الفقير احمد شيخ زاده المفتش باوقاف الحرمين الشريفين عفي عنهما

[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم ۝ وما توفيقي الا بالله عليه توكلت

قال الفقيه القاضي الامام ابو الفضل عياض بن
موسى بن عياض اليحصبي رضي الله عنه ۝ الحمد لله المنفرد باسمه الاسمى
المختص بالملك الاعز الاحمى الذي ليس دونه منتهى ولا وراءه مرمى
الظاهر لا تخيلا ووهما والباطن تقدسا لا عدما ووسع كل شيء
رحمة وعلما واسبغ على اوليائه نعما عما وبعث فيهم رسولا من انفسهم
انفسهم عربا وعجما وازكاهم محتدا ومنمى وارجحهم عقلا وحلما واوفرهم
علما وفهما واقواهم يقينا وعزما واشدهم بهم رافة ورحمة زكاه روحا وجسما وحاشاه عيبا
ووصما واتاه حكمة وحكما وفتح به اعينا عميا وقلوبا غلفا واذانا صما
فامن به وعزره ونصره من جعل الله له في مغنم السعادة قسما وكذب
به وصدف عن اياته من كتب الله عليه الشقاء حتما ومن كان في هذه
اعمى فهو في الاخرة اعمى صلى الله عليه وسلم صلاة تنمو وتنمى وعلى اله وسلم
تسليما ۝ اما بعد اشرق الله قلبي وقلبك بانوار اليقين ولطف
لي ولك بما لطف به لاوليائه المتقين الذين شرفهم بنزل قدسه واوحشهم
من الخليقة بانسه وخصهم من معرفته ومشاهدة عجائب ملكوته
واثار قدرته بما ملأ قلوبهم حبرة وولّه عقولهم في عظمته حيرة
فجعلوا همهم به واحدا ولم يروا في الدارين غيره فهم بمشاهدة كماله
وجلاله يتنعمون وبين اثار قدرته وعجائب عظمته يترددون وبالانقطاع
اليه والتوكل عليه يتعززون لهجين بصادق قوله قل الله ثم ذرهم

السوال

في خوضهم يلعبون فانك كررت علي السوال في مجموع يتضمن التعريف
بقدر المصطفى عليه السلام وما يجب له من توقير واكرام وما حكم (النبي صح)
من لم يوف واجب عظيم ذلك القدر او قصر في حق منصبه الجليل
قلامة ظفر وان اجمع لك ما لاسلافنا وائمتنا في ذلك من مقال وابينه
بتنزيل صور وامثال فاعلم اكرمك الله انك حملتني امرا امرا (من ذلك صح)
ارهقتني فيما ندبتني اليه عسرا وارقيتني بما كلفتني مرتقا صعبا
ملأ قلبي رعبا فان الكلام في ذلك يستدعي تقرير اصول وتحرير فصول
والكشف عن غوامض ودقائق من علم الحقائق مما يجب للنبي ويضاف
اليه او يمتنع او يجوز عليه ومعرفة النبي والرسول والرسالة
والنبوة والمحبة والخلة وخصائص هذه الدرجة العلية وهاهنا
مهامه فيح تحار فيها القطا وتقصر عنها الخطا ومجاهل تضل (بها)
فيها الاحلام ان لم تهتد بعلم علم ونظر سديد ومداحض تزل
بها الاقدام ان لم تعتمد على توفيق من الله وتاييد لكني لما رجوته
لي ولك في هذا السوال والجواب من نوال وثواب بتعريف قدره
الجسيم وخلقه العظيم وبيان خصائصه التي لم تجتمع قبل في مخلوق
وما يدين الله تعالى به من حقه الذي هو ارفع الحقوق ليستيقن
الذين اوتوا الكتاب ويزداد الذين امنوا ايمانا ولما اخذ الله على
الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه ولما حدثنا به ابو الوليد
هشام بن احمد الفقيه رحمه الله بقراءتي عليه قال حدثنا الحسين

ابن محمد حدثنا ابو عمر النمري حدثنا ابو محمد بن عبد المومن حدثنا
ابو بكر محمد بن بكر حدثنا سليمان بن الاشعث حدثنا موسى بن اسمعيل
حدثنا حماد انا علي بن الحكم عن عطا عن ابي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من سيل عن علم فكتمه الجمه الله بلجام
من نار يوم القيمه ٥ فبادرت الى نكت مسفرة عن وجه الغرض موديا
من ذلك الحق المفترض اختلستها على استعجال لما المرء من شغل البدن
والبال بما طوقه من مقاليد المحنة التي ابتلي بها فكادت تشغل
عن كل فرض ونفل وترد بعد حسن التقويم الى اسفل سفل ولو
اراد الله بالانسان خيرا لجعل شغله وهمه كله فيما يحمد غدا او
يذم محله فليس ثم سوى حضرة النعيم او عذاب الجحيم ولكان عليه
بخويصته واستنقاذ مهجته وعمل صالح يستزيده وعلم نافع يفيده
او يستفيده ٥ جبر الله صدع قلوبنا وغفر عظيم ذنوبنا وجعل
جميع استعدادنا لمعادنا وتوفر دواعينا فيما ينجينا ويقربنا اليه تعالى
زلفا ويحظينا بمنه ورحمته ٥ ولما نويت تقريبه ودرجت تبويبه
ومهدت تاصيله وخلصت تفصيله وانتحيت حصره وتحصيله
ترجمته بالشفا بتعريف حقوق المصطفى وحصرت الكلام فيه في
اقسام اربعة القسم الاول في تعظيم العلي الاعلى لقدر
هذا النبي قولا وفعلا وتوجه الكلام فيه في اربعة ابواب ٥
الباب الاول في ثنايه تعالى عليه واظهاره عظيم

قدره لديه وفيه عشرة فصول الباب الثاني
في تكميله تعالى له المحاسن خلقا وخلقا وقرانه جميع الفضايل
الدينية والدنيوية فيه نسقا وفيه سبعة وعشرون فصلا ٥
الباب الثالث فيما ورد من صحيح الاخبار ومشهورها
بعظيم قدره عند ربه ومنزلته وما خصه به في الدارين من كرامته وفيه
اثنا عشر فصلا الباب الرابع فيما اظهره تعالى على
يديه من الايات والمعجزات وشرفه به من الخصايص والكرامات
وفيه ثلاثون فصلا القسم الثاني فيما يجب على الانام من حقوقه
عليه السلام ويترتب القول فيه في اربعة ابواب الباب الاول
في فرض الايمان به ووجوب طاعته واتباع سنته وفيه خمسة فصول
الباب الثاني في لزوم محبته ومناصحته وفيه ستة
فصول الباب الثالث في تعظيم امره ولزوم توقيره وبره
وفيه سبعة فصول الباب الرابع في حكم الصلاة عليه والتسليم
وفرض ذلك وفضيلته وفيه عشرة فصول القسم الثالث
فيما يستحيل في حقه وما يجوز عليه وما يمتنع وما يصح من الامور
البشرية ان يضاف اليه وهذا القسم اكرمك الله هو سر
الكتاب ولباب ثمرة هذه الابواب وما قبله له كالقواعد والتمهيدات
والدلايل على ما نورده فيه من النكت البينات وهو الحاكم على ما بعده
والمنجز من غرض هذا التاليف وعده وعند التقصي لموعده

والنقص عن عهدته يشرق صدر العدو اللعين ويشرق قلب
المؤمن باليقين وتملأ انواره جوانح صدره ويقدر العاقل
النبي حق قدره ويتحرر الكلام فيه في بابين الباب الاول
يخص الامور الدينية ويتشبث به القول في العصمة وفيه ستة
عشر فصلا الباب الثاني في احواله الدنيوية وما
يجوز طروه عليه من الاعراض البشرية وفيه تسعة فصول
القسم الرابع في تصرف وجوب الاحكام على من تنقصه او
سبه عليه السلام وينقسم الكلام فيه في بابين الباب الاول
في بيان ما هو في حقه سب او نقص من تعريض او نص وفيه عشر فصول او
الباب الثاني في حكم شانئه ومؤذيه ومنتقصه وعقوبته
وذكر استتابته والصلاة عليه ووراثته وفيه عشر فصول
وختمناه بباب ثالث جعلناه تكملة لهذه المسألة ووصلة
للبابين اللذين قبله في حكم من سب الله تعالى وملائكته وكتبه ووسيلة
وآل النبي صلى الله عليه وسلم وصحبه واختصر الكلام فيه في خمسة
فصول وبتمامها ينجز الكتاب وتتم الاقسام والابواب
ويلوح في غرة الايمان لمعة منيرة وفي تاج التراجم درة خطيرة
تزيح كل لبس وتوضح كل تخمين وحدس وتشفي صدور قوم
مؤمنين وتصدع بالحق وتعرض عن الجاهلين وبالله تعالى
لا اله سواه استعين القسم الاول في تعظيم العلي

الاعلى لقدر المصطفى قولا وفعلا قال القاضي الفقيه ابو الفضل صلى الله عليه
رضي الله عنه لا خفاء على من مارس شيئا من العلم او خص بادنى
لمحة من فهم بتعظيم الله تعالى قدر نبينا صلى الله عليه وسلم وخصوصه
اياه بفضائل ومحاسن ومناقب لا تنضبط لزمام وتنويهه من عظيم
قدره بما تكل عنه الالسنة والاقلام فمنها ما صرح به تعالى في
كتابه ونبه به على جليل فضله واثنى به عليه من اخلاقه وادابه نصابه
وحض العباد على التزامه وتقلد ايجابه فكان جل جلاله هو
الذي تفضل واولى ثم طهر وزكى ثم مدح بذلك واثنى ثم اثاب
عليه الجزاء الاوفى فله الفضل بدءا وعودا والحمد اولى واخرى
ومنها ما ابرزه للعيان من خلقه على اتم وجوه الكمال والجلال
وتخصيصه بالمحاسن الجميلة والاخلاق الحميدة والمذاهب
الكريمة والفضائل العديدة وتاييده بالمعجزات الباهرة والبراهين
الواضحة والكرامات البينات التي شاهدها من عاصره وراها في اصل البينة
من ادركه وعلمها علم يقين من جاء بعده حتى انتهى علم حقيقة ذلك
الينا وفاضت انواره علينا صلى الله عليه وسلم كثيرا حدثنا القاضي
الشهيد ابو علي الحسين بن محمد الحافظ رحمه الله قراءة مني عليه قال نا
ابو الحسين المبارك بن عبد الجبار وابو الفضل احمد بن خيرون قالا حدثنا
ابو يعلى البغدادي قال حدثنا ابو علي السنجي قال حدثنا محمد
بن احمد بن محبوب حدثنا ابو علي بن سورة الحافظ قال

ابو علي بن سوره

حدثنا اسحق بن منصور حدثنا عبد الرزاق قال حدثنا معمر عن قتادة عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم اتي بالبراق ليلة اسري به مسرجا ملجما فاستصعب عليه فقال له جبريل ابمحمد صلى الله عليه تفعل هذا فما ركبك احد اكرم على الله منه قال فارفض عرقا

الباب الاول في ثناء الله تعالى عليه واظهاره عظيم قدره لديه

اعلم ان في كتاب الله العزيز آيات كثيرة مفصحة بجميل ذكر المصطفى وعد محاسنه وتعظيم امره وتنويه قدره اعتمدنا منها على ما ظهر معناه وبان فحواه وجمعنا ذلك في عشرة فصول

الفصل الاول

فيما جاء من ذلك مجيء المدح والثناء وتعداد المحاسن كقوله تعالى لقد جاءكم رسول من انفسكم الآية قال السمرقندي وقرا بعضهم من انفَسكم بفتح الفاء وقراءة الجمهور بالضم قال القاضي ابو الفضل وفقه الله اعلم الله تعالى المومنين او العرب او اهل مكة او جميع الناس على اختلاف المفسرين من المواجه بهذا الخطاب انه بعث فيهم رسولا من انفسهم يعرفونه ويتحققون مكانه ويعلمون صدقه وامانته فلا يتهمونه بالكذب وترك النصيحة لهم لكونه منهم وانه لم يكن في العرب قبيلة الا ولها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولادة او قرابة وكونه من اشرفهم وارفعهم وافضلهم على قراءة الفتح وهذه نهاية المدح ثم وصفه بعد باوصاف حميدة

[illegible]

واثنى عليه بمحامد كثيرة من حرصه على هدايتهم ورشدهم واسلامهم وشدة ما يعنتهم ويضر بهم في دنياهم واخراهم وعزته عليه ورافته ورحمته بمومنيهم قال بعضهم اعطاه اسمين من اسمائه رءوف رحيم ومثله في الآية الاخرى قوله لقد من الله على المومنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم الآية وفي الآية الاخرى هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم الآية وقوله كما ارسلنا فيكم رسولا منكم وروي عن علي بن ابي طالب عنه عليه السلام في قوله تعالى من انفسكم قال نسبا وصهرا وحسبا ليس في آبائي من لدن ادم سفاح كلنا نكاح وقال جعفر بن محمد علم الله عجز خلقه عن طاعته فعرفهم ذلك لكي يعلموا انهم لا ينالون الصفو من خدمته فاقام بينهم وبينه مخلوقا من جنسهم في الصورة البسه من نعته الرافة والرحمة واخرجه الى الخلق سفيرا صادقا وجعل طاعته طاعته وموافقته موافقته فقال من يطع الرسول فقد اطاع الله وقال الله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين قال ابو بكر بن طاهر زين الله محمدا بزينة الرحمة فكان كونه رحمة وجميع شمائله وصفاته رحمة على الخلق فمن اصابه شيء من رحمته فهو الناجي في الدارين من كل مكروه والواصل فيهما الى كل محبوب الا ترى ان الله يقول وما ارسلناك الا رحمة للعالمين فكانت حياته رحمة ومماته رحمة كما قال عليه السلام حياتي خير

[illegible]

لكم وموتي خير لكم ٥ وكما قال اذا اراد الله رحمة بامة قبض ومماتي خ
نبيها قبلها فجعله لها فرطا وسلفا ٥ وقال السمرقندي رحمة
للعالمين يعني للجن والانس ٥ وقيل لجميع الخلق للمومن رحمة بالهداية
ورحمة للمنافق بالامان من القتل ورحمة للكافر بتاخير العذاب ٥
قال ابن عباس هو رحمة للمومنين والكافرين اذ عوفوا مما اصاب
غيرهم من الامم المكذبة وحكي ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال لجبريل عليه السلم هل اصابك من هذه الرحمة شي قال
نعم كنت اخشى العاقبة فامنت لثناء الله عز وجل بقوله ذي قوة
عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين ٥ وروي عن جعفر بن محمد الصادق
في قوله تعالى فسلام لك من اصحاب اليمين اي بك انما وقعت سلامتهم
من اجل كرامة محمد صلى الله عليه وسلم وقال الله تعالى
الله نور السموات والارض الاية ٥ قال كعب وابن جبير المراد
بالنور الثاني هنا محمد صلى الله عليه وسلم وقوله مثل نوره اي
نور محمد وقاله سهل بن عبد الله المعنى الله هادي اهل السموات
ثم قال مثل نور محمد اذ كان مستودعا في الاصلاب كمشكاة
صفتها كذا واراد بالمصباح قلبه والزجاجة صدره اي كانه
كوكب دري لما فيه من الايمان والحكمة توقد من شجرة مباركة
اي من نور ابرهيم وضرب المثل بالشجرة المباركة وقوله يكاد
زيتها يضي اي تكاد نبوة محمد صلى الله عليه وسلم تبين للناس قبل

كلامه هكذا الرتب وقد قيل في هذه الاية غير هذا والله اعلم
وقد سماه الله تعالى في القران في غير هذا الموضع نورا وسراجا منيرا
فقال قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين وقال انا ارسلناك
شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا ومن هذا
قوله تعالى الم نشرح لك صدرك الى اخر السورة شرح وسع والمراد
بالصدر هنا القلب ٥ قال بن عباس شرحه بالاسلام ٥ وقال
سهل بنور الرسالة ٥ وقال الحسن ملاه حكما وعلما وقيل
معناه الم نطهر قلبك حتى لا يوذيك الوسواس ٥ ووضعنا عنك
وزرك الذي انقض ظهرك قيل ما سلف من ذنبك يعني قبل النبوة
وقيل اراد ثقل ايام الجاهلية وقيل اراد ما اثقل ظهره من
الرسالة حتى بلغها حكاه الماوردي والسلمي ٥ وقيل عصمناك
ولولا ذلك لاثقلت الذنوب ظهرك حكاه السمرقندي ٥ ورفعنا
لك ذكرك قال يحيى بن ادم بالنبوة ٥ وقيل اذا ذكرت اراد خ
ذكرت معي في قول لا اله الا الله محمد رسول الله ٥ وقيل في الاذان
قال القاضي ابو الفضل وفقه الله هذا تقرير من الله جل
اسمه لنبيه صلى الله عليه وسلم على عظيم نعمه لديه وشريف
منزلته عنده وكرامته عليه بان شرح قلبه للايمان والهداية
ووسعه لوعي العلم وحمل الحكمة ورفع عنه ثقل امور الجاهلية
عليه وبغضه لسيرها وما كانت عليه بظهور دينه على الدين

كلّه وحطّ عنه عمده اعباء الرساله والنبوه لتبليغه للناس
ما نزل اليهم وتنويهه لعظيم مكانه وجليل رتبته ورفعه ذكره
وقرانه مع اسمه اسمه قال قتاده رفع الله ذكره في الدنيا والاخره
فليس خطيب ولا متشهّد ولا صاحب صلاه الّا يقول ان لا اله
الّا الله وان محمّدا رسول الله ه وروى ابو سعيد الخدرى ان
النبى صلى الله عليه وسلّم قال اتانى جبريل فقال ان ربى وربك
يقول تدرى كيف رفعت ذكرك قلت الله ورسوله اعلم قال اذا
ذُكرتُ ذُكرتَ معى قال بن عطاء جعلت تمام الايمان بذكرى معك
وقال ايضا جعلتك ذكرا من ذكرى فمن ذكرك ذكرنى
قال جعفر بن محمّد الصّادق لا يذكرك احد بالرساله الا ذكرنى
بالربوبيّه واشار بعضهم فى ذلك الى الشفاعه ومن ذكره معه تعالى
ان قرن طاعته بطاعته واسمه باسمه فقال واطيعوا الله والرسول
وامنوا بالله ورسوله فجمع بينهما بواو العطف المشتركه ولا يجوز جمع
هذا الكلام فى غير حقه عليه الصّلاه والسلام ه حدّثنا
الشّيخ ابو على الحسين بن محمد الجيّانى الحافظ فيما اجازنيه وقراته
على الثقه عنه قال حدثنا ابو عمر النمرى قال حدثنا ابو محمّد عبد
المومن حدّثنا ابو بكر بن داسه حدّثنا ابو داود السّجزى حدثنا
ابو الوليد الطّيالسى حدثنا شعبه عن منصور عن عبد الله بن يسار
عن حذيفه عن النبى صلى الله عليه وسلّم قال لا يقولنّ احدكم

اشهد

ما شاء الله وشاء فلان لكن ما شاء الله ثم ما شاء فلان ه قال
الخطابى ارشدهم صلى الله عليه وسلّم الى الادب فى تقديم مشيّه
الله تعالى على مشيّه من سواه واختارها بثمّ التى هى للنسق والتراخى
بخلاف الواو التى هى للاشتراك ومثله الحديث الاخر ان خطيبا
خطب عند النبى صلى الله عليه وسلّم فقال من يطع الله ورسوله فقد
رشد ومن يعصهما فقال له النبى صلى الله عليه وسلم بئس خطيب القوم
انت قم او قال اذهب قال ابو سليمن كره منه الجمع بين الاسمين
بحرف الكنايه لما فيه من التسويه وذهب غيره على انه انما كره له الوقوف
على يعصهما وقول ابى سليمان اصح لما روى فى الحديث الصحيح انه
قال ومن يعصهما فقد غوى ولم يذكر الوقوف على يعصهما ه وقد
اختلف المفسّرون واصحاب المعانى فى قوله تعالى ان الله وملئكته
يصلّون على النبى هل يصلون راجعه الى الله تعالى والملائكه
ام لا فاجازه بعضهم ومنعه آخرون لعلّه التشريك وخصّوا الضمير
بالملائكه وقدّروا الايه ان الله يصلّى وملائكته يصلون ه وقد روى
عن عمر رضى الله عنه انه قال من فضيلتك عند الله ان جعل
طاعتك طاعته فقال من يطع الرسول فقد اطاع الله وقد قال
الله تعالى قل ان كنتم تحبّون الله فاتبعونى يحببكم الله الايتين ه
روى انه لما نزلت هذه الايه قالوا ان محمّدا يريد ان نتخذه حنانا
كما اتخذت النصارى عيسى فانزل الله تعالى قل اطيعوا الله والرسو

[illegible]

ل

فقرن طاعته بطاعته رغماً لهم وقد اختلف المفسرون في معنى
قوله تعالى في ام الكتاب اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين
انعمت عليهم فقال ابو العالية والحسن البصري الصراط المستقيم
هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وخيار اهل بيته واصحابه
حكاه عنهما ابو الحسن الماوردي وحكى مكي عنهما نحوه وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحباه ابو بكر وعمر رضي الله عنهما
وحكى ابو الليث السمرقندي مثله عن ابي العالية في قوله صراط الذين
انعمت عليهم قال فبلغ ذلك الحسن فقال صدق والله ونصح
وحكى الماوردي ذلك في تفسير صراط الذين انعمت عليهم عن عبد
الرحمن بن زيد وحكى ابو عبد الله السلمي عن بعضهم في تفسير قوله تعالى
فقد استمسك بالعروة الوثقى انه محمد عليه الصلاة والسلام
وقيل الاسلام وقيل شهادة التوحيد وقال سهل في قوله تعالى
وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها قال نعمته بمحمد عليه السلام وقال
تعالى والذي جا بالصدق وصدق به اولئك هم المتقون الاية
اكثر المفسرين على ان الذي جا بالصدق هو محمد صلى الله عليه
وسلم قال بعضهم وهو الذي صدق به وقرى صدق بالتخفيف
وقال غيرهم الذي صدق به المومنون وقيل ابو بكر وقيل علي وقيل
غير هذا من الاقوال وعن مجاهد في قوله تعالى الا بذكر
الله تطمئن القلوب قال بمحمد صلى الله عليه وسلم واصحابه

الفصل الثاني في وصفه له تعالى بالشهادة وما تعلق بها من الثنا والكرامة

قال الله تعالى يا ايها النبي انا ارسلناك شاهداً ومبشراً
ونذيراً الاية جمع الله له في هذه الاية ضروباً من رتب الاثرة وجملة
اوصاف من المدحة فجعله شاهداً على امته لنفسه بابلاغهم الرسالة
وهي من خصائصه عليه السلام ومبشراً لاهل طاعته ونذيراً لاهل معصيته
وداعياً الى توحيده وعبادته وسراجاً منيراً يهتدى به للحق
حدثنا الشيخ ابو محمد بن عتاب رحمه الله قال حدثنا
ابو القاسم حاتم بن محمد حدثنا ابو الحسن القابسي حدثنا ابو زيد المروزي
حدثنا ابو عبد الله محمد بن يوسف حدثنا البخاري حدثنا محمد بن
سنان حدثنا فليح حدثنا هلال عن عطا بن يسار لقيت عبد
الله بن عمرو بن العاصي قلت اخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال اجل والله انه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القران
يا ايها النبي انا ارسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وحرزاً للاميين
انت عبدي ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب
في الاسواق ولا يدفع بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر ولن
يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجا بان يقولوا لا اله الا الله
ويفتح به اعيناً عمياً واذاناً صماً وقلوباً غلفاً وذكر مثله عن
عبد الله بن سلام وكعب الاحبار وفي بعض طرقه عن ابن اسحاق

(هامش: خ قلت لعبد الله بن عمرو بن العاص اخبرني عن — والاعلى)

ولا صخب في الاسواق ولا متزين بالفحش ولا قوال للخنا اسدده
لكل جميل واهب له كل خلق كريم واجعل السكينة لباسه
والبر شعاره والتقوى ضميره والحكمة معقوله والصدق والوفا
طبيعته والعفو والمعروف خلقه والعدل سيرته والحق شريعته والهدى
امامه والاسلام ملته واحمد اسمه اهدي به بعد الضلالة واعلم
به بعد الجهالة وارفع به بعد الخمالة واسمي به بعد النكرة واكثر به
بعد القلة واغني به بعد العيلة واجمع به بعد الفرقة واولف به بين
قلوب مختلفة واهوا متشتتة وامم متفرقة واجعل امته خير
امة اخرجت للناس وفي حديث اخر اخبرنا رسول الله صلى الله عليه
وسلم عن صفته في التوراة عبدي احمد المختار مولده بمكة ومهاجره
بالمدينة او قال طيبة امته الحمادون لله على كل حال وقال
تعالى الذين يتبعون الرسول النبي الامي الاية وقال تعالى فبما رحمة
من الله لنت لهم الاية قال السمرقندي ذكر الله منته انه جعل رسوله
رحيما بالمومنين روفا لين الجانب ولو كان فظا خشنا في القول
لانفضوا من حوله لكن جعله الله سمحا سهلا طلقا برا لطيفا هكذا [اصل قاله]
ذكره الضحاك وقال تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا
شهدا على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا قال ابو الحسن
القابسي ابان الله تعالى فضل نبينا عليه السلام وفضل امته بهذه
الاية وفي قوله في الاية الاخرى وفي هذا ليكون الرسول شهيدا

عليكم وتكونوا شهدا على الناس وكذلك قوله فكيف اذا جينا
من كل امة بشهيد الاية وقوله وسطا اي عدلا خيارا ومعنى
هذه الاية كما هديناكم فكذلك خصصناكم وفضلناكم بان
جعلناكم امة خيارا عدولا لتشهدوا للانبياء على اممهم ويشهد لكم
الرسول بالصدق وقيل ان الله جل جلاله اذا سال الانبيا هل بلغتم
فيقولون نعم فتقول اممهم ما جانا من بشير ولا نذير فتشهد امة محمد
للانبيا ويزكيهم النبي صلى الله عليه وسلم وقيل معنى الاية انكم حجة على
من خالفكم والرسول حجة عليكم حكاه السمرقندي وقال
تعالى وبشر الذين امنوا ان لهم قدم صدق عند ربهم قال قتادة
والحسن وزيد بن اسلم قدم صدق هو محمد صلى الله عليه وسلم
يشفع لهم وعن الحسن ايضا هي مصيبتهم بنبيهم وعن ابي سعيد الخدري
هي شفاعة نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم هو شفيع صدق عند
ربهم وقال سهل بن عبد الله التستري هي سابقة رحمة اودعها
في محمد صلى الله عليه وسلم وقال محمد بن علي الترمذي هو امام الصادقين
والصديقين الشفيع المطاع والسايل المجاب محمد صلى الله عليه وسلم
حكاه عنه السلمي

الفصل الثالث فيما ورد في خطابه اياه مورد الملاطفة والمبرة ٥

من ذلك قوله تعالى عفا الله عنك لم اذنت لهم قال ابو محمد مكي
قيل هذا افتتاح كلام بمنزلة اصلحك الله واعزك الله ٥

وقال عون بن عبد الله اخبره بالعفو قبل ان يخبره بالذنب
حكى السمرقندي عن بعضهم ان معناه عافاك الله يا سليم القلب لم اذنت
لهم قال ولو بدا النبي صلى الله عليه وسلم بقوله لم اذنت لهم لخيف
عليه ان ينشق قلبه من هيبة هذا الكلام لكن الله تعالى برحمته اخبره
بالعفو حتى سكن قلبه ثم قال له لم اذنت لهم بالتخلف حتى يتبين الصادق
في عذره من الكاذب وفي هذا من عظيم منزلته عند الله ما لا يخفى
على ذي لب ومن اكرامه اياه وبره به ما ينقطع دون معرفة غايته نياط
القلب قال نفطويه ذهب ناس الى ان النبي صلى الله عليه وسلم معاتب
بهذه الاية وحاشاه من ذلك بل كان مخيرا فلما اذن لهم اعلمه الله
انه لو لم ياذن لهم لقعدوا لنفاقهم وانه لا حرج عليه في الاذن
لهم قال الفقيه القاضي وفقه الله يجب على المسلم المجاهد نفسه
الرايض بزمام الشريعة خلقه ان يتادب باداب القران في قوله وفعله
ومعاطاته ومحاوراته فهو عنصر المعارف الحقيقية وروضة الاداب
الدينية والدنيوية وليتامل هذه الملاطفة العجيبة في السؤال من رب
الارباب المنعم على الكل المستغني عن الجميع ويستثير ما فيها
من الفوائد وكيف ابتدا بالاكرام قبل العتب وانس بالعفو قبل
ذكر الذنب ان كان ثم ذنب وقال تعالى ولولا ان ثبتناك
لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا قال بعض المتكلمين عاتب
الله تعالى الانبيا بعد الزلات وعاتب نبينا عليه السلام قبل وقوعه ليكون

بذلك اشد انتهاء ومحافظة لشرائط المحبة وهذه غاية العناية ثم
انظر كيف بدا بثباته وسلامته قبل ذكر ما عتبه عليه وخيف ان
يركن اليه ففي اثناء عتبه براءته وفي طي تخويفه تامينه وكرامته ومثله
قوله تعالى قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون فانهم لا يكذبونك الاية
قال علي رضي الله عنه قال ابو جهل للنبي صلى الله عليه وسلم
انا لا نكذبك ولكن نكذب بما جئت به فانزل الله تعالى فانهم لا يكذبونك
الاية وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما كذبه قومه حزن
فجاءه جبريل فقال ما يحزنك قال كذبني قومي فقال انهم يعلمون انك
صادق فانزل الله الاية ففي هذه الاية منزع لطيف الماخذ من تسليته
تعالى له عليه السلام والطافه في القول بان قرر عنده انه صادق
عندهم وانهم غير مكذبين له معترفين بصدقه قولا واعتقادا
وقد كانوا يسمونه قبل النبوة الامين فدفع بهذا التقرير ارتماض
نفسه بسمة الكذب ثم جعل الذم لهم بتسميتهم جاحدين ظالمين
فقال تعالى ولكن الظالمين بايات الله يجحدون فحاشاه من
الوصم وطوقهم بالمعاندة بتكذيب الايات حقيقة الظلم اذ الجحد
انما يكون ممن علم الشي ثم انكره كقوله تعالى وجحدوا بها
واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا ثم عزاه وانسه بما ذكره عمن قبله
ووعده النصر بقوله ولقد كذبت رسل من قبلك الاية فمن قرا لا يكذبونك
بالتخفيف فمعناه لا يجدونك كاذبا وقال الفراء والكسائي لا يقولو
ن

انك كاذب وقيل لا يحتجون على كذبك ولا يثبتونه ومن قرأ بالتشديد
فمعناه لا ينسبونك الى الكذب وقيل لا يعتقدون كذبك ومما ذكر
من خصائصه وبر الله تعالى به ان الله تعالى خاطب جميع الانبيا باسمايهم فقال
يا آدم يا نوح يا ابراهيم يا داود يا عيسى يا زكريا يا يحيى ولم يخاطب هو
الا يا ايها الرسول يا ايها النبي يا ايها المزمل يا ايها المدثر ٥

الفصل الرابع في قسمه تعالى بعظيم قدره ٥

قال الله تعالى لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون اتفق اهل التفسير
في هذا انه قسم من الله جل جلاله بمدة حياة محمد صلى الله عليه وسلم
واصله ضم العين من العمر ولكنها فتحت لكثرة الاستعمال ومعناه
وبقايك يا محمد وقيل عيشك وقيل حياتك وهذه نهاية التعظيم
وغاية البر والتشريف قال ابن عباس ما خلق الله وما ذرأ ولا برأ
نفسا اكرم عليه من محمد وما سمعت الله تعالى اقسم بحياة احد غيره
قال ابو الجوزا ما اقسم بحياة احد غير محمد صلى الله عليه وسلم لانه
اكرم البرية عنده وقال تعالى يس والقران الحكيم الايات
اختلف المفسرون في معنى يس على اقوال فحكى ابو محمد مكي انه
روي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لي عند ربي عشرة اسما ذكر ان
منها طه ويس اسمان له وحكى ابو عبد الرحمن السلمي عن جعفر
الصادق انه قال اراد يا سيد مخاطبة لنبيه صلى الله عليه وسلم ٥
وعن ابن عباس يس يا انسان اراد محمدا وقال هو قسم وهو من اسما

بلغ مقابلة

الله وقال الزجاج قيل معناه يا محمد وقيل يا رجل وقيل يا انسان
وعن ابن الحنفية يس يا محمد وعن كعب يس قسم اقسم الله به قبل ان يخلق
السما والارض بالفي عام يا محمد انك لمن المرسلين ثم قال والقران
الحكيم انك لمن المرسلين فان قدر انه من اسمايه صلى الله عليه وسلم
وصح فيه انه قسم كان فيه من التعظيم ما تقدم ويؤكد فيه القسم
عطف القسم الاخر عليه وان كان بمعنى النداء فقد جا قسم اخر
بعده لتحقيق رسالته والشهادة بهدايته اقسم تعالى باسمه وكتابه انه
من المرسلين بوحيه الى عباده وعلى صراط مستقيم من ايمانه اي
طريق لا اعوجاج فيه ولا عدول عن الحق قال النقاش لم يقسم
الله تعالى لاحد من انبيايه بالرسالة في كتابه الا له وفيه من
تعظيمه وتمجيده على تاويل من قال انه يا سيد ما فيه وقد قال
عليه السلام انا سيد ولد ادم ولا حرج وقال الله تعالى لا اقسم بهذا البلد
وانت حل بهذا البلد قيل لا اقسم به اذا لم تكن فيه بعد خروجك
منه حكاه مكي وقيل لا زايدة اي اقسم به وانت به يا محمد حلال
او حل لك ما فعلت فيه على التفسيرين والمراد بالبلد عند هولا
مكة وقال الواسطي اي يحلف لك بهذا البلد الذي شرفته
بمكانك فيه حيا وبركتك ميتا يعني المدينة والاول اصح لان السورة
مكية وما بعده يصححه قوله حل بهذا البلد ونحوه قول ابن
عطا في تفسير قوله تعالى وهذا البلد الامين قال امنها الله تعالى بمقامه

فيه ح

فهما كونهما فان كونه امانٌ حيث كان ثم قال ووالد وما
ولد من قال اراد ادم فهو عام ومن قال هو ابرهيم وما ولد فهو ان
شا الله اشارة الى محمد صلى الله عليه وسلم فتضمن السورة القسم
به في موضعين وقال تعالى الم ذلك الكتاب قال ابن عباس هذه لا ريب فيه
الحروف اقسام اقسم الله بها وعنه وعن غيره فيها غير ذلك وقال
سهل بن عبد الله التستري الالف هو الله تعالى واللام جبريل والميم
محمد عليهما السلام وحكى هذا القول السمرقندي ولم ينسبه الى
سهل وجعل معناه الله انزل جبريل على محمد بهذا القران لا ريب فيه
وعلى الوجه الاول يحتمل القسم ان هذا الكتاب حق لا ريب فيه
ثم فيه من فضيلة قران اسمه باسمه نحو ما تقدم وقال
ابن عطاء في قوله تعالى ق والقران المجيد اقسم بقوة قلب حبيبه صلى
الله عليه وسلم حيث حمل الخطاب والمشاهدة ولم يؤثر ذلك فيه
لعلو حاله وقيل هو اسم للقران وقيل هو اسم لله وقيل جبل
محيط بالارض وقيل غير هذا وقال جعفر بن محمد في تفسير
والنجم اذا هوى انه محمد عليه السلام وقال النجم قلب محمد
هوى انشرح من الانوار وقال انقطع عن غير الله وقال
ابن عطا في قوله تعالى والفجر وليال عشر الفجر محمد لان منه تفجر
الايمان

الفصل الخامس ٥

في قسمه له تعالى جده له لتحقق مكانته عنده ٥

قال جل اسمه والضحى والليل اذا سجى السورة اختلف في سبب
نزول هذه السورة فقيل كان ترك النبي صلى الله عليه وسلم قيام
الليل لعذر نزل به فتكلمت امراة في ذلك بكلام وقيل بل تكلم به
المشركون عند فترة الوحي فنزلت السورة قال الفقيه القاضي
وفقه الله تضمنت هذه السورة من كرامة الله تعالى له وتنويهه به
وتعظيمه اياه ستة وجوه الاول القسم له عما اخبره به من حاله بقوله
والضحى والليل اذا سجى اي ورب الضحى وهذا من اعظم درجات المبرة
الثاني بيان مكانته عنده وحظوته لديه بقوله ما ودعك
ربك وما قلى اي ما تركك وما ابغضك وقيل ما اهملك بعد ان
اصطفاك الثالث قوله وللاخرة خير لك من الاولى قال
ابن اسحق اي ما لك في مرجعك عند الله اعظم مما اعطاك من كرامة
الدنيا وقال سهل اي ما ذخرت لك من الشفاعة والمقام المحمود
خير لك مما اعطيتك في الدنيا الرابع قوله ولسوف يعطيك
ربك فترضى وهذه اية جامعة لوجوه الكرامة وانواع السعادة
وشتات الانعام في الدارين والزيادة قال ابن اسحق يرضيه
بالفلج في الدنيا والثواب في الاخرة وقيل يعطيه الحوض والشفاعة
وروي عن بعض ال النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ليس اية في
القران ارجى منها ولا يرضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدخل
احد من امته النار الخامس ما عده تعالى عليه من نعمه وقرره من

الاية قبله في بقية السورة من هدايته الى ما هداه له او هداية
الناس به على اختلاف التفاسير ولا مال له فاغناه بما اتاه او بما
جعله في قلبه من القناعة والغنى ويتيما حدب عليه عمه واواه
اليه وقد قيل اواه الى الله وقيل يتيما لا مثال لك فاواك اليه
وقيل المعنى الم يجدك فهداك ضالا واغنى بك عائلا واوى بك
يتيما ذكره بهذه المنن وانه على المعلوم من التفسير لم يهمله في حال
صغره وعيلته ويتمه وقيل بمعرفته ربه ولا ودعه ولا قلاه فكيف
بعد اختصاصه واصطفائه السادس امره باظهار نعمته
عليه وشكر ما شرفه ربه بنشره واشادة ذكره بقوله واما بنعمة
ربك فحدث فان من شكر النعمة الحديث بها وهذا خاص له عام
لامته وقال تعالى والنجم اذا هوى الى قوله لقد راى من ايات ربه
الكبرى اختلف المفسرون في قوله والنجم اقاويل معروفة
منها النجم على ظاهره وعن جعفر بن محمد انه محمد عليه السلام ومنها القرآن
وقال هو قلب محمد وقد قيل في قوله والسما والطارق
وما ادراك ما الطارق النجم الثاقب ان النجم هنا ايضا
محمد صلى الله عليه وسلم حكاه السلمي تضمنت هذه الايات
من فضله وشرفه العد ما تقف دونه العد واقسم جل اسمه على
هداية المصطفى وتنزيهه عن الهوى وصدقه فيما تلاه وانه وحي
يوحى اوصله اليه عن الله جبريل وهو الشديد القوى ثم اخبر

تعالى عن فضيلته بقصة الاسرا ولما كان ما كاشفه عليه السلم
من ذلك الجبروت وشاهده من عجايب الملكوت لا تحيط به العبارا
ولا تستقل بحمل سماع ادناه العقول رمز عنه تعالى بالايما والكناية
الدالة على التعظيم فقال فاوحى الى عبده ما اوحى وهذا النوع من
الكلام تسميه عند اهل النقد والبلاغة بالوحي والاشارة
وهو عندهم ابلغ ابواب الايجاز وقال لقد راى من
ايات ربه الكبرى انحسرت الافهام عن تفصيل ما اوحى وتاهت
الاحلام في تعيين تلك الايات الكبرى قال القاضي ابو الفضل
واشتملت هذه الايات على اعلام الله تعالى بتزكية جملته عليه
السلم وعصمتها من الافات في هذا المسرى فزكا فؤاده ولسانه
وجوارحه قلبه بقوله ما كذب الفواد ما راى ولسانه بقوله وما ينطق
عن الهوى وبصره بقوله ما زاغ البصر وما طغى وقال تعالى
فلا اقسم بالخنس الجوار الكنس الى قوله وما هو بقول شيطان رجيم
لا اقسم اي اقسم انه لقول رسول كريم اي كريم عند مرسله ذي
قوة على تبليغ ما حمله من الوحي مكين اي متمكن المنزلة من ربه رفيع
المحل عنده مطاع ثم اي في السما امين على الوحي قال
علي بن عيسى وغيره الرسول الكريم هنا محمد صلى الله عليه وسلم فجميع
الاوصاف بعد على هذا له وقال غيره هو جبريل فرجع الاوصاف
اليه ولقد راه يعني محمدا قيل راى ربه وقيل راى جبريل في صورته

وما هو على الغيب بظنين اي بمتهم ومن قراه بالضاد فمعناه ما هو
ببخيل بالدعاء به والتذكير بحكمه وبعلمه وهذه لمحمد عليه السلام
باتفاق ٥ وقال تعالى ن والقلم الايات اقسم تعالى بما اقسم
به من عظيم قسمه على تنزيه المصطفى مما غمصته الكفرة به وتكذيبهم
له وانسه وبسط امله بقوله محسنا خطابه ما انت بنعمة ربك بمجنون
وهذه نهاية المبرة في المخاطبة واعلا درجات الاداب في المحاورة
ثم اعلمه بما له عنده من نعيم دايم وثواب غير منقطع لا ياخذه عد ولا
يمتن به عليه فقال وان لك لاجرا غير ممنون ثم اثنى عليه بما منحه من
هباته وهداه اليه واكد ذلك تتميما للتمجيد بحرفي التاكيد فقال
وانك لعلى خلق عظيم قيل القران وقيل الاسلام وقيل الطبع الكريم
وقيل ليس لك همة الا الله قال الواسطي اثنى عليه بحسن
قبوله لما اسداه اليه من نعمه وفضله بذلك على غيره لانه جبله على
ذلك الخلق فسبحان اللطيف الكريم المحسن الجواد الحميد
الذي يسر للخير وهدى اليه ثم اثنى على فاعله وجازاه عليه سبحانه
ما اغمر نواله واوسع افضاله ثم سلاه عن قولهم بعد هذا بما وعده
به من عقابهم وتوعدهم بقوله فستبصر ويبصرون الثلاث
الايات ثم عطف بعد مدحه على ذم عدوه وذكر سوء خلقه وعد
معايبه متوليا ذلك بفضله ومنتصرا لنبيه فذكر بضع عشرة
خصلة من خصال الذم فيه بقوله فلا تطع المكذبين الى قوله اساطير

الاولين ثم ختم ذلك بالوعيد الصادق بتمام شقايه وخاتمة بواره
بقوله سنسمه على الخرطوم فكانت نصرة الله له اتم من نصرته لنفسه
ورده تعالى على عدوه ابلغ من رده واثبت في ديوان مجده ٥ ٥

الفصل السادس فيما ورد من قوله تعالى في جهته عليه السلام مورد الشفقة والاكرام ٥

قال تعالى طه ما انزلنا عليك القران لتشقى قيل طه اسم من
اسمايه عليه السلام وقيل هو اسم لله وقيل معناه يا رجل وقيل يا
انسان وقيل هي حروف مقطعة لمعان قال الواسطي اراد يا
طاهر يا هادي وقيل هو امر من الوطء والهاء كناية عن الارض
اي اعتمد على الارض بقدميك ولا تتعب نفسك بالاعتماد على قدم
واحدة وهو قوله ما انزلنا عليك القران لتشقى نزلت الاية فيما كان
النبي صلى الله عليه وسلم يتكلفه من السهر والتعب وقيام الليل
اخبرنا القاضي ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمن وغير واحد عن
القاضي ابي الوليد الباجي اجازة ومن اصله نقلت قال حدثنا ابو
ذر الحافظ قال حدثنا ابو محمد الحموي قال حدثنا ابراهيم بن خزيم
الشاشي قال حدثنا عبد بن حميد حدثنا هاشم بن القاسم
عن ابي جعفر عن الربيع بن انس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا صلى
قام على رجل ورفع الاخرى فانزل الله تعالى طه يعني طا الارض يا
محمد ما انزلنا عليك القران لتشقى ولا خفا بما في هذا كله من الاكرام

وحسن المعامله وان جعلنا طه من اسمايه عليه السلم كما قيل
وجعلت قسما لحق الفصل بما قبله ومثل هذا من نمط الشفقه والمبره
قوله تعالى فلعلك باخع نفسك على اثارهم ان لم يومنوا بهذا الحديث
اسفا اي قاتل نفسك لذلك غضبا او غيظا او جزعا ومثله ايضا قوله صح
لعلك باخع نفسك الا يكونوا مومنين ثم قال ان نشا ننزل عليهم من السما
ايه فظلت اعناقهم لها خاضعين ومن هذا الباب قوله تعالى
فاصدع بما تومر واعرض عن المشركين الى قوله ولقد نعلم انك يضيق
صدرك بما يقولون الى اخر السوره وقوله ولقد استهزي برسل
من قبلك الايه قال مكي سلاه تعالى بما ذكر وهون عليه ما
يلقى من المشركين واعلمه ان من تمادى على ذلك يحل به ما حل بمن قبله ومثل
هذه التسليه قوله تعالى وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك
ومن هذا قوله تعالى كذلك ما اتى الذين من قبلهم من رسول الا
قالوا ساحر او مجنون عزاه الله بما اخبر به عن الامم السالفه ومقالها
لانبيايهم قبله ومحنتهم بهم وسلاه بذلك عن محنته بمثله من كفار
مكه وانه ليس اول من لقي ذلك ثم طيب نفسه وابان عذره بقوله
تعالى فتول عنهم اي اعرض عنهم فما انت بملوم اي في ادا ما بلغت
والابلاغ ما حملت ومثله قوله تعالى واصبر لحكم ربك فانك
باعيننا اي اصبر على اذاهم فانك بحيث نراك ونحفظك سلاه الله
بهذا في اي كثير من هذا المعنى ٥

الفصل السابع فيما اخبره الله تعالى في كتابه العزيز من عظيم قدره وشريف منزلته على الانبيا وحظوه رتبته

قوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما اتيتكم من كتاب وحكمه
الى قوله من الشاهدين قال ابو الحسن القابسي استخص الله تعالى
محمدا صلى الله عليه وسلم بفضل لم يوته غيره ابانه به وهو ما ذكره
في هذه الايه قال المفسرون اخذ الله الميثاق بالوحي فلم يبعث
نبيا الا ذكر له محمدا ونعته واخذ عليه ميثاقه ان ادركه ليومنن به وقيل
ان يبينه لقومه وياخذ ميثاقهم ان يبينوه لمن بعدهم وقوله ثم جاكم
الخطاب لاهل الكتاب المعاصرين لمحمد صلى الله عليه وسلم قال
علي بن ابي طالب رضي الله عنه لم يبعث الله نبيا من ادم فمن بعده الا اخذ
عليه العهد في محمد صلى الله عليه وسلم لين بعث وهو حي ليومنن به
ولينصرنه وياخذ بذلك العهد على قومه ونحوه عن السدي وقتاده
في اي تضمنت فضله من غير وجه واحد قال الله تعالى واذ
اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح الايه وقال انا اوحينا
اليك كما اوحينا الى نوح الى قوله وكيلا وروي عن عمر بن الخطاب
رضي الله عنه انه قال في كلام بكى به النبي صلى الله عليه وسلم فقال
بابي انت وامي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عند الله ان بعثك
اخر الانبيا وذكرك في اولهم فقال واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم
ومنك ومن نوح الايه بابي انت وامي يا رسول الله لقد بلغ من

فضيلة عنده ان اهل النار يودون ان يكونوا اطاعوه وهم
بين اطباقها يعذبون يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا
قال قتادة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال كنت اول الانبياء
في الخلق واخرهم في البعث فلذلك وقع ذكره مقدما هنا قبل
نوح وغيره قال السمرقندي في هذا تفضيل نبينا عليه السلام
لتخصيصه بالذكر قبلهم وهو اخرهم المعنى اخذ الله عليهم الميثاق اذ
اخرجهم من ظهر ادم كالذر وقال تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم
على بعض الاية قال اهل التفسير ورفع بعضهم درجات اراد بقوله ع
محمدا صلى الله عليه وسلم لانه بعث الى الاحمر والاسود واحلت له
الغنائم وظهرت على يديه المعجزات وليس احد من الانبيا اعطي فضيلة
او كرامة الا وقد اعطي محمدا صلى الله عليه وسلم مثلها قال
بعضهم ومن فضله ان الله تعالى خاطب الانبيا باسمايهم وخاطبه بالنبوة
والرسالة في كتابه فقال يا ايها النبي ويا ايها الرسول وحكى السمرقندي
عن الكلبي في قوله تعالى وان من شيعته لابراهيم ان الها عايدة على محمد
ان من شيعة محمد لابرهيم اي على دينه ومنهاجه واجازه الفرا وحكاه عنه
مكي وقيل المراد نوح عليه السلام

الفصل الثامن في اعلام الله تعالى خلقه بصلاته عليه وولايته له ورفعه العذاب بسببه

قال الله تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم اي ما كنت بمكة

فلما خرج النبي صلى الله عليه وسلم من مكة وبقي فيها من بقي
من المومنين نزل وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون وهذا مثل قوله
لو تزيلوا الاية وقوله ولولا رجال مومنون الاية فلما هاجر المومنون
نزلت وما لهم الا يعذبهم الله وهذا من ابين ما يظهر مكانته صلى الله
عليه وسلم ودرايه العذاب عن اهل مكة بسبب كونه ثم كون
اصحابه بعده بين اظهرهم فلما خلت مكة منهم عذبهم بتسليط المومنين
عليهم وغلبتهم اياهم وحكم فيهم سيوفهم واورثهم ارضهم وديارهم
واموالهم وفي الاية ايضا تاويل اخر حدثنا القاضي الشهيد ابو
علي رحمه الله بقراءتي عليه حدثنا ابو الفضل بن خيرون وابو الحسين
الصيرفي حدثنا ابو يعلى بن زوج الحرة حدثنا ابو علي السنجي حدثنا محمد
احمد بن محبوب المروزي حدثنا ابو عيسى الحافظ حدثنا سفيان
بن وكيع حدثنا ابن نمير عن اسمعيل بن ابرهيم بن مهاجر عن عباد بن
يوسف عن ابي بردة بن ابي موسى عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله
وسلم انزل الله علي امانين لامتي وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما
كان الله معذبهم وهم يستغفرون فاذا مضيت تركت فيكم الاستغفار
ونحو منه قوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين قال عليه السلام
انا امان لاصحابي قيل من البدع وقيل من الاختلاف والفتن قال
بعضهم الرسول صلى الله عليه وسلم هو الامان الاعظم ما عاش
وما دامت سنته باقية فهو باق فاذا اميتت سنته فانتظر

البلاء والفتن وقال الله تعالى ان الله وملايكته يصلون على
النبي الاية ابان الله تعالى فضل نبيه صلى الله عليه وسلم بصلاته عليه
ثم بصلاة ملايكته وامر عباده بالصلاة والتسليم عليه وقد حكى
ابو بكر بن فورك ان بعض العلما تاول قوله عليه السلم وجعلت قرة
عيني في الصلاة على هذا اي في صلاة الله علي وملايكته وامره الامة
بذلك الى يوم القيمة والصلاة من الملايكه ومنا له دعا ومن الله رحمة
وقيل يصلون يباركون وقد فرق النبي صلى الله عليه وسلم حين
علم الصلاة عليه بين لفظ الصلاة والبركه وسنذكر حكم الصلاة
عليه وذكر بعض المتكلمين في تفسير حروف كهيعص ان الكاف
من كاف اي كفاية الله تعالى لنبيه قال اليس الله بكاف عبده والها
هدايته قال ويهديك صراطا مستقيما واليا تاييده قال وايدك
بنصره والعين عصمته له قال والله يعصمك من الناس والصاد صلاته
عليه قال ان الله وملايكته يصلون على النبي وقال تعالى وان تظاهرا
عليه فان الله هو مولاه الاية مولاه اي وليه وصالح المومنين
قيل الانبيا وقيل الملايكه وقيل ابو بكر وعمر وقيل علي وقيل
المومنون على ظاهره ٥

الفصل التاسع فيما تضمنته سورة الفتح من كراماته

قال الله تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا الى قوله يد الله فوق
ايديهم تضمنت هذه الايات من فضله والثنا عليه وكريم منزلته عند

الله تعالى ونعمته لديه ما يقصر الوصف عن الانتها اليه فابتدا
جل جلاله باعلامه بما قضاه له من القضا البين بظهوره وغلبته على
عدوه وعلو كلمته وشريعته وانه مغفور له غير مواخذ بما كان وما
يكون قال بعضهم اراد غفران ما وقع وما لم يقع اي انك مغفور لك
وقال مكي جعل المنة سببا للمغفرة وكل من عنده لا اله غيره
منة بعد منة وفضلا بعد فضل ثم قال ويتم نعمته عليك قيل بخضوع
من تكبر لك وقيل بفتح مكة والطايف وقيل يرفع ذكرك في الدنيا
وينصرك ويغفر لك فاعلمه تمام نعمته عليه بخضوع متكبري
عدوه له وفتح اهم البلاد عليه واحبها له ورفع ذكره وهدايته الصراط
المستقيم المبلغ الجنة والسعاده ونصره النصر العزيز ومنته على امته
المومنين بالسكينه والطمانينة التي جعلها في قلوبهم وبشارتهم بما لهم بعد
وفوزهم العظيم والعفو عنهم والستر لذنوبهم وهلاك عدوه في
الدنيا والاخرة ولعنهم وبعدهم من رحمته وسو منقلبهم ثم قال انا ارسلناك
شاهدا ومبشرا ونذيرا الايه فعدد محاسنه وخصايصه من شهادته
على امته لنفسه بتبليغه الرساله لهم وقيل شاهدا لهم بالتوحيد
ومبشرا لامته بالثواب وقيل بالمغفرة ومنذرا عدوه بالعذاب وقيل
محذرا من الضلالات ليومن بالله ثم به من سبقت له من الله الحسنى
وتعزروه اي تجلوه وقيل تنصروه وقيل تبالغون في تعظيمه وتوقروه
اي تعظموه وقراه العامه وتعززوه بزايين من العز والاكثر والاظهر

تعظيم

أنّ هذا في حق محمد صلى الله عليه وسلم بقول ويسحقوه فهذا راجع الى
الله تعالى وقال ابن عطا جمع للنبي صلى الله عليه وسلم في هذه
السورة نعم مختلفة من الفتح المبين وهو من اعلام الاجابة والمغفرة
وهي من اعلام المحبة وتمام النعمة وهي من اعلام الاختصاص والهداية
وهي من اعلام الولاية فالمغفرة تبرئة من العيوب وتمام النعمة ابلاغ
الدرجة الكاملة والهداية وهي الدعوة الى المشاهدة وقال
جعفر بن محمد من تمام نعمته عليه ان جعله حبيبه واقسم بحياته ونسخ به
شرايع غيره وعرج به الى المحل الاعلى وحفظه في المعراج حتى ما زاغ
البصر وما طغى وبعثه الى الاسود والاحمر واحل له ولامته الغنايم
وجعله شفيعا مشفعا وسيد ولد ادم وقرن ذكره بذكره ورضاه
برضاه وجعله احد ركني التوحيد ثم قال ان الذين يبايعونك انما يبايعون
الله يبيعتهم اياك يد الله فوق ايديهم يريد عند البيعة قيل قوة الله
وقيل ثوابه وقيل منته وقيل عقده وهذه استعارة وتجنيس في
الكلام وتاكيد لعقد بيعتهم اياه وعظم شان المبايع صلى الله عليه
وسلم وقد يكون من هذا قوله تعالى فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم
وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وان كان الاول في باب المجاز
وهذا في باب الحقيقة لان القاتل والرامي بالحقيقة هو الله وهو
خالق فعله ورميه وقدرته عليه ومسببه ولانه ليس في قدرة البشر
توصيل تلك الرمية حيث وصلت حتى لم يبق منهم من لم تملا عينه

يعني بيعة الرضوان [illegible]

وكذلك قتل الملايكة لهم حقيقة وقد قيل في هذه الاية الاخرى انها
على المجاز العربي ومقابلة اللفظ ومناسبته اي ما قتلتموهم وما رميتهم
انت اذ رميت وجوههم بالحصبا والتراب ولكن الله رمى قلوبهم بالجزع
اي ان منفعة الرمي كانت من فعل الله فهو القاتل والرامي بالمعنى وانت بالاسم

الفصل العاشر فيما اظهره الله في كتابه العزيز
من كرامته عليه ومكانته عنده وما خصه به ٥

من ذلك سوا ما انتظم في ما ذكرناه قبل ومن ذلك ما نصه تعالى
من قصة الاسرا في سورة سبحان والنجم وما انطوت عليه القصة من
عظيم منزلته وقربه ومشاهدته ما شاهد من العجايب ومن ذلك عصمته
من الناس بقوله والله يعصمك من الناس وقوله واذ يمكر بك الذين
كفروا الاية وقوله الا تنصروه فقد نصره الله وما دفع الله به عنه في هذه
القصة من اذاهم بعد تحزبهم لهلكته وخلوصهم نجيا في امره والاخذ على
ابصارهم عند خروجه عليهم وذهولهم عن طلبه في الغار وما ظهر في ذلك
من الايات ونزول السكينة عليه وقصة سراقة بن مالك حسب
ما ذكره اهل الحديث والسير في قصة الغار وحديث الهجرة ومنه قوله
تعالى انا اعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر ان شانيك هو الابتر
اعلمه الله بما اعطاه والكوثر حوضه وقيل نهر في الجنة وقيل الخير الكثير
وقيل الشفاعة وقيل المعجزات الكثيرة وقيل النبوة وقيل المعرفة
ثم اجاب عنه عدوه ورد عليه قوله فقال ان شانيك هو الابتر

اى عدوك ومبغضك والابتر الحقير الذليل او المفرد الوحيد او الذى
لا خير فيه وقال ولقد اتيناك سبعا من المثانى والقران العظيم قيل
السبع المثانى السور الطوال الاول والقران العظيم ام القران
وقيل السبع المثانى ام القران والقران العظيم سايره وقيل السبع
المثانى ما فى القران من امر ونهى وبشرى وانذار وضرب مثل واعداد نعم
واتيناك نبا القران العظيم وقيل سميت ام القران مثانى لانها تثنى فى
كل ركعة وقيل بل الله استثناها لمحمد صلى الله عليه وسلم وذخرها له
دون الانبيا وسمى القران مثانى لان القصص تثنى فيه وقيل السبع المثانى
اكرمناك بسبع كرامات الهدى والنبوة والرحمة والشفاعة والولاية
والتعظيم والسكينة وقال وانزلنا اليك الذكر الاية وقال
وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا وقال قل يا ايها الناس انى
رسول الله اليكم جميعا الاية قال فهذه من خصايصه وقال
تعالى وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم فخصهم بقومهم
وبعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم الى الخلق كافة كما قال عليه السلام
بعثت الى الاحمر والاسود وقال تعالى النبى اولى بالمومنين من انفسهم
وازواجه امهاتهم قال اهل التفسير اولى بالمومنين من انفسهم
اى ما انفذه فيهم من امر فهو ماض عليهم كما يمضى حكم السيد على عبده وقيل
اتباع امره اولى من اتباع راى النفس وازواجه امهاتهم اى هن فى الحرمة
كالامهات حرم نكاحهن عليهم بعده تكرمة له وخصوصية ولانهن له

ازواج فى الاخرة وقد قرى وهو اب لهم ولا يقرا به الان لمخالفته المصحف
وقال الله تعالى وانزل الله عليك الكتاب والحكمة الاية
قيل فضله العظيم بالنبوة وقيل بما سبق له فى الازل واشار الواسطى
الى انها اشارة الى احتمال الروية التى لم يحتملها موسى صلى الله عليهما

الباب الثانى فى تكميل الله تعالى له الفضايل خلقا وخلقا وقرانه جميع المحاسن

الدينية والدنيوية فيه نسقا اعلم ايها المحب لهذا النبى الكريم
الباحث عن تفاصيل جمل قدره العظيم ان خصال الجلال والكمال
فى البشر نوعان ضرورى دنيوى اقتضته الجبلة وضرورة الحياة الدنيا
ومكتسب دينى وهو ما يحمد فاعله ويتقرب الى الله زلفى ثم هى
على فنين ايضا منها ما يتخلص لاحد الوصفين ومنها ما يتمازج ويتداخل
فاما الضرورى المحض فما ليس للمرء فيه اختيار ولا اكتساب مثل ما كان
فى جبلته من كمال خلقته وجمال صورته وقوة عقله وصحة فهمه وفصاحة
لسانه وقوة حواسه واعضايه واعتدال حركاته وشرف نسبه
وعزة قومه وكرم ارضه ويلحق به ما تدعوه ضرورة حياته اليه من
غذايه ونومه وملبسه ومسكنه ومنكحه وماله وجاهه وقد تلحق
هذه الخصال الاخرة بالاخروية اذا قصد بها التقوى ومعونة البدن
على سلوك طريقها وكانت على حدود الضرورة وقوانين الشريعة واما
المكتسبة الاخروية فساير الاخلاق العلية والاداب الشرعية من

الدين والعلم والحلم والصبر والشكر والعدل والزهد والتواضع
والعفو والعفة والجود والشجاعة والحيا والمروة والصمت والتودة والوقار
والرحمة وحسن الأدب والمعاشرة واخواتها وهي التي جماعها حسن الخلق
وقد يكون من هذه الاخلاق ما هو في الغريزة واصل الجبلة لبعض
الناس وبعضهم لا تكون فيه فيكتسبها ولكنه لا بد ان يكون فيه من
اصولها في اصل الجبلة شعبة كما سنبينه ان شا الله وتكون هذه
الاخلاق دنيوية اذا لم يرد بها وجه الله والدار الاخرة ولكنها كلها محاسن
وفضايل باتفاق اصحاب العقول السليمة وان اختلفوا في موجب
حسنها وتفضيلها **فصل** اذا كانت خصال الكمال
والجلال ما ذكرناه ووجدنا الواحد منا يتشرف بواحدة منها او اثنين
ان اتفقت له في كل عصر اما من نسب او جمال او قوة او علم او حلم او
شجاعة او سماحة حتى يعظم قدره وتضرب باسمه الامثال ويتقرر له
بالوصف بذلك في القلوب اثره وعظمه وهو منذ عصور خوال
رمم بوال فما ظنك بعظيم قدر من اجتمعت فيه كل هذه الخصال الى
ما لا ياخذه عد ولا يعبر عنه مقال ولا ينال بكسب ولا حيلة
الا بتخصيص الكبير المتعال من فضيلة النبوة والرسالة والخلة
والمحبة والاصطفا والاسرا والروية والقرب والدنو والوحي والشفاعة
والوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة والمقام المحمود والبراق
والمعراج والبعث الى الاحمر والاسود والصلاة بالانبيا والشهادة

بين الانبيا والامم وسيادة ولد آدم ولوا الحمد والبشارة والنذارة
والمكانة عند ذي العرش والطاعة ثم والامانة والهداية ورحمة للعالمين
واعطا الرضى والسول والكوثر وسماع القول واتمام النعمة والعفو
عما تقدم وما تاخر وشرح الصدر ووضع الوزر ورفع الذكر وعزة
النصر ونزول السكينة والتاييد بالملايكة وايتا الكتاب والحكمة
والسبع المثاني والقران العظيم وتزكية الامة والدعا الى الله وصلاة الله
والملايكة والحكم بين الناس بما اراه الله ووضع الاصر والاغلال عنهم
والقسم باسمه واجابة دعوته وتكليم الجمادات والعجم واحيا الموتى
واسماع الصم ونبع الما من بين اصابعه وتكثير القليل وانشقاق القمر
ورد الشمس وقلب الاعيان والنصر بالرعب والاطلاع على الغيب
وظل الغمام وتسبيح الحصا وابرا الالام والعصمة من الناس الى ما لا يحويه
محتفل ولا يحيط بعلمه الا مانحه ذلك ومفضله به لا اله غيره الى ما
اعد له في الدار الاخرة من منازل الكرامة ودرجات القدس ومراتب
السعادة والحسنى والزيادة التي تقف دونها العقول ويحار دون
ادانيها الوهم **فصل** ان قلت اكرمك الله لا خفا على القطع بالجملة
انه صلى الله عليه وسلم اعلى الناس قدرا واعظمهم محلا واكملهم محاسن
وفضلا وقد ذهبت في تفاصيل خصال الكمال مذهبا جميلا شوقني الى
ان اقف عليها من اوصافه صلى الله عليه وسلم تفصيلا فاعلم نور الله قلبي
وقلبك وضاعف في هذا النبي الكريم حبي وحبك انك اذا نظرت الى

خصال الكمال التي هي غير مكتسبة وفي جبلة الخلقة وجدته حائزا لجميعها محيطا بشتات محاسنها دون خلاف بين نقلة الاخبار لذلك بل قد بلغ بعضها مبلغ القطع اما الصورة وجمالها وتناسب اعضائه في حسنها فقد جاءت الاثار الصحيحة والمشهورة الكثيرة بذلك من حديث علي وانس بن مالك وابي هريرة والبراء بن عازب وعائشة ام المومنين وابن ابي هالة وابي جحيفة وجابر بن سمرة وام معبد وابن عباس ومعرض بن معيقيب وابي الطفيل والعداء بن خالد وخريم بن فاتك وحكيم بن حزام وغيرهم من انه صلى الله عليه وسلم كان ازهر اللون ادعج انجل اشكل اهدب الاشفار ابلج ازج اقنى افلج مدور الوجه واسع الجبين كث اللحية تملا صدره سواء البطن والصدر واسع الصدر عظيم المنكبين ضخم العظام عبل العضدين والذراعين والاسافل رحب الكفين والقدمين سائل الاطراف انور المتجرد دقيق المسربة ربعة القد ليس بالطويل البائن ولا القصير المتردد ومع ذلك فلم يكن يماشيه احد ينسب الى الطول الا طاله صلى الله عليه وسلم رجل الشعر اذا افتر ضاحكا افتر عن مثل سنا البرق وعن مثل حب الغمام اذا تكلم رئي كالنور يخرج من ثناياه احسن الناس عنقا ليس بمطهم ولا مكلثم متماسك البدن ضرب اللحم قال البراء ما رايت من ذي لمة في حلة حمراء احسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابو هريرة ما رايت شيئا احسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم كان الشمس

تجري في وجهه واذا ضحك يتلالا من الجدر وقال جابر بن سمرة وقال له رجل كان وجهه صلى الله عليه وسلم مثل السيف فقال لا بل مثل الشمس والقمر وكان مستديرا وقالت ام معبد في بعض ما وصفته به اجمل الناس من بعيد واحلاه واحسنه من قريب وفي حديث ابن ابي هالة يتلالا وجهه تلالؤ القمر ليلة البدر وقال علي رضي الله عنه في اخر وصفه له من رآه بديهة هابه ومن خالطه معرفة احبه يقول ناعته لم ار قبله ولا بعده مثله صلى الله عليه وسلم والاحاديث في بسط صفته مشهورة كثيرة فلا نطول بسردها وقد اختصرنا في وصفه نكت ما جاء فيها وجملة ما فيه الكفاية في القصد الى المطلوب وختمنا هذه الفصول بحديث جامع لذلك تقف عليه هنالك ان شاء الله

فصل واما نظافة جسمه وطيب ريحه وعرقه ونزاهته عن الاقذار وعورات الجسد فكان قد خصه الله في ذلك بخصائص لم توجد في غيره ثم تممها بنظافة الشرع وخصال الفطرة العشر وقال بني الدين على النظافة حدثنا سفيان بن العاصي وغير واحد قالوا حدثنا احمد بن عمر حدثنا ابو العباس الرازي حدثنا ابو احمد الجلودي حدثنا ابن سفيان حدثنا مسلم حدثنا قتيبة حدثنا جعفر بن سليمان عن ثابت عن انس قال ما شممت عنبرا قط ولا مسكا ولا شيئا اطيب من ريح رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن جابر بن سمرة انه صلى الله عليه وسلم مسح خده قال فوجدت ليده بردا وريحا كانما اخرجها من

جونه عطار وكان غيره مسها بطيب اولم يمسها يصافح المصافح فيظل
يومه يجد ريحها ويضع يده على راس الصبي فيعرف من بين الصبيان بريحها
ونام رسول الله صلى الله عليه وسلم في دار انس فعرق فجاءت امه بقارورة
تجمع فيه عرقه فسالها رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقالت
نجعله في طيبنا وهو من اطيب الطيب وذكر البخاري في تاريخه الكبير
عن جابر لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يمر في طريق فيتبعه احد الا عرف
انه سلكه من طيبه ذكر اسحق بن راهويه ان تلك كانت رائحته بلا طيب
صلى الله عليه وسلم وروى المزني عن جابر اردفني النبي صلى الله عليه وسلم
فالتقمت خاتم النبوة بفمي فكان ينم علي مسكا وقد حكى بعض المعتنين
باخباره وشمايله صلى الله عليه وسلم انه كان اذا اراد ان يتغوط انشقت
الارض فابتلعت غايطه وبوله وفاحت لذلك رايحة طيبة صلى الله عليه
وسلم واسند محمد بن سعد كاتب الواقدي في هذا خبرا عن عايشة
رضي الله عنها انها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم انك تاتي الخلا فلا نرى منك
شيا من الاذى فقال يا عايشة او ما علمت ان الارض تبلع ما يخرج من
الانبيا فلا يرى منه شي وهذا الخبر وان لم يكن مشهورا فقد قال قوم
من اهل العلم بطهارة الحدثين منه صلى الله عليه وسلم وهو قول بعض
اصحاب الشافعي حكاه الامام ابو نصر بن الصباغ في شامله وقد
حكى القولين عن العلما في ذلك ابو بكر بن سابق المالكي في كتابه البديع في
فروع المالكية وتخريج ما لم يقع لهم منها على مذهبهم من تفاريع الشافعية

وشاهد هذا انه صلى الله عليه وسلم لم يكن منه شي يكره ولا غير طيب
وفيه حديث علي رضي الله عنه غسلت النبي صلى الله عليه وسلم فذهبت
انظر ما يكون من الميت فلم اجد شيا فقلت طبت حيا وميتا قال
وسطعت منه ريح طيبة لم نجد مثلها قط ومثله قال ابو بكر رضي الله عنه
حين قبل النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته ومنه شرب مالك بن
سنان دمه يوم احد ومصه اياه وتسويغه صلى الله عليه وسلم ذلك له
وقوله لن تصيبه النار ومثله شرب عبد الله بن الزبير دم حجامته فقال
له عليه السلام ويل لك من الناس وويل لهم منك ولم ينكر عليه وقد
روي نحو من هذا عنه في امراة شربت بوله فقال لها لن تشتكي وجع
بطنك ابدا ولم يامر واحدا منهم بغسل فم ولا نهاه عن عوده وحديث
هذه المراة التي شربت بوله صحيح الزم الدارقطني مسلما والبخاري اخراجه
في الصحيح واسم هذه المراة بركة واختلف في نسبها وقيل هي ام ايمن وكانت
تخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت وكان لرسول الله صلى
الله عليه وسلم قدح من عيدان يوضع تحت سريره يبول فيه من الليل
فبال فيه ليلة ثم افتقده فلم يجد فيه شيا فسال بركة عنه فقالت قمت
وانا عطشانة فشربته وانا لا اعلم وروى حديثها ابن جريج وغيره وكان
صلى الله عليه وسلم في بعض الروايات قد ولد مختونا مقطوع السرة وروي
عن امه امنة انها قالت ولدته نظيفا ما به قذر وعن عايشة رضي الله عنها
ما رايت فرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قط وعن علي رضي الله عنه

اوصاني النبي صلى الله عليه وسلم لا يغسله غيري فانه لا يرى احد عورتي الا
طمست عيناه وفي حديث عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه انه صلى الله
عليه وسلم نام حتى سمع له غطيط فقام فصلى ولم يتوضا قال عكرمة لانه
كان صلى الله عليه وسلم محفوظا **فصل** واما وفور عقله وذكا
لبه وقوة حواسه وفصاحة لسانه واعتدال حركاته وحسن شمايله فلا مرية
انه كان اعقل الناس واذكاهم ومن تامل تدبيره امر بواطن الخلق
وظواهرهم وسياسة العامة والخاصة مع عجيب شمايله وبديع سيره فضلا
عما افاضه من العلم وقرره من الشرع دون تعلم سبق ولا ممارسة تقدمت
ولا مطالعة للكتب منه لم يمتر في رجحان عقله وثقوب فهمه لاول بديهة
وهذا ما لا يحتاج الى تقرير لتحقيقه وقد قال وهب بن منبه قرات في
احد وسبعين كتابا فوجدت في جميعها ان النبي صلى الله عليه وسلم ارجح الناس
عقلا وافضلهم رايا وفي رواية اخرى فوجدت في جميعها ان الله تعالى
لم يعط جميع الناس من بدء الدنيا الى انقضايها من العقل في جنب عقله صلى
الله عليه وسلم الا كحبة رمل من بين رمال الدنيا وقال مجاهد
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قام في الصلاة يرى من خلفه كما يرى من
بين يديه وبه فسر قوله تعالى وتقلبك في الساجدين وفي الموطا عنه عليه
السلام اني لاراكم من وراء ظهري ونحوه عن انس في الصحيحين وعن عايشة
مثله قالت زيادة زاده الله اياها في حجته وفي بعض الروايات اني
لانظر من ورائي كما انظر من بين يدي وفي اخرى اني لابصر من قفاي

كما ابصر من بين يدي وحكى بقي بن مخلد عن عايشة كان النبي
صلى الله عليه وسلم يرى في الظلمة كما يرى في الضوء والاخبار كثيرة صحيحة
في رؤيته صلى الله عليه وسلم للملايكة والشياطين ورفع النجاشي له حتى
صلى عليه وبيت المقدس حين وصفه لقريش والكعبة حين بنى مسجده وقد
حكي عنه انه كان يرى في الثريا احد عشر نجما وهذه كلها محمولة على
رؤية العين وهو قول احمد بن حنبل وغيره وذهب بعضهم الى ردها
الى العلم والظواهر تخالفه ولا احالة في ذلك وهي من خواص الانبياء
وخصالهم كما اخبرنا به محمد عبد الله بن احمد العدل في كتابه حدثنا ابو
الحسن المقرئ الفرغاني حدثتنا ام القاسم بنت ابي بكر عن ابيها حدثنا
الشريف ابو الحسن علي بن محمد الحسني حدثنا محمد بن محمد بن سعيد
حدثنا محمد بن احمد بن سليمان حدثنا محمد بن محمد بن مرزوق
حدثنا همام حدثنا الحسن عن قتادة عن يحيى بن وثاب عن ابي هريرة عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال لما تجلى الله لموسى عليه السلم كان يبصر النملة
على الصفا في الليلة الظلما مسيرة عشرة فراسخ ولا يبعد على هذا ان يختص
نبينا بما ذكرناه من هذا الباب بعد الاسرا والحظوة بما راى من ايات
ربه الكبرى وقد جات الاخبار بانه صرع ركانة اشد اهل وقته وكان
دعاه الى الاسلام وصارع ابا ركانة في الجاهلية وكان شديدا وعاوده
ثلاث مرات كل ذلك يصرعه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال
ابو هريرة ما رايت احدا اسرع من رسول الله صلى الله عليه وسلم في مشيه

كانما الارض تطوى له انا لنجهد انفسنا وهو غير مكترث وفي
صفته ان ضحكه كان تبسما اذا التفت التفت معا واذا مشى مشى تقلعا
ينحط من صبب

فصل

واما فصاحة اللسان وبلاغة القول
فقد كان صلى الله عليه وسلم من ذلك بالمحل الافضل والموضع الذي لا
يجهل سلاسة طبع وبراعة منزع وايجاز مقطع ونصاعة لفظ وجزالة
قول وصحة معان وقلة تكلف اوتي جوامع الكلم وخص ببدايع الحكم
وعلم السنة العرب يخاطب كل امة بلسانها ويحاورها بلغتها ويباريها
في منزع بلاغتها حتى كان كثير من اصحابه يسالونه في غير موطن عن شرح
كلامه وتفسير قوله من تامل حديثه وسبر علم ذلك وتحققه وليس
كلامه مع اهل قريش والانصار واهل الحجاز ونجد ككلامه مع ذي
المشعار الهمداني وطهفة النهدي وقطن بن حارثة العليمي والاشعث
بن قيس ووايل بن حجر الكندي وغيرهم من اقيال حضرموت وملوك اليمن
وانظر كتابه الى همدان ان لكم فراعها ووهاطها وعزازها تاكلون علافها
وترعون عفاها لنا من دفيهم وصرامهم ما سلموا بالميثاق والامانة ولهم
من الصدقة الثلب والناب والفصيل والفارض الداجن والكبش الحوري
وعليهم فيها الصالغ والقارح وقوله لنهد اللهم بارك لهم في محضها
ومخضها ومذقها وابعث راعيها في الدثر وافجر له الثمد وبارك له في
المال والولد من اقام الصلاة كان مسلما ومن اتى الزكاة كان محسنا
ومن شهد ان لا اله الا الله كان مخلصا لكم يا بني نهد ودايع الشرك

ووضايع الملك لا تلطط في الزكاة ولا تلحد في الحيوة ولا تثاقل عن
الصلوات وكتب لهم في الوظيفة الفريضة ولكم الفارض والفريش
وذو العنان الركوب والفلو الضبيس لا يمنع سرحكم ولا يعضد طلحكم
ولا يحبس دركم ما لم تضمروا الرماق وتاكلوا الرباق من اقر فله الوفاء
بالعهد والذمة ومن ابى فعليه الربوة ومن كتابه لوايل بن حجر الى الاقيال
العباهلة والارواع المشابيب وفيه في التيعة شاة لا مقورة الالياط
ولا ضناك وانطوا الثبجة وفي السيوب الخمس ومن زنى مم بكر فاصقعوه
مايه واستوفضوه عاما ومن زنى مم ثيب فضرجوه بالاضاميم ولا توصيم
في الدين ولا غمة في فرايض الله وكل مسكر حرام ووايل بن حجر يترفل على
الاقيال اين هذا من كتابه لانس في الصدقة المشهور لما كان كلام هولا
على هذا الحد وبلاغتهم هذا النمط واكثر استعمالهم هذه الالفاظ
استعملها معهم ليبين للناس ما نزل اليهم وليحدث الناس بما يعلمون
وكقوله في حديث عطية السعدي فان اليد العليا هي المنطية واليد
السفلى هي المنطاة قال فكلمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
بلغتنا وقوله في حديث العامري حين ساله فقال له النبي صلى الله عليه
وسلم سل عنك اي سل عما شيت وهي لغة بني عامر واما كلامه
المعتاد وفصاحته المعلومة وجوامع كلمه وحكمه الماثورة فقد الف
الناس فيها الدواوين وجمعت في معانيها والفاظها الكتب ومنها ما لا يوازي
فصاحة ولا يبارى بلاغة كقوله المسلمون تتكافا دماوهم ويسعى بذمتهم

ادناهم ويتم يد على من سواهم وقوله الناس كاسنان المشط
والمرء مع من احب ولا خير في صحبة من لا يرى لك ما ترى له والناس
معادن وما هلك امرؤ عرف قدره والمستشار مؤتمن وهو بالخيار
ما لم يتكلم ورحم الله امرءا قال خيرا فغنم او سكت فسلم وقوله
اسلم تسلم واسلم يؤتك الله اجرك مرتين وان احبكم الي واقربكم مني
مجلسا يوم القيمة احاسنكم اخلاقا الموطون اكنافا الذين يالفون ويولفون
وقوله لعله كان يتكلم بما لا يعنيه ويبخل بما لا يغنيه وقوله ذو
الوجهين لا يكون عند الله وجيها ونهيه عن قيل وقال وكثرة السؤال
واضاعة المال ومنع وهات وعقوق الامهات ووأد البنات
وقوله اتق الله حيث كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس
بخلق حسن وخير الامور اوساطها وقوله احبب حبيبك هونا ما عسى
ان يكون بغيضك يوما ما وقوله الظلم ظلمات يوم القيمة وقوله
في بعض دعائه اللهم اني اسالك رحمة تهدي بها قلبي وتجمع بها امري وتلم
بها شعثي وتصلح بها غائبي وترفع بها شاهدي وتزكي بها عملي وتلهمني بها
رشدي وترد بها الفتي وتعصمني بها من كل سوء اللهم اني اسالك
الفوز من القضا ونزل الشهدا وعيش السعدا والنصر على الاعدا
الى ما روته الكافة عن الكافة من مقاماته ومحاضراته وخطبه وادعيته
ومخاطباته وعهوده مما لا خلاف انه نزل من ذلك مرتبة لا
يقاس بها غيره وحاز فيها سبقا لا يقدر قدره وقد جمعت من كلماته التي

لم تسبق اليها ولا قدر احد ان يفرغ في قالبه عليها كقوله حمي الوطيس
ومات حتف انفه ولا يلدغ المومن من جحر مرتين والسعيد من وعظ
بغيره في اخواتها مما يدرك الناظر العجب في مضمنها ويذهب به الفكر
في ادنى حكمها وقد قال له اصحابه ما راينا الذي هو افصح منك
فقال وما يمنعني وانما انزل القران بلساني لسان عربي مبين وقال
مرة اخرى بيد اني من قريش ونشات في بني سعد فجمع له بذلك صلى الله
عليه وسلم قوة عارضة البادية وجزالتها ونصاعة الفاظ الحاضرة
ورونق كلامها الى التاييد الالاهي الذي مدده الوحي الذي لا يحيط بعلمه
بشري وقالت ام معبد في وصفها له حلو المنطق فصل لا نزر ولا
هذر كان منطقه خرزات نظمن وكان جهير الصوت حسن النغمة
صلى الله عليه وسلم **فصل** واما شرف نسبه وكرم بلده ومنشيه
فما لا يحتاج الى اقامة دليل عليه ولا بيان مشكل ولا خفي منه فانه
نخبة بني هاشم وسلالة قريش وصميمها واشرف العرب واعزهم نفرا من قبل
ابيه وامه ومن اهل مكة من اكرم بلاد الله على الله وعلى عباده حدثنا
قاضي القضاة حسين بن محمد الصدفي رحمه الله حدثنا القاضي
ابو الوليد سليمان بن خلف حدثنا ابو ذر عبد بن احمد حدثنا ابو محمد
السرخسي وابو اسحق وابو الهيثم حدثنا ابن عبد الرحمن عن عمرو عن سعيد
المقبري عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
بعثت من خير قرون بني ادم قرنا فقرنا حتى كنت من القرن الذي كنت منه

محمد بن يوسف حدثنا محمد بن اسمعيل
حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا يعقوب

ابن
وعن العباس قال قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله خلق الخلق فجعلني من خيرهم
من خير قرنهم ثم تخير القبائل فجعلني من خير قبيلة ثم تخير البيوت فجعلني
من خير بيوتهم فانا خيرهم نفسا وخيرهم بيتا وعن واثلة بن الاسقع قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله اصطفى من ولد ابرهيم اسمعيل واصطفى
من ولد اسمعيل بني كنانة واصطفى من بني كنانة قريشا واصطفى من قريش
بني هاشم واصطفاني من بني هاشم قال الترمذي وهذا حديث
صحيح وفي حديث عن ابن عمر رواه الطبري انه صلى الله عليه وسلم
قال ان الله اختار خلقه فاختار منهم بني ادم ثم اختار بني ادم فاختار
منهم العرب ثم اختار العرب فاختار بني هاشم فاختارني فلم ازل
خيارا من خيار الا من احب العرب فبحبي احبهم ومن ابغض العرب فببغضي
ابغضهم وعن ابن عباس ان قريشا كانت نورا بين يدي الله قبل ان يخلق
ادم بالفي عام يسبح ذلك النور وتسبح الملائكة بتسبيحه فلما خلق ادم
القى ذلك النور في صلبه فقال صلى الله عليه وسلم فاهبطني الله
الى الارض في صلب ادم وجعلني في صلب نوح وقذف بي في صلب
ابرهيم ثم لم يزل الله ينقلني من الاصلاب الكريمة والارحام الطاهرة حتى
اخرجني من بين ابوي لم يلتقيا على سفاح قط ويشهد بصحة هذا الخبر شعر
العباس في مدح النبي صلى الله عليه وسلم المشهور

فصل

واما ما تدعو ضرورة الحياة اليه مما فصلناه فعلى ثلاثة ضروب
ضرب الفضل في قلته وضرب الفضل في كثرته وضرب تختلف الاحوال

فيه فاما ما التمدح والكمال بقلته اتفاقا وعلى كل حال عادة وشريعة
كالغذاء والنوم ولم تزل العرب والحكماء تتمادح بقلتهما وتذم بكثرتهما لان
كثرة الاكل والشرب دليل على النهم والحرص والشره وغلبة الشهوة
مسبب لمضار الدنيا والاخرة جالب لادواء الجسد وخثارة النفس
وامتلاء الدماغ وقلته دليل على القناعة وملك النفس وقمع الشهوة
مسبب للصحة وصفاء الخاطر وحدة الذهن كما ان كثرة النوم دليل على
الفسولة والضعف وعدم الذكاء والفطنة مسبب للكسل وعادة
العجز وتضييع العمر في غير نفع وقساوة القلب وغفلته وموته والشاهد
على هذا ما يعلم ضرورة ويوجد مشاهدة وينقل متواترا من كلام
الامم المتقدمة والحكماء السالفين واشعار العرب واخبارها وصحيح
الحديث واثار من سلف وخلف مما لا يحتاج الى الاستشهاد عليه
اختصارا واقتصارا على اشتهار العلم به وكان النبي صلى الله عليه وسلم
قد اخذ من هذين الفنين بالاقل هذا ما لا يدفع من سيرته وهو الذي امر به
وحض عليه لا سيما بارتباط احدهما بالاخر حدثنا ابو علي الصدفي
بقراءتي عليه حدثنا ابو الفضل الاصبهاني حدثنا ابو نعيم الحافظ حدثنا سليمان
بن احمد حدثنا بكر بن سهل حدثنا عبد الله بن صالح حدثني معاوية بن
صالح ان يحيى بن جابر حدثه عن المقدام بن معدي كرب ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال ما ملأ ادمي وعاء شرا من بطنه حسب ابن ادم
اكلات يقمن صلبه فان كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه

وثلث لنفسه ولان كثرة النوم من كثرة الشرب والاكل قال
سفيان الثوري بقلة الطعام يملك سهر الليل وقال بعض السلف لا تاكلوا
كثيرا فتشربوا كثيرا فترقدوا كثيرا وقد روي عنه صلى الله عليه وسلم انه كان
احب الطعام اليه ما كان على ضفف اي كثرة الايدي وعن عائشة رضي الله
عنها لم يمتلي جوف النبي صلى الله عليه وسلم قط وانه كان في اهله لا يسالهم
طعاما ولا يتشهاه ان اطعموه اكل وما اطعموه قبل وما سقوه شرب
ولا نعترض على هذا بحديث بريرة وقوله البرمة فيها لحم اذ لعل سبب
سواله ظنه صلى الله عليه وسلم انه لا يحل له فاراد بيان سنته اذ راهم
لم يقدموه اليه مع علمه انهم لا يستاثرون عليه به فصدق عليهم ظنه وبين
لهم ما جهلوه من امره بقوله هو لها صدقة ولنا هدية وفي حكمة لقمان يا
بني اذا امتلات المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت
الاعضا عن العبادة وقال سحنون لا يصلح العلم لمن ياكل حتى يشبع وفي صحيح
الحديث قوله صلى الله عليه وسلم اما انا فلا اكل متكيا والاتكا هو التمكن
للاكل والقعود في الجلوس له كالمتربع وشبهه من تمكن الجلسات التي يعتمد فيها
الجالس على ما تحته والجالس على هذه الهيئة يستدعي الاكل ويستكثر منه
والنبي صلى الله عليه وسلم انما كان جلوسه للاكل جلوس المستوفز مقعيا
ويقول انما انا عبد اكل كما ياكل العبد واجلس كما يجلس العبد وليس
معنى الحديث في الاتكا الميل على شق عند المحققين وكذلك نومه
صلى الله عليه وسلم كان قليلا شهدت به الاثار الصحيحة ومع ذلك فقد

قال ان عيني تنامان ولا ينام قلبي وكان نومه على جانبه الايمن
استظهارا على قلة النوم لانه على الجانب الايسر اهنا لهدو القلب وما يتعلق
به من الاعضا الباطنة حينيذ لميلها الى الجانب الايسر فيستدعي ذلك
الاستثقال فيه والطول واذا نام النايم على الايمن تعلق القلب وقلق
فاسرع الافاقة ولم يغمره الاستغراق **فصل** والضرب الثاني ما
يتفق التمدح بكثرته والفخر بوفوره كالنكاح والجاه اما النكاح فمتفق
فيه شرعا وعادة فانه دليل الكمال وصحة الذكورية ولم يزل التفاخر بكثرته
عادة معروفة والتمادح به سيرة ماضية واما في الشرع فسنة مأثورة
وقد قال ابن عباس افضل هذه الامة اكثرها نسا مشيرا اليه صلى الله
عليه وسلم وقد قال صلى الله عليه وسلم تناكحوا فاني مباه بكم الامم يوم
ونهى عن التبتل مع ما فيه من قمع الشهوة وغض البصر التي نبه عليها صلى
الله عليه وسلم بقوله من كان ذا طول فليتزوج فانه اغض للبصر
واحصن للفرج حتى لم يره العلما مما يقدح في الزهد قال سهل بن عبد
الله قد حبب الى سيد المرسلين فكيف يزهد فيهن ونحوه لابن عيينة وقد
كان زهاد الصحابة كثيري الزوجات والسراري كثيري النكاح
وحكي في ذلك عن علي والحسن وابن عمر وغيرهم غير شي وقد كره غير
واحد ان يلقى الله عزبا فان قلت كيف يكون النكاح وكثرته من الفضايل وهذا
يحيى بن زكريا قد اثنى الله عليه انه كان حصورا فكيف يثني الله عليه بالعجز
عما نعده فضيلة وهذا عيسى عليه السلم تبتل من النسا ولو كان كما

فرته نحج واعلم ان ثنا الله على يحيى بانه حصور ليس كما قال بعضهم انه
كان هيوبا او لا ذكر له بل قد انكر هذا حذاق المفسرين ونقاد العلما
وقالوا هذه نقيصة وعيب ولا يليق بالانبيا وانما معناه انه معصوم من
الذنوب اي لا ياتيها كانه حصر عنها وقيل مانعا نفسه عن الشهوات
وقيل ليست له شهوة في النسا فقد بان لك من هذا ان عدم القدرة
على النكاح نقص وانما الفضل في كونها موجودة ثم قمعها اما بمجاهدة كعيسى
عليه السلام او بكفاية من الله كيحيى عليه السلام فضيلة زايدة لانها
مشغلة في كثير من الاوقات حاطة الى الدنيا ثم هي في حق من اقدر عليها
وملكها وقام بالواجب فيها ولم تشغله عن ربه درجة عليا وهي درجة
نبينا صلى الله عليه وسلم الذي لم تشغله كثرتهن عن عبادة ربه بل زاده
ذلك عبادة لتحصينهن وقيامه بحقوقهن واكتسابه لهن وهدايته اياهن
بل صرح انها ليست من حظوظ دنياه هو وان كانت من حظوظ دنيا
غيره فقال حبب الي من دنياكم فدل ان حبه لما ذكر من النسا
والطيب التي من امور دنيا غيره واستعماله لذلك ليس لدنياه بل
لاخرته للفوايد التي ذكرناها في التزويج وللقا الملايكة في الطيب
ولانه ايضا مما يحض على الجماع ويعين عليه ويحرك اسبابه وكان حبه لهاتين
الخصلتين لاجل غيره وقمع شهوته وكان حبه الحقيقي المختص بذاته في
مشاهدة جبروت مولاه ومناجاته ولذلك ميز بين الحبين وفصل
بين الحالين فقال وجعلت قرة عيني في الصلاة فقد ساوى يحيى

وعيسى في كفاية فتنتهن وزاد فضيلة بالقيام بهن وكان صلى الله عليه
وسلم ممن اقدر على القوة في هذا واعطي الكثير منه ولهذا ابيح له من عدد
الحراير ما لم يبح لغيره وقد روينا عن انس انه صلى الله عليه وسلم كان يدور
على نسايه في الساعة من الليل والنهار وهن احدى عشرة قال
انس وكنا نتحدث انه اعطي قوة ثلاثين رجلا وروي نحوه عن ابي رافع وعن
طاوس اعطي عليه السلام قوة اربعين رجلا في الجماع ومثله عن صفوان بن
سليم وقالت سلمى مولاته طاف النبي صلى الله عليه وسلم ليلة على نسايه
التسع وتطهر من كل واحدة قبل ان ياتي الاخرى وقال هذا اطهر واطيب
وقد قال سليمن عليه السلام لاطوفن الليلة على مايه امراه وتسع وتسعين
وانه فعل ذلك قال ابن عباس كان في ظهر سليمن ماء مايه رجل وكانت
له ثلاث مايه امراة وثلاث مايه سرية وحكى النقاش وغيره تسع مايه امراة
وثلاث مايه سرية وقد كان لداود عليه السلام على زهده واكله
من عمل يده تسع وتسعون امراة وتمت بزوج اوريا مايه وقد نبه على ذلك
في الكتاب العزيز بقوله تعالى ان هذا اخي له تسع وتسعون نعجة وفي حديث
انس عنه عليه السلام فضلت على الناس باربع بالسخا والشجاعة وكثرة
الجماع وقوة البطش واما الجاه فمحمود عند العقلا عادة وبقدر جاهه عظمه
في القلوب وقد قال تعالى في صفة عيسى عليه السلام وجيها في الدنيا والاخرة
لكن افاته كثيرة فهو مضر لبعض الناس لعقبى الاخرة ولذلك ذمه من ذمه
ومدح ضده وورد في الشرع مدح الخمول وذم العلو وكان صلى الله عليه

وسلم قد رزق من الهيبة والمكانة في القلوب والعظمة قبل النبوة
عند الجاهلية وبعدها وهم يكذبونه ويؤذون اصحابه ويقصدون
اذاه في نفسه خفية حتى اذا واجههم اعطوا امره وقضوا حاجته م
واخبار في ذلك معروفة سياتي بعضها وقد كان يبهت ويفرق لرؤيته من
لم يره كما روي عن قيلة انها لما راته ارعدت من الفرق فقال
يا مسكينة عليك بالسكينة وفي حديث ابي مسعود ان رجلا قام بين يديه
فارعد فقال هون عليك فاني لست بملك الحديث فاما عظم قدره بالنبوة
وشريف منزلته بالرسالة وانافة رتبته بالاصطفا والكرامة في الدنيا
فامر هو مبلغ النهاية ثم هو في الاخرة سيد ولد ادم وعلى معنى هذا الفصل
نظمنا هذا القسم باسره

فصل

واما الضرب الثالث
فهو ما تختلف الحالات في التمدح به والتفاخر بسببه والتفضيل
لاجله ككثرة المال فصاحبه على الجملة معظم عند العامة لاعتقادها
توصله به الى حاجاته وتمكن اغراضه بسببه والا فليس فضيلة في نفسه
فمتى كان المال بهذه الصورة وصاحبه منفقا له في مهماته ومهمات من
اعتراه وامله وتصريفه في مواضعه مشتريا به المعالي والثنا الحسن
والمنزلة من القلوب كان فضيلة في صاحبه عند اهل الدنيا واذا
صرفه في وجوه البر وانفقه في سبيل الخير وقصد بذلك الله والدار
الاخرة كان فضيلة عند الكل بكل حال ومتى كان صاحبه ممسكا له غير
موجهه وجوهه حريصا على جمعه عاد كثره كالعدم وكان منقصة في

صاحبه ولم يقف به على جدد السلامة بل اوقعه في هوة رذيلة البخل
ومذمة النذالة فاذا التمدح بالمال وفضيلته عند مفضله ليست
لنفسه وانما هو للتوصل به الى غيره وتصريفه في متصرفاته فجامعه اذا لم يضعه
مواضعه ولا وجهه وجوهه غير ملي بالحقيقة ولا غني بالمعنى ولا ممتدح
عند احد من العقلا بل هو فقير ابدا غير واصل الى غرض من اغراضه
اذ ما بيده من المال الموصل لها لم يسلط عليه فاشبه خازن
مال غيره ولا مال له فكانه ليس في يده منه شي والمنفق ملي غني بتحصيله
فوايد المال وان لم يبق في يده من المال شي فانظر سيرة نبينا صلى الله
عليه وسلم وخلقه في المال تجده قد اوتي خزاين الارض ومفاتيح البلاد
واحلت له الغنايم ولم تحل لاحد من قبله وفتح صلى الله عليه وسلم بلاد
الحجاز واليمن وجميع جزيرة العرب وما دانى ذلك من الشام والعراق
وجلبت اليه من اخماسها وجزيتها وصدقاتها ما لا يجبى للملوك الا بعضه
وهادته جماعة من ملوك الاقاليم فما استاثر بشي منه ولا امسك
منه درهما بل صرفه مصارفه واغنى به غيره وقوى به المسلمين وقال
ما يسرني ان لي احدا ذهبا يبيت عندي منه دينار الا دينارا ارصده
لديني واتته دنانير مرة فقسمها وبقيت منها ستة فدفعها لبعض نسايه
فلم ياخذه نوم حتى قام وقسمها وقال الان استرحت ومات
ودرعه مرهونة في نفقة عياله واقتصر من نفقته وملبسه ومسكنه
على ما تدعوه ضرورته اليه وزهد فيما سواه فكان يلبس ما وجده

فلبس في الغالب الشملة والكساء الخشن والبرد الغليظ ويقسم على من
حضره اقبية الديباج المخوصة بالذهب ويرفع لمن لا يحضره اذ المباهاة
في الملابس والتزين بها ليست من خصال الشرف والجلالة وهي من سمات
النساء والمحمود منها نقاوة الثوب والتوسط في جنسه وكونه لبس مثله غير
متوسط لمروءة جنسه مما لا يؤدي الى الشهرة في الطرفين وقد ذم الشرع ذلك
وغاية الفخر فيه في العادة عند الناس انما يعود الى الفخر بكثرة الموجود ووفور
الحال وكذلك التباهي بجودة المسكن وسعة المنزل وتكثير الاته
وخدمه ومركوباته ومن ملك الارض وجبي اليه ما فيها فترك ذلك زهدا
وتنزها فهو حائز الفضيلة المالية ومالك للفخر بهذه الخصلة ان كانت
فضيلة زائدا عليها في الفخر باضرابه عنها وزهده في فانيها وبذلها في مظانها ۞

فصل واما الخصال المكتسبة من الاخلاق الحميدة والآداب
الشريفة التي اجتمع جميع العقلاء على تفضيل صاحبها وتعظيم المتصف بالخلق
الواحد منها فضلا عما فوقه واثنى الشرع على جميعها وامر بها ووعد السعادة الدائمة
للمتخلق بها ووصف بعضها بانه من اجزاء النبوة وهي المسماة بحسن الخلق وهو الاعتدال
في قوى النفس واوصافها والتوسط فيها دون الميل الى منحرف اطرافها فجميعها
قد كانت خلق نبينا صلى الله عليه وسلم على الانتهاء في كمالها والاعتدال الى
غايتها حتى اثنى الله تعالى عليه بذلك فقال وانك لعلى خلق عظيم
قالت عائشة رضي الله عنها كان خلقه القرآن يرضى برضاه ويسخط بسخطه
وقال عليه السلام بعثت لاتمم مكارم الاخلاق قال انس كان رسول

الله صلى الله عليه وسلم احسن الناس خلقا وعن علي بن ابي طالب رضي
الله عنه مثله وكان فيما ذكره المحققون مجبولا عليها في اصل خلقته واول
فطرته لم تحصل له باكتساب ولا رياضة الا بجود الهي وخصوصية ربانية
وهكذا لسائر الانبياء ومن طالع سيرهم منذ صباهم الى مبعثهم
حقق ذلك كما عرف من حال موسى وعيسى ويحيى وسليمان وغيرهم عليهم
السلام بل غرزت فيهم هذه الاخلاق في الجبلة واودعوا العلم والحكمة
في الفطرة قال الله تعالى وآتيناه الحكم صبيا قال
المفسرون اعطي يحيى العلم بكتاب الله تعالى في حال صباه وقال
معمر كان ابن سنتين او ثلاث فقال له الصبيان لم لا تلعب فقال
اللعب خلقت وقيل في قوله تعالى مصدقا بكلمة من الله صدق
يحيى بعيسى وهو ابن ثلاث سنين فشهد له انه روح الله وكلمته
وقيل صدقه وهو في بطن امه فكانت ام يحيى تقول لمريم اني اجد ما
في بطني تحية له وقد نص الله على كلام عيسى لامه عند ولادتها
اياه لا تحزني على من قرا من تحتها وعلى قول من قال ان المنادي عيسى
ونص على كلامه في مهده فقال اني عبد الله آتاني الكتاب
وجعلني نبيا وقال ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما وقد ذكر
من حكم سليمان وهو صبي يلعب في قصة المرجومة وفي قصة الصبي ما
اقتدى به داود ابوه وحكى الطبري ان عمره كان حين اوتي
الملك اثنا عشر عاما وكذلك قصة موسى مع فرعون واخذه بلحيته

وهو طفل وقال المفسرون في قوله ولقد اتينا ابراهيم رشده
من قبل اي هديناه صغيرا قاله مجاهد وغيره وقال ابن عطا اصطفاه
قبل ابدا خلقه وقال بعضهم لما ولد ابرهيم بعث الله اليه ملكا
يامره عن الله ان يعرفه بقلبه ويذكره بلسانه فقال قد فعلت ولم يقل
افعل فذلك رشده وقيل ان القا ابرهيم عليه السلم في النار ومحنته
كانت وهو ابن ست عشرة سنة وان ابتلا اسحق بالذبح وهو ابن سبع
سنين وان استدلال ابرهيم بالكوكب والقمر والشمس كان وهو
ابن خمسة عشر سنة وقيل اوحي الى يوسف وهو صبي عندما هم
اخوته بالقايه في الجب يقول تعالى واوحينا اليه لتنبينهم بامرهم هذا
الايه الى غير ذلك من اخبارهم وقد حكى اهل السير ان امنه
بنت وهب اخبرت ان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ولد حين ولد
باسطا يديه الى الارض رافعا راسه الى السما وقال في حديثه صلى الله
عليه وسلم لما نشات بغضت الي الاوثان وبغض الي الشعر ولم اهم بشي
مما كانت الجاهلية تفعله الا مرتين فعصمني الله منهما ثم لم اعد ثم تتمكن
الامر لهم وتترادف نفحات الله عليهم وتشرق انوار المعارف في قلوبهم
حتى يصلوا الغاية ويبلغوا باصطفا الله تعالى لهم بالنبوة في تحصيل
هذه الخصال الشريفة النهاية دون ممارسة ولا رياضة قال
الله تعالى ولما بلغ اشده واستوى اتيناه حكما وعلما وقد نجد غيرهم
يطبع على بعض هذه الاخلاق دون جميعها ويولد عليها فيسهل

عليه

عليه اكتساب تمامها عناية من الله كما يشاهد من خلقة بعض الصبيان
على حسن السمت او الشهامة او صدق اللسان او السماحة كما نجد
بعضهم على ضدها فبالاكتساب يكمل ناقصها وبالرياضة والمجاهدة
يستجلب معدومها ويعتدل منحرفها وباختلاف هذين الحالين
يتفاوت الناس فيها وكل ميسر لما خلق له ولهذا ما قد اختلف
السلف فيها هل هذا الخلق جبلة او مكتسبة فحكى الطبري عن بعض
السلف ان الخلق الحسن جبلة وغريزة في العبد وحكاه عن عبد الله
بن مسعود والحسن وبه قال هو والصواب ما اصلناه وقد روى سعد
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كل الخلال يطبع عليها المومن
الا الخيانة والكذب وقال عمر بن الخطاب في حديثه والجرأة والجبن
غرائز يضعها الله حيث يشا وهذه الاخلاق المحمودة والخصال الجميلة
كثيرة ولكنا نذكر اصولها ونشير الى جميعها ونحقق وصفه صلى الله
عليه وسلم بها ان شا الله تعالى **فصل** اما اصل فروعها وعنصر
ينابيعها ونقطة دايرتها فالعقل الذي منه ينبعث العلم والمعرفة ويتفرع
عن هذا ثقوب الراي وجودة الفطنة والاصابة وصدق الظن
والنظر للعواقب ومصالح النفس ومجاهدة الشهوة وحسن السياسة
والتدبير واقتنا الفضايل وتجنب الرذايل وقد اشرنا الى مكانه
منه صلى الله عليه وسلم وبلوغه منه ومن العلم الغاية التي لم يبلغها
بشر سواه واذ جلالة محله من ذلك ومما تفرع منه متحققة عند

من تتبع مجاري أحواله واطراد سيره وطالع جوامع كلامه وحسن
شمائله وبدائع سيره وحكم حديثه وعلمه في التوراة والإنجيل والكتب
المنزلة وحكم الحكما وسير الأمم الخالية وأيامها وضرب الأمثال
وسياسات الأنام وتقرير الشرائع وتأصيل الآداب النفيسة والشيم
الحميدة إلى فنون العلوم التي اتخذ أهلها كلامه عليه السلام فيها
قدوة وإشاراته حجة كالعبارة والطب والحساب والفرائض والنسب
وغير ذلك مما سنبينه في معجزاته إن شاء الله دون تعليم ولا مدارسة
ولا مطالعة كتب من تقدم ولا الجلوس إلى علمائهم بل نبي أمي لم يعرف
بشيء من ذلك حتى شرح الله صدره وأبان أمره وعلمه وأقرأه يعلم
ذلك بالمطالعة والبحث عن حاله ضرورة وبالبرهان القاطع على نبوته
نظرا فلا نطول بسرد الأقاصيص وآحاد القضايا إذ مجموعها ما لا
يأخذه حصر ولا يحيط به حفظ جامع وبحسب عقله كانت معارفه
صلى الله عليه وسلم إلى سائر ما علمه الله وأطلعه عليه من علم ما يكون
وما كان وعجائب قدرته وعظيم ملكوته قال تعالى وعلمك
ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما حارت العقول في تقدير
فضله عليه وخرست الألسن دون وصف يحيط بذلك أو ينتهي إليه

فصل وأما الحلم والاحتمال والعفو عن القدرة والصبر
على ما يكره وبين هذه الألقاب فرق فإن الحلم حالة توقر وثبات
عند الأسباب المحركات والاحتمال حبس النفس عند الآلام

والمؤذيات ومثلها الصبر ومعانيها متقاربة وأما العفو فهو ترك
المؤاخذة وهذا كله مما أدب الله به نبيه صلى الله عليه وسلم فقال
خذ العفو وأمر بالعرف الآية روي أن النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت
هذه الآية سأل جبريل عن تأويلها فقال له حتى أسأل العالم ثم ذهب
ثم أتاه فقال يا محمد إن الله يأمرك أن تصل من قطعك وتعطي
من حرمك وتعفو عمن ظلمك وقال له واصبر على ما أصابك الآية
وقال فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل وقال وليعفوا وليصفحوا
الآية وقال ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور ولا خفا بما يؤثر من
حلمه واحتماله وأن كل حليم قد عرفت منه زلة وحفظت عنه هفوة
وهو صلى الله عليه وسلم لا يزيد مع كثرة الأذى إلا صبرا وعلى إسراف
الجاهل إلا حلما حدثنا القاضي أبو عبد الله محمد بن علي
التغلبي وغير واحد قالوا أخبرنا محمد بن عتاب حدثنا أبو بكر بن واقد القاضي
وغيره حدثنا أبو عيسى حدثنا عبيد الله حدثنا يحيى بن يحيى حدثنا مالك
عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة قالت ما خير رسول الله صلى الله عليه
وسلم في أمرين قط إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثما فإن كان إثما كان
أبعد الناس منه وما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أن ينتهك
حرمة الله فينتقم الله بها وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم لما كسرت
رباعيته وشج وجهه يوم أحد شق ذلك على أصحابه شديدا وقالوا لو
دعوت عليهم فقال إني لم أبعث لعانا ولكني بعثت داعيا ورحمة

اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون وروي عن عمر رضي الله عنه انه
قال في بعض كلامه بابي انت وامي يا رسول الله لقد دعا نوح
على قومه فقال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا الاية ولو
دعوت علينا مثلها لهلكنا من عند اخرنا فلقد وطي ظهرك وادمي
وجهك وكسرت رباعيتك فابيت ان تقول الا خيرا فقلت اللهم
اغفر لقومي فانهم لا يعلمون قال القاضي ابو الفضل
رضي الله عنه انظر ما في هذا القول من جماع الفضل ودرجات الاحسان
وحسن الخلق وكرم النفس وغاية الصبر والحلم اذ لم يقتصر صلى الله عليه
وسلم على السكوت عنهم حتى عفا ثم اشفق عليهم ورحمهم ودعا
وشفع لهم فقال اغفر واهد ثم اظهر سبب الشفقة والرحمة بقوله لقومي
ثم اعتذر عنهم بجهلهم فقال فانهم لا يعلمون ولما قال له
الرجل اعدل فان هذه قسمة ما اريد بها وجه الله لم يزده في جوابه ان
بين له ما جهله ووعظ نفسه وذكرها بما قال له فقال ويحك فمن
يعدل ان لم اعدل خبت وخسرت ان لم اعدل ونهى من اراد من
اصحابه قتله ولما تصدى له غورث بن الحارث ليفتك به ورسول
الله صلى الله عليه وسلم منتبذ تحت شجرة وحده قايلا والناس قايلون في
غزاة فلم ينتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم الا وهو قايم والسيف
صلتا في يده فقال من يمنعك مني فقال الله فسقط السيف من يده فاخذه
النبي صلى الله عليه وسلم وقال من يمنعك مني قال

كن خير اخذ فتركه وعفا عنه فجا الى قومه فقال جيتكم من عند
خير الناس ومن عظيم خبره في العفو عفوه عن اليهودية التي سمته في
الشاة بعد اعترافها على الصحيح من الرواية وانه لم يواخذ لبيد بن
الاعصم اذ سحره وقد اعلم به واوحي اليه بشرح امره ولا عتب عليه فضلا
عن معاقبته وكذلك لم يواخذ عبد الله بن ابي واشباهه من المنافقين
بعظيم ما نقل عنهم في جهته قولا وفعلا بل قال لمن اشار بقتل بعضهم
لا يتحدث ان محمدا يقتل اصحابه وعن انس كنت مع النبي صلى الله عليه
وسلم وعليه برد غليظ الحاشية فجبذه اعرابي بردائه جبذة شديدة
حتى اثرت حاشية البرد في صفحة عاتقه ثم قال يا محمد احملني على هذين
بعيري من مال الله الذي عندك فانك لا تحملني من مالك ولا مال
ابيك فسكت النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال المال مال الله وانا عبده
ثم قال ويقاد منك يا اعرابي ما فعلت بي قال لا قال لم قال
لانك لا تكافي بالسيئة السيئة فضحك النبي صلى الله عليه وسلم ثم امر
ان يحمل له على بعير شعير وعلى الاخر تمر قالت عايشة رضي الله
عنها ما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم منتصرا من مظلمة ظلمها
قط ما لم تكن حرمة من محارم الله وما ضرب بيده شيا قط الا ان
يجاهد في سبيل الله وما ضرب خادما ولا امراة وجي اليه برجل فقيل
هذا اراد ان يقتلك فقال له صلى الله عليه وسلم لن تراع لن
تراع ولو اردت ذلك لم تسلط علي وجاه زيد بن سعنة قبل اسلامه

يتقاضاه دينا عليه فجبذ ثوبه عن منكبه واخذ بمجامع ثيابه واغلظ له
ثم قال انكم يا بني عبد المطلب مطل فانتهره عمر وشدد له في القول
والنبي صلى الله عليه وسلم يتبسم فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم انا وهو كنا الى غير هذا احوج يا عمر تامرني بحسن القضا وتامره بحسن
التقاضي ثم قال لقد بقي من اجله ثلاث وامر عمر يقضيه ماله ويزيده عشرين
صاعا لما روعه فكان سبب اسلامه وذلك انه كان يقول ما بقي من
علامات النبوة شي الا وقد عرفتها في محمد الا اثنين لم اخبرهما يسبق
حلمه جهله ولا يزيده شدة الجهل الا حلما فاختبرته بهذا فوجدته كما وصف
والحديث عن حلمه عليه السلام وصبره وعفوه عند المقدرة
اكثر من ان تاتي عليه وحسبك ما ذكرناه مما في الصحيح والمصنفات
الثابتة الى ما بلغ متواترا مبلغ اليقين من صبره على مقاساة قريش واذى
الجاهلية ومصابرة الشدائد الصعبة معهم الى ان اظفره الله عليهم وحكمه
فيهم وهم لا يشكون في استيصال شافتهم وابادة خضرائهم فما
زاد على ان عفا وصفح وقال ما تقولون اني فاعل بكم قالوا خيرا اخ كريم
وابن اخ كريم فقال اقول كما قال اخي يوسف لا تثريب
عليكم اليوم الاية اذهبوا فانتم الطلقا وقال انس هبط ثمانون رجلا
من التنعيم صلاة الصبح ليقتلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذوا
فاعتقهم صلى الله عليه وسلم فانزل الله وهو الذي كف ايديهم عنكم
الاية وقال لابي سفيان وقد سيق اليه بعد ان جلب الاحزاب

اليه وقتل عمه واصحابه ومثل بهم فعفا عنه ولاطفه في القول
ويحك يا ابا سفيان الم يان لك ان تعلم ان لا اله الا الله فقال بابي انت
وامي ما احلمك واوصلك واكرمك وكان رسول الله صلى الله عليه
وسلم ابعد الناس غضبا واسرعهم رضى صلى الله عليه وسلم

فصل

فاما الجود والكرم والسخا والسماحة ومعانيها متقاربة وقد فرق
بعضهم بينها بفروق فجعلوا الكرم الانفاق بطيب النفس فيما يعظم خطره
ونفعه وسموه ايضا حرية وهو ضد النذالة والسماحة التجافي عما يستحقه
المرء عند غيره بطيب نفس وهو ضد الشكاسة والسخا سهولة
الانفاق وتجنب اكتساب ما لا يحمد وهو الجود وهو ضد التقتير
وكان صلى الله عليه وسلم لا يوازى في هذه الاخلاق الكريمة ولا يبارى
بهذا وصفه كل من عرفه حدثنا القاضي الشهيد ابو علي
الصدفي رحمه الله حدثنا القاضي ابو الوليد الباجي حدثنا ابو ذر
الهروي حدثنا ابو الهيثم الكشميهني وابو محمد السرخسي وابو اسحاق
البلخي حدثنا ابو عبد الله الفربري حدثنا البخاري حدثنا محمد بن كثير اخبرنا
سفيان عن ابن المنكدر سمعت جابر بن عبد الله يقول ما سئل النبي
عن شي فقال لا وعن انس وسهل بن سعد مثله وقال ابن عباس كان النبي
صلى الله عليه وسلم اجود الناس بالخير واجود ما كان في شهر رمضان
وكان اذا لقيه جبريل عليه السلام اجود بالخير من الريح المرسلة
وعن انس ان رجلا ساله فاعطاه غنما بين جبلين فرجع الى بلده وقال اسلموا

فان محمدا يعطي عطا من لا يخشى فاقة واعطى غير واحد مايه من الابل
واعطى صفوان مايه ثم مايه ثم مايه وهذه كانت حاله صلى الله عليه
وسلم قبل ان يبعث وقد قال له ورقه انك تحمل الكل وتكسب
المعدوم ورد على هوازن سباياها وكانوا ستة الاف واعطا العباس
من الذهب ما لم يطق حمله وحمل اليه تسعون الف درهم فوضعت
على حصير ثم قام اليها يقسمها فما رد سايلا حتى فرغ منه وجاه رجل
فساله فقال ما عندي شي ولكن ابتع علي فاذا جانا شي
قضيناه فقال له عمر ما كلفك الله ما لا تقدر عليه فكره النبي صلى
الله عليه وسلم ذلك فقال رجل من الانصار يا رسول الله انفق ولا تخف
من ذي العرش اقلالا فتبسم صلى الله عليه وسلم وعرف البشر في وجهه
وقال بهذا امرت ذكره الترمذي وذكر عن معوذ بن عفرا اتيت النبي
صلى الله عليه وسلم بقناع من رطب يريد طبقا واجر زغب يريد قثا فاعطاني
مل كفه حليا وذهبا قال انس كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يدخر شيا
لغد والخبر بجوده وكرمه صلى الله عليه وسلم كثير وعن ابي هريرة اتى
رجل النبي صلى الله عليه وسلم ساله فاستسلف له رسول الله صلى الله
عليه وسلم نصف وسق فجا الرجل يتقاضاه فاعطاه وسقا وقال
نصفه قضا ونصفه نايل

فصل

واما الشجاعة والنجدة فالشجاعة
فضيلة قوة الغضب وانقيادها للعقل والنجدة ثقة النفس عند استرسالها
الى الموت حيث يحمد فعلها دون خوف وكان صلى الله عليه وسلم

منهما بالمكان الذي لا يجهل قد حضر المواقف الصعبة وفر الكماة
والابطال عنه غير مرة وهو ثابت لا يبرح ومقبل لا يدبر ولا يتزحزح
وما شجاع الا وقد احصيت له فرة وحفظت عنه جولة سواه حدثنا
ابو علي الجياني فيما كتب الي قال حدثنا القاضي سراج حدثنا ابو محمد
الاصيلي حدثنا ابو زيد الفقيه حدثنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن اسمعيل
حدثنا ابن بشار حدثنا غندر حدثنا شعبة عن ابي اسحاق سمع البرا وساله
رجل افررتم يوم حنين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفر ثم قال لقد رايته على بغلته
البيضا وابو سفيان اخذ بلجامها والنبي صلى الله عليه وسلم يقول انا النبي
لا كذب وزاد غيره انا ابن عبد المطلب وقيل فما راي يومئذ احد
كان اشد منه وقال غيره نزل النبي صلى الله عليه وسلم
على بغلته وذكر مسلم عن العباس قال فلما التقى المسلمون والكفار ولى
المسلمون مدبرين فطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم يركض بغلته
نحو الكفار وانا اخذ بلجامها اكفها ارادة ان لا تسرع وابو سفيان
اخذ بركابه ثم نادى يا للمسلمين الحديث وقيل كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا غضب ولا يغضب الا لله لم يقم لغضبه شي
وقال ابن عمر ما رايت اشجع ولا انجد ولا اجود ولا ارضى
من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال علي رضي الله عنه انا كنا
اذا حمي الباس ويروا اشتد الباس واحمرت الحدق اتقينا برسول

الله صلى الله عليه وسلم فما يكون احد اقرب الى العدو منه ولقد
انني يوم بدر ونحن نلوذ بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو اقربنا الى العدو
وكان من اشد الناس يومئذ باسا وقيل كان الشجاع هو الذي يقرب
منه صلى الله عليه وسلم اذا دنا العدو لقربه منه وعن انس كان النبي
صلى الله عليه وسلم احسن الناس واجود الناس واشجع الناس لقد فزع اهل
المدينة ليلة فانطلق الناس قبل الصوت فتلقاهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم راجعا قد سبقهم الى الصوت واستبرا الخبر على فرس لابي
طلحة عري والسيف في عنقه وهو يقول لن تراعوا وقال عمران بن
حصين ما لقي صلى الله عليه وسلم كتيبة الا كان اول من يضرب
ولما راه ابي بن خلف يوم احد وهو يقول اين محمد لا نجوت ان نجا وقد
كان يقول للنبي صلى الله عليه وسلم حين افتدى يوم بدر عندي
فرس اعلفها كل يوم فرقا من ذرة اقتلك عليها فقال له النبي صلى الله
عليه وسلم انا اقتلك ان شاء الله فلما راه يوم احد شد ابي على فرسه على رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاعترضه رجال من المسلمين فقال النبي صلى الله
عليه وسلم هكذا اي خلوا طريقه وتناول الحربة من الحرث بن الصمة
فانتفض بها انتفاضة تطايروا عنه تطاير الشعرا عن ظهر البعير اذا
انتفض ثم استقبله النبي صلى الله عليه وسلم فطعنه في عنقه طعنة
تدادا منها عن فرسه مرارا وقيل بل كسر ضلعا من اضلاعه فرجع الى
قريش يقول قتلني محمد وهم يقولون لا باس بك فقال لو كان

ما بي جميع الناس لقتلهم اليس قد قال انا اقتلك والله لو بصق علي
لقتلني فمات بسرف في قفولهم الى مكة **فصل** واما الحيا
والاغضا فالحيا رقة تعتري وجه الانسان عند فعل ما يتوقع كراهته
او ما يكون تركه خيرا من فعله والاغضا التغافل عما يكره الانسان
بطبيعته وكان النبي صلى الله عليه وسلم اشد حيا واكثرهم عن العورات
اغضا قال الله سبحانه ان ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي
منكم الاية وحدثنا ابو محمد بن عتاب رحمه الله بقراءتي عليه حدثنا
ابو القسم حاتم بن محمد حدثنا ابو الحسن القابسي حدثنا ابو زيد
المروزي حدثنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن اسمعيل حدثنا عبدان
حدثنا عبد الله انا شعبة عن قتادة سمعت عبد الله مولى انس
عن ابي سعيد الخدري كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اشد
حيا من العذرا في خدرها وكان اذا كره شيا عرفناه في وجهه وكان
صلى الله عليه وسلم لطيف البشرة رقيق الظاهر لا يشافه احدا بما
يكرهه حيا وكرم نفس وعن عايشة رضي الله عنها كان صلى الله عليه
وسلم اذا بلغه ما يكرهه لم يقل ما بال فلان يقول كذا ولكن يقول
ما بال اقوام يصنعون او يقولون كذا ينهى عنه ولا يسمي فاعله
وروى انس انه دخل عليه رجل به اثر صفرة فلم يقل له شيا وكان لا يواجه
احدا بما يكره فلما خرج قال لو قلتم له يغسل هذا ويروى ينزعها
قالت عايشة في الصحيح لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم فاحشا

ولا متفحشا ولا سخابا بالاسواق ولا يجزي بالسيه السيه ولكن
يعفوا ويصفح وقد حكي مثل هذا الكلام عن التوراه من
روايه ابن سلام وعبد الله بن عمرو بن العاصي وروي عنه انه كان
من حيايه لا يثبت بصره في وجه احد وانه كان يكني عما اضطره الكلام
اليه مما يكره وعن عايشه ما رايت فرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
قط فصل واما حسن عشرته وادبه وبسط خلقه صلى الله عليه
وسلم مع اصناف الخلق فبحيث انتشرت به الاخبار الصحيحه قال
علي رضي الله عنه في وصفه عليه السلام كان اجود الناس صدرا
واصدق الناس لهجة والينهم عريكه واكرمهم عشرة حدثنا ابو الحسن علي
بن مشرف الانماطي فيما اجازنيه وقراته على غيره قال حدثنا ابو اسحق
الحبال حدثنا ابو محمد بن النحاس حدثنا ابن الاعرابي حدثنا ابو
داود حدثنا هشام ابو مروان ومحمد بن المثنى حدثنا الوليد بن
مسلم حدثنا الاوزاعي سمعت يحيى بن ابي كثير يقول حدثني محمد بن عبد
الرحمن بن سعد بن زراره عن قيس بن سعد قال زارنا رسول الله صلى
الله عليه وسلم وذكر قصة في اخرها فلما اراد الانصراف قرب
له سعد حمارا وطا عليه بقطيفه فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم قال سعد يا قيس اصحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
قيس فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اركب فابيت فقال اما ان
تركب واما ان تنصرف فانصرفت وفي روايه اخرى اركب امامي

فصاحب الدابه اولى بمقدمها وكان صلى الله عليه وسلم يولفهم ولا
ينفرهم ويكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم ويحذر الناس ويحترس
منهم من غير ان يطوي عن احد منهم بشره ولا خلقه يتفقد اصحابه
ويعطي كل جلسايه نصيبه لا يحسب جليسه ان احدا اكرم عليه منه
من جالسه او قاربه لحاجه صابره حتى يكون هو المنصرف عنه ومن
ساله حاجه لم يرده الا بها او بميسور من القول قد وسع الناس
بسطه وخلقه فصار لهم ابا وصاروا عنده في الحق سوا بهذا وصفه
ابن ابي هاله قال وكان دايم البشر سهل الخلق لين الجانب ليس
بفظ ولا غليظ ولا سخاب ولا فحاش ولا عياب ولا مداح يتغافل عما
لا يشتهي ولا يويس منه وقال الله تعالى فبما رحمه من الله لنت لهم ولو
كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك وقال ادفع بالتي هي
احسن الايه وكان يجيب من دعاه ويقبل الهديه ولو كانت كراعا ويكافي
عليها قال انس خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين
فما قال لي اف قط وما قال لشي صنعته لم صنعته ولا لشي تركته
لم تركته وعن عايشه رضي الله عنها ما كان احد احسن خلقا من رسول
الله صلى الله عليه وسلم ما دعاه احد من اصحابه ولا اهل بيته الا قال
لبيك وقال جرير بن عبد الله ما حجبني رسول الله صلى الله عليه وسلم
منذ اسلمت ولا راني الا تبسم وكان يمازح اصحابه ويخالطهم
ويحادثهم ويداعب صبيانهم ويجلسهم في حجره ويجيب دعوة العبد

والحر والامة والمسكين ويعود المرضى في اقصى المدينة ويقبل
عذر المعتذر وقال انس ما التقم احد اذن رسول الله
صلى الله عليه وسلم فنحى راسه حتى يكون الرجل هو الذي ينحي راسه وما
اخذ احد بيده فيرسل يده حتى يرسلها الاخر ولم ير مقدما ركبتيه
بين يدي جليس له وكان يبدا من لقيه بالسلام ويبدا اصحابه بالمصافحة
لم ير قط مادا رجليه بين اصحابه حتى يضيق بهما على احد يكرم من
يدخل عليه وربما بسط له ثوبه ويوثره بالوسادة التي تحته ويعزم
عليه في الجلوس عليها ان ابى ويكني اصحابه ويدعوهم باحب اسمايهم تكرمة
لهم ولا يقطع على احد حديثه حتى يتجوز فيقطعه بنهي او قيام بانتهاء او
قيام وروي انه كان لا يجلس اليه احد وهو يصلي الا خفف
صلاته وساله عن حاجته فاذا فرغ عاد الى صلاته وكان اكثر الناس
تبسما واطيبهم نفسا ما لم ينزل عليه قران او يعظ او يخطب قال
عبد الله بن الحارث ما رايت احدا اكثر تبسما من رسول الله صلى الله
عليه وسلم وعن انس كان خدم المدينة ياتون رسول الله صلى الله عليه
وسلم اذا صلى الغداة بانيتهم فيها الما فما يوتى باناء الا غمس يده فيها
وربما كان في الغداة الباردة يريدون به التبرك

فصل

واما الشفقة والرافة والرحمة بجميع الخلق فقد قال
تعالى فيه عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمومنين روف رحيم
وقال وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وقال بعضهم من

فضله عليه السلام ان الله اعطاه اسمين من اسمايه فقال بالمومنين
روف رحيم وحكى نحوه الامام ابو بكر بن فورك حدثنا الفقيه
ابو محمد عبد الله بن محمد الخشني بقراتي عليه حدثنا امام الحرمين
ابو علي الطبري حدثنا عبد الغافر الفارسي حدثنا ابو احمد الجلودي
حدثنا ابرهيم بن سفيان حدثنا مسلم بن الحجاج حدثنا ابو الطاهر
اخبرنا ابن وهب اخبرنا يونس عن ابن شهاب قال غزا رسول الله
صلى الله عليه وسلم غزوة وذكر حنينا قال فاعطى رسول الله صلى الله
عليه وسلم صفوان بن امية ماية من النعم ثم ماية ثم ماية قال ابن
شهاب حدثنا سعيد بن المسيب ان صفوان قال والله لقد اعطاني ما
اعطاني وانه لابغض الخلق الي فما زال يعطيني حتى انه لاحب الخلق الي
وروي ان اعرابيا جاءه يطلب منه شيا فاعطاه ثم قال احسنت اليك
فقال الاعرابي لا ولا اجملت فغضب المسلمون وقاموا اليه فاشار
اليهم ان كفوا ثم قام ودخل منزله وارسل اليه وزاده شيا ثم قال
احسنت اليك قال نعم فجزاك الله من اهل وعشيرة خيرا فقال
له النبي صلى الله عليه وسلم انك قلت ما قلت وفي نفس اصحابي من ذلك
شي فان احببت فقل بين ايديهم ما قلت بين يدي حتى يذهب
ما في صدورهم عليك قال نعم فلما كان الغد او العشي جا فقال
صلى الله عليه وسلم ان هذا الاعرابي قال ما قال فزدناه فزعم انه رضي
اكذلك قال نعم فجزاك الله من اهل وعشيرة خيرا فقال

صلى الله عليه وسلم مثلي ومثل هذا مثل رجل له ناقة شردت عليه
فاتبعها الناس فلم يزيدوها الا نفورا فناداهم صاحبها خلوا بيني وبين
ناقتي فاني بها ارفق منكم واعلم فتوجه لها بين يديها فاخذ لها من قمام
الارض فردها حتى جاءت واستناخت وشد عليها رحلها واستوى عليها
ولو اني تركتكم حيث قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل النار وروي
عنه انه صلى الله عليه وسلم قال لا يبلغني احد منكم عن احد
من اصحابي شيئا فاني احب ان اخرج اليكم وانا سليم الصدر ومن شفقته
على امته صلى الله عليه وسلم تخفيفه وتسهيله عليهم وكراهته اشياء مخافة
ان تفرض عليهم كقوله لولا ان اشق على امتي لامرتهم بالسواك مع كل
وضوء وخبر صلاة الليل ونهيهم عن الوصال وكراهته دخول
الكعبة لئلا تعنت امته ورغبته لربه ان يجعل سبه ولعنه لهم رحمة بهم
وانه كان يسمع بكاء الصبي فيتجوز في صلاته ومن شفقته صلى الله عليه وسلم
ان دعا ربه وعاهده فقال ايما رجل سببته او لعنته فاجعل ذلك
له زكوة ورحمة وصلاة وطهورا وقربة تقربه بها اليك يوم القيمة ولما
كذبه قومه اتاه جبريل عليه السلام فقال ان الله قد سمع قول قومك
وما ردوا عليك وقد امر ملك الجبال لتامره بما شئت فيهم فناداه ملك
الجبال وسلم عليه وقال مرني بما شئت ان شئت ان اطبق عليهم الاخشبين
قال النبي صلى الله عليه وسلم بل ارجوا ان يخرج الله من
اصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا وروى ابن المنكدر

ان جبريل عليه السلام قال للنبي صلى الله عليه وسلم ان الله امر السماء
والارض والجبال ان تطيعك فقال اوخر عن امتي لعل الله ان يتوب
عليهم قالت عائشة ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين امرين
الا اختار ايسرهما وقال ابن مسعود كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يتخولنا بالموعظة مخافة السامة وعن عائشة انها ركبت بعيرا وفيه صعوبة
فجعلت تردده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليك بالرفق ○

فصل

واما خلقه صلى الله عليه وسلم في الوفاء وحسن
العهد وصلة الرحم فحدثنا القاضي ابو عامر محمد بن اسمعيل
بقرائتي عليه قال حدثنا ابو بكر محمد بن محمد حدثنا ابو اسحق الحبال
حدثنا ابو محمد بن النحاس حدثنا ابن الاعرابي حدثنا ابو داود حدثنا محمد
بن يحيى حدثنا محمد بن سنان حدثنا ابرهيم بن طهمان عن بديل عن عبد
الكريم بن عبد الله بن شقيق عن ابيه عن عبد الله بن ابي الحمساء بايعت
النبي صلى الله عليه وسلم ببيع قبل ان يبعث وبقيت له بقية فوعدته ان اتيه
بها في مكانه فنسيت ثم ذكرت بعد ثلاث فجئت فاذا هو في
مكانه فقال يا فتى لقد شققت علي انا هاهنا منذ ثلاث انتظرك
وعن انس كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا اتي بهدية قال اذهبوا
بها الى بيت فلانة فانها كانت صديقة لخديجة انها كانت تحب خديجة
وعن عائشة قالت ما غرت على امرأة ما غرت على خديجة
لما كنت اسمعه يذكرها وان كان ليذبح الشاة فيهديها الى خلائلها ○

واستاذنت عليها اختها فارتاح لها ودخلت عليه امراة فهش لها واحسن
السوال عنها فلما خرجت قال انها كانت تاتينا ايام خديجة وان حسن
العهد من الايمان وصفه بعضهم فقال كان يصل ذوي رحمه
من غير ان يوثرهم على من هو افضل منهم وقال صلى الله عليه وسلم ان آل
ابي فلان ليسوا لي باولياء غير ان لهم رحما سابلها ببلالها وقد صلى عليه السلم
بامامة ابنة ابنته زينب يحملها على عاتقه فاذا سجد وضعها واذا قام
حملها وعن ابي قتادة وفد وفد للنجاشي فقام النبي صلى الله عليه وسلم
يخدمهم فقال له اصحابه نكفيك فقال انهم كانوا لاصحابنا مكرمين
واني احب ان اكافيهم ولما جي باخته من الرضاعة الشيماء في سبايا
هوازن وتعرفت له بسط لها رداه وقال لها ان احببت اقمت عندي
مكرمة محببة او متعتك ورجعت الى قومك فاختارت قومها فمتعها
وقال ابو الطفيل رايت النبي صلى الله عليه وسلم وانا غلام
اذ اقبلت امراة حتى دنت منه فبسط لها رداه فجلست عليه فقلت
من هذه فقالوا امه التي ارضعته وعن عمرو بن السايب ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان جالسا يوما فاقبل ابوه من الرضاعة فوضع له بعض
ثوبه فقعد عليه ثم اقبلت امه فوضع لها شق ثوبه من جانبه الاخر فجلست
عليه ثم اقبل اخوه من الرضاعة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم
واجلسه بين يديه وكان يبعث الى ثويبة مولاة ابي لهب مرضعته بصلة
وكسوة فلما ماتت سال من بقي من قرابتها فقيل لا احد وفي حديث

خديجة رضي الله عنها انها قالت لنبيه صلى الله عليه وسلم ابشر
فوالله لا يخزيك الله ابدا انك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب
المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوايب الحق

فصل

واما تواضعه صلى الله عليه وسلم على علو منصبه ورفعة رتبته فكان
اشد الناس تواضعا واقلهم كبرا وحسبك به انه خير بين ان يكون
ملكا نبيا او نبيا عبدا فاختار ان يكون نبيا عبدا فقال
له اسرافيل عند ذلك فان الله قد اعطاك بما تواضعت له انك سيد
ولد ادم يوم القيمة واول من تنشق عنه الارض واول شافع حدثنا ابو
الوليد بن العواد الفقيه رحمه الله بقراتي عليه في منزله بقرطبة سنة
سبع وخمس مايه قال حدثنا ابو علي الحافظ حدثنا ابو عمر
حدثنا ابن عبد المومن حدثنا ابن داسة حدثنا ابو داود حدثنا ابو بكر
بن ابي شيبة حدثنا عبد الله بن نمير عن مسعر عن ابي العنبس عن ابي
العدبس عن ابي مرزوق عن ابي غالب عن ابي امامة قال خرج علينا رسول
الله صلى الله عليه وسلم متوكيا على عصى فقمنا له فقال لا تقوموا كما يقوم
الاعاجم يعظم بعضهم بعضا وقال انما انا عبد اكل كما ياكل العبد
واجلس كما يجلس العبد وكان يركب الحمار ويردف خلفه ويعود
المساكين ويجالس الفقرا ويجيب دعوة العبد ويجلس بين اصحابه مختلطا
بهم حيث ما انتهى به المجلس جلس وفي حديث عمر عنه لا تطروني كما
اطرت النصارى بن مريم انما انا عبد فقولوا عبد الله ورسوله وعن

انس ان امراة كان في عقلها شي جاءته فقالت ان لي اليك
حاجة قال اجلسي يا ام فلان في اي طرق المدينة شئت اجلس اليك
حتى اقضي حاجتك قال فجلست فجلس النبي صلى الله عليه وسلم اليها
حتى فرغت من حاجتها قال انس كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يركب الحمار ويجيب دعوة العبد وكان يوم بني قريظة على حمار
مخطوم بحبل من ليف عليه اكاف قال وكان يدعا الى خبز الشعير والاهالة
السنخة فيجيب قال وحج صلى الله عليه وسلم على رحل رث وعليه قطيفة
ما تساوي اربعة دراهم فقال اللهم اجعله حجا لا رياء فيه ولا سمعة
هذا وقد فتحت عليه الارض واهدى في حجه ذلك مائة بدنة ولما فتحت
عليه مكة ودخلها بجيوش المسلمين طاطا على رحله راسه حتى كاد يمس
قادمته تواضعا لله تعالى ومن تواضعه صلى الله عليه وسلم قوله لا تفضلوني
على يونس بن متى ولا تفضلوا بين الانبياء ولا تخيروني على موسى ونحن احق
بالشك من ابرهيم ولو لبثت ما لبث يوسف في السجن لاجبت الداعي
وقال للذي قال له يا خير البرية ذاك ابرهيم وسياتي الكلام
على هذه الاحاديث بعد هذا ان شا الله وعن عايشة والحسن وابي سعيد
وغيرهم في صفته وبعضهم يزيد على بعض كان في بيته في مهنة اهله يفلي
ثوبه ويحلب شاته ويرقع ثوبه ويخصف نعله ويخدم نفسه ويقم
البيت ويعقل البعير ويعلف ناضحه وياكل مع الخادم ويعجن معها ويحمل
بضاعته من السوق وعن انس ان كانت الامة من اماء اهل المدينة

لتاخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنطلق به حيث شاءت
حتى تقضي حاجتها ودخل عليه رجل فاصابته من هيبته رعدة فقال له
هون عليك فاني لست بملك انما انا ابن امراة من قريش تاكل القديد
وعن ابي هريرة دخلت السوق مع النبي صلى الله عليه وسلم فاشترى سراويل
وقال للوزان زن وارجح وذكر القصة قال فوثب الى يد النبي
صلى الله عليه وسلم يقبلها فجذب يده وقال هذا تفعله الاعاجم بملوكها
ولست بملك انما انا رجل منكم ثم اخذ السراويل فذهبت لاحمله
فقال صاحب الشي احق بشيه ان يحمله **فصل** واما عدله صلى
الله عليه وسلم وامانته وعفته وصدق لهجته وكان صلى الله عليه وسلم
آمن الناس واعدل الناس واعف الناس واصدقهم لهجة منذ كان
اعترف له بذلك محادوه وعداه وكان يسمى قبل نبوته الامين قال
ابن اسحق كان يسمى الامين بما جمع الله فيه من الاخلاق الصالحة وقال الله
تعالى مطاع ثم امين اكثر المفسرين على انه محمد صلى الله عليه وسلم ولما
اختلفت قريش وتحازبت عند بنا الكعبة فيمن يضع الحجر حكموا
اول داخل فاذا بالنبي صلى الله عليه وسلم داخل وذلك قبل نبوته فقالوا
هذا محمد هذا الامين قد رضينا به وعن الربيع بن خثيم كان يتحاكم الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجاهلية قبل الاسلام وقال
صلى الله عليه وسلم والله اني لامين في السما امين في الارض حدثنا ابو علي
الصدفي الحافظ بقراتي عليه حدثنا ابو الفضل ابن خيرون

حدثنا ابو يعلى بن روح الحرة حدثنا ابو علي السنجي حدثنا محبوب
المروزي حدثنا ابو عيسى الحافظ حدثنا ابو كريب حدثنا معوية بن هشام
عن سفيان عن ابي اسحق عن ناجية بن كعب عن علي ان ابا جهل قال
للنبي صلى الله عليه وسلم انا لا نكذبك ولكن نكذب ما جيت به فانزل
الله فانهم لا يكذبونك الاية وروى غيره لا نكذبك وما انت فينا بمكذب
وقيل ان الاخنس ابن شريق لقي ابا جهل يوم بدر فقال يا ابا الحكم
ليس هنا غيري وغيرك يسمع كلامنا تخبرني عن محمد صادق ام كاذب
فقال ابو جهل والله ان محمدا لصادق وما كذب محمد قط ٥
وسال هرقل عنه ابا سفيان فقال هل كنتم تتهمونه بالكذب
قبل ان يقول ما قال قال لا وقال النضر بن الحارث لقريش قد
كان محمد فيكم غلاما حدثا ارضاكم فيكم واصدقكم حديثا واعظم
امانة حتى اذا رايتم الشيب في صدغيه وجاءكم بما جاءكم به قلتم ساحر
لا والله ما هو بساحر وفي الحديث عنه ما لمست يده يد امراة قط
لا يملك رقها وفي حديث علي في صفته عليه السلام اصدق الناس
لهجة وقال في الصحيح ويحك فمن يعدل ان لم اعدل خبت وخسرت
ان لم اعدل قالت عايشة ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم في
امرين الا اختار ايسرهما ما لم يكن اثما فان كان اثما كان ابعد الناس منه
قال ابو العباس المبرد قسم كسرى اياما فقال يصلح يوم
الريح للنوم ويوم الغيم للصيد ويوم المطر للشرب واللهو

ويوم الشمس للحوائج قال ابن خالويه ما كان اعلمهم بسياسة
دنياهم يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون
لكن نبينا صلى الله عليه وسلم جزا نهاره ثلاثة اجزاء جزء لله وجزء
لاهله وجزء لنفسه ثم جزا جزاه بينه وبين الناس فكان يستعين
بالخاصة على العامة ويقول ابلغوا حاجة من لا يستطيع ابلاغي فانه
من ابلغ حاجة من لا يستطيع امنه الله يوم الفزع الاكبر وعن
الحسن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ياخذ احدا بقذف احد
ولا يصدق احدا على احد وذكر ابو جعفر الطبري عن علي عنه صلى
الله عليه وسلم ما هممت بشي مما كان اهل الجاهلية يعملون به غير
مرتين كل ذلك يحول الله بيني وبين ما اريد من ذلك ثم ما هممت بسوء
حتى اكرمني الله برسالته قلت ليلة لغلام كان يرعى معي لو ابصرت
لي غنمي حتى ادخل مكة واسمر بها كما يسمر الشباب فخرجت لذلك حتى
جيت اول دار من مكة سمعت عزفا بالدفوف والمزامير لعرس بعضهم
فجلست انظر فضرب على اذني فنمت فما ايقظني الا مس الشمس فرجعت
ولم اقض شيا ثم عراني مرة اخرى مثل ذلك ثم لم اهم بعد ذلك بسوء

فصل واما وقاره صلى الله عليه وسلم وصمته وتؤدته ومروءته
وحسن هديه فحدثنا ابو علي الجياني الحافظ اجازة وعارضت بكتابه
قال حدثنا ابو العباس الدلاي اخبرنا ابو ذر الهروي اخبرنا ابو عبد
الله الوراق حدثنا اللؤلؤي حدثنا ابو داود حدثنا عبد

الرحمن بن سلام حدثنا حجاج بن محمد عن عبد الرحمن بن ابي الزناد عن
عمر بن عبد العزيز بن وهب سمعت خارجة بن زيد يقول كان النبي
صلى الله عليه وسلم اوقر الناس في مجلسه لا يكاد يخرج شيئا من اطرافه
وروى ابو سعيد الخدري كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا
جلس في المجلس احتبى بيديه وكذلك كان اكثر جلوسه صلى الله عليه وسلم
محتبيا وعن جابر بن سمرة انه تربع وربما جلس القرفصا وهو في حديث
قيلة وكان كثير السكوت لا يتكلم في غير حاجة يعرض عمن تكلم بغير جميل
وكان ضحكه تبسما وكلامه فصل لا فضول ولا تقصير وكان ضحك
اصحابه عنده التبسم توقيرا له واقتداء به مجلسه مجلس حلم وحياء وخير وامانة
لا ترفع فيه الاصوات ولا تؤبن فيه الحرم اذا تكلم اطرق جلساؤه كانما
على رؤوسهم الطير وفي صفته يخطو تكفؤا ويمشي هونا كانما ينحط من صبب
وفي الحديث الآخر اذا مشى مشى مجتمعا يعرف في مشيته انه غير
غرض ولا وكل اي غير ضجر ولا كسلان وقال عبد الله بن مسعود
ان احسن الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وعن جابر بن عبد الله
كان في كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ترتيل او ترسيل قال
ابن ابي هالة كان سكوته على اربع على الحلم والحذر والتقدير والتفكر
قالت عائشة كان صلى الله عليه وسلم يحدث حديثا لو عده
العاد احصاه وكان صلى الله عليه وسلم يحب الطيب والرائحة الطيبة
ويستعملها كثيرا ويحض عليها ويقول حبب الي من دنياكم النساء

والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة ومن مروءته صلى الله عليه وسلم
نهيه عن النفخ في الطعام والشراب والامر بالاكل مما يلي والامر بالسواك
وانقاء البراجم والرواجب واستعمال خصال الفطرة

فصل

واما زهده في الدنيا فقد تقدم من الاخبار اثناء هذه السيرة ما يكفي
وحسبك من تقلله منها واعراضه عن زهرتها وقد سيقت اليه بحذافيرها
وترادفت عليه فتوحها ان توفي صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهونة عند
يهودي في نفقة عياله وهو يدعو ويقول اللهم اجعل رزق آل محمد
قوتا حدثنا سفيان بن العاصي والحسين بن محمد الحافظ والقاضي
ابو عبد الله التميمي قالوا حدثنا احمد بن عمر قال حدثنا ابو العباس الرازي
قال حدثنا ابو احمد الجلودي حدثنا ابن سفيان حدثنا ابو الحسين بن
الحجاج حدثنا ابو بكر بن ابي شيبة حدثنا ابو معاوية عن الاعمش عن ابراهيم
عن الاسود عن عائشة قالت ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثلاثة ايام تباعا من خبز حتى مضى لسبيله وفي رواية اخرى من خبز شعير يومين
متوالين ولو شاء لاعطاه الله ما لا يخطر ببال وفي رواية اخرى ما شبع
آل رسول الله صلى الله عليه وسلم من خبز حتى لقي الله وقالت
عائشة ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم دينارا ولا درهما ولا شاة
ولا بعيرا وفي حديث عمرو بن الحارث ما ترك الا سلاحه وبغلته وارضا
جعلها صدقة قالت عائشة ولقد مات وما في بيتي شيء يأكله
ذو كبد الا شطر شعير في رف لي وقال لي اني عرض علي ان يجعل

بطحا مكة ذهبا فقلت لا يا رب اجوع يوما واشبع يوما فاما اليوم
الذي اجوع فيه فاتضرع اليك وادعوك واما اليوم الذي اشبع
فاحمدك واثني عليك وفي حديث اخر ان جبريل نزل عليه فقال
له ان الله يقريك السلام ويقول لك اتحب ان اجعل هذه الجبال
ذهبا وتكون معك حيث كنت فاطرق ساعة ثم قال يا جبريل ان الدنيا
دار من لا دار له ومال من لا مال له قد يجمعها من لا عقل له فقال
له جبريل ثبتك الله يا محمد بالقول الثابت وعن عايشة قالت ان كنا ال
محمد لنمكث شهرا ما نستوقد نارا ان هو الا التمر والما وعن عبد الرحمن
بن عوف هلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يشبع هو واهل بيته
من خبز الشعير وعن عايشة وابي امامة وابن عباس نحوه قال
ابن عباس كان صلى الله عليه وسلم يبيت هو واهله الليالي المتتابعة
طاويا لا يجدون عشا وعن انس قال ما اكل رسول الله صلى الله عليه
وسلم على خوان ولا في سكرجة ولا خبز له مرقق ولا راى شاة سميطا قط
وعن عايشة انما كان فراشه الذي ينام عليه ادما حشوه ليف
وعن حفصة كان فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيته مسحا
نثنيه ثنيتين فينام عليه فثنيناه له ليلة باربع فلما اصبح قال ما فرشتموا
لي الليلة فذكرنا له ذلك فقال ردوه بحاله فان وطاته
منعتني الليلة صلاتي وكان ينام احيانا على سرير مرمول بشريط حتى
يوثر في جنبه وعن عايشة قالت لم يمتلي جوف رسول الله صلى الله عليه

وسلم شبعا قط ولم يبث شكوى الى احد وكانت الفاقة احب
اليه من الغنى وان كان ليظل جايعا يلتوي طول ليلته من الجوع فلا
يمنعه صيام يومه ولو شا سال ربه جميع كنوز الارض وثمارها ورغد
عيشها ولقد كنت ابكي له رحمة مما ارى به وامسح بيدي على بطنه
مما به من الجوع واقول نفسي لك الفدا لو تبلغت من الدنيا فيقول
يا عايشة ما لي وللدنيا اخواني من اولي العزم صبروا على ما هو اشد
من هذا فمضوا على حالهم فقدموا على ربهم فاكرم مابهم واجزل ثوابهم
فاجدني استحيي ان ترفهت في معيشتي ان يقصر بي غدا دونهم وما من
شي هو احب الي من اللحوق بهم باخواني واخلاي قالت
فما اقام بعد ذلك الا شهرا حتى توفي صلى الله عليه وسلم

فصل
واما خوفه ربه وطاعته له وشدة عبادته فعلى قدر علمه بربه ولذلك
قال فيما حدثناه ابو محمد بن عتاب قراءة مني عليه قال حدثنا ابو
القسم الطرابلسي حدثنا ابو الحسن القابسي حدثنا ابو زيد المروزي
حدثنا ابو عبد الله الفربري حدثنا محمد بن اسمعيل حدثنا يحيى بن بكير
عن الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب ان ابا هريرة
كان يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما اعلم
لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا زاد في روايتنا عن ابي عيسى الترمذي
رفعه اني ارى ما لا ترون واسمع ما لا تسمعون اطت
السما وحق لها ان تيط ما فيها موضع اربع اصابع الا وملك ساجد لله

والله لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وما تلذذتم بالنساء
على الفرش ولخرجتم الى الصعدات تجأرون الى الله لوددت اني شجرة تعضد
روى هذا الكلام وددت اني شجرة تعضد في قول ابي ذر نفسه وهو
اصح وفي حديث المغيرة صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتفخت
قدماه فقيل له اتكلف هذا وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر
قال افلا اكون عبدا شكورا ونحوه عن ابي سلمة وابي هريرة
وقالت عائشة كان عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم ديمة وايكم
يطيق ما كان يطيق وقالت كان يصوم حتى نقول لا يفطر ويفطر حتى
نقول لا يصوم ونحوه عن ابن عباس وام سلمة وانس وقال كنت لا تشاء ان
تراه من الليل مصليا الا رايته مصليا ولا نائما الا رايته نائما وقال
عوف بن مالك كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فاستاك ثم
توضأ ثم قام يصلي فقمت معه فبدا فاستفتح البقرة فلا يمر باية رحمة الا
وقف فسال ولا يمر باية عذاب الا وقف فتعوذ ثم ركع فمكث بقدر قيامه
يقول سبحان ذي الجبروت والملكوت والعظمة ثم سجد وقال
مثل ذلك ثم قرأ آل عمران ثم سورة سورة يفعل مثل ذلك وعن حذيفة
مثله وقال سجد نحوا من قيامه وجلس بين السجدتين نحوا منه وقال
حتى قرأ البقرة وآل عمران والنساء والمائدة وعن عائشة قام رسول الله
صلى الله عليه وسلم باية من القران ليلة وعن عبد الله بن الشخير اتيت
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي ولجوفه ازيز كازيز المرجل

قال ابن ابي هالة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم متواصل
الاحزان دائم الفكرة ليست له راحة وقال عليه السلام اني لاستغفر
الله في اليوم مائة مرة وروي سبعين مرة وعن علي رضي الله عنه قال
سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سنته فقال المعرفة راس مالي
والعقل اصل ديني والحب اساسي والشوق مركبي وذكر الله انيسي والثقة
كنزي والحزن رفيقي والعلم سلاحي والصبر ردائي والرضا غنيمتي والعجز
فخري والزهد حرفتي واليقين قوتي والصدق شفيعي والطاعة
حسبي والجهاد خلقي وقرة عيني في الصلاة وفي حديث اخر وثمرة فؤادي في
ذكره وغمي لاجل امتي وشوقي الى ربي **فصل** اعلم وفقنا الله
واياك ان صفات جميع الانبياء والرسل صلوات الله عليهم من كمال
الخلق وحسن الصورة وشرف النسب وحسن الخلق وجميع المحاسن هي
هذه الصفة لانها صفات الكمال والجمال والتمام البشري والفضل
الجميع لهم صلوات الله عليهم اذ رتبتهم اشرف الرتب ودرجاتهم ارفع
الدرجات ولكن فضل الله بعضهم على بعض قال تعالى تلك الرسل
فضلنا بعضهم على بعض وقال لقد اخترناهم على علم على العالمين وقد قال
عليه السلام ان اول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر ثم
قال اخر الحديث على خلق رجل واحد على صورة ابيهم ادم عليه السلام
طوله ستون ذراعا في السماء وفي حديث ابي هريرة رايت موسى فاذا
رجل ضرب رجل اقنى كانه من رجال شنوءة ورايت عيسى فاذا هو رجل

ربعة كثير خيلان الوجه احمر كانما خرج من ديماس وفي حديث اخر مبطن
مثل السيف قال وانا اشبه ولد ابرهيم به وقال في حديث اخر في صفة
موسى كاحسن ما انت راء من ادم الرجال وفي حديث ابي هريرة عنه صلى
الله عليه وسلم ما بعث الله تعالى من بعد لوط نبيا الا في ذروة من قومه
ويروى ثروة اي كثرة ومنعة وحكى الترمذي عن قتادة ورواه
الدارقطني من حديث قتادة ما بعث الله نبيا الا حسن الوجه حسن الصوت
وكان نبيكم احسنهم وجها واحسنهم صوتا وفي حديث هرقل وسالته
عن نسبه فذكرت انه فيكم ذو نسب وكذلك الرسل تبعث في انساب
قومها وقال تعالى في ايوب انا وجدناه صابرا نعم العبد انه اواب وقال
تعالى يا يحيى خذ الكتاب بقوة الى قوله ويوم يبعث حيا وقال ان الله
يبشرك بيحيى الى الصالحين وقال ان الله اصطفى ادم ونوحا وال ابرهيم
وال عمران على العالمين وقال ـــ في نوح انه كان عبدا شكورا
وقال ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح الى الصالحين وقال اني عبد الله
اتاني الكتاب الى ما دمت حيا وقال يا ايها الذين امنوا لا تكونوا كالذين
اذوا موسى الاية قال النبي صلى الله عليه وسلم كان موسى رجلا حييا
ستيرا ما يرى من جسده شي استحيا الحديث وقال تعالى عنه فوهب
لي ربي حكما الاية وقال في وصف جماعة منهم اني لكم رسول امين وقال
ان خير من استاجرت القوي الامين وقال فاصبر كما صبر اولوا العزم من
الرسل وقال ووهبنا له اسحاق ويعقوب كلا هدينا الى قوله فبهداهم

اقتده فوصفهم باوصاف جمة من الصلاح والهدى والاجتبا والحكم
والنبوة وقال ـــ فبشرناه بغلام عليم وحليم وقال ولقد فتنا
قبلهم قوم فرعون وجاءهم رسول كريم الى امين وقال ستجدني ان شا الله
من الصابرين وقال في اسمعيل انه كان صادق الوعد الاية وفي موسى
انه كان مخلصا وفي سليمان نعم العبد انه اواب وقال واذكر عبدنا ابرهيم
واسحاق ويعقوب اولي الايدي والابصار الى الاخيار وفي داود انه اواب
ثم قال وشددنا ملكه واتيناه الحكمة وفصل الخطاب ـــ
وقال عن يوسف اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم وفي موسى
ستجدني ان شا الله صابرا قال وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه ان
اريد الا الاصلاح ما استطعت وقال ولوطا اتيناه حكما وعلما وقال انهم
كانوا يسارعون في الخيرات الاية قال سفيان هو الحزن الدايم في اي كثيرة ذكر
فيها من خصالهم ومحاسن اخلاقهم الدالة على كمالهم وجاء من ذلك في الاحاديث
كثير كقوله انما الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب
بن اسحق بن ابرهيم نبي بن نبي بن نبي بن نبي وفي حديث انس وكذلك الانبيا تنام
اعينهم ولا تنام قلوبهم وروي ان سليمان كان مع ما اعطي من الملك
لا يرفع بصره الى السما تخشعا وتواضعا لله وكان يطعم الناس لذائذ الا طعمة
واكل خبز الشعير واوحي اليه يا راس العابدين وابن محجة الزاهدين وكانت
العجوز تعترضه وهو على الريح في جنوده فيامر الريح فتقف فينظر في حاجتها
ويمضي وقيل ليوسف ما لك تجوع وانت على خزائن الارض قال ـــ

اخاف ان اشبع وانسى الجايع وروى ابو هريرة عنه عليه السلام خفف
على داود القران فكان يامر بدوابه فتسرج فيقرا القران قبل ان يسرج ولا ياكل
الا من عمل يده قال الله تعالى والنا له الحديد ان اعمل سابغات وقدر في السرد
وكان سال ربه ان يرزقه عملا بيده يغنيه عن بيت مال الله وقال عليه
السلام احب الصلاة الى الله صلاة داود واحب الصيام الى الله صيام
داود كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه ويصوم
يوما ويفطر يوما وكان يلبس الصوف ويفترش الشعر وياكل خبز الشعير
بالملح والرماد ويمزج شرابه بالدموع ولم ير ضاحكا بعد الخطية ولا
شاخصا ببصره نحو السما حيا من ربه ولم يزل باكيا حيوته كلها وقيل
بكى حتى نبت العشب من دموعه وحتى اتخذت الدموع في خده اخدودا
وقيل كان يخرج متنكرا يتعرف سيرته فيسمع الثنا عليه فيزداد تواضعا
وقيل لعيسى عليه السلام لو اتخذت حمارا قال انا اكرم على
الله ان يشغلني بحمار وكان يلبس الشعر وياكل الشجر ولم يكن له بيت
اينما ادركه النوم نام وكان احب الاسامي اليه ان يقال له مسكين
وقيل ان موسى عليه السلام لما ورد ما مدين كانت ترى خضرة
البقل من بطنه من الهزال وقال عليه السلام لقد كان الانبيا قبلي
يبتلى احدهم بالفقر والقمل وكان ذلك احب اليهم من العطا اليكم
وقال عيسى عليه السلام لخنزير لقيه اذهب بسلام فقيل
له في ذلك فقال اكره ان اعود لساني المنطق بسوء وقال مجاهد كان

طعام يحيى العشب وكان يبكي من خشية الله حتى اتخذ الدمع مجرى
في خده وكان ياكل مع الوحش لئلا يخالط الناس وحكى الطبري
عن وهب ان موسى كان يستظل بعريش وياكل من نقرة من حجر ويكرع فيها
اذا اراد ان يشرب كما تكرع الدابة تواضعا لله بما اكرمه به من كلامه
واخبارهم في ذلك كله مسطورة وصفاتهم في الكمال وجميل الاخلاق
وحسن الصور والشمايل معروفة مشهورة ولا نطول بها ولا نلتفت
الى ما تجده في كتب بعض جهلة المورخين والمفسرين مما يخالف هذا

فصل

قد اتينا اكرمك الله من ذكر الاخلاق الحميدة والفضايل
المجيدة وخصال الكمال العديدة واريناك صحتها له صلى الله عليه وسلم
وجلبنا من الاثار ما فيه مقنع والامر اوسع فمجال هذا الباب في حقه
صلى الله عليه وسلم ممتد تنقطع دون نفاده الادلا وبحر علم خصايصه
زاخر لا تكدره الدلا ولكنا اتينا فيه بالمعروف مما اكثره في الصحيح المشهور
من المصنفات واقتصرنا في ذلك بقل من كل وغيض من فيض ورأينا ان
نختم هذه الفصول بذكر حديث الحسن عن ابي هالة لجمعه من شمايله
واوصافه كثيرا وادماجه جملة كافية من سيره وفضايله ونصله
بتنبيه لطيف على غريبه ومشكله حدثنا القاضي ابو علي الحسين بن
محمد الحافظ رحمه الله بقراتي عليه سنة ثمان وخمسمائة قال
حدثنا الامام ابو القاسم عبد الله بن طاهر التميمي قرات عليه اخبركم الفقيه
الاديب ابو بكر محمد بن عبد الله بن الحسن النيسابوري والشيخ الفقيه

ابو عبد الله محمد بن احمد بن الحسن المحمدي والقاضي ابو علي الحسن بن
علي بن جعفر الوحشي قالوا اخبرنا ابو القاسم علي بن احمد بن محمد بن الحسن
الخزاعي قال اخبرنا ابو سعيد الهيثم بن كليب الشاشي قال
اخبرنا ابو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الحافظ قال حدثنا سفيان بن
وكيع حدثنا جميع بن عمر بن عبد الرحمن العجلي املاء من كتابه قال حدثني
رجل من بني تميم من ولد ابي هاله زوج خديجة ام المومنين رضي الله عنها
يكنى ابا عبد الله عن ابن لابي هاله عن الحسن بن علي بن ابي طالب رحمه الله
قال سالت خالي هند بن ابي هاله قال القاضي ابو علي وقرات على الشيخ
ابي طاهر احمد بن الحسن بن احمد بن خداداذ الكرجي الباقلاني قال
واجاز لنا الشيخ الاجل ابو الفضل احمد بن الحسين بن خيرون قالا اخبرنا
ابو علي الحسن بن احمد بن ابرهيم بن الحسن بن شاذان بن حرب بن مهران
الفارسي قراءة عليه فاقر به قال اخبرنا ابو محمد الحسن بن محمد بن
يحيى بن الحسن بن جعفر بن عبد الله بن الحسين ابن علي بن الحسين بن ابي
طالب المعروف بابن اخي طاهر العلوي قال حدثنا اسمعيل بن محمد
بن اسحاق بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب قال
حدثني علي بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين عن اخيه موسى بن جعفر بن
محمد عن ابيه محمد بن علي عن علي بن الحسين قال قال الحسن بن علي واللفظ
لهذا السند سالت خالي هند بن ابي هاله عن حلية رسول الله صلى الله
عليه وسلم وكان وصافا وانا ارجو ان يصف لي منها شيئا اتعلق به

قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فخما مفخما يتلالا وجهه تلالو القمر
ليلة البدر اطول من المربوع واقصر من المشذب عظيم الهامة رجل
الشعر ان انفرقت عقيقته فرق والا فلا يجاوز شعره شحمة اذنيه اذا هو
وفره ازهر اللون واسع الجبين ازج الحواجب سوابغ من غير قرن بينهما
عرق يدره الغضب اقنى العرنين له نور يعلوه ويحسبه من لم يتامله اشم
كث اللحية ادعج سهل الخدين ضليع الفم اشنب مفلج الاسنان
دقيق المسربة كان عنقه جيد دمية في صفاء الفضة معتدل الخلق
بادنا متماسك سوا البطن والصدر مسيح الصدر بعيد ما بين المنكبين
ضخم الكراديس انور المتجرد موصول ما بين اللبة والسرة بشعر يجري
كالخط عاري الثديين ما سوى ذلك اشعر الذراعين والمنكبين واعالي
الصدر طويل الزندين رحب الراحة شثن الكفين والقدمين سايل
الاطراف او قال شايل الاطراف سبط العصب رواه ابن الاسدي
العصب وهو اشبه خمصان الاخمصين مسيح القدمين ينبو عنهما الما
اذا زال زال قلعا ويخطو تكفيا ويمشي هونا ذريع المشية اذا مشى كانما ينحط
من صبب واذا التفت التفت جميعا خافض الطرف نظره الى الارض
اطول من نظره الى السماء جل نظره الملاحظة يسوق اصحابه ويبدا من
لقيه بالسلام قلت صف لي منطقه قال كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم متواصل الاحزان دايم الفكرة ليست له راحة ولا يتكلم
في غير حاجة طويل السكوت يفتتح الكلام ويختمه باشداقه ويتكلم

بجوامع الكلم فصلاً لا فضول فيه ولا تقصير دمثا ليس بالجافي
ولا المهين يعظم النعمة وان دقت لا يذم شيئا لم يكن يذم ذواقا ولا يمدحه
ولا تقام لغضبه اذا تعرض للحق لشيء حتى ينتصر له ولا يغضب لنفسه
ولا ينتصر لها اذا اشار اشار بكفه كلها واذا تعجب قلبها واذا تحدث
اتصل بها فضرب بابهامه اليمنى راحته اليسرى واذا غضب اعرض
واشاح واذا فرح غض طرفه جل ضحكه التبسم ويفتر عن مثل حب الغمام
قال الحسن فكتمتها الحسين بن علي زمانا ثم حدثته فوجدته قد
سبقني اليه فسال اباه عن مدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومخرجه
ومجلسه وشكله فلم يدع منه شيئا قال الحسين سالت ابي عليه
السلام عن دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كان دخوله
لنفسه ماذونا له في ذلك فكان اذا اوى الى منزله جزا دخوله ثلثة
اجزاء جزا لله وجزا لاهله وجزا لنفسه ثم جزا جزءه بينه وبين
الناس ويرد ذلك على العامة بالخاصة ولا يدخر عنهم شيئا فكان
من سيرته في جزء الامة ايثار اهل الفضل باذنه وقسمته على قدر
فضلهم في الدين منهم ذو الحاجة ومنهم ذو الحاجتين ومنهم ذو
الحوائج فيتشاغل بهم ويشغلهم فيما اصلحهم والامة في مسئلة عنهم
واخبارهم بالذي ينبغي لهم ويقول ليبلغ الشاهد منكم
الغايب وابلغوني حاجة من لا يستطيع ابلاغي حاجته فانه من
ابلغ سلطانا حاجة من لا يستطيع ابلاغها ثبت الله قدميه يوم القيمة

لا يذكر عنده الا الله ولا يقبل من احد غيره قال في حديث سفيان
بن وكيع يدخلون روادا ولا يتفرقون الا عن ذواق ويخرجون ادلة
يعني فقها قلت فاخبرني عن مخرجه كيف كان يصنع فيه قال كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يخزن لسانه الا مما يعنيهم ويؤلفهم ولا ينفرهم
ويكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم ويحذر الناس ويحترس منهم من غير
ان يطوي عن احد بشره وخلقه ويتفقد اصحابه ويسال الناس عما في
الناس ويحسن الحسن ويصوبه ويقبح القبيح ويوهنه معتدل الامر
غير مختلف لا يغفل مخافة ان يغفلوا او يملوا لكل حال عنده عتاد
لا يقصر عن الحق ولا يجاوزه الى غيره الذين يلونه من الناس خيارهم
وافضلهم عنده منزلة اعمهم نصيحة واعظمهم احسنهم مواساة وموازرة
فسالته عن مجلسه عما كان يصنع فيه فقال كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم لا يجلس ولا يقوم الا على ذكر ولا يوطن الاماكن وينهى
عن ايطانها واذا انتهى الى القوم جلس حيث ينتهي به المجلس ويامر بذلك
ويعطي كل جلسائه نصيبه حتى لا يحسب جليسه ان احدا اكرم عليه منه
من جالسه او قاومه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه من ساله
حاجة لم يرده الا بها او بميسور من القول وقد وسع الناس بسطه
وخلقه فصار لهم ابا وصاروا عنده في الحق متقاربين فيه التقوى
وفي الرواية الاخرى صاروا عنده في الحق سوا مجلسه مجلس حلم وحيا
وصبر وامانة لا ترفع فيه الاصوات ولا تؤبن فيه الحرم ولا تثنى

فلسانه وهذه الكلمة من غير الروايتين يتعاطفون بالتقوى متواضعين
يوقرون فيه الكبير ويرحمون الصغير ويرفدون ذا الحاجة ويرحمون
الغريب فسالته عن سيرته صلى الله عليه وسلم في جلسائه فقال
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم دايم البشر سهل الخلق لين الجانب
ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب ولا فحاش ولا عياب ولا مزاح ولا مداح يتغافل عما
لا يشتهي ولا يؤيس منه قد ترك نفسه من ثلاث الريا والاكثار وما لا
يعنيه وترك الناس من ثلاث كان لا يذم احدا ولا يعيره ولا يطلب
عورته ولا يتكلم الا فيما يرجوا ثوابه اذا تكلم اطرق جلساوه كانما على
روسهم الطير واذا سكت تكلموا لا يتنازعون عنده الحديث من
تكلم عنده انصتوا له حتى يفرغ حديثهم حديث اولهم يضحك مما يضحكون منه
ويعجب مما يعجبون منه ويصبر للغريب على الجفوة في المنطق ويقول
اذا رايتم صاحب الحاجة يطلبها فارفدوه ولا يطلب الثنا الا من مكافي
ولا يقطع على احد حديثه حتى يجوزه فيقطعه بانتهاء او قيام هنا انتهى
حديث سفيان بن وكيع وزاد الاخر قلت كيف كان سكوته صلى الله عليه
وسلم قال كان سكوته على اربع على الحلم والحذر والتقدير والتفكير
فاما تقديره ففي تسويته النظر والاستماع من الناس واما تفكره فيما يبقى
ويفنى وجمع له الحلم صلى الله عليه وسلم في الصبر فكان لا يغضبه
شي يستفزه وجمع له في الحذر اربع اخذه بالحسن ليقتدى به وتركه القبيح
لينتهى عنه واجتهاد الراي بما اصلح امته والقيام لهم بما جمع لهم امر الدنيا

والاخرة انتهى الوصف بحمد الله **فصل** في تفسير غريب هذا
الحديث ومشكله قوله المشذب اي البائن الطول في نحافة وهو مثل
قوله في الحديث الاخر ليس بالطويل الممغط والشعر الرجل الذي
كانه مشط فتكسر قليلا ليس بسبط ولا جعد والعقيقة شعر الراس
اراد ان انفرقت من ذات نفسها فرقها والا تركها معقوصة ويروى
عقيصته وازهر اللون نيره وقيل ازهر حسن ومنه زهرة الحياة
الدنيا اي زينتها وهذا كما قال في الحديث الاخر ليس بالابيض الامهق ولا
بالادم والامهق هو الناصع البياض والادم الاسمر اللون ومثله في
الحديث الاخر ابيض مشرب اي فيه حمرة والحاجب الازج المقوس
الطويل الوافر الشعر والاقنى السائل الانف المرتفع وسطه والاشم
الطويل قصبة الانف والقرن اتصال شعر الحاجبين وضده البلج ووقع
في حديث ام معبد وصفه بالقرن والادعج الشديد سواد الحدقة وفي
الحديث الاخر اشكل العين واسجر العين وهو الذي في بياضها حمرة
والضليع الواسع والشنب رونق الاسنان وماوها وقيل
رقتها وتحزيز فيها كما يوجد في اسنان الشباب والفلج فرق بين الثنايا ودقيق
المسربة خيط الشعر الذي بين الصدر والسرة بادن ذو لحم ومتماسك
معتدل الخلق يمسك بعضه بعضا مثل قوله في الحديث الاخر لم يكن
بالمطهم ولا بالمكلثم اي ليس بمسترخي اللحم والمكلثم القصير
الذقن وسوا البطن والصدر اي مستويهما ومشيح الصدر ان صحت

هذه اللفظة فتكون من الاقبال وهو احد معاني اشاح اي انه كان
بادي الصدر ولم يكن في صدره قعس وهو تطامن فيه وبه يتضح قوله
سوا البطن والصدر اي ليس بمتقاعس الصدر ولا مفاض البطن ولعل
اللفظ مسيح بالسين وفتح الميم بمعنى عريض كما وقع في الرواية الاخرى وحكاه
ابن دريد والكراديس رؤس العظام وهو مثل قوله في الحديث الاخر
جليل المشاش والكتد والمشاش رؤس المناكب والكتد مجتمع الكتفين
وشثن الكفين والقدمين اي لحيمهما والزندان عظما الذراعين وسائل الاطراف
اي طويل الاصابع وذكر ابن الانباري انه روى سائل الاطراف او قال
سائن بالنون قال وهما بمعنى تبدل اللام من النون ان صحت الرواية
بها واما على الرواية الاخرى وسائر الاطراف فاشار الى فخامة جوارحه
كما وقعت مفصلة في الحديث ورحب الراحة اي واسعها وقيل كنى به عن
سعة العطاء والجود خمصان الاخمصين اي متجافي اخمص القدم وهو
الموضع الذي لا تناله الارض من وسط القدم ومسيح القدمين اي املسهما
ولهذا قال ينبو عنهما الماء وفي حديث ابي هريرة خلاف هذا قال
اذا وطئ بقدمه وطئ بكلها ليس له اخمص وهذا يوافق معنى قوله مسيح
القدمين وبه قالوا سمي المسيح بن مريم اي لم يكن له اخمص وقيل مسيح لا لحم
عليهما وهذا ايضا يخالف قوله شثن القدمين والتقلع رفع الرجل
بقوة والتكفؤ الميل الى سنن المشي وقصده والهون الرفق والوقار والذريع
الواسع الخطو اي ان مشيه كان يرفع فيه رجليه بسرعة ويمد خطوه خلاف

مشية المختال ويقصد سمته وكل ذلك برفق وتثبت دون عجلة
كما قال كانما ينحط من صبب وقوله يفتتح الكلام ويختمه باشداقه اي لسعة
فمه والعرب تتمادح بهذا وتذم بصغر الفم واشاح مال وانقبض وحب
الغمام البرد وقوله فيرد ذلك بالخاصة على العامة اي قد جعل من جزء نفسه
ما يوصل الخاصة اليه فتوصل عنه للعامة وقيل يجعل منه للخاصة ثم
يبدلها في جزء اخر بالعامة ويدخلون روادا اي محتاجين اليه وطالبين
لما عنده ولا يتفرقون الا عن ذواق قيل عن علم يتعلمونه ويشبه ان يكون
على ظاهره اي في الغالب والاكثر والعتاد العدة والشيء الحاضر المعد
والموازرة المعاونة وقوله لا يوطن الاماكن اي لا يتخذ لمصلاه موضعا
معلوما وقد ورد نهيه عن هذا مفسرا في غير هذا الحديث وصابره اي
حبس نفسه على ما يريد صاحبه ولا تؤبن فيه الحرم اي يذكرن بسوء ولا تنثى
فلتاته اي يتحدث بها اي لم يكن فيه فلتة وان كانت من احد سترت
ويرفدون يعينون والسخاب الكثير الصياح وقوله ولا يقبل الثناء الا
من مكافئ قيل مقتصد في ثنائه ومدحه وقيل الا من مسلم وقيل
الا من مكافئ على يد سبقت من النبي صلى الله عليه وسلم له ويستحق يستحقه
وفي حديث اخر في وصفه منهوس العقب اي قليل لحمها واهدب
الاشفار اي طويل شعرها

الباب الثالث

الثالث فيما ورد من صحيح الاخبار ومشهورها بعظيم قدره عند ربه
ومنزلته وما خصه به في الدارين من كرامته صلى الله عليه وسلم لا

خلاف انه اكرم البشر وسيد ولد ادم وافضل الناس منزلة عند
الله واعلاهم درجة واقربهم زلفى واعلم ان الاحاديث الواردة في
ذلك كثيرة جدا وقد اقتصرنا منها على صحيحها ومنتشرها وحصرنا معاني ما
ورد منها في اثنا عشر فصلا ٥

الفصل الاول فيما ورد بذكر مكانته عند ربه والاصطفا ورفعة
الذكر والتفضيل وسيادة ولد ادم وما خصه به في الدنيا من مزايا
الرتب وبركة اسمه الطيب اخبرنا الشيخ ابو محمد عبد الله بن احمد العدل
اذنا بلفظه قال حدثنا ابو الحسن الفرغاني حدثتنا ام القاسم بنت ابي بكر
بن يعقوب عن ابيها حدثنا حاتم وهو بن عقيل عن يحيى وهو ابن اسمعيل
عن يحيى الحماني حدثنا قيس عن الاعمش عن عباية بن ربعي عن ابن
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قسم الخلق قسمين فجعلني
من خيرهم قسما فذلك قوله اصحاب اليمين واصحاب الشمال فانا من
اليمين وانا خير اصحاب اليمين ثم جعل القسمين اثلاثا فجعلني في خيرها ثلثا
وذلك قوله اصحاب الميمنة واصحاب المشئمة والسابقون السابقون
فانا من السابقين وانا خير السابقين ثم جعل الاثلاث قبايل فجعلني من
خيرها قبيلة وذلك قوله تعالى وجعلناكم شعوبا وقبايل الاية فانا
اتقى ولد ادم واكرمهم على الله ولا فخر ثم جعل القبايل بيوتا فجعلني
من خيرها بيتا فذلك قوله انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت
الاية وعن ابي سلمة عن ابي هريرة قال قالوا يا رسول الله متى وجبت

لك النبوة قال وادم بين الروح والجسد وعن واثلة بن الاسقع قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله اصطفى من ولد ادم
اسمعيل واصطفى من ولد اسمعيل بني كنانة واصطفى من بني كنانة قريشا
واصطفى من قريش بني هاشم ومن حديث انس انا اكرم ولد ادم على
ربي ولا فخر وفي حديث ابن عباس انا اكرم الاولين والاخرين ولا فخر وعن
عايشة عنه عليه السلام اتاني جبريل فقال قلبت مشارق الارض ومغاربها
فلم ار رجلا افضل من محمد ولم ار بني اب افضل من بني هاشم وعن انس
ان النبي صلى الله عليه وسلم اتي بالبراق ليلة اسري به فاستصعب عليه فقال
جبريل لمحمد تفعل هذا فما ركبك احد اكرم على الله منه فارفض عرقا وعن
ابن عباس عنه عليه السلام لما خلق الله ادم اهبطني في صلبه الى الارض
وجعلني في صلب نوح في السفينة وقذف بي في النار في صلب ابرهيم
ثم لم يزل ينقلني من الاصلاب الكريمة والارحام الطاهرة حتى اخرجني
بين ابوي لم يلتقيا على سفاح قط والى هذا اشار العباس بن عبد المطلب
رضي الله عنه فيه بقوله ٥ من قبلها طبت في الظلال وفي مستودع حيث يخصف الورق

ثم هبطت البلاد لا بشر انت ولا مضغة ولا علق
بل نطفة تركب السفين وقد الجم نسرا واهله الغرق
تنقل من صالب الى رحم اذا مضى عالم بدا طبق

في ابياته وروى عنه صلى الله عليه وسلم ابو ذر وابن عمر وابن عباس
وابو هريرة وجابر بن عبد الله انه قال اعطيت خمسا وفي

بعضها سنا لم تعطهن نبي قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت
لي الارض مسجدا وطهورا وايما رجل ادركته الصلاة فليصل واحلت لي
الغنايم ولم تحل لنبي قبلي وبعثت الى الناس كافة واعطيت الشفاعة
وفي رواية بدل هذه الكلمة وقيل لي سل تعطه وفي رواية اخرى وعرض
على امتي فلم يخف على التابع من المتبوع وفي رواية بعثت الى الاحمر والاسود
قيل السود العرب لان الغالب على الوانهم الادمة فهم من السود
والحمر العجم وقيل البيض والسود من الامم وقيل الحمر الانس والسود
الجن وفي الحديث الاخر عن ابي هريرة نصرت بالرعب واوتيت جوامع
الكلم وبينا انا نايم اذ جي بمفاتيح خزاين الارض فوضعت في يدي وفي رواية
عنه ختم بي النبيون وعن عقبة بن عامر انه قال عليه السلام اني فرط لكم
وانا شهيد عليكم واني والله لانظر الى حوضي الان واني قد اعطيت مفاتيح
خزاين الارض واني والله ما اخاف عليكم ان تشركوا بعدي ولكني اخاف
عليكم ان تنافسوا فيها وعن عبد الله بن عمرو ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال انا محمد النبي الامي ولا نبي بعدي اوتيت جوامع الكلم وخواتمه
وعلمت خزنة النار وحملة العرش وعن ابن عمر بعثت بين يدي الساعة
ومن رواية ابن وهب انه عليه السلام قال قال الله تعالى
سل يا محمد قال ما اسال يا رب اتخذت ابراهيم خليلا وكلمت موسى
تكليما واصطفيت نوحا واعطيت سليمان ملكا لا ينبغي لاحد من بعده
فقال الله ما اعطيتك خير من ذلك اعطيتك نهر الكوثر

وجعلت اسمك مع اسمي ينادى به في جوف السما وجعلت الارض طهورا
لك ولامتك وغفرت لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر فانت تمشي في
الناس مغفورا لك ولم اصنع ذلك لاحد قبلك وجعلت قلوب امتك
مصاحفها وخبات لك شفاعتك ولم اخبها لنبي غيرك وفي حديث
اخر رواه حذيفة بشرني يعني ربه اول من يدخل الجنة معي من امتي سبعون
الفا مع كل الف سبعون الفا ليس عليهم حساب واعطاني ان لا تجوع
امتي ولا تغلب واعطاني النصر والعزة والرعب يسعى بين يدي امتي شهرا
وطيب لي ولامتي المغانم واحل لنا كثيرا مما شدد على من قبلنا ولم يجعل
علينا في الدين من حرج وعن ابي هريرة عنه عليه السلام ما من نبي من الانبيا
الا وقد اعطي من الايات ما مثله امن عليه البشر وانما كان الذي اوتيت
وحيا اوحى الله الي فارجو ان اكون اكثرهم تابعا يوم القيمة معنى هذا عند
المحققين بقا معجزته ما بقيت الدنيا وساير معجزات الانبيا ذهبت
للحين ولم يشاهدها الا الحاضر لها ومعجز القران يقف عليها قرن بعد قرن
عيانا لا خبرا الى يوم القيمة وفيه كلام يطول هذا نخبته وقد بسطنا
القول فيه وفيما ذكر فيه سوى هذا اخر باب المعجزات وعن علي رضي الله
عنه كل نبي اعطي سبعة نجبا من امته واعطي نبيكم صلى الله عليه وسلم
اربعة عشر نجيبا منهم ابو بكر وعمر وابن مسعود وعمار وقال
صلى الله عليه وسلم ان الله قد حبس عن مكة الفيل وسلط عليها رسوله
والمومنين وانها لم تحل لاحد من بعدي وانما احلت لي ساعة من نهار

وعن العرباض بن سارية سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اني عبد
الله وخاتم النبيين وان ادم لمنجدل في طينته وعدة ابي ابرهيم وبشارة عيسى بن
مريم وعن ابن عباس قال ان الله فضل محمدا صلى الله عليه وسلم على اهل
السماء وعلى الانبياء صلوات الله عليهم قالوا فما فضله على اهل السماء قال
ان الله قال لاهل السماء ومن يقل منهم اني اله من دونه الاية وقال لمحمد انا فتحنا
لك فتحا مبينا الاية قالوا فما فضله على الانبياء قال ان الله قال وما ارسلنا من
رسول الا بلسان قومه الاية وقال لمحمد وما ارسلناك الا كافة للناس
وعن خالد بن معدان ان نفرا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا يا
رسول الله اخبرنا عن نفسك وقد روي نحوه عن ابي ذر وشداد بن اوس
وانس بن مالك فقال نعم انا دعوة ابي ابرهيم يعني قوله ربنا وابعث
فيهم رسولا منهم وبشرى عيسى ورأت امي حين حملت بي انه خرج منها نور
اضاء له قصور بصرى من ارض الشام واسترضعت في بني سعد بن بكر فبينا انا
مع اخ لي خلف بيوتنا نرعى بهما لنا اذ جاءني رجلان عليهما ثياب بيض وفي حديث
اخر ثلاثة رجال بطست من ذهب مملوءة ثلجا فاخذاني فشقا بطني قال
في غير هذا الحديث من نحري الى مراق بطني ثم استخرجا منه قلبي فشقاه فاستخرجا
منه علقة سوداء فطرحاها ثم غسلا بطني وقلبي بذلك الثلج حتى انقياه
قال في حديث اخر ثم تناول احدهما شيئا فاذا بخاتم في يده
من نور يحار الناظر دونه فختم به قلبي فامتلأ ايمانا وحكمة ثم اعاده مكانه
وامر الاخر يده على مفرق صدري فالتأم وفي رواية ان جبريل قال قلب وكيع اي

شديد فيه عينان تبصران واذنان سميعتان ثم قال احدهما لصاحبه
زنه بعشرة من امته فوزنني فرجحتهم ثم قال زنه بمائة من امته
فوزنني بهم فوزنتهم ثم قال زنه بالف من امته فوزنني بهم فوزنتهم ثم قال
دعه عنك فلو وزنته بامته لوزنها قال في الحديث الاخر وضموني الى صدورهم
وقبلوا راسي وما بين عيني ثم قالوا يا حبيب لم ترع انك لو تدري ما يراد بك
من الخير لقرت عيناك وفي بقية هذا الحديث من قولهم ما اكرمك على الله ان
الله معك وملائكته قال في حديث ابي ذر فما هو الا ان وليا عني فكانما ارى
الامر معاينة وحكى ابو محمد مكي وابو الليث السمرقندي وغيرهما
ان ادم عند معصيته قال اللهم بحق محمد اغفر لي خطيئتي ويروى تقبل
توبتي فقال له الله من اين عرفت محمدا قال رايت في كل موضع من الجنة مكتوب
لا اله الا الله محمد رسول الله ويروى محمد عبدي ورسولي فعرفت انه اكرم
خلقك عليك فتاب الله عليه وغفر له وهذا عند قائله تاويل قوله تعالى
فتلقى ادم من ربه كلمات وفي رواية الاخرى فقال ادم لما خلقتني رفعت
راسي الى عرشك فاذا فيه مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله فعلمت انه
ليس احد اعظم قدرا عندك ممن جعلت اسمه مع اسمك فاوحى الله اليه
وعزتي وجلالي انه لاخر النبيين من ذريتك ولولاه ما خلقتك قال
وكان ادم يكنى بابي محمد وقيل بابي البشر وروى عن سريج بن يونس انه قال
ان لله ملائكة سياحين عبادتها كل دار فيها احمد او محمد اكراما منهم لمحمد صلى
الله عليه وسلم وروى ابن قانع القاضي عن ابي الحمراء قال قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اسري به الى السماء اذا على العرش
مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله ايدته بعلي وفي التفسير عن ابن عباس
في قوله تعالى وكان تحته كنز لهما قال لوح من ذهب فيه مكتوب
عجبت لمن ايقن بالقدر كيف ينصب عجبا لمن ايقن بالنار كيف يضحك عجبا لمن
راى الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها انا الله لا اله الا انا محمد عبدي
ورسولي وعن ابن عباس على باب الجنة مكتوب اني انا الله لا اله الا انا محمد
رسول الله لا اعذب من قالها وذكر انه وجد على الحجارة القديمة مكتوب
محمد تقي مصلح وسيد امين وذكر السمنطاري انه شاهد في بعض بلاد خراسان
مولودا على احد جنبيه مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله وروي
عن جعفر بن محمد عن ابيه اذا كان يوم القيامة نادى مناد الا ليقم من اسمه محمد
فليدخل الجنة لكرامة اسمه عليه السلم وروى ابن القاسم في سماعه وابن
وهب في جامعه عن مالك سمعت اهل مكة يقولون ما من بيت فيه اسم محمد
الا نما ورزقوا وعنه عليه السلام ما ضر احدكم ان يكون في بيته محمد
ومحمدان وثلاثة وعن عبد الله بن مسعود ان الله نظر الى قلوب العباد فاختار
منها قلب محمد عليه السلام فاصطفاه لنفسه فبعثه برسالته وحكى
النقاش ان النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت وما كان لكم ان تؤذوا رسول
الله ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا الاية قام خطيبا فقال يا معشر
اهل الايمان ان الله فضلني عليكم تفضيلا وفضل نسائي على نسائكم
تفضيلا **فصل** في تفضيله بما تضمنته كرامة الاسراء من المناجاة

والرؤية وامامة الانبيا والعروج به الى سدرة المنتهى وما راى من ايات
ربه الكبرى **ومن خصائصه عليه السلام قصة الاسرا**
وما انطوت عليه من درجات الرفعة مما نبه عليه الكتاب العزيز وشرحه
صحاح الاخبار قال الله تعالى سبحان الذي اسرى بعبده
ليلا من المسجد الحرام الاية وقال والنجم اذا هوى الى قوله لقد راى
من ايات ربه الكبرى ولا خلاف بين المسلمين في صحة الاسرا به عليه
السلام اذ هو نص القران وجاءت بتفصيله وشرح عجائبه وخواص نبينا
محمد عليه السلام فيه احاديث كثيرة منتشرة راينا ان نقدم اكملها ونشير
الى زيادة من غيره يجب ذكرها حدثنا القاضي الشهيد ابو علي
والفقيه ابو بحر بسماعي عليهما والقاضي ابو عبد الله التميمي وغير واحد من
شيوخنا قالوا حدثنا ابو العباس العذري حدثنا ابو العباس الرازي حدثنا
ابو احمد الجلودي حدثنا ابن سفيان حدثنا مسلم بن الحجاج حدثنا شيبان
بن فروخ حدثنا حماد بن سلمة حدثنا ثابت البناني عن انس بن مالك ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال اتيت بالبراق وهو دابة ابيض طويل فوق الحمار
ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه قال فركبته حتى اتيت بيت المقدس
فربطته بالحلقة التي يربط بها الانبيا ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم
خرجت فجاءني جبريل باناء من خمر واناء من لبن فاخترت اللبن فقال
جبريل اخترت الفطرة ثم عرج بنا الى السماء فاستفتح جبريل فقيل من انت
فقال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث

اليه ففتح لنا فاذا انا بادم صلى الله عليه وسلم فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج
بنا الى السماء الثانية فاستفتح جبريل فقيل من انت قال جبريل قيل ومن معك
قال محمد قيل وقد بعث اليه قال وقد بعث اليه ففتح لنا فاذا
انا بابني الخالة عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا صلى الله عليهما وسلم فرحبا بي ودعوا
لي بخير ثم عرج بنا الى السماء الثالثة فذكر مثل الاول ففتح لنا فاذا انا بيوسف
صلى الله عليه وسلم واذا هو قد اعطي شطر الحسن فرحب بي ودعا لي بخير ثم
عرج بنا الى السماء الرابعة وذكر مثله فاذا انا بادريس فرحب بي ودعا لي
بخير قال الله ورفعناه مكانا عليا ثم عرج بنا الى السماء الخامسة فذكر مثله فاذا
انا بهرون فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء السادسة فذكر مثله
فاذا انا بموسى فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء السابعة فذكر مثله
فاذا انا بابرهيم مسندا ظهره الى البيت المعمور واذا هو يدخله كل يوم
سبعون الف ملك لا يعودون اليه ثم ذهب بي الى سدرة المنتهى واذا
ورقها كاذان الفيلة واذا ثمرها كالقلال قال فلما غشيها
من امر الله ما غشي تغيرت فما احد من خلق الله يستطيع ان ينعتها من حسنها
فاوحى الله الي ما اوحى ففرض علي خمسين صلاة في كل يوم وليلة فنزلت
الى موسى فقال ما فرض ربك على امتك قلت خمسين صلاة قال ارجع الى
ربك فاسله التخفيف فان امتك لا يطيقون ذلك فاني قد بلوت بني اسرائيل
وخبرتهم قال فرجعت الى ربي فقلت يا رب خفف على
امتي فحط عني خمسا فرجعت الى موسى فقلت حط عني خمسا قال ان امتك

لا يطيقون ذلك فارجع الى ربك فاسله التخفيف قال فلم ازل ارجع بين
يدي ربي تعالى وبين موسى حتى قال يا محمد انهن خمس صلوات كل يوم وليلة
لكل صلاة عشر فتلك خمسون صلاة من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له
حسنة فان عملها كتبت له عشرا ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئا فان
عملها كتبت سيئة واحدة قال فنزلت حتى انتهيت الى موسى
فاخبرته فقال ارجع الى ربك فاسله التخفيف فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال قد رجعت الى ربي حتى استحييت منه قال القاضي رضي
الله عنه جود ثابت رحمه الله هذا الحديث عن انس ما شاء ولم يات عنه
باصوب من هذا وقد خلط فيه غيره عن انس تخليطا كثيرا لا سيما من رواية
شريك ابن ابي نمر فقد ذكر في اوله مجي الملك له وشق بطنه وغسله بماء
زمزم وهذا انما كان وهو صبي وقبل الوحي وقد قال شريك في حديثه وذلك
قبل ان يوحى اليه وذكر قصة الاسرا ولا خلاف انها كانت بعد الوحي
وقد قال غير واحد انها كانت قبل الهجرة بسنة وقيل قبل هذا وقد
روى ثابت عن انس من رواية حماد بن سلمة ايضا مجي جبريل الى النبي صلى الله
عليه وسلم وهو يلعب مع الصبيان عند ظئره وشقه قلبه تلك القصة
مفردة من حديث الاسرا كما رواه الناس فجود في القصتين وفي ان
الاسرا الى بيت المقدس والى سدرة المنتهى كانت قصة واحدة وانه وصل
الى بيت المقدس ثم عرج من هناك فازاح كل اشكال اوهمه غيره وقد
روى يونس عن ابن شهاب عن انس قال كان ابو ذر يحدث ان رسول الله

صلى الله عليه وسلم قال ففرج صدري ثم غسله من ماء زمزم
ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وايمانا فافرغها في صدري ثم اطبقه
ثم اخذ بيدي ثم عرج بنا الى السماء فذكر القصة وروى قتادة الحديث
بمثله عن انس عن مالك بن صعصعة وفيها تقديم وتاخير وزيادة ونقص
وخلاف في ترتيب الانبياء في السموات وحديث ثانيا عن انس اتقن واجود
وقد وقعت في حديث الاسراء زيادات نذكر منها نكتا مفيدة في غرضنا
منها في حديث ابن شهاب وفيه قول كل نبي له مرحبا بالنبي الصالح
والاخ الصالح الا ادم وابرهيم فقالا له والابن الصالح وفيه من طريق
ابن عباس ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوى اسمع فيه صريف الاقلام وعن انس
ثم انطلق بي حتى اتيت سدرة المنتهى فغشيها الوان لا ادري ما هي قال ثم
ادخلت الجنة وفي حديث مالك بن صعصعة فلما جاوزته يعني موسى بكى
فنودي ما يبكيك قال رب هذا غلام بعثته بعدي يدخل من امته الجنة
اكثر مما يدخل من امتي وفي حديث ابي هريرة وقد رايتني في جماعة من الانبياء
فحانت الصلاة فاممتهم فقال قائل يا محمد هذا مالك خازن النار فسلم
عليه فالتفت فبدأني بالسلام وفي حديث ابي هريرة ثم سار حتى اتى بيت المقدس
فنزل فربط فرسه الى صخرة فصلى مع الملائكة فلما قضيت الصلوة قالوا
يا جبريل من هذا معك قال هذا محمد رسول الله خاتم النبيين قالوا وقد
ارسل اليه قال نعم قالوا حياه الله من اخ وخليفة فنعم الاخ ونعم
الخليفة ثم لقوا ارواح الانبياء فاثنوا على ربهم وذكر كلام كل واحد

منهم وهم ابرهيم وموسى وعيسى وداود وسليمن ثم ذكر كلام النبي صلى
الله عليه وسلم فقال وان محمدا صلى الله عليه وسلم اثنى على ربه
وانا اثني على ربي الحمد لله ارسلني رحمة للعالمين وكافة للناس بشيرا
ونذيرا وانزل علي القران فيه تبيان لكل شيء وجعل امتي خير امة وجعل
امتي امة وسطا وجعل امتي هم الاولون وهم الاخرون وشرح لي صدري
ووضع عني وزري وروى ورفع لي ذكري وجعلني فاتحا وخاتما فقال
ابرهيم لهذا فضلكم محمد ثم ذكر عرج بي الى السماء الدنيا ومن سماء الى سماء
نحو ما تقدم وفي حديث ابن مسعود فانتهى الى سدرة المنتهى وهي في
السماء السادسة اليها ينتهي ما يعرج به من الارض فيقبض منها قال
اذ يغشى السدرة ما يغشى قال فراش من ذهب وفي رواية ابي هريرة من طريق
الربيع بن انس فقيل لي هذه السدرة المنتهى ينتهي اليها كل احد من امتك
خلا على سبيلك وهي السدرة المنتهى يخرج من اصلها انهار من ماء غير
اسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه وانهار من خمر لذة للشاربين وانهار من
عسل مصفى وهي شجرة يسير الراكب في ظلها سبعين عاما وان ورقة منها
مظلة الخلق فغشيها نور وغشيتها الملائكة قال فهو قوله اذ
يغشى السدرة ما يغشى فقال تبارك وتعالى له سل فقال انك اتخذت
ابرهيم خليلا واعطيته ملكا عظيما وكلمت موسى تكليما واعطيت
داود ملكا عظيما والنت له الحديد وسخرت له الجبال واعطيت سليمان
ملكا عظيما سخرت له الجن والانس والشياطين والرياح واعطيته ملكا

لا ينبغي لاحد من بعده وعلمت عيسى التوراه والانجيل وجعلته يبرئ
الاكمه والابرص واعذته وامه من الشيطان الرجيم فلم يكن له عليهما
سبيل فقال له ربه تعالى قد اتخذتك حبيبا فهو مكتوب في التوراه
محمد حبيب الرحمن وارسلناك الى الناس كافه وجعلت امتك هم
الاولون وهم الاخرون وجعلت امتك لا تجوز لهم خطبه حتى
يشهدوا انك عبدي ورسولي وجعلتك اول النبيين خلقا واخرهم
بعثا واعطيتك سبعا من المثاني ولم اعطها نبيا قبلك واعطيتك خواتيم
سوره البقره من كنز تحت عرشي لم اعطها نبيا قبلك وجعلتك فاتحا وخاتما
وفي الروايه الاخرى قال فاعطي رسول الله صلى الله عليه
وسلم ثلاثا اعطي الصلوات الخمس واعطي خواتيم سوره البقره وغفر
لمن لا يشرك بالله شيئا من امته المقحمات وقال ما كذب الفواد ما راى الايتين
راى جبريل في صورته له ستمايه جناح وفي حديث شريك انه راى موسى في
السابعه قال بتفضيل كلام الله قال ثم علا به فوق ذلك بما لا يعلمه الا الله
فقال موسى لم اظن ان يرفع علي احد وقد روي عن انس انه صلى الله عليه
وسلم صلى بالانبيا ببيت المقدس وعن انس قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم بينا انا قاعد ذات يوم اذ دخل جبريل عليه السلم فوكز بين كتفي فقمت
الى شجره فيها مثل وكري الطاير فقعد في احدهما وقعدت في الاخرى فسمت
حتى سدت الخافقين ولو شيت لمسست السما وانا اقلب طرفي ونظرت
جبريل كانه حلس لاطيا فعرفت فضل علمه بالله علي وفتح لي باب السما

ورايت النور الاعظم واذا دوني الحجاب وفرجه الدر والياقوت ثم
اوحى الي ما شا ان يوحي وذكر البزار عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه لما
اراد الله تعالى يعلم رسوله الاذان جاء جبريل بدابه يقال لها البراق
فذهب يركبها فاستصعبت عليه فقال له جبريل اسكني فوالله ما
ركبك عبد اكرم على الله من محمد صلى الله عليه وسلم فركبها حتى اتى بها الى
الحجاب الذي يلي الرحمن تعالى فبينا هو كذلك اذ خرج ملك من الحجاب فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جبريل من هذا قال والذي بعثك بالحق
اني لاقرب الخلق مكانا وان هذا الملك ما رايته منذ خلقت قبل ساعتي
هذه فقال له الملك الله اكبر الله اكبر فقيل له من وراء الحجاب
صدق عبدي انا اكبر انا اكبر ثم قال الملك اشهد ان لا اله الا الله فقيل
من وراء الحجاب صدق عبدي انا لا اله الا انا وذكر مثل هذا في بقية الاذان
الا انه لم يذكر جوابا عن قوله حي على الصلاه حي على الفلاح وقال
ثم اخذ الملك بيد محمد فقدمه فام اهل السما فيهم ادم ونوح قال
ابو جعفر محمد بن علي بن الحسين راويه اكمل الله لمحمد صلى الله عليه وسلم
الشرف على اهل السموات والارض قال القاضي رضي الله عنه ما في
هذا الحديث من ذكر الحجاب فهو في حق المخلوق لا في حق الخالق فهم
المحجوبون والباري جل اسمه منزه عن ما يحجبه اذ الحجب انما تحيط بمقدر
محسوس ولكن حجبه على ابصار خلقه وبصايرهم وادراكاتهم بما شا وكيف
شا ومتى شا كقوله كلا انهم عن ربهم يوميذ لمحجوبون فقوله في هذا الحديث

الحجاب واذ خرج ملك من الحجاب يجب ان يقال انه حجاب حجب به من
وراه من ملايكته على الاطلاع على ما دونه من سلطانه وعظمته وعجايب
ملكوته وجبروته ويدل عليه من الحديث قول جبريل عن الملك الذي خرج
من وراه ان هذا الملك ما رايته منذ خلقت قبل ساعتي هذه فدل ان
هذا الحجاب لم يختص بالذات ويدل عليه قول كعب في تفسير سدرة
المنتهى قال انها ينتهي علم الملايكة وعندها يجدون امر الله لا يجاوزها
علمهم واما قوله الذي يلي الرحمن فيحمل على حذف المضاف اي يلي عرش الرحمن
او امر ما من عظيم اياته او مبادي حقايق معارفه مما هو اعلم به كما قال
تعالى واسال القرية اي اهلها وقوله فقيل من وراء الحجاب صدق انا اكبر
فظاهره انه سمع في هذا الموطن كلام الله ولكن من وراء حجاب كما قال
وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب اي وهو لا يراه حجب
بصره عن رويته فان صح القول بان محمدا صلى الله عليه وسلم راى ربه فيحتمل
انه في غير هذا الموطن بعد هذا او قبله رفع الحجاب عن بصره حتى راه والله اعلم

فصل ثم اختلف السلف والعلما هل كان اسرا بروحه او جسده
على ثلاث مقالات فذهبت طايفة الى انه اسرا بالروح وانه
رويا منام مع اتفاقهم ان رويا الانبيا حق ووحي والى هذا ذهب معوية
وحكي عن الحسن والمشهور عنه خلافه واليه اشار محمد بن اسحاق
وحجتهم قوله تعالى وما جعلنا الرويا التي اريناك وما حكوا عن عايشة
ما فقدت جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله بينا انا نايم وقول

انس وهو نايم في المسجد الحرام وذكر القصة ثم قال في اخرها فاستيقظت
وانا بالمسجد الحرام وذهب معظم السلف والمسلمين الى انه اسرا بالجسد
وفي اليقظة وهذا هو الحق وهذا قول ابن عباس وجابر وانس وحذيفة
وعمر وابي هريرة ومالك بن صعصعة وابي حبة البدري وابن مسعود
والضحاك وسعيد بن جبير وقتادة وابن المسيب وابن شهاب وابن زيد
والحسن وابراهيم ومسروق ومجاهد وعكرمة وابن جريج وهو دليل قول
عايشة وهو قول الطبري وابن حنبل وجماعة عظيمة من المسلمين وهو
قول اكثر المتاخرين من الفقها والمحدثين والمتكلمين والمفسرين
وقالت طايفة كان الاسرا بالجسد يقظة الى بيت المقدس والى
السما بالروح واحتجوا بقوله سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام
الى المسجد الاقصى فجعل الى المسجد الاقصى غاية الاسرا الذي وقع التعجب
فيه بعظيم القدرة والتمدح بتشريف النبي محمد به واظهار الكرامة له بالاسرا
اليه قال هولاء ولو كان الاسرا بجسده الى زايد على المسجد الاقصى لذكره
فيكون ابلغ في المدح ثم اختلفت هذه الفرقتان هل صلى ببيت المقدس ام لا
ففي حديث انس وغيره ما تقدم من صلاته فيه وانكر ذلك حذيفة بن
اليمان وقال والله ما زالا عن ظهر البراق حتى رجعا قال
القاضي رضي الله عنه والحق من هذا والصحيح ان شا الله انه اسرا بالجسد
والروح في القصة كلها وعليه تدل الاية وصحيح الاخبار والاعتبار ولا
يعدل عن الظاهر والحقيقة الى التاويل الا عند الاستحالة وليس

في الاسراء بجسده وحال يقظته استحالة اذ لو كان مناما لقال بروح عبده
ولم يقل بعبده وقوله ما زاغ البصر وما طغى ولو كان مناما لما كان فيه
اية ولا معجزة ولما استبعده الكفار ولا كذبوه فيه ولا ارتد به ضعفا من
اسلم وافتتنوا به اذ مثل هذا من المنامات لا ينكر بل لم يكن ذلك منهم
الا وقد علموا ان خبره انما كان عن جسمه وحال يقظته الى ما ذكر في الحديث
من ذكر صلاته بالانبياء ببيت المقدس في رواية انس او في السما على ما روى
غيره وذكر مجي جبريل له بالبراق وخبر المعراج واستفتاح السما فيقال ومن
معك فيقول محمد ولقايه الانبياء فيها وخبرهم معه وترحيبهم
به وشانه في فرض الصلاة ومراجعته مع موسى في ذلك وفي بعض هذه
الاخبار واخذ يعني جبريل بيدي فعرج بي الى السما الى قوله ثم عرج بي حتى
ظهرت بمستوى اسمع فيه صريف الاقلام وانه وصل الى سدرة المنتهى
وانه دخل الجنة وراى ما فيها مما ذكره قال ابن عباس هي رؤيا عين راها
النبي صلى الله عليه وسلم لا رؤيا منام وعن الحسن فيه بينا انا جالس في
الحجر جاني جبريل فهمزني بعقبه فقمت فجلست فلم ار شيا فعدت
لمضجعي ذكر ذلك ثلاثا فقال في الثالثة فاخذ بعضدي فجرني الى باب المسجد
فاذا انا بدابة وذكر خبر البراق وعن ام هاني ما اسري برسول الله صلى الله
عليه وسلم الا وهو في بيتي تلك الليلة صلى العشا الاخرة ونام بيننا فلما
كان قبل الفجر اهبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما صلى الصبح وصلينا
قال يا ام هاني لقد صليت معكم العشا الاخرة كما رايت بهذا

الوادي ثم جيت بيت المقدس فصليت فيه ثم صليت الغداة معكم
كما ترون وهذا بين في انه بجسمه وعن ابي بكر من رواية شداد بن اوس عنه
انه قال للنبي صلى الله عليه وسلم ليلة اسري به طلبتك يا رسول الله صلى
الله عليه وسلم البارحة في مكانك فلم اجدك فاجابه ان جبريل حمله
الى المسجد الاقصى وعن عمر قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم صليت ليلة اسري بي في مقدم المسجد ثم دخلت الصخرة فاذا
بملك قايم معه انية ثلاث وذكر الحديث وهذه التصريحات ظاهرة غير
مستحيلة فتحمل على ظاهرها وروى عن ابي ذر عنه صلى الله عليه وسلم
فرج سقف بيتي وانا بمكة فنزل جبريل فشرح صدري وعن ابي هريرة
لقد رايتني في الحجر وقريش تسالني عن مسراي فسالتني عن اشيا لم اثبتها فكربت
كربا ما كربت مثله قط فرفعه الله لي انظر اليه ونحوه عن جابر وقد روى عمر بن
الخطاب في حديث الاسراء عنه عليه السلام انه قال ثم رجعت الى
خديجة وما تحولت عن جانبها **فصل** في ابطال حجج من قال انها نوم
احتجوا بقوله تعالى وما جعلنا الرؤيا فسماها رؤيا قلنا قوله سبحان الذي
اسرى يرده لانه لا يقال في النوم اسرى وقوله فتنة للناس يريد انها رؤيا
عين واسرا بشخص اذ ليس في الحلم فتنة للناس ولا يكذب به احد لان كل
احد يرى مثل ذلك في منامه من الكون في ساعة واحدة في اقطار متباينة
على ان المفسرين قد اختلفوا في هذه الاية فذهب بعضهم الى انها نزلت
في قضية الحديبية وما وقع في نفوس الناس من ذلك وقيل من غير هذا

واما قولهم انه قد سماها في الحديث مناما وقوله في حديث اخر بين
النائم واليقظان وقوله ايضا وهو نائم وقوله ثم استيقظت فلا حجة
فيه اذ يحتمل ان وصول الملك اليه كان وهو نائم او اول حمله والاسرا
به وهو نائم وليس في الحديث انه كان نائما في القصة كلها الا ما يدل
عليه ثم استيقظت وانا في المسجد الحرام فلعل قوله استيقظت بمعنى
اصبحت واستيقظ من نوم اخر بعد وصوله بيته ويدل عليه ان
مسراه لم يكن طول ليله وانما كان في بعضه وقد يكون قوله استيقظت
وانا في المسجد الحرام لما كان غمره من عجايب ما طالع من ملكوت السموات
والارض وخامر باطنه من مشاهدة الملا الاعلى وما راى من ايات ربه
الكبرى فلم يستفق ويرجع الى حال البشرية الا وهو بالمسجد الحرام
ووجه ثالث ان يكون نومه واستيقاظه حقيقة على مقتضى الفاظه
ولكنه اسرى بجسده وقلبه حاضر ورويا الانبيا حق تنام اعينهم
ولا تنام قلوبهم وقد مال بعض اصحاب الاشارات الى نحو من
هذا قال تغميض عينيه لئلا تشغله شي من المحسوسات عن الله ولا يصح
هذا ان يكون في وقت صلاته بالانبيا ولعله كانت له في هذه
الاسرا حالات ووجه رابع وهو ان يعبر بالنوم هاهنا عن هيئة النائم
من الاضطجاع ويقويه قوله في رواية عبد بن حميد عن همام بينا انا نائم
وربما قال مضطجع وقوله في الرواية الاخرى بين النائم واليقظان فيكون
سماهيئته بالنوم لما كانت هيئة النائم غالبا وذهب بعضهم الى

هذه الزيادات من النوم وذكر شق البطن ودنو الرب الواقعة في
هذا الحديث انما هي من رواية شريك عن انس فهي منكرة من روايته اذ
شق البطن في الاحاديث الصحيحة انما كان في صغره عليه السلام وقبل
النبوة ولانه قال في الحديث قبل ان يبعث والاسرا باجماع كان بعد
المبعث فهذا كله يوهن ما وقع في رواية انس مع ان انسا قد بين من غير
طريق انه انما رواه عن غيره وانه لم يسمعه من النبي صلى الله عليه وسلم
فقال مرة عن مالك بن صعصعة وفي كتاب مسلم لعله عن مالك بن صعصعة
على الشك وقال مرة كان ابو ذر يحدث واما قول عايشة
ما فقدت جسده فعايشة لم تحدث به عن مشاهدة لانها لم تكن حينيذ
زوجه ولا في سن من يضبط ولعلها لم تكن ولدت بعد على الخلاف في الاسرا
متى كان ولان الاسرا كان في اول الاسلام على قول الزهري ومن وافقه
بعد المبعث بعام ونصف وكانت عايشة في الهجرة بنت نحو ثمانية اعوام
وقيل كان الاسرا لخمس قبل الهجرة وقيل قبل الهجرة بعام والاشبه انه
لخمس والحجة لذلك تطول ليست من غرضنا فاذا لم تشاهد ذلك عايشة
دل انها حدثت بذلك عن غيرها فلم ترجح خبرها على خبر غيرها وغيرها
يقول خلافه مما وقع نصا في حديث ام هاني وغيره وايضا فليس حديث
عايشة بالثابت والاحاديث الاخر اثبت لسنا نعني ام هاني وما
ذكرت فيه خديجة وايضا فقد روي في حديث عايشة ما فقدت
ولم يدخل بها النبي صلى الله عليه وسلم الا بالمدينة وكل هذا يوهنه

بل الذي يدل عليه صحيح قولها انه بحسبه لانكارها ان يكون رؤياه
لربه رؤيا عين ولو كانت عندها مناما لم تنكره فان قيل فقد قال تعالى
ما كذب الفواد ما راى فقد جعل ما راه للقلب وهذا يدل على انها
رؤيا نوم ووحي لا مشاهدة عين وحس قلنا يقابله قوله تعالى ما زاغ البصر
وما طغى فقد اضاف الامر للبصر وقد قال اهل التفسير في
قوله ما كذب الفواد ما راى اى لم يوهم القلب العين عن الحقيقة بل
صدق رؤيتها وقيل ما انكر قلبه ما راته عينه

فصل

واما رؤيته صلى الله عليه وسلم لربه جل وعز فاختلف السلف فيها فانكرته
عايشة حدثنا ابو الحسين سراج بن عبد الملك الحافظ بقراءتي
عليه قال حدثني ابي وابو عبد الله بن عتاب الفقيه قالا حدثنا القاضي
يونس بن مغيث حدثنا ابو الفضل الصقلي حدثنا ثابت بن قاسم بن ثابت
عن ابيه وجده قالا حدثنا عبد الله بن علي حدثنا محمود بن ادم حدثنا
وكيع عن ابن ابي خالد عن عامر عن مسروق انه قال لعايشة يا ام المومنين
هل راى محمد ربه فقالت لقد قف شعري مما قلت ثلاث من حدثك بهن فقد
كذب من حدثك ان محمدا راى ربه فقد كذب ثم قرات لا تدركه
الابصار الاية وذكر الحديث وقال جماعة بقول عايشة
وهو المشهور عن ابن مسعود ومثله عن ابي هريرة انه انما راى جبريل
واختلف عنه وقال بانكار هذا وامتناع رؤيته في الدنيا جماعة من
المحدثين والفقها والمتكلمين وعن ابن عباس انه راه بعينه وروى عطا

عنه انه راه بقلبه وعن ابي العالية عنه راه بفواده مرتين وذكر ابن
اسحاق ان ابن عمر ارسل الى ابن عباس يساله هل راى محمد ربه فقال
نعم والاشهر عنه انه راى ربه بعينه وروي ذلك عنه من طرق وقال
ان الله اختص موسى بالكلام وابرهيم بالخلة ومحمدا بالرؤية وحجته قوله
ما كذب الفواد ما راى افتمارونه على ما يرى ولقد راه نزلة اخرى قال
الماوردي قيل ان الله تعالى قسم كلامه ورؤيته بين موسى ومحمد فراه
محمد مرتين وكلمه موسى مرتين وحكى ابو الفتح الرازي وابو الليث السمرقندي
الحكاية عن كعب وروى عبد الله بن الحارث قال اجتمع ابن عباس
وكعب فقال ابن عباس اما نحن بنو هاشم فنقول ان محمدا راى ربه مرتين
فكبر كعب حتى جاوبته الجبال وقال ان الله قسم رؤيته وكلامه بين محمد
وموسى فكلمه موسى وراه محمد بقلبه وروى شريك عن ابي ذر في تفسير
الاية قال راى النبي صلى الله عليه وسلم ربه وحكى السمرقندي
عن محمد بن كعب القرظي وربيع بن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم سيل
هل رايت ربك قال هل رايته بفوادي ولم اره بعيني وروى مالك بن يخامر
عن معاذ عن النبي صلى الله عليه وسلم قال رايت ربي وذكر كلمة فقال
يا محمد فيم يختصم الملا الاعلى الحديث وحكى عبد الرزاق ان الحسن كان يحلف
بالله لقد راى محمد ربه وحكاه ابو عمر الطلمنكي عن عكرمة وحكى بعض
المتكلمين هذا المذهب عن ابن مسعود وحكى ابن اسحاق ان مروان
سال ابا هريرة هل راى محمد ربه فقال نعم وحكى النقاش عن احمد بن

حنبل انه قال انما اقول بحديث ابن عباس بعينه رآه رآه
حتى انقطع نفسه يعني نفس احمد وقال ابو عمر قال احمد بن حنبل رآه بقلبه
وجبن عن القول برؤيته في الدنيا بالابصار وقال سعيد بن جبير لا
اقول رآه ولا لم يره وقد اختلف في تاويل الآية عن ابن عباس وعكرمه
والحسن وابن مسعود فحكي عن ابن عباس وعكرمة رآه بقلبه وعن الحسن
وعن ابن مسعود راى جبريل وحكى عبد الله بن احمد بن حنبل عن
ابيه انه قال رآه وعن ابن عطاء في قوله الم نشرح لك صدرك قال
شرح صدره للرؤية وشرح صدر موسى للكلام وقال ابو الحسن علي بن
اسمعيل الاشعري رضي الله عنه وجماعة من اصحابه انه راى الله ببصره وعيني
راسه وقال كل اية اوتيها نبي من الانبيا عليهم السلام فقد اوتي
مثلها نبينا وخص من بينهم بتفضيل الرؤية ووقف بعض مشايخنا في هذا
وقال ليس عليه دليل واضح ولكنه جايز ان يكون وقال القاضي ابو الفضل
رضي الله عنه والحق الذي لا امترا فيه ان رؤيته تعالى في الدنيا جايزة عقلا
وليس في العقل ما يحيلها والدليل على جوازها في الدنيا سوال موسى عليه
السلام ومحال ان يجهل نبي ما يجوز على الله وما لا يجوز عليه بل لم يسال
الا جايزا غير مستحيل ولكن وقوعه ومشاهدته من الغيب الذي لا يعلمه
الا من علمه الله فقال له الله لن تراني اي لن تطيق ولا تحتمل رويتي ثم ضرب
له مثلا لما هو اقوى من بنية موسى واثبت وهو الجبل وكل هذا ليس
فيه ما يحيل رؤيته في الدنيا بل فيه جوازها على الجملة وليس في الشرع

دليل قاطع على استحالتها ولا امتناعها اذ كل موجود فرؤيته
جايزة غير مستحيلة ولا حجة لمن استدل على منعها بقوله لا تدركه الا
لاختلاف التاويلات في الآية واذ ليس يقتضي قول من قال في الدنيا ○
استحالة وقد استدل بعضهم بهذه الآية نفسها على جواز الرؤية وعدم
استحالتها على الجملة وقد قيل لا تدركه ابصار الكفار وقيل لا تدركه
الابصار لا تحيط به وهو قول ابن عباس وقد قيل لا تدركه الابصار
وانما يدركه المبصرون وكل هذه التاويلات لا تقتضي منع الرؤية
ولا استحالتها وكذلك لا حجة لهم بقوله لن تراني الآية وقوله تبت اليك
لما قدمناه ولانها ليست على العموم ولان من قال معناها لن تراني في
الدنيا انما هو تاويل ايضا فليس فيه نص الامتناع وانما جات في حق موسى
وحيث تتطرق التاويلات وتتسلط الاحتمالات فليس للقطع اليه
سبيل وقوله تبت اليك اي من سوالي ما لم تقدره وقد قال ابو بكر
الهذلي في قوله لن تراني اي ليس لبشر ان يطيق ان ينظر الي في الدنيا
وانه من نظر الي مات وقد رايت لبعض السلف والمتاخرين ما معناه
ان رؤيته تعالى في الدنيا ممتنعة لضعف تركيب اهل الدنيا وقواهم
وكونها متغيرة عرضا للآفات والفنا فلم تكن لهم قدرة على الرؤية فاذا
كان في الآخرة وركبوا تركيبا اخر ورزقوا قوى ثابتة باقية واتم
انوار ابصارهم وقلوبهم قووا بها على الرؤية وقد رايت نحو هذا لمالك
بن انس رحمه الله قال لم ير في الدنيا لانه باق ولا يرى الباقي بالفاني فاذا

كان في الآخرة وركبوا ابصارًا باقية رأى الباقي بالباقي وهذا كلام
حسن مليح وليس فيه دليل على الاستحالة الا من حيث ضعف القدرة فاذا
قوى الله تعالى من شاء من عباده واقدره على حمل اعباء الرؤية لم يمتنع في حقه
وقد تقدم ما ذكر في قوة بصر موسى ومحمد عليه السلام ونفوذ ادراكهما
بقوة الهية منحاها لادراك ما ادركاه ورؤية ما رأياه وقد ذكر القاضي
ابو بكر في اثنا اجوبته عن الايتين ما معناه ان موسى عليه السلام رأى الله
فلذلك خر صعقًا وان الجبل رأى ربه فصار دكا لادراك خلقه الله
له واستنبط ذلك والله اعلم من قوله ولكن انظر الى الجبل فان استقر
مكانه فسوف تراني ثم قال فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا
وتجليه للجبل هو ظهوره له حتى رآه على هذا القول وقال
جعفر بن محمد شغله بالجبل حتى تجلى ولولا ذلك لمات صعقا بلا افاقة
وقوله هذا يدل على ان موسى رآه وقد وقع لبعض المفسرين في الجبل انه راه
وبرؤية الجبل له استدل من قال برؤية محمد نبينا له اذ جعله دليلا
على الجواز ولا مرية في الجواز اذ ليس في الايات نص بالمنع واما وجوبه لنبينا
والقول بانه راه بعينه فليس فيه قاطع ايضا ولا نص اذ المعول فيه
على ايتي النجم والتنازع فيهما مأثور والاحتمال لهما ممكن ولا اثر
قاطع متواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم بذلك وحديث ابن عباس خبر
عن اعتقاده لم يسنده الى النبي صلى الله عليه وسلم فيجب العمل باعتقاد
مضمنه ومثله حديث ابي ذر في تفسير الآية وحديث معاذ محتمل

للتاويل وهو مضطرب الاسناد والمتن وحديث ابي ذر الاخر محتمل
محتمل مشكل فروي نور انى اراه وحكى بعض شيوخنا انه روي نوراني
اراه وفي حديثه الآخر سالته فقال رايت نورا وليس يمكن الاحتجاج
بواحد منهما على صحة الرؤية فان كان الصحيح رايت نورا فهو قد اخبر انه
لم ير الله وانما راى نورا منعه وحجبه عن رؤية الله والى هذا يرجع قوله
نور انى اراه اي كيف اراه مع حجاب النور المغشي للبصر وهذا مثل ما في الحديث
الاخر حجابه النور وفي الحديث الاخر لم اره بعيني ولكن رايته بقلبي مرتين
وتلا ثم دنا فتدلى والله قادر على خلق الادراك الذي في البصر في القلب
او كيف شا لا اله غيره فان ورد حديث نص في الباب اعتقد ووجب
المصير اليه اذ لا استحالة فيه ولا مانع قطعي يرده والله الموفق تعالى

فصل واما ما ورد في هذه القصة من مناجاته لله وكلامه
معه بقوله تعالى فاوحى الى عبده ما اوحى الى ما تضمنته الاحاديث
فاكثر المفسرين على ان الموحي الله الى جبريل وجبريل الى محمد الا شذوذا
منهم فذكر عن جعفر بن محمد الصادق انه قال اوحى اليه
بلا واسطة ونحوه عن الواسطي والى هذا ذهب بعض المتكلمين ان محمدا
كلم ربه في الاسرا وحكي عن الاشعري وحكوه عن ابن مسعود وابن
عباس وانكره آخرون وذكر النقاش عن ابن عباس في قصة الاسراء عنه
عليه السلام في قوله دنا فتدلى قال فارقني جبريل فانقطعت الاصوات
عني فسمعت كلام ربي وهو يقول ليهدا روعك يا محمد ادن ادن

وفي حديث انس في الاسراء نحو منه وقد احتجوا في هذا بقوله تعالى
وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا
فيوحي باذنه ما يشاء فقالوا هي ثلاثة اقسام من وراء حجاب كتكليم موسى
عليه السلام وبارسال الملائكة كحال جميع الانبياء واكثر احوال
نبينا صلى الله عليه وسلم الثالث قوله وحيا ولم يبق من تقسيم صور الكلام
الا المشافهة مع المشاهدة وقد قيل الوحي هنا هو ما يلقيه في قلب
النبي دون واسطة وقد ذكر ابو بكر البزار عن علي في حديث الاسراء ما هو
اوضح في سماع النبي صلى الله عليه وسلم لكلام الله من الآية فذكر فيه فقال
الملك الله اكبر الله اكبر فقيل لي من وراء الحجاب صدق عبدي انا اكبر
انا اكبر وقال في ساير كلمات الاذان مثل ذلك ونجي الكلام
في مشكل هذين الحديثين في الفصل بعد هذا مع ما يشبهه وفي
اول فصل من الباب منه وكلام الله لمحمد ومن اختصه من انبيائه
جائز غير ممتنع عقلا ولا ورد في الشرع قاطع يمنعه فان صح في ذلك
خبر اعتمد عليه وكلامه تعالى لموسى كاين حق مقطوع به نص ذلك في
الكتاب واكده بالمصدر دلالة على الحقيقة ورفع مكانه على ما
ورد في الحديث في السماء السابعة بسبب كلامه ورفع محمدا فوق
هذا كله حتى بلغ مستوى وسمع صريف الاقلام فكيف يستحيل في حق
هذا او يبعد سماع الكلام فسبحان من خص من شاء بما شاء وجعل بعضهم
فوق بعض درجات

فصل

واما ما ورد في حديث
الاسراء وظاهر الاية من الدنو والقرب من قوله دنا فتدلى فكان
قاب قوسين او ادنى فاكثر المفسرين ان الدنو والتدلي منقسم ما بين محمد
وجبريل عليهما السلام او مختص باحدهما من الآخر او من السدرة المنتهى
قال الرازي وقال ابن عباس هو محمد دنا فتدلى من ربه وقيل
معنى دنا قرب وتدلى زاد في القرب وقيل هما بمعنى واحد اي قرب وحكى
مكي والماوردي عن ابن عباس هو الرب دنا من محمد فتدلى اليه اي امره
وحكمه وحكى النقاش عن الحسن قال دنا من عبده محمد صلى الله عليه
وسلم فتدلى فقرب منه فاراه ما شاء ان يريه من قدرته وعظمته قال
وقال ابن عباس هو مقدم ومؤخر تدلى الرفرف لمحمد صلى الله عليه
وسلم ليلة المعراج فجلس عليه ثم رفع فدنا من ربه قال فارقني جبريل وانقطعت
عني الاصوات وسمعت كلام ربي وعن انس في الصحيح عرج بي جبريل الى
سدرة المنتهى ودنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين
او ادنى فاوحى اليه بما شاء واوحى اليه خمسين صلاة وذكر حديث الاسراء
وعن محمد بن كعب هو محمد دنا محمد من ربه فكان قاب قوسين قال وقال
جعفر بن محمد اداناه ربه منه حتى كان منه كقاب قوسين وقال جعفر
محمد والدنو من الله لا حد له ومن العباد بالحدود وقال
ايضا انقطعت الكيفية عن الدنو الا ترى كيف حجب جبريل عن دنوه ودنا
محمد الى ما اودع قلبه من المعرفة والايمان فتدلى بسكون قلبه الى ما
اداناه وزال عن قلبه الشك والارتياب قال القاضي ابو الفضل رضي

الله عنه اعلم ان ما وقع في اضافة الدنو والقرب هنا من الله او الى الله
فليس بدنو مكان ولا قرب مدى بل كما ذكرنا عن جعفر الصادق ليس
بدنو حد وانما دنو النبي من ربه وقربه منه ابانة عظيم منزلته وتشريف
رتبته واشراق انوار معرفته ومشاهدة اسرار غيبه وقدرته ومن الله
تعالى له مبرة وتأنيس وبسط واكرام ويتأول فيه ما يتأول في قوله
ينزل ربنا الى سماء الدنيا على احد الوجوه نزول افضال واجمال وقبول
واحسان قال الواسطي من توهم انه بنفسه دنا جعل ثم
مسافة بل كل ما دنا بنفسه من الحق تدلى بعدا يعني عن درك حقيقته
اذ لا دنو للحق ولا بعد وقوله قاب قوسين او ادنى فمن جعل الضمير عائدا
الى الله لا الى جبريل على هذا كان عبارة عن نهاية القرب ولطف المحل وايضاح
المعرفة والاشراف على الحقيقة من محمد صلى الله عليه وسلم وعبارة عن
اجابة الرغبة وقضاء المطالب واظهار التحفي وانافة المنزلة والمرتبة
من الله له ويتأول فيه ما يتأول في قوله من تقرب مني شبرا تقربت منه
ذراعا ومن اتاني يمشي اتيته هرولة قرب بالاجابة والقبول واتيان
بالاحسان وتعجيل المأمول **فصل** في ذكر تفضيله في القيامة
بخصوص الكرامة حدثنا القاضي ابو علي حدثنا ابو الفضل
وابو الحسين حدثنا ابو يعلى حدثنا السنجي حدثنا ابن محبوب حدثنا
الترمذي حدثنا الحسين بن يزيد الكوفي حدثنا عبد السلام بن حرب عن
ليث عن الربيع بن انس عن انس قال قال رسول الله صلى

الله عليه وسلم انا اول الناس خروجا اذا بعثوا وانا خطيبهم اذا وفدوا
وانا مبشرهم اذا ايسوا لواء الحمد بيدي وانا اكرم ولد ادم على ربي
ولا فخر وفي رواية ابن زحر عن الربيع بن انس في لفظ هذا الحديث انا اول
الناس خروجا اذا بعثوا وانا قائدهم اذا وفدوا وانا خطيبهم اذا انصتوا
وانا شفيعهم اذا حبسوا وانا مبشرهم اذا ابلسوا لواء الكرم بيدي وانا اكرم
ولد ادم على ربي ولا فخر ويطوف علي الف خادم كانهم لؤلؤ مكنون
وعن ابي هريرة واكسى حلة من حلل الجنة ثم اقوم عن يمين العرش ليس احد من
الخلائق يقوم ذلك المقام غيري وعن ابي سعيد قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد ادم يوم القيامة وبيدي لواء الحمد ولا
فخر وما من نبي يومئذ ادم فمن سواه الا تحت لوائي وانا اول من تنشق
عنه الارض ولا فخر وعن ابي هريرة عنه صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد
ادم يوم القيامة واول من تنشق عنه القبر واول شافع واول مشفع
وعن ابن عباس انا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر واول شافع واول
مشفع ولا فخر وانا اول من يحرك حلق الجنة فيفتح لي فيدخلنيها ومعي فقراء
المؤمنين ولا فخر وانا اكرم الاولين والاخرين ولا فخر وعن انس انا
اول الناس يشفع في الجنة وانا اكثر الناس تبعا وعن انس قال قال
النبي صلى الله عليه وسلم انا سيد الناس يوم القيامة وتدرون لم ذلك
يجمع الله الاولين والاخرين وذكر حديث الشفاعة وعن ابي هريرة انه عليه
السلام قال اطمع ان اكون اعظم الانبياء اجرا يوم القيامة وفي حديث

أخرا ما ترضون أن يكون ابرهيم وعيسى فيكم يوم القيمه ثم قال
انهما في امتي يوم القيمه اما ابرهيم فيقول انت دعوتي وذريتي
فاجعلني من امتك واما عيسى والانبيا اخوة اولاد علات امهاتهم شتى
وان عيسى اخي ليس بيني وبينه نبي وانا اولى الناس به قوله عليه السلام
انا سيد الناس يوم القيامه هو سيدهم في الدنيا ويوم القيمه
ولكن اشار عليه السلام لانفراده فيه بالسودد والشفاعه دون غيره
اذ لجا الناس اليه في ذلك فلم يجدوا سواه والسيد هو الذي يلجا
الناس اليه في حوايجهم فكان حينيذ سيدا منفردا من بين البشر لم
يزاحمه احد في ذلك ولا ادعاه كما قال تعالى لمن الملك اليوم
لله الواحد القهار والملك له تعالى في الدنيا والاخره لكن في الاخره
انقطعت دعوى المدعين لذلك في الدنيا وكذلك لجا الى محمد جميع الناس
في الشفاعه فكان سيدهم في الاخرى دون دعوى وعن انس قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتي باب الجنه يوم القيمه واستفتح فيقول
الخازن من انت فاقول محمد فيقول بك امرت لا افتح لاحد قبلك
وعن عبد الله بن عمرو قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حوضي مسيرة
شهر وزواياه سوا وماوه ابيض من الورق وريحه اطيب من المسك
كيزانه كنجوم السما من شرب منه لم يظما ابدا وعن ابي ذر نحوه وقال
طوله ما بين عمان الى ايله يثعب فيه ميزابان من الجنه وعن ثوبان مثله
وقال احدهما من ذهب والاخر من ورق وفي روايه حارثه بن

وهب كما بين المدينه وصنعا وقال انس ايله وصنعا وقال
ابن عمر كما بين الكوفه والحجر الاسود وروى حديث الحوض ايضا انس
وجابر بن سمرة وابن عمر وعقبه بن عامر وحارثه بن وهب الخزاعي والمستورد
وابو برزه الاسلمي وحذيفه بن اليمان وابو امامه وزيد بن ارقم وابن
مسعود وعبد الله بن زيد وسهل بن سعد وسويد بن حنظله وابو سعيد
الخدري وعبد الله الصنابحي وابو هريرة والبرا وجندب وعايشه
واسما ابنتي ابي بكر وابو بكره وخوله بنت قيس وغيرهم ٥

فصل في تفضيله بالمحبه والخله جات
بذلك الاخبار الصحيحه واختص على السنة المسلمين بحبيب الله

اخبرنا ابو القاسم بن ابرهيم الخطيب وغيره عن كريمه بنت محمد
حدثنا ابو الهيثم وحدثنا حسين بن محمد الحافظ اسما عليه حدثنا
القاضي ابو الوليد حدثنا عبد بن احمد حدثنا ابو الهيثم حدثنا ابو
عبد الله محمد بن يوسف حدثنا محمد بن اسمعيل حدثنا عبد الله بن محمد
حدثنا ابو عامر حدثنا فليح حدثنا ابو النضر عن بسر بن سعيد عن ابي
سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لو كنت متخذا خليلا غير
ربي لاتخذت ابا بكر وفي حديث اخر وان صاحبكم خليل الله ومن
طريق عبد الله بن مسعود وقد اتخذ الله صاحبكم خليلا وعن ابن عباس قال
جلس ناس من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ينتظرونه قال
فخرج حتى اذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون فسمع حديثهم فقال بعضهم

عجبًا ان الله اتخذ من خلقه خليلاً وقال آخر ماذا باعجب من كلام
موسى كلمه الله تكليما وقال آخر فعيسى كلمة الله وروحه وقال آدم
اصطفاه الله فخرج عليهم فسلم وقال قد سمعت كلامكم وعجبكم
ان الله اتخذ ابرهيم خليلا وهو كذلك وموسى نجي الله وهو كذلك
وعيسى روح الله وهو كذلك وآدم اصطفاه الله وهو كذلك الا وانا
حبيب الله ولا فخر وانا حامل لوا الحمد يوم القيمه ولا فخر وانا اول
شافع واول مشفع ولا فخر وانا اول من يحرك حلق الجنة فيفتح الله لي
فيدخلنيها ومعي فقرا المومنين ولا فخر وانا اكرم الاولين والاخرين ولا
فخر وفي حديث ابي هريرة من قول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه
وسلم اني اتخذتك خليلاً فهو مكتوب في التوراة انت حبيب الرحمن
قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه اختلف في تفسير الخلة واصل
اشتقاقها فقيل الخليل المنقطع الى الله الذي ليس في انقطاعه اليه
ومحبته له اختلال وقيل الخليل المختص واختار هذا القول غير
واحد وقال بعضهم اصل الخلة الاستصفا وسمي ابرهيم خليل الله
يوالي فيه ويعادي فيه وخلة الله له نصره وجعله اماما لمن بعده وقيل
الخليل اصله الفقير المحتاج المنقطع ماخوذ من الخلة وهي الحاجة
فسمي بها ابرهيم لانه قصر حاجته على ربه وانقطع اليه بهمه ولم يجعله
قبل غيره اذ جاه جبريل وهو في المنجنيق ليرمى في النار فقال
الك حاجة قال اما اليك فلا وقال ابو بكر بن فورك الخلة صفا

المودة التي توجب الاختصاص بتخلل الاسرار وقال بعضهم
اصل الخلة المحبة ومعناها الاسعاف والالطاف والترفيع والتشفيع
وقد بين ذلك تعالى في كتابه بقوله وقالت اليهود والنصارى نحن ابنا
الله واحباوه قل فلم يعذبكم بذنوبكم فاوجب للمحبوب ان لا يواخذ بذ
قال هذا والخلة اقوى من البنوة لان البنوة قد يكون فيها العداوة
كما قال تعالى ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم ولا يصح ان يكون
عداوة مع خلة فاذا تسميه ابرهيم ومحمد عليهما السلام بالخلة اما بانقطا
الى الله ووقف حوايجهما عليه والانقطاع عمن دونه والاضراب عن
الوسايط والاسباب او لزيادة الاختصاص منه تعالى لهما وخفي الطافه
عندهما وما خالل بواطنهما من اسرار الهيبة ومكنون غيوبه ومعرفته
او لاستصفايه لهما واستصفا قلوبهما عمن سواه حتى لم تخاللهما حب
لغيره ولهذا قال بعضهم الخليل من لا يتسع قلبه لسواه وهو
عندهم معنى قوله عليه السلام لو كنت متخذا خليلا لاتخذت ابا بكر
خليلا لكن اخوة الاسلام واختلف العلما ارباب القلوب ايهما ارفع
درجة الخلة او درجة المحبة فجعلها بعضهم سوا فلا يكون الحبيب الا
خليلا ولا الخليل الا حبيبا لكنه خص ابرهيم بالخلة ومحمدا بالمحبة
وبعضهم قال درجة الخلة ارفع واحتج بقوله صلى الله عليه وسلم لو كنت
متخذا خليلا غير ربي فلم يتخذه وقد اطلق المحبة لفاطمة عليها السلم
وابنيها واسامة وغيرهما واكثرهم جعل المحبة ارفع من الخلة لان

درجة الحبيب نبينا ارفع من درجة الخليل ابرهيم واصل المحبة الميل الى
ما يوافق المحب ولكن هذا في حق من يصح الميل منه والانتفاع بالرفق
وهي درجة المخلوق فاما الخالق جل جلاله فمنزه عن الاعراض فمحبته لعبده
تمكينه من سعادته وعصمته وتوفيقه وتهيئته اسباب القرب
وافاضة رحمته عليه وقصواها كشف الحجب عن قلبه حتى يراه بقلبه وينظر
اليه ببصيرته فيكون كما قال في الحديث فاذا احببته كنت سمعه الذي
يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق ولا ينبغي ان يفهم من
هذا سوى التجرد لله والانقطاع الى الله والاعراض عن غير الله وصفا
القلب لله واخلاص الحركات لله كما قالت عايشة رضي الله عنها كان خلقه
القران برضاه يرضى وبسخطه يسخط ومن هذا عبر بعضهم عن الخلة بقوله

شعر قد تخللت مسلك الروح مني ... وبذا سمي الخليل خليلا
فاذا ما نطقت كنت حديثي ... واذا ما سكت كنت الغليلا

فاذا مزية الخلة وخصوصية المحبة حاصلة لنبينا عليه السلم بما دلت
عليه الاثار الصحيحة المنتشرة المتلقاة بالقبول من الامة وهي بقوله
تعالى قل ان كنتم تحبون الله الاية حكى اهل التفسير ان هذه
الاية لما نزلت قال الكفار انما يريد محمد ان نتخذه حنانا كما اتخذت
النصارى عيسى فانزل الله غيظا لهم ورغما على مقالتهم هذه الاية قل
اطيعوا الله والرسول فزاده شرفا بامرهم بطاعته وقرنها بطاعته ثم
توعدهم على التولي عنه بقوله فان الله لا يحب الكافرين وقد نقل

الامام ابو بكر بن فورك عن بعض المتكلمين كلاما في الفرق بين
المحبة والخلة يطول جمله اشاراته الى تفضيل مقام المحبة على الخلة ونحن
نذكر منه طرفا يهدي الى ما بعده فمن ذلك قولهم الخليل يصل بالواسطة
من قوله وكذلك نري ابرهيم ملكوت السموات والارض والحبيب
يصل اليه من قوله فكان قاب قوسين او ادنى وقيل الخليل الذي
تكون مغفرته في حد الطمع من قوله والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم
الدين والحبيب الذي مغفرته في حد اليقين من قوله ليغفر لك الله ما تقدم
من ذنبك وما تاخر الاية والخليل قال ولا تخزني والحبيب قيل له يوم
لا يخزي الله النبي فابتدى بالبشارة قبل السوال والخليل قال في
المحنة حسبي الله والحبيب قيل له يا ايها النبي حسبك الله والخليل
قال واجعل لي لسان صدق في الاخرين والحبيب قيل له ورفعنا لك
ذكرك اعطي بلا سوال والخليل قال واجنبني وبني ان نعبد الاصنام
والحبيب قيل له انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت وفي
ما ذكرناه تنبيه على مقصد اصحاب هذا المقال من تفضيل المقامات
والاحوال وكل يعمل على شاكلته فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا

فصل في تفضيله بالشفاعة والمقام المحمود قال الله تعالى
عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا اخبرنا الشيخ ابو علي الغساني
الجياني فيما كتب به الي بخطه حدثنا سراج بن عبد الله القاضي حدثنا
ابو محمد الاصيلي حدثنا ابو زيد وابو احمد قالا حدثنا محمد بن يوسف

قال حدثنا محمد بن اسمعيل قال حدثنا اسمعيل بن ابان حدثنا ابو
الاحوص عن ادم بن علي قال سمعت بن عمر يقول ان الناس يصيرون يوم
القيمة جثا كل امة تتبع نبيها يقولون يا فلان اشفع لنا حتى تنتهي الشفاعة
الى النبي صلى الله عليه وسلم فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود وعن ابي
هريرة سئل عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني قوله عسى ان يبعثك
ربك مقاما محمودا فقال هي الشفاعة وروى كعب بن مالك عنه عليه
السلام يحشر الناس يوم القيمة فاكون انا وامتي على تل ويكسوني ربي
حلة خضرا ثم يوذن لي فاقول ما شا الله ان اقول فذلك المقام المحمود
وعن بن عمر وذكر حديث الشفاعة قال فيمشي حتى ياخذ بحلقة
الجنة فيومئذ يبعثه الله المقام المحمود الذي وعده وعن بن مسعود
عنه عليه السلام قيامه عن يمين العرش مقاما لا يقومه غيره يغبطه
فيه الاولون والاخرون ونحوه عن كعب والحسن وفي رواية هو
المقام الذي اشفع لامتي فيه وعن ابن مسعود قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اني لقائم المقام المحمود قيل وما هو قال ذاك
يوم ينزل الله تبارك وتعالى الحديث عن ابي موسى عنه عليه السلام
خيرت بين ان يدخل نصف امتي الجنة وبين الشفاعة فاخترت الشفاعة
لانها اعم اترونها للمتقين ولكنها للمذنبين الخطايين وعن ابي هريرة
قلت يا رسول الله ماذا ورد عليك في الشفاعة فقال شفاعتي
لمن شهد لا اله الا الله مخلصا يصدق لسانه قلبه وعن ام حبيبة قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم اريت ما تلقى امتي من بعدي وسفك
بعضهم دما بعض وسبق لهم من الله ما سبق للامم قبلهم فسالت الله ان
يوتيني شفاعة يوم القيمة فيهم ففعل وقال حذيفة يجمع الله الناس في
صعيد واحد حيث يسمعهم الداعي وينفذهم البصر حفاة عراة كما
خلقوا سكوتا لا تكلم نفس الا باذنه فينادي محمد فيقول لبيك وسعديك
والخير في يديك والشر ليس اليك والمهتدي من هديت وعبدك بين
يديك ولك واليك ولا ملجا ولا منجا منك الا اليك تباركت ربنا
وتعاليت سبحانك رب البيت قال فذلك المقام المحمود الذي
ذكر الله وقال بن عباس اذا دخل اهل النار النار واهل الجنة الجنة فيبقى
اخر زمرة من الجنة واخر زمرة من النار فيقول زمرة النار لزمرة الجنة
ما نفعكم ايمانكم فيدعون ربهم ويضجون فيسمعهم اهل الجنة
فيسالون ادم وغيره بعده في الشفاعة لهم فكل يعتذر حتى ياتوا محمدا فيشفع
لهم فذلك المقام المحمود ونحوه عن بن مسعود ايضا ومجاهد وذكره
علي بن حسين عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال جابر بن عبد الله ليزيد
الفقير سمعت بمقام محمد يعني الذي يبعثه الله فيه قلت نعم قال فانه
مقام محمد المحمود الذي يخرج الله به من يخرج يعني من النار وذكر
حديث الشفاعة في اخراج الجهنميين وعن انس نحوه وقال فهذا
المقام المحمود الذي وعده وفي رواية انس وابي هريرة وغيرهما دخل حديث
بعضهم في حديث بعض قال عليه السلام يجمع الله الاولين والاخرين

يوم القيمة فيهتمون او قال فيلهمون فيقولون لو استشفعنا الى
ربنا ومن طريق عنه ماج الناس بعضهم في بعض وعن ابي هريرة وتدنوا
الشمس فيبلغ الناس من الغم ما لا يطيقون ولا يحتملون فيقولون
الا تنظرون من يشفع لكم فياتون ادم فيقولون زاد بعضهم انت ادم
ابو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه واسكنك جنته واسجد
لك ملايكته وعلمك اسما كل شي اشفع لنا عند ربك الا ترى ما
نحن فيه فيقول ان ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا
يغضب بعده مثله ونهاني عن الشجرة فعصيته نفسي نفسي اذهبوا الى
غيري اذهبوا الى نوح فياتون نوحا فيقولون انت اول الرسل الى اهل
الارض وسماك الله عبدا شكورا الا ترى ما نحن فيه الا ترى ما بلغنا
الا تشفع لنا الى ربك فيقول ان ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب
قبله مثله ولا يغضب بعده مثله نفسي نفسي قال ـــ وفي رواية
انس ويذكر خطيته التي اصاب سواله ربه بغير علم وفي رواية ابي هريرة
وقد كانت لي دعوة دعوتها على قومي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى
ابرهيم فانه خليل الله فياتون ابرهيم فيقولون انت نبي الله وخليله من
اهل الارض اشفع لنا الى ربك الا ترى ما نحن فيه فيقول ان ربي غضب
اليوم غضبا فذكر مثله ويذكر ثلث كلمات كذبهن نفسي نفسي لست لها
ولكن عليكم بموسى فانه كليم الله وفي رواية فانه عبد اتاه الله
التوراه وكلمه وقربه نجيا قال ـــ فياتون موسى فيقول لست

لها ويذكر خطيته التي اصاب وقتله النفس نفسي نفسي ولكن عليكم بعيسى
فانه روح الله وكلمته فيقول لست لها ولكن عليكم بمحمد عبد غفر الله
له ما تقدم من ذنبه وما تاخر فياتوني فاقول انا لها فانطلق فاستاذن
على ربي فيوذن لي فاذا رايته وقعت ساجدا وفي رواية فاتي تحت العرش
فاخر ساجدا وفي رواية فاقوم بين يديه فاحمده بمحامد لا اقدر عليه الان
يلهمنيه الله وفي رواية فيفتح الله علي من محامده وحسن الثنا عليه شيا
شيا لم يفتحه على احد قبلي وقال في رواية ابي هريرة فيقال يا محمد ارفع راسك
سل تعطه واشفع تشفع فارفع راسي فاقول يا رب امتي امتي يا رب امتي
امتي فيقول ادخل من امتك من لا حساب عليه من الباب الايمن من
ابواب الجنة وهم شركا الناس فيما سوى ذلك من الابواب ولم يذكر في
رواية انس هذا الفصل وقال ـــ مكانه ثم اخر ساجدا فيقال
يا محمد ارفع راسك وقل يسمع لك واشفع تشفع وسل تعطه فاقول يا
رب امتي امتي فيقال انطلق فمن كان في قلبه مثقال حبة من بره او
شعيرة من ايمان فاخرجه فانطلق فافعل ثم ارجع الى ربي فاحمده بتلك
المحامد وذكر مثل الاول وقال فيه مثقال حبة من خردل قال
فافعل ثم ارجع وذكر مثل ما تقدم وقال فيه من كان في قلبه ادنى
ادنى من مثقال حبة من خردل فافعل وذكر في المرة الرابعة فيقال لي
ارفع راسك وقل يسمع واشفع تشفع واسل تعطه فاقول يا رب ايذن
لي فيمن قال لا اله الا الله قال ـــ ليس ذلك اليك ولكن

وعزتي وجلالي وكبريائي وعظمتي وجبروتي لأخرجن من النار من
قال لا اله الا الله ومن رواية قتادة عنه قال فلا ادري في الثالثة او
الرابعة فاقول يارب ما بقي في النار الا من حبسه القران اي وجب عليه
الخلود وعن ابي بكر وعقبة بن عامر وابي سعيد وحذيفة مثله قال
فياتون محمدا فيوذن له وتاتي الامانة والرحم فيقومان جنبتي الصراط
وذكر في رواية ابي مالك عن حذيفة فياتون محمدا فيشفع فيضرب الصراط فيمرون
اولهم كالبرق ثم كالريح والطير وشد الرحال ونبيكم صلى الله عليه وسلم
على الصراط يقول اللهم سلم سلم حتى يجتاز الناس وذكر اخرهم جواز الحديث
وفي رواية ابي هريرة فاكون اول من يجيز وعن ابن عباس عنه عليه السلام
يوضع للانبياء منابر يجلسون عليها ويبقى منبري لا اجلس عليه قائما بين
يدي ربي منتصبا فيقول الله تبارك وتعالى ما تريد اصنع بامتك
فاقول يارب عجل حسابهم فيدعا بهم فيحاسبون فمنهم من يدخل الجنة برحمته
ومنهم من يدخل الجنة بشفاعتي ولا ازال اشفع حتى اعطى صكاكا
برجال قد امر بهم الى النار حتى ان خازن النار ليقول يا محمد ما تركت
لغضب ربك من امتك من نقمة ومن طريق زياد النميري عن انس قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انا اول من تنفلق الارض
عن جمجمته ولا فخر وانا سيد الناس يوم القيامة ولا فخر ومعي لواء الحمد
يوم القيامة وانا اول من تفتح له الجنة ولا فخر فاتي فاخذ بحلقة الجنة
فيقال من هذا فاقول محمد فيفتح لي فيستقبلني الجبار تعالى فاخر له

ساجدا وذكر نحو ما تقدم ومن رواية انس سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول لاشفعن يوم القيامة لاكثر مما في الارض من حجر
وشجر فقد اجتمع من اختلاف الفاظ هذه الاثار ان شفاعته عليه السلام
ومقامه المحمود من اول الشفاعات الى اخرها من حين يجتمع الناس للحشر
وتضيق بهم الحناجر ويبلغ منهم العرق والشمس والوقوف مبلغه وذلك
قبل الحساب فيشفع حينئذ لاراحة الناس من الموقف بوضع الصراط
ويحاسب الناس كما جاء في الحديث عن ابي هريرة وحذيفة وهذا الحديث
اتقن فيشفع في تعجيل من لا حساب عليه من امته الى الجنة كما تقدم
في الحديث ثم يشفع فيمن وجب عليه العذاب ودخل النار منهم حسب ما
تقتضيه الاحاديث الصحيحة ثم فيمن قال لا اله الا الله وليس هذا
لسواه صلى الله عليه وسلم وفي الحديث المنتشر الصحيح لكل نبي دعوة
يدعو بها واختبات دعوتي شفاعة لامتي يوم القيامة قال
اهل العلم معناه دعوة اعلم انها تستجاب لهم ويبلغ فيها مرغوبهم والا فكم
لنبي من دعوة مستجابة ولنبينا صلى الله عليه وسلم منها ما لا يعد لكن حالهم
عند الدعاء بها بين الرجاء والخوف وضمنت لهم اجابة دعوة فيما شاءوه يدعون
بها على يقين من الاجابة وقد قال محمد بن زياد وابو صالح عن ابي هريرة في
هذا الحديث لكل نبي دعوة دعا بها في امته فاستجيب له وانا اريد ان اوخر
دعوتي شفاعة لامتي يوم القيامة وفي رواية ابي صالح لكل نبي دعوة مستجابة
فتعجل كل نبي دعوته ونحوه في رواية ابي زرعة عن ابي هريرة وعن انس مثله

رواية زياد عن ابي هريرة فتكون هذه الدعوة المذكورة مخصوصة
بالامة مضمونة بالاجابة والا فقد اخبر النبي صلى الله عليه وسلم انه سال
لامته اشيا من امور الدين والدنيا اعطي بعضها ومنع بعضها وادخر لهم
هذه الدعوة ليوم الفاقة وخاتمة المحن وعظيم السول والرغبة جزاه الله
احسن ما جزى نبيا عن امته وصلى الله عليه كثيرا وسلم **فصل** في
تفضيله في الجنة بالوسيلة والدرجة الرفيعة والكوثر والفضيلة
حدثنا القاضي ابو عبد الله محمد بن عيسى التميمي والفقيه ابو الوليد
هشام بن احمد بقراءتي عليه قالا حدثنا ابو علي الغساني حدثنا النمري
حدثنا ابن عبد المومن حدثنا ابو بكر التمار حدثنا ابو داود حدثنا محمد بن سلمة
حدثنا ابن وهب عن ابن لهيعة وحيوة وسعيد بن ابي ايوب عن كعب بن علقمة
عن عبد الرحمن بن جبير عن عبد الله بن عمرو بن العاصي انه سمع النبي صلى
الله عليه وسلم يقول **اذا** سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول
ثم صلوا علي فانه من صلى علي صلى الله عليه عشرا ثم سلوا الله لي الوسيلة
فانها منزلة في الجنة لا تنبغي الا لعبد من عباد الله وارجو ان اكون
انا هو فمن سال لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة وفي حديث اخر عن ابي
هريرة الوسيلة اعلى درجة في الجنة وعن انس **قال** رسول الله صلى الله
عليه وسلم بينا انا اسير في الجنة اذ عرض لي نهر حافتاه قباب اللولو
قلت لجبريل ما هذا قال الكوثر الذي اعطاكه الله **قال**
ثم ضرب بيده الى طينته فاستخرج مسكا وعن عايشة وعن عبد الله بن

عمرو مثله **قال** ومجراه على الدر والياقوت وماوه احلى من
العسل وابيض من الثلج وفي رواية عنه فاذا هو يجري ولم يشق شقا عليه
حوض ترد عليه امتي وذكر حديث الحوض ونحوه عن ابن عباس وعن ابن عباس
ايضا قال الكوثر الخير الذي اعطاه الله اياه وقال سعيد بن جبير والنهر
الذي في الجنة من الخير الذي اعطاه وعن حذيفة فيما ذكر عليه السلام عن
ربه واعطاني الكوثر نهرا من الجنة يسيل في حوضي وعن ابن عباس في قوله
ولسوف يعطيك ربك فترضى قال الف قصر من لولو ترابهن المسك
وفيه ما يصلحهن وفي رواية اخرى وفيه ما ينبغي من الازواج والخدم
فصل فان قلت اذا تقرر من دليل الاثر وصحيح القران واجماع
الامة كونه اكرم البشر وافضل الانبيا فما معنى الاحاديث الواردة
بنهيه عن التفضيل كقوله فيما **حدثنا** الاسدي قال حدثنا
السمرقندي حدثنا الفارسي حدثنا الجلودي حدثنا ابن سفيان حدثنا مسلم
حدثنا ابن مثنى حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن قتادة سمعت ابا العالية
يقول حدثني ابن عم نبيكم صلى الله عليه وسلم يعني ابن عباس عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال ما ينبغي لعبد ان يقول انا خير من يونس بن متى وفي
غير هذا الطريق عن ابي هريرة قال يعني الله ما ينبغي لعبد الحديث
وفي حديث ابي هريرة في اليهودي الذي قال والذي اصطفى موسى على
البشر فلطمه رجل من الانصار وقال تقول ذلك ورسول الله
صلى الله عليه وسلم بين اظهرنا فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال

لا تفضلوا بين الانبياء وفي رواية لا تخيروني على موسى فذكر الحديث
وفيه ولا اقول ان احدا افضل من يونس بن متى وعن ابي هريرة من
قال انا خير من يونس بن متى فقد كذب وعن ابن مسعود لا يقولن احدكم
انا خير من يونس بن متى وفي حديثه الاخر فجاءه رجل فقال يا خير البرية
فقال ذاك ابراهيم فاعلم ان للعلماء في هذه الاحاديث تاويلات
احدها ان نهيه عن التفضيل كان قبل ان يعلم انه سيد ولد ادم
فنهى عن التفضيل اذ يحتاج الى توقيف وان من فضل بلا علم فقد كذب
وكذلك قوله لا اقول ان احدا افضل منه لا يقتضي تفضيله هو وانما
هو في الظاهر كف عن التفضيل الوجه الثاني انه قاله صلى الله عليه وسلم
على طريق التواضع ونفي التكبر والعجب وهذا لا يسلم من الاعتراض
الوجه الثالث لا يفضل بينهم تفضيلا يؤدي الى تنقص بعضهم او الغض
منه لا سيما في جهة يونس عليه السلام اذ اخبر الله عنه بما اخبر
لئلا يقع في نفس من لا يعلم منه بذلك غضاضة وانحطاط من رتبته
الرفيعة اذ قال تعالى اذ ابق الى الفلك المشحون فظن ان لن نقدر عليه فربما
يخيل لمن لا علم عنده حطيطته بذلك الوجه الرابع منع التفضيل في
حق النبوة والرسالة فان الانبياء فيها على حد واحد اذ هي شيء واحد لا يتفاضل
وانما التفاضل بامور اخر زائدة عليها ولذلك منهم رسل ومنهم اولو عزم من
الرسل ومنهم من رفع مكانا عليا ومن اوتي الحكم صبيا واوتي بعضهم
الزبر وبعضهم البينات ومنهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات قال

الله تعالى ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض الاية وقال
تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض الاية قال بعض اهل العلم والتفضيل
المراد لهم هنا في الدنيا وذلك بثلاثة احوال ان تكون اياته ومعجزاته ابهر
واشهر او تكون امته ازكى واكثر او يكون في ذاته افضل واظهر وفضله
في ذاته راجع الى ما خصه الله به من كرامته واختصاصه من كلام او خلة او
رؤية او ما شاء الله من الطافه وتحف ولايته واختصاصه وقد روي
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان للنبوة اثقالا وان يونس
تفسخ تحتها تفسخ الربع فحفظ صلى الله عليه وسلم موضع الفتنة من اوهام
من يسبق اليه بسببها جرح في نبوته او قدح في اصطفائه وحط من رتبته
ووهن في عصمته شفقة منه صلى الله عليه وسلم على امته وتتوجه على
هذا الترتيب وجه خامس وهو ان يكون انا راجعا الى القايل نفسه اي لا
يظن احد وان بلغ من الزكاة والعصمة والطهارة ما بلغ انه خير من يونس
لاجل ما حكى الله عنه فان درجة النبوة اعلا وافضل وان تلك الاقدار
لم تحطه عنها حبة خردل ولا ادنى وسنزيد في القسم الثالث في هذا بيانا
ان شاء الله فقد بان لك الغرض وسقط بما حررناه شبهة المعترض

فصل في اسمايه عليه السلام

وما تضمنته من فضيلته حدثنا ابو عمران موسى بن ابي تليد
الفقيه قال حدثنا ابو عمر الحافظ حدثنا سعيد بن نصر حدثنا قاسم بن
اصبغ حدثنا محمد بن وضاح حدثنا يحيى حدثنا مالك عن ابن شهاب عن محمد

بن جبير بن مطعم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لي
خمسة اسما انا محمد وانا احمد وانا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وانا الحاشر
الذي يحشر الناس على قدمي وانا العاقب وقد سماه الله في كتابه محمدا واحمد
فمن خصايصه تعالى له ان ضمن اسماءه ثناءه وطوى اثناء ذكره عظيم شكره فاما
اسمه احمد فافعل مبالغة من صفة الحمد ومحمد مفعل مبالغة من كثرة
الحمد فهو صلى الله عليه وسلم اجل من حمد وافضل من حمد واكثر الناس
حمدا فهو احمد المحمودين واحمد الحامدين ومعه لوا الحمد يوم القيمة ليتم له
كمال الحمد ويشتهر في تلك العرصات بصفة الحمد ويبعثه ربه هناك
مقاما محمودا كما وعده يحمده فيه الاولون والاخرون بشفاعته لهم
ويفتح عليه فيه من المحامد كما قال عليه السلم ما لم يعط غيره
وسمى امته في كتب انبيايه بالحمادين فحقيق ان يسمى محمدا واحمد ثم في هذين
الاسمين من عجايب خصايصه وبدايع اياته فن اخر هو ان الله جل اسمه حمى
ان يسمى بها احد قبل زمانه اما احمد الذي اتى في الكتب وبشرت به
الانبيا فمنع الله بحكمته ان يسمى به احد غيره ولا يدعى به مدعو قبله
حتى لا يدخل لبس على ضعيف القلب او شك وكذلك محمد ايضا لم يسم
به احد من العرب ولا غيرهم الى ان شاع قبيل وجوده عليه السلم وميلاده
ان نبيا يبعث اسمه محمد فسمى قوم قليل من العرب ابناهم بذلك
رجا ان يكون احدهم هو والله اعلم حيث يجعل رسالاته وهم محمد بن احيحة
بن الجلاح الاوسي ومحمد بن مسلمة الانصاري ومحمد بن برا البكري ومحمد

بن سفيان بن مجاشع ومحمد بن حمران الجعفي ومحمد بن خزاعي السلمي لا سابع لهم
ويقال اول من سمي محمد بن سفيان واليمن يقول بل محمد بن اليحمد من
الازد ثم حمى الله كل من تسمى به ان يدعي النبوة او يدعيها احد له او يظهر
عليه سبب يشكك احدا في امره حتى تحققت السمتان له صلى الله عليه
وسلم ولم ينازع فيهما واما قوله وانا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر ففسر في
الحديث ويكون محو الكفر اما من مكة وبلاد العرب وما زوي له من
الارض ووعد انه يبلغه ملك امته او يكون المحو عاما بمعنى الظهور
والغلبة كما قال تعالى ليظهره على الدين كله وقد ورد
تفسيره في الحديث انه الذي محيت به سيات من اتبعه وقوله وانا الحا شر
الذي يحشر الناس على قدمي اي على زماني وعهدي اي ليس بعدي كما قال
وخاتم النبيين وسمي عاقبا لانه عقب غيره من الانبيا وقيل معنى على
قدمي اي يحشر الناس بمشاهدتي كما قال تعالى لتكونوا شهدا على الناس
ويكون الرسول عليكم شهيدا ومعنى قوله لي خمسة اسما قيل انها
موجودة في الكتب المتقدمة وعند اولي العلم من الامم السالفة والله
اعلم وقد روي عنه عليه السلام لي عشرة اسما وقد ذكر منها طه ويس
حكاه مكي وقد قيل في بعض تفاسير طه انه يا طاهر يا هادي
وفي يس يا سيد حكاه السلمي عن الواسطي وجعفر بن محمد وذكر غيره لي
عشرة اسما فذكر الخمسة التي في الحديث الاول قال وانا رسول
الرحمة ورسول الراحة ورسول الملاحم وانا المقفي قفيت النبيين

وأنا قثم والقثم الجامع الكامل كذا وجدته ولم أروه وأرى أن
صوابه قثم بالثاء كما ذكرناه بعد عن الحربي وهو أشبه بالتفسير وقد
وقع أيضا في كتب الأنبياء قال داود عليه السلام اللهم ابعث
لنا محمدا مقيم السنة بعد الفترة فقد يكون القيم بمعناه وروى النقاش
عنه عليه السلام لي في القرآن سبعة أسماء محمد وأحمد ويس وطه
والمزمل والمدثر وعبد الله وفي حديث أبي موسى الأشعري أنه كان عليه
السلام يسمي لنا نفسه أسماء فيقول أنا محمد وأحمد والمقفي والحاشر
ونبي التوبة ونبي الملحمة ويروى المرحمة والرحمة وكل صحيح إن شاء الله
ومعنى المقفي معنى العاقب وأما نبي الرحمة والتوبة والمرحمة والراحة
فقد قال الله تعالى وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين
كما وصفه بأنه يزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويهديهم إلى صراط مستقيم
وبالمؤمنين رؤوف رحيم وقد قال في صفة أمته إنها أمة مرحومة وقال
تعالى فيهم وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة أي يرحم بعضهم بعضا
فبعثه عليه السلام ربه رحمة لأمته ورحمة للعالمين ورحيما لهم ومترحما
مستغفرا لهم وجعل أمته أمة مرحومة ووصفها بالرحمة وأمرها
بالتراحم وأثنى عليه فقال إن الله يحب من عباده الرحماء وقال
الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء وأما
رواية نبي الملحمة فإشارة إلى ما بعث به من القتال والسيف صلى الله
عليه وسلم وهي صحيحة روى حذيفة مثل حديث أبي موسى وفيه ونبي

الرحمة ونبي التوبة ونبي الملاحم وروى الحربي في حديثه عليه السلام
أنه قال أتاني ملك يقال له قثم أي مجتمع قال والقثوم الجامع
للخير وهذا اسم هو في أهل بيته عليه السلام معلوم وقد جاءت من ألقابه
عليه السلام وسماته في القرآن عدة كثيرة سوى ما ذكرناه كالنور والسراج
المنير والمنذر والنذير والمبشر والبشير والشاهد والشهيد والحق
المبين وخاتم النبيين والرؤوف الرحيم والأمين وقدم الصدق ورحمة
للعالمين ونعمة الله والعروة الوثقى والصراط المستقيم والنجم الثاقب
والكريم والنبي الأمي وداعي الله في أوصاف كثيرة وسمات جليلة وجرى
منها في كتب الله المتقدمة وكتب أنبيائه وأحاديث رسوله وإطلاق الأمة
جملة شافية كتسميته المصطفى والمجتبى وأبي القاسم والحبيب ورسول
رب العالمين والشفيع المشفع والمتقي والمصلح والطاهر والمهيمن والصادق
والمصدوق والهادي وسيد ولد آدم وسيد المرسلين وإمام المتقين
وقائد الغر المحجلين وحبيب الله وخليل الرحمن وصاحب الحوض المورود والشفاعة
والمقام المحمود وصاحب الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة وصاحب
التاج والمعراج واللواء والقضيب وراكب البراق والناقة والنجيب
وصاحب الحجة والسلطان والخاتم والعلامة والبرهان وصاحب الهراوة
والنعلين

ومن أسمائه في الكتب

المتوكل والمختار ومقيم السنة والمقدس في نسخة وروح الحق
وهو معنى البارقليط في الإنجيل وقال ثعلب البارقليط

الذي يفرق بين الحق والباطل ومن أسمائه في الكتب السالفة ماذ ماذ
ومعناه طيب طيب وحمطايا والخاتم والحاتم حكاه كعب الأحبار قال
ثعلب والخاتم الذي ختم الأنبياء والحاتم أحسن الأنبياء خلقا وخلقا ويسمى
بالسريانية مشفح والمنحمنا واسمه أيضا في التوراة أحيد روي ذلك عن
ابن سيرين ومعنى صاحب القضيب أي السيف وقع ذلك مفسرا
في الإنجيل قال معه قضيب من حديد يقاتل به وأمته كذلك
وقد يحمل على أنه القضيب الممشوق الذي كان يمسكه عليه السلام وهو
الآن عند الخلفاء وأما الهراوة التي وصف بها فهي في اللغة العصا
وأراها والله أعلم العصا المذكورة في حديث الحوض أذود الناس عنه
بعصاي لأهل اليمن وأما التاج فالمراد به العمامة ولم تكن حينئذ إلا للعرب
والعمائم تيجان العرب وأوصافه وألقابه وسماته في الكتب كثيرة وفيما
ذكرناه منها مقنع إن شاء الله وكانت كنيته المشهورة أبا القاسم وروي
عن أنس أنه لما ولد له إبراهيم جاءه جبريل فقال له السلام عليك يا أبا إبراهيم

فصل في تشريف الله تعالى له بما سماه من أسمائه الحسنى

ووصفه به من صفاته العلى قال القاضي أبو الفضل
وفقه الله ما أحرى هذا الفصل بفصول الباب الأول لانخراطه في
سلك مضمونها وامتزاجه بعذب معينها لكن لم يشرح الله الصدر
للهداية إلى استنباطه ولا أنار الفكر لاستخراج جوهره والتقاطه
إلا عند الخوض في الفصل الذي قبله فرأينا أن نضيفه إليه ونجمع

به شمله فاعلم أن الله تعالى خص كثيرا من أنبيائه بكرامة خلعها عليهم
من أسمائه كتسميته إسحاق وإسماعيل بعليم وحليم وإبراهيم بحليم ونوحا بشكور
وعيسى ويحيى ببر وموسى بكريم وقوي ويوسف بحفيظ عليم وأيوب
بصابر وإسماعيل بصادق الوعد كما نطق بذلك الكتاب العزيز من مواضع
ذكرهم وفضل محمدا نبينا صلى الله عليه وسلم بأن حلاه منها في كتابه العزيز
وعلى ألسنة أنبيائه بعدة كثيرة اجتمع لنا منها جملة بعد إعمال الفكر
وإحضار الذهن إذ لم نجد من جمع منها فوق اسمين ولا من تفرغ فيها لتأليف
فصلين وحررنا منها في هذا الفصل نحو ثلاثين اسما ولعل الله كما ألهم
إلى ما علم منها وحققه يتم النعمة بإبانة ما لم يظهر لنا الآن ويفتح
غلقه فمن أسمائه تعالى الحميد ومعناه المحمود لأنه حمد نفسه وحمده عباده
ويكون أيضا بمعنى الحامد لنفسه ولأعمال الطاعات وسمى النبي صلى الله
عليه وسلم محمدا وأحمد فمحمد بمعنى محمود وكذا وقع اسمه في زبر داود
وأحمد بمعنى أكبر من حمد وأجل من حمد وقد أشار إلى هذا حسان بقوله

وشق له من اسمه ليجله • فذو العرش محمود وهذا محمد •

ومن أسمائه تعالى الرؤوف الرحيم وهما بمعنى متقارب وسماه في كتابه
بذلك فقال بالمؤمنين رؤوف رحيم ومن أسمائه الحق المبين
ومعنى الحق الموجود والمتحقق أمره وكذلك المبين أي البين أمره
وإلهيته بان وأبان بمعنى ويكون بمعنى المبين لعباده أمر دينهم ومعادهم
وسمى النبي صلى الله عليه وسلم بذلك في كتابه فقال حتى جاءهم الحق

ورسول مبين وقال وقل انا النذير المبين وقال قد جاءكم
الحق من ربكم وقال فقد كذبوا بالحق لما جاءهم قيل محمد وقيل القران
ومعناه هنا ضد الباطل والمتحقق صدقه وامره وهو بالمعنى الاول
والمبين البين امره ورسالته او المبين عن الله ما بعثه به كما قال لتبين للناس
ما نزل اليهم ومن اسمايه تعالى النور ومعناه ذو النور اي خالقه او
منور السموات والارض بالانوار ومنور قلوب المومنين بالهدايه
وسماه نورا فقال قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين قيل محمد وقيل القران
وقال فيه سراجا منيرا سمي بذلك لوضوح امره وبيان نبوته وتنوير
قلوب المومنين والعارفين بما جاء به ومن اسمايه تعالى الشهيد ومعناه
العالم وقيل الشاهد على عباده يوم القيمه وسماه شهيدا وشاهدا وقال
انا ارسلناك شاهدا وقال ويكون الرسول عليكم شهيدا وهو
بمعنى الاول ومن اسمايه تعالى الكريم ومعناه الكثير الخير وقيل المفضل
وقيل العفو وقيل العلي وفي الحديث المروي في اسمايه تعالى الاكرم وسماه
الله تعالى كريما بقوله انه لقول رسول كريم قيل محمد وقيل جبريل وقال
عليه السلام انا اكرم ولد آدم ومعاني الاسم صحيحة في حقه عليه السلام
ومن اسمايه تعالى العظيم ومعناه الجليل الشان الذي كل شي دونه وقال
في النبي صلى الله عليه وسلم وانك لعلى خلق عظيم ووقع في اول سفر من
التوريه عن اسمعيل وسيلد عظيما لامة عظيمة فهو عظيم وعلى خلق
عظيم ومن اسمايه تعالى الجبار ومعناه المصلح وقيل القاهر وقيل

العلي العظيم الشان وقيل المتكبر وسمي النبي صلى الله عليه وسلم في
كتاب داود بجبار فقال تقلد ايها الجبار سيفك فان ناموسك
وشرايعك مقرونة بهيبة يمينك ومعناه في حق النبي صلى الله عليه وسلم
اما لاصلاحه الامة بالهدايه والتعليم او لقهره اعداه او لعلو منزلته على
البشر وعظيم خطره ونفى تعالى عنه في القران جبرية التكبر التي لا تليق به فقال
وما انت عليهم بجبار ومن اسمايه تعالى الخبير ومعناه المطلع بكنه الشي
العالم بحقيقته وقيل معناه المخبر وقال الله تعالى الرحمن فاسال
به خبيرا قال القاضي بكر بن العلا المامور بالسوال غير النبي عليه السلم
والمسول الخبير هو النبي عليه السلم وقال غيره بل السايل النبي والمسول
الله فالنبي خبير بالوجهين المذكورين قيل لانه عالم على غاية من العلم بما
اعلمه الله من مكنون علمه وعظيم معرفته مخبر لامته بما اذن له من
اعلامهم ومن اسمايه تعالى الفتاح ومعناه الحاكم بين عباده او فاتح
ابواب الرزق والرحمه والمنغلق من امورهم عليهم او يفتح قلوبهم
وبصايرهم لمعرفة الحق ويكون ايضا بمعنى الناصر كقوله ان تستفتحوا
فقد جاءكم الفتح اي تستنصروا فقد جاءكم النصر وقيل معناه
مبتدي الفتح والنصر وسمى الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بالفاتح في
حديث الاسراء الطويل من روايه الربيع بن انس عن ابي العاليه وغيره عن ابي
هريره وفيه من قول الله تعالى وجعلتك فاتحا وخاتما وفيه من قول النبي
صلى الله عليه وسلم في ثنايه على ربه وتعديد مراتبه ورفع لي ذكري وجعلني

فاتحا وخاتما فيكون الفاتح هنا بمعنى الحاكم او الفاتح لابواب الرحمة
على امته والفاتح لبصايرهم لمعرفة الحق والايمان بالله والناصر للحق او المبدي
بهداية الامة او المبدا المقدم في الانبيا والخاتم لهم كما قال
عليه السلم كنت اول الانبيا في الخلق واخرهم في البعث ومن اسمايه تعالى
في الحديث الشكور ومعناه المثيب على العمل القليل وقيل المثني على
المطيعين ووصف بذلك نبيه نوحا عليه السلام فقال انه كان عبدا
شكورا وقد وصف النبي صلى الله عليه وسلم بذلك نفسه فقال افلا
اكون عبدا شكورا اي معترفا بنعم ربي عارفا بقدر ذلك مثنيا
عليه مجهدا نفسي في الزيادة من ذلك كقوله ولين شكرتم لازيدنكم ومن
اسمايه تعالى العليم والعلام وعالم الغيب والشهادة ووصف نبيه
صلى الله عليه وسلم بالعلم وخصه بمزية منه فقال وعلمك
ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما وقال ويعلمكم الكتاب
والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون ومن اسمايه تعالى الاول والاخر
ومعناهما السابق للاشياء قبل وجودها والباقي بعد فنايها وتحقيقه انه
ليس له اول ولا اخر وقال عليه السلم كنت اول الانبيا في الخلق واخرهم
في البعث وفسر بهذا قوله تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك
ومن نوح فقدم محمدا صلى الله عليه وسلم وقد اشار الى نحو منه عمر بن
الخطاب رضي الله عنه ومنه قوله نحن الاخرون السابقون وقوله
انا اول من تنشق عنه الارض واول من يدخل الجنة واول شافع واول

مشفع وهو خاتم النبيين واخر الرسل صلى الله عليه وسلم ومن اسمايه تعالى
القوي وذو القوة المتين ومعناه القادر وقد وصفه الله بذلك فقال
ذي قوة عند ذي العرش مكين قيل محمد وقيل جبريل ومن اسمايه تعالى
الصادق في الحديث الماثور وورد في الحديث ايضا اسمه عليه السلم
بالصادق المصدوق ومن اسمايه تعالى الولي والمولى ومعناهما الناصر
وقد قال الله تعالى النبي اولى بالمومنين من انفسهم وقال
عليه السلام من كنت مولاه فعلي مولاه ومن اسمايه تعالى العفو ومعناه
الصفوح وقد وصف الله بهذا نبيه في القران والتوراة وامره بالعفو
فقال خذ العفو وقال فاعف عنهم واصفح وقال له جبريل وقد ساله
عن قوله خذ العفو قال ان تعفو عمن ظلمك وقال في التوراة والانجيل
في الحديث المشهور في صفته ليس بفظ ولا غليظ ولكن يعفو ويصفح
ومن اسمايه تعالى الهادي وهو بمعنى توفيق الله لمن اراد من عباده وبمعنى
الدلالة والدعا قال الله تعالى والله يدعوا الى دار السلم
ويهدي من يشا الى صراط مستقيم وقال فيه وداعيا الى الله باذنه
والله تعالى مختص بالمعنى الاول قال تعالى انك لا تهدي من احببت
ولكن الله يهدي من يشا وبمعنى الدلالة ينطلق على غيره تعالى ومن اسمايه
تعالى المومن المهيمن وقيل هما بمعنى واحد فمعنى المومن في حقه تعالى المصدق
وعده عباده المومنين ورسله وقيل الموحد نفسه وقيل المومن عباده
في الدنيا من ظلمه والمومنين في الاخرة من عذابه وقيل المهيمن

بمعنى الامين مصغر منه فقلبت الهمزة هاء وقد قيل ان قولهم في الدعاء
آمين انه اسم من اسماء الله تعالى ومعناه معنى المؤمن وقيل المهيمن بمعنى الشاهد
والحافظ والنبي صلى الله عليه وسلم امين ومهيمن ومؤمن وقد سماه الله تعالى
امينا فقال مطاع ثم امين وكان عليه السلام يعرف بالامين
وشهر به قبل النبوة وبعدها وسماه العباس في شعره مهيمنا في قوله

ثم احتوى بيتك المهيمن من خندف عليها تحتها النطق

قيل المراد يا ايها المهيمن قاله القتبي والامام ابو القاسم القشيري
وقال تعالى يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين اي يصدق وقال انا امنة لاصحابي
فهذا بمعنى المؤمن ومن اسمائه تعالى القدوس ومعناه المنزه عن النقائص
المطهر من سمات الحدث وسمي بيت المقدس لانه يتطهر فيه من الذنوب
ومنه الوادي المقدس وروح القدس ووقع في كتب الانبياء من اسمائه
عليه السلام المقدس اي المطهر من الذنوب كما قال ليغفر لك
الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر او الذي يتطهر به من الذنوب ويتنزه
باتباعه عنها كما قال ويزكيهم وقال ويخرجهم من الظلمات الى النور
او يكون مقدسا بمعنى مطهرا من الاخلاق الذميمة والاوصاف
الدنية ومن اسمائه تعالى العزيز ومعناه الممتنع الغالب والذي لا نظير له
والمعز لغيره وقال تعالى ولله العزة ولرسوله اي الامتناع
وجلالة القدر وقد وصف الله تعالى نفسه بالبشارة والنذارة فقال
يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وقال ان الله يبشرك بيحيى وبكلمة

منه وسماه تعالى مبشرا ونذيرا اي مبشرا لاهل طاعته ونذيرا لاهل
معصيته ومن اسمائه تعالى فيما ذكره بعض المفسرين طه ويس وقد ذكر
بعضهم ايضا انهما من اسماء محمد صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم

فصل قال القاضي ابو الفضل وفقه الله وها انا اذكر
نكتة اذيل بها هذا الفصل واختم بها هذا القسم وازيح الاشكال
بها فيما تقدم عن كل ضعيف الوهم سقيم الفهم تخلصه من مهاوي التشبيه
وتزحزحه عن شبه التمويه وهو ان يعتقد ان الله جل اسمه في عظمته وكبريائه
وملكوته وحسنى اسمائه وعلي صفاته لا يشبه شيئا من مخلوقاته ولا
يشبه به وانما جاء مما اطلقه الشرع على الخالق وعلى المخلوق فلا تشابه
بينهما في المعنى الحقيقي اذ صفات القديم بخلاف صفات المخلوق وكما
ان ذاته تعالى لا تشبه الذوات كذلك صفاته لا تشبه صفات
المخلوقين اذ صفاتهم لا تنفك عن الاعراض والاغراض وهو تعالى منزه
عن ذلك بل لم يزل بصفاته واسمائه وكفى في هذا قوله ليس كمثله شيء
ولله در من قال من العلماء العارفين المحققين للتوحيد اثبات ذات غير
مشبهة للذوات ولا معطلة من الصفات وزاد هذه النكتة الواسطي
رحمه الله بيانا وهي مقصودنا فقال ليس كذاته ذات ولا كاسمه اسم
ولا كفعله فعل ولا كصفته صفة الا من جهة موافقة اللفظ وجلت
الذات القديمة ان يكون لها صفة حديثة كما استحال ان للذات المحدثة
صفة قديمة وهذا كله مذهب اهل الحق والسنة والجماعة رضي الله

عنه وقد فسر الامام ابو القسم القشيري قوله هذا ليزيد بيانا فقال
هذه الحكايه تشتمل على جوامع مسايل التوحيد وكيف تشبه ذاته
ذات المحدثات وهي بوجودها مستغنيه وكيف يشبه فعله فعل
الخلق وهو لغير جلب انس او دفع نقص حصل ولا بخواطر واغراض وجد ولا
بمعالجه ومباشره ظهر وفعل الخلق لا يخرج عن الوجوه وقال
اخر من مشايخنا ما توهمتموه باوهامكم او ادركتموه بعقولكم فهو محدث
مثلكم وقال الامام ابو المعالي الجويني من اطمان الى موجود انتهى اليه فكره
فهو مشبه ومن اطمان الى النفي المحض فهو معطل وان قطع بموجود اعترف
بالعجز عن درك حقيقته فهو موحد وما احسن قول ذي النون
المصري حقيقه التوحيد ان تعلم ان قدره الله في الاشياء بلا علاج
وصنعه لها بلا مزاج وعله كل شي صنعه ولا عله لصنعه وما تصور في
وهمك فالله بخلافه وهذا كلام عجيب نفيس محقق والفصل الاخير
تفسير لقوله ليس كمثله شي والثاني تفسير لقوله لا يسال عما يفعل
وهم يسالون والاول تفسير لقوله انما قولنا لشي اذا اردناه ان
نقول له كن فيكون ثبتنا الله واياك على التوحيد والاثبات والتنزيه
وجنبنا طرفي الضلاله والغوايه من التعطيل والتشبيه بمنه ورحمته

الباب الرابع

فيما اظهره الله تعالى على يديه من المعجزات وشرفه به من الخصايص والكرامات

قال القاضي ابو الفضل حسب المتامل ان يحقق

ان كتابنا هذا لم نجمعه لمنكر نبوه نبينا ولا لطاعن في معجزاته
فنحتاج الى نصب البراهين عليها وتحصين حوزتها حتى لا يتوصل الطاعن
اليها ونذكر شروط المعجز والتحدي وحده وفساد قول من ابطل نسخ
الشرايع ورده بل الفناه لاهل ملته الملبين لدعوته المصدقين
لنبوته ليكون تاكيدا في محبتهم له ومنماه لاعمالهم وليزدادوا ايمانا
مع ايمانهم ونيتنا ان نثبت في هذا الباب امهات معجزاته ومشاهير
اياته لتدل على عظيم قدره عند ربه واتينا منها بالمحقق والصحيح الاسناد
واكثره مما بلغ القطع او كاد واضفنا اليها بعض ما وقع في مشاهير كتب
الايمه واذا تامل المتامل المنصف ما قدمناه من جميل اثره وحميد
سيره وبراعه علمه ورجاحه عقله وحلمه وجمله كماله وجميع خصاله
وشاهد حاله وصواب مقاله لم يمتر في صحه نبوته وصدق دعوته وقد
كفى هذا غير واحد في اسلامه والايمان به فروينا عن الترمذي وابن
قانع وغيرهما باسانيدهم ان عبد الله بن سلام قال لما قدم رسول الله
صلى الله عليه المدينه جيته لانظر اليه فلما استبنت وجهه عرفت
ان وجهه ليس بوجه كذاب حدثنا القاضي الشهيد ابو علي رحمه الله
قال حدثنا ابو الحسين الصيرفي وابو الفضل بن خيرون عن ابي يعلى
البغدادي عن ابي علي السنجي عن ابن محبوب عن الترمذي حدثنا محمد بن
بشار حدثنا عبد الوهاب الثقفي ومحمد بن جعفر وابن ابي عدي ويحيى
بن سعيد عن عوف بن ابي جميله الاعرابي عن زراره بن اوفى عن عبد

الله بن سلام الحديث وعن ابي رمثة التيمي اتيت النبي صلى الله عليه وسلم
ومعي ابن لي فاريته فلما رايته قلت هذا نبي الله وروى مسلم وغيره ان ضمادا
لما وفد عليه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ان الحمد لله نحمده
ونستعينه من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له واشهد
ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله قال
اعد علي كلماتك هولاء فلقد بلغن قاموس البحر هات يدك ابايعك
وقال جامع بن شداد كان رجل منا يقال له طارق فاخبر انه راى النبي
صلى الله عليه وسلم بالمدينة فقال هل معكم شيا تبيعونه قلنا هذا
البعير قال بكم قلنا بكذا وكذا وسقا من تمر فاخذ بخطامه وسار
الى المدينة فقلنا بعنا من رجل لا ندري من هو ومعنا ظعينة فقالت
انا ضامنة لثمن البعير رايت وجه رجل مثل القمر ليلة البدر لا يخيس
بكم فاصبحنا فجا رجل بتمر فقال انا رسول رسول الله
اليكم يامركم ان تاكلوا من هذا التمر وتكتالوا حتى تستوفوا ففعلنا وفي
خبر الجلندي ملك عمان لما بلغه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يدعوه الى الاسلام قال الجلندي والله لقد دلني على هذا النبي الامي انه
لا يامر بخير الا كان اول اخذ به ولا ينهى عن شي الا كان اول تارك
له وانه يغلب فلا يبطر ويغلب ولا يضجر ويفي بالعهد وينجز الموعود
واشهد انه نبي وقال نفطويه في قوله تعالى يكاد زيتها
يضي ولو لم تمسسه نار هذا مثل ضربه الله تعالى لنبيه عليه

السلام يقول يكاد منظره يدل على نبوته وان لم يتل قرانا كما قال
ابن رواحة لو لم تكن فيه ايات مبينة لكان منظره ينبيك بالخبر وقد آن
ان ناخذ في ذكر النبوة والوحي والرسالة وبعده في معجزة القران وما فيه
من برهان ودلالة

فصل

اعلم ان الله جل اسمه قادر على خلق
المعرفة في قلوب عباده والعلم بذاته واسمايه وصفاته وجميع تكليفاته
ابتدا دون واسطة لو شا كما حكي عن سنته في بعض الانبيا وذكره بعض
اهل التفسير في قوله وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا وجائز ان
يوصل اليهم جميع ذلك بواسطة تبلغهم كلامه وتكون تلك الواسطة
اما من غير البشر كالملايكة مع الانبيا او من جنسهم كالانبيا مع الامم
ولا مانع لهذا من دليل العقل واذا جاز هذا ولم يستحل وجات الرسل بما
دل على صدقهم من معجزاتهم وجب تصديقهم في جميع ما اتوا به لان المعجز
مع التحدي من النبي قائم مقام قول الله صدق عبدي فاطيعوه واتبعوه
وشاهد على صدقه فيما يقوله وهذا كاف والتطويل فيه خارج عن
الغرض فمن اراد تتبعه وجده مستوفى في مصنفات ايمتنا رحمهم الله
والنبوة في لغة من همز ماخوذة من النبا وهو الخبر وقد لا يهمز على هذا
التاويل تسهيلا والمعنى ان الله تعالى اطلعه على غيبه واعلمه انه نبيه فيكون
نبي منبا فعيل بمعنى مفعول او يكون مخبرا بما بعثه الله به ومنبيا بما اطلعه
الله عليه فعيل بمعنى فاعل ويكون عند من لم يهمزه من النبوة وهو ما ارتفع
من الارض معناه ان له رتبة شريفة ومكانة نبيهة عند مولاه منيفة

فالوصفان في حقه مؤتلفان واما الرسول فهو المرسل ولم يات
فعول بمعنى مفعل في اللغة الا نادرا وارساله امر الله له بالابلاغ الى
من ارسله اليه واشتقاقه من التتابع ومنه قولهم جا الناس ارسالا
اذا تبع بعضهم بعضا فكانه الزم تكرير التبليغ والزم الامة اتباعه
واختلف العلما هل النبي والرسول بمعنى او بمعنيين فقيل هما سوا واصله
من الانبا والاعلام واستدلوا بقوله تعالى وما ارسلنا من قبلك من
رسول ولا نبي فقد اثبت لهما الارسال قال ولا يكون النبي الا رسولا
ولا الرسول الا نبيا وقيل هما مفترقان من وجه اذ قد اجتمعا في النبوه
التي هي الاطلاع على الغيب والاعلام بخواص النبوة او الرفعة بمعرفة ذلك
وحوز درجتها وافترقا في زيادة الرسالة للرسول وهو الامر بالانذار
والاعلام كما قلنا وحجتهم من الاية نفسها التفريق بين الاسمين ولو كانا
شيا واحدا لما حسن تكرارهما في الكلام البليغ قالوا والمعنى وما
ارسلنا من رسول الى امة ونبي ليس بمرسل الى احد وقد ذهب
بعضهم الى ان الرسول من جا بشرع مبتدا ومن لم يات به نبي غير رسول
وان امر بالابلاغ والانذار والصحيح الذي عليه الجما الغفير ان كل رسول
نبي وليس كل نبي رسولا واول الرسل ادم واخرهم محمد صلى الله عليه
وسلم وفي حديث ابي ذر عنه ان الانبيا مايه الف واربعة وعشرون
الف نبي وذكر ان المرسل منهم ثلاث مايه وثلاثة عشر اولهم ادم فقد
بان لك معنى النبوة والرسالة وليستا عند المحققين ذاتا للنبي ولا وصف

ذات خلافا للكرامية في تطويل لهم وتهويل ليس عليه تعويل واما
الوحي فاصله الاسراع فلما كان النبي يتلقا ما ياتيه من ربه بعجل سمي وحيا
وسميت انواع الالهامات وحيا تشبيها بالوحي الى النبي صلى الله عليه وسلم
وسمي الخط وحيا لسرعة حركة كاتبه ووحي الحاجب واللحظ سرعة اشارتهما
ومنه قوله تعالى فاوحى اليهم ان سبحوا بكرة وعشيا اي اوما ورمز
وقيل كتب ومنه قولهم الوحي الوحا اي السرعة وقيل اصل الوحي
السر والاخفا ومنه سمي الالهام وحيا ومنه قوله وان الشياطين
ليوحون الى اوليايهم اي يوسوسون في صدورهم ومنه قوله واوحينا
الى ام موسى اي القى في قلبها وقد قيل ذلك في قوله تعالى وما كان لبشر
ان يكلمه الله الا وحيا اي ما يلقيه في قلبه دون واسطة

فصل

اعلم ان معنى تسميتنا ما جات به الانبيا معجزة هو ان الخلق
عجزوا عن الاتيان بمثلها وهي على ضربين ضرب هو من نوع قدرة البشر
فعجزوا عنه فتعجيزهم عنه فعل لله دل على صدق نبيه كصرفهم عن تمني
الموت وتعجيزهم عن الاتيان بمثل القران على راي بعضهم ونحوه وضرب
هو خارج عن قدرتهم فلم يقدروا على الاتيان بمثله كاحيا الموتى
وقلب العصا حية واخراج ناقة من صخرة وكلام شجرة ونبع الما من الاصابع
وانشقاق القمر مما لا يمكن ان يفعله احد الا الله فكون ذلك على يد النبي
من فعل الله تعالى وتحديه من يكذبه ان ياتي بمثله تعجيز له واعلم
ان المعجزات التي ظهرت على يد نبينا صلى الله عليه وسلم ودلايل نبوته

وبراهين صدقه من هذين النوعين معا وهو اكثر الرسل معجزة وابهرهم آية واظهرهم برهانا كما سنبينه وهي في كثرتها لا يحيط بها ضبط فان واحدا منها وهو القران لا تحصى عدد معجزاته بالف ولا الفين ولا اكثر لان النبي قد تحدى بسورة منها فعجز عنها قال اهل العلم واقصر السور انا اعطيناك الكوثر فكل آية او آيات منها بعددها وقدرها معجزة ثم فيها نفسها معجزات على ما سنفصله فيما انطوى عليه من المعجزات ثم معجزاته صلى الله عليه وسلم على قسمين قسم منها علم قطعا ونقل الينا متواترا كالقران ولا مرية ولا خلاف بمجي النبي به وظهوره من قبله واستدلاله بحجته وان انكر هذا معاند جاحد فهو كانكاره وجود محمد في الدنيا وانما جا اعتراض الجاحدين في الحجة فهو في نفسه وجميع ما تضمنه من معجز معلوم ضرورة ووجه اعجاز معلوم ضرورة ونظرا كما سنشرحه وقال بعض ائمتنا ويجري على هذا المجرى على الجملة انه قد جرى على يديه عليه السلم ايات وخوارق عادات ان لم يبلغ واحد منها معينا القطع فيبلغه جميعها فلا مرية في جريان معانيها على يديه ولا يختلف مومن ولا كافر انه جرت على يديه عجايب وانما خلاف المعاند في كونها من قبل الله وقد قدمنا كونها من قبل الله وان ذلك بمثابة قوله صدقت فقد علم وقوع مثل هذا ايضا من نبينا ضرورة لاتفاق معانيها كما يعلم ضرورة جود حاتم وشجاعة عنتر وحلم احنف لاتفاق الاخبار الواردة عن كل واحد منهم على كرم هذا وجوده وشجاعة هذا وحلم هذا وان كان كل خبر بنفسه لا يوجب العلم ولا يقطع بصحته

والقسم الثاني ما لم يبلغ مبلغ الضرورة والقطع وهو على نوعين نوع مشتهر منتشر رواه العدد شاع الخبر به عند المحدثين والرواة ونقله السير والاخبار كنبع الماء من بين الاصابع وتكثير الطعام ونوع منه اختص به الواحد والاثنان ورواه العدد اليسير ولم يشتهر اشتهار غيره لكنه اذا جمع الى مثله اتفقا في المعنى واجتمعا على الاتيان بالمعجز كما قدمناه قال القاضي ابو الفضل وانا اقول صدعا بالحق ان كثيرا من هذه الايات المأثورة عنه عليه السلم معلومة بالقطع اما انشقاق القمر فالقران نص بوقوعه واخبر عن وجوده ولا يعدل عن ظاهر الا بدليل وجاء برفع احتماله صحيح الاخبار من طرق كثيرة ولا يوهن عزمنا خلاف اخرق منحل عرى الدين ولا يلتفت الى سخافة مبتدع يلقي الشك على قلوب ضعفاء المومنين بل نرغم بهذا انفه وننبذ بالعرا سخفه وكذلك قصة نبع الماء وتكثير الطعام رواها الثقات والعدد الكثير عن الجماء الغفير عن العدد الكثير من الصحابة ومنها ما رواه الكافة عن الكافة متصلا عمن حدث بها من جملة الصحابة واخبارهم ان ذلك كان في موطن اجتماع الكثير منهم في يوم الخندق وفي غزوة بواط وعمرة الحديبية وغزوة تبوك وامثالها من محافل المسلمين ومجمع العساكر ولم يوثر على احد من الصحابة مخالفة للراوي فيما حكاه ولا انكار عما ذكر عنهم انهم رأوه كما رآه فسكوت الساكت منهم كنطق الناطق اذ هم المنزهون عن السكوت على باطل والمداهنة في كذب وليس هناك رغبة ولا رهبة تمنعهم ولو كان ما سمعوه منكرا عندهم وغير معروف لديهم لانكروه

كما انكر بعضهم على بعض اشعارا وابياتا من السنن والسير وحروف القرآن
وخطا بعضهم بعضا ووهمه في ذلك مما هو معلوم فهذا النوع كانه
يلحق بالقطعي من معجزاته لما بيناه وايضا فان امثال الاخبار التي لا اصل
لها وبنيت على باطل لا بد مع مرور الازمان وتداول الناس واهل البحث
من انكشاف ضعفها وخمول ذكرها كما نشاهد في كثير من الاخبار الكاذبه
والاراجيف الطاريه واعلام نبينا هذه الوارده من طريق الاحاد لا تزداد
مع مرور الزمان الا ظهورا ومع تداول الفرق وكثرة طعن العدو وحرصه
على توهينها وتضعيف اصلها واجتهاد الملحد على اطفا نورها الا قوة
وقبولا وللطاعن عليها الا حسرة وغليلا وكذلك اخباره عن الغيوب
وانباوه بما يكون وكان معلوم من اياته على الجمله بالضروره وهذا حق لا
غطا عليه وقد قال ــــ به من ايمتنا الاستاذ والقاضي وابو بكر
وغيرهما رحمهم الله وما عندي اوجب قول القايل ان هذه القصص
المشهوره من باب خبر الواحد الا قلة مطالعته للاخبار وروايتها
وشغله بغير ذلك من المعارف والا فمن اعتنى بطرق النقل وطالع الاحاديث
والسير لم يرتب في صحة هذه القصه المشهوره على الوجه الذي ذكرناه
ولا يبعد ان يحصل العلم بالتواتر عند واحد ولا يحصل عند اخر فان
اكثر الناس يعلمون بالخبر كون بغداد موجوده وانها مدينه عظيمه ودار
الامامه والخلافه واحاد من الناس لا يعلمون اسمها فضلا من وصفها وهكذا
تعلم الفقها من اصحاب مالك بالضروره وتواتر النقل عنه ان مذهبه ايجاب

قرا

قراة ام القران في الصلاه للمنفرد والامام واجزا النيه في اول ليله من
رمضان عما سواه وان الشافعي يرى تجديد النيه كل ليله والاقتصار في
المسح على بعض الراس وان مذهبهما القصاص في القتل بالمحدد وغيره وايجاب
النيه في الوضو واشتراط الولي في النكاح وان ابا حنيفه يخالفهما في هذه
المسايل وغيرهم ممن لم يشتغل بمذاهبهم ولا روى اقوالهم لا يعلم هذا من
مذاهبهم فضلا عن سواه وعند ذكرنا احاد هذه المعجزات نزيد الكلام
فيها بيانا ان شا الله تعالى **فصل** في اعجاز القران اعلم وفقنا الله واياك
ان كتاب الله العزيز منطو على وجوه من الاعجاز كثيره وتحصيلها من جهة ضبط
انواعها في اربعة وجوه اولها حسن تاليفه والتيام كلمه وفصاحته ووجوه
ايجازه وبلاغته الخارقه عادة العرب وذلك انهم كانوا ارباب هذا
الشان وفرسان الكلام قد خصوا من البلاغه والحكم ما لم يخص به غيرهم
من الامم واوتوا من ذرابة اللسان ما لم يوت انسان ومن فصل الخطاب
ما يقيد الالباب جعل الله ذلك لهم طبعا وخلقه وفيهم غريزة وقوة
ياتون منه على البديهه بالعجب ويدلون به الى كل سبب يخطبون بديها
في المقامات وشديد الخطب ويرتجزون به بين الطعن والضرب
ويمدحون ويقدحون ويتوسلون ويرفعون ويضعون فياتون من
ذلك بالسحر الحلال ويطوقون من اوصافهم اجمل من سمط اللال فيخدعون
الالباب ويذللون الصعاب ويذهبون الاحن ويهيجون الدمن ويجرون
الجبان ويبسطون به الجعد البنان ويصيرون الناقص كاملا ويتركون

البينة خاملا منهم البدوي ذو اللفظ الجزل والقول الفصل والكلام
الفخم والطبع الجوهري والمنزع القوي ومنهم الحضري ذو البلاغة البارعة
والالفاظ الناصعة والكلمات الجامعة والطبع السهل والتصرف في
القول القليل الكلفة الكثير الرونق القليل الحاشية وكلا البابين فلهما
في البلاغة الحجة البالغة والقوة الدامغة والقدح الفالج والمهيع الناهج لا
يشكون ان الكلام طوع مرادهم والبلاغة ملك قيادهم قد حووا فنونها
واستنبطوا عيونها ودخلوا من كل باب من ابوابها وعلوا صرحا لبلوغ اسبابها
فقالوا في الخطير والمهين وتفننوا في الغث والسمين وتقاولوا في القل والكثر
وتساجلوا في النظم والنثر فما راعهم الا رسول كريم بكتاب عزيز لا يأتيه
الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد احكمت اياته
وفصلت كلماته وبهرت بلاغته العقول وظهرت فصاحته على كل مقول
وتظافر ايجازه واعجازه وتظاهرت حقيقته ومجازه وتبارت في الحسن
مطالعه ومقاطعه وحوت كل البيان جوامعه وبدائعه واعتدل مع ايجازه
حسن نظمه وانطبق على كثير فوائده مختار لفظه وهم افسح ما كانوا في هذا
الباب مجالا واشهر في الخطابة رجالا واكثر في السجع والشعر سجالا واوسع في
الغريب واللغة مقالا بلغتهم التي يتحاورون ومنازعهم التي عليها يتناضلون
صارخا بهم في كل حين ومقرعا لهم بضعا وعشرين عاما على رؤوس الملا
اجمعين ام يقولون افتراه قل فاتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم
من دون الله ان كنتم صادقين وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا

بسورة من مثله الى ولن تفعلوا وقل لئن اجتمعت الجن والانس على ان
ياتوا بمثل هذا القران الاية وقل فاتوا بعشر سور مثله مفتريات وذلك
ان المفترى اسهل ووضع الباطل والمختلق على الاختيار اقرب واللفظ اذا اتبع المعنى
الصحيح كان اصعب ولهذا قيل فلان يكتب كما يقال له وفلان يكتب على ما
يريد وللاول على الثاني فضل وبينهما شاو بعيد فلم يزل يقرعهم صلى
الله عليه وسلم اشد التقريع ويوبخهم غاية التوبيخ ويسفه احلامهم ويحط
اعلامهم ويشتت نظامهم ويذم آلهتهم واباءهم ويستبيح ارضهم وديارهم
واموالهم وهم في كل هذا ناكصون عن معارضته محجمون عن مماثلته
يخادعون انفسهم بالتشغيب بالتكذيب والاغترار بالافتراء وقولهم ان
هذا الا سحر يؤثر وسحر مستمر وافك افتراه واساطير الاولين والمباهتة
والرضى بالدنية كقولهم قلوبنا غلف وفي اكنة مما تدعونا اليه
وفي اذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب ولا تسمعوا لهذا القران والغوا
فيه لعلكم تغلبون والادعاء مع العجز بقولهم لو نشاء لقلنا مثل هذا
وقد قال لهم الله ولن تفعلوا فما فعلوا ولا قدروا ومن تعاطى ذلك من
سخفائهم كمسيلمة كشف عواره لجميعهم وسلبهم الله ما الفوه من فصيح كلامهم
والا فلم يخف على اهل الميز منهم انه ليس من نمط فصاحتهم ولا جنس بلاغتهم
بل ولوا عنه مدبرين واتوا مذعنين من بين مهتد وبين مفتون ولهذا
لما سمع المغيرة من النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يامر بالعدل والاحسان
وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء الاية قال والله ان له لحلاوة

وان عليه لطلاوة وان اسفله لمغدق وان اعلاه لمثمر ما يقول
هذا بشر وذكر ابو عبيد ان اعرابيا سمع رجلا يقرا فاصدع بما تومر فسجد
وقال سجدت لفصاحته وسمع اخر رجلا يقرا فلما استيئسوا منه خلصوا
نجيا فقال اشهد ان مخلوقا لا يقدر على مثل هذا الكلام وحكي
ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يوما نايما في المسجد فاذا هو بقايم على راسه
يتشهد شهادة الحق فاستخبره فاعلمه انه من بطارقة الروم ممن يحسن كلام
العرب وغيرها وانه سمع قوما من اسرى المسلمين يقرا اية من كتابكم فاملتها
فاذا قد جمع فيها ما انزل على عيسى بن مريم من احوال الدنيا والاخرة وهي
قوله تعالى ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه الاية وحكى الاصمعي انه سمع
كلام جارية فقال لها قاتلك الله ما افصحك فقالت او يعد
هذا فصاحة بعد قول الله تعالى واوحينا الى ام موسى ان ارضعيه الاية
فجمع في اية واحدة بين امرين ونهيين وخبرين وبشارتين فهذا نوع من اعجازه
منفرد بذاته غير مضاف الى غيره على التحقيق والصحيح من القولين وكون
القران من قبل النبي صلى الله عليه وسلم وانه اتى به معلوم ضرورة وكونه
عليه السلم متحديا به معلوم ضرورة وعجز العرب عن الاتيان به معلوم ضرورة
للعالمين بالفصاحة ووجوه البلاغة وسبيل من ليس من اهلها علم ذلك
بعجز المنكرين من اهلها عن معارضته واعتراف المقرين باعجاز بلاغته وانت
اذا تاملت قوله تعالى ولكم في القصاص حيوة وقوله ولو ترى اذ
فزعوا فلا فوت واخذوا من مكان قريب وقوله ادفع بالتي هي

احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم وقوله يا ارض
ابلعي ماءك وياسماء اقلعي الاية وقوله فكلا اخذنا بذنبه فمنهم من ارسلنا
عليه حاصبا الاية واشباهها من الاي بل اكثر القران حققت ما بينته من
ايجاز الفاظها وكثرة معانيها وديباجة عبارتها وحسن تاليف حروفها
وتلاوم كلمها وان تحت كل لفظة منها جملا كثيرة وفصولا جمة وعلوما
زواخر ملئت الدواوين من بعض ما استفيد منها وكثرة المقالات في
المستنبطات عنها ثم هو في سرد القصص الطوال واخبار القرون السوالف
التي تضعف في عادة الفصحاء عندها الكلام ويذهب ماء البيان اية
لمتامله من ربط الكلام بعضه ببعض والتيام سرده وتناصف وجوهه
كقصة يوسف على طولها ثم اذا ترددت قصصه اختلفت العبارات عنها
على كثرة ترددها حتى يكاد كل واحد ينسي في البيان صاحبه ويناصف في
الحسن وجه مقابلتها ولا نفور للنفوس من ترديدها ولا معاداة لمعادها

فصل الوجه الثاني من اعجازه صورة نظمه العجيب والاسلوب
الغريب المخالف لاساليب كلام العرب ومناهج نظمها ونثرها الذي
جاء عليها ووقفت مقاطع اية وانتهت فواصل كلماته اليه ولم يوجد قبله
ولا بعده نظير له ولا استطاع احد مماثلة شيء منه بل حارت عقولهم
وتدلهت دونه احلامهم ولم يهتدوا الى مثله في جنس كلامهم من نثر او
نظم او سجع او رجز او شعر ولما سمع كلامه صلى الله عليه وسلم الوليد
بن المغيرة وقرا عليه القران رق فجاءه ابو جهل منكرا عليه وقال

والله ما منكم احد اعلم بالاشعار مني والله ما يشبه الذي يقول شيئاً
من هذا وفي خبر الاخر حين جمع قريشاً عند حضور الموسم وقال
ان وفود العرب ترد فاجمعوا فيه راياً لا يكذب بعضكم بعضاً فقالوا
نقول كاهن فقال والله ما هو بكاهن ما هو بزمزمته ولا سجعه قالوا مجنون
قال وما هو بمجنون ولا بخنقه ولا وسوسته قالوا فنقول شاعر قال
ما هو بشاعر قد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ومبسوطه
ومقبوضه ما هو بشاعر قالوا فنقول ساحر قال ما هو بساحر
ولا نفثه ولا عقده قالوا فما نقول قال ما انتم بقائلين من هذا شيئاً الا
وانا اعرف انه باطل وان اقرب القول انه ساحر فانه سحر يفرق بين المرء
وابيه والمرء واخيه والمرء وزوجته والمرء وعشيرته فتفرقوا وجلسوا
على السبل يحذرون الناس فانزل الله تعالى في الوليد ذرني ومن خلقت
وحيداً الايات وقال عتبة بن ربيعة حين سمع القران يا قوم
قد علمتم اني لم اترك شيئاً الا وقد علمته وقراته وقلته والله لقد سمعت
قولاً ما سمعت مثله قط ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة وقال النضر
بن الحارث نحوه وفي حديث اسلام ابي ذر ووصف اخاه انيساً فقال والله ما
سمعت باشعر من اخي انيس لقد ناقض اثني عشر شاعراً في الجاهلية انا احدهم
وانه انطلق الى مكة وجاء الى ابي ذر بخبر النبي صلى الله عليه وسلم قلت
فما يقول الناس قال يقولون شاعر كاهن ساحر لقد سمعت قول الكهنة
فما هو بقولهم ولقد وضعته على اقراء الشعر فلم يلتئم ولا يلتئم على

لسان احد بعدي انه شعر وانه لصادق وانهم لكاذبون والاخبار في
هذا صحيحة كثيرة والاعجاز بكل واحد من النوعين الايجاز والبلاغة بذاتها
او الاسلوب الغريب بذاته كل واحد منهما نوع اعجاز على التحقيق
لم يقدر العرب على الاتيان بواحد منهما اذ كل واحد خارج عن قدرتها
مباين لفصاحتها وكلامها والى هذا ذهب غير واحد من ائمة المحققين
وذهب بعض المقتدى بهم الى ان الاعجاز في مجموع البلاغة والاسلوب
واتى على ذلك بقول تمجه الاسماع وتنفر منه القلوب والصحيح ما قدمناه
والعلم بهذا كله ضرورة وقطعاً ومن تفنن في علوم البلاغة وارهف خاطره
ولسانه ادب هذه الصناعة لم يخف عليه ما قلناه وقد اختلف
ائمة اهل السنة في وجه عجزهم عنه واكثرهم يقول انه مما جمع في قوة
جزالته ونصاعة الفاظه وحسن نظمه وايجازه وبديع تاليفه واسلوبه
لا يصح ان يكون في مقدور البشر وانه من باب الخوارق الممتنعة اقدار
الخلق عليها كاحياء الموتى وقلب العصا وتسبيح الحصا وذهب الشيخ ابو
الحسن الى انه مما يمكن ان يدخل مثله تحت مقدور البشر ويقدرهم الله
عليه ولكنه لم يكن هذا ولا يكون فمنعهم الله هذا وعجزهم عنه وقال به
جماعة من اصحابه وعلى الطريقين فعجز العرب عنه ثابت واقامة الحجة
عليهم بما يصح ان يكون في مقدور البشر وتحديهم بان ياتوا بمثله قاطع وهو
ابلغ من التعجيز واحرى بالتقريع والاحتجاج بمجيء بشر مثلهم بشيء ليس من
قدرة البشر لازم وهو ابهر اية واقمع دلالة وعلى كل حال فما اتوا في ذلك

بمقابل بل صبروا على الجلا والقتل وتجرعوا كاسات الصغار
والذل وكانوا من شموخ الانوف وابايه الضيم بحيث لا يوثرون ذلك اختيارا
ولا يرضونه الا اضطرارا والا فالمعارضه لو كانت من قدرتهم والشغل
بها اهون عليهم واسرع بالنجح وقطع العذر وافحام الخصم لديهم وهم من هم
قدره على الكلام وقدوه في المعرفه به لجميع الانام وما منهم الا من جهد
جهده واستنفد ما عنده في اخفا ظهوره واطفا نوره فما خلوا في ذلك
خبية من نبات شفاههم ولا اتوا بنطفة من معين مياههم مع طول الامد
وكثرة العدد وتظاهر الوالد وما ولد بل ابلسوا فما نبسوا ومنعوا فانقطعوا
فهذان نوعان من اعجازه **فصل** الوجه الثالث من الاعجاز ما
انطوى عليه من الاخبار بالمغيبات وما لم يكن ولم يقع فوجد كما ورد على
الوجه الذي اخبر كقوله تعالى لتدخلن المسجد الحرام ان شا الله امنين وقوله
وهم من بعد غلبهم سيغلبون وقوله ليظهره على الدين كله ولو كره الايه
وقوله وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم
الايه وقوله اذا جا نصر الله والفتح الى اخرها فكان جميع هذا كما قال
فغلبت الروم فارس في بضع سنين ودخل الناس في الاسلام افواجا فما
مات عليه السلم وفي بلاد العرب موضع لم يدخله الاسلام
واستخلف المومنين في الارض ومكن فيها دينهم وملكهم اياها من اقصى
المشارق الى اقصى المغارب كما قال عليه السلم زويت لي الارض
فاريت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك امتي ما زوي لي منها

وقوله انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون وكان كذلك لا يكاد
يعد من سعى في تغييره وتبديل محكمه من الملحده والمعطله لا سيما القرامطه
فاجمعوا كيدهم وحولهم وقوتهم اليوم نيفا على خمس مايه عام فما قدروا
على اطفا شي من نوره ولا تغيير كلمه من كلامه ولا تشكيك المسلمين في
حرف من حروفه والحمد لله ومنه قوله سيهزم الجمع ويولون الدبر وقوله
قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم الايه وقوله هو الذي ارسل رسوله بالهدى
الايه وقوله لن يضروكم الا اذى وان يقاتلوكم الايه فكان كل ذلك
وما فيه من كشف اسرار المنافقين واليهود ومقالهم وكذبهم في حلفهم
وتقريعهم بذلك كقوله ويقولون في انفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول
وقوله يخفون في انفسهم ما لا يبدون لك وقوله من الذين هادوا سماعون
للكذب وقوله من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه الى قوله
في الدين وقد قال مبديا ما قدره الله واعتقده المومنون يوم بدر واذ
يعدكم الله احدى الطايفتين انها لكم وتودون ان غير ذات الشوكه
تكون لكم ومنه قوله انا كفيناك المستهزين ولما نزلت بشر
النبي صلى الله عليه وسلم بذلك اصحابه بان الله كفاه اياهم وكان المستهزيون
نفرا بمكه ينفرون الناس عنه ويوذونه وقوله والله يعصمك من
الناس فكان كذلك على كثره من رام ضره وقصد قتله والاخبار بذلك
معروفه صحيحه **فصل** الوجه الرابع ما انباه به من اخبار القرون
السالفه والامم البايده والشرايع الداثره مما كان لا تعلم منه القصه

الواحد الا القدر من اخبار اهل الكتاب الذي قطع عمره في تعلم ذلك
فيورده النبي صلى الله عليه وسلم على وجهه ويأتي به على نصه فيعترف
العالم بذلك بصحته وصدقه وان مثله لم ينله بتعليم وقد علموا انه
صلى الله عليه وسلم امي لا يقرا ولا يكتب ولا اشتغل بمدارسة ولا
مثافنة لم يغب عنهم ولا جهل حاله احد منهم وقد كان اهل
الكتاب كثيرا ما يسألونه صلى الله عليه وسلم عن هذا فينزل عليه من
القران ما هو يتلوا عليهم منه ذكرا كقصص الانبيا مع قومهم وخبر موسى
والخضر ويوسف واخوته واصحاب الكهف وذي القرنين ولقمان وابنه
واشباه ذلك من الانبياء وبدء الخلق وما في التوراة والانجيل والزبور
وصحف ابرهيم وموسى مما صدقه فيه العلما بها ولم يقدروا على تكذيب
ما ذكر منها بل اذعنوا لذلك فمنهم موفق آمن بما سبق له من خير ومن شقي
معاند حاسد ومع هذا فلم يحك عن واحد من النصارى واليهود على شدة
عداوتهم له وحرصهم على تكذيبه وطول احتجاجه عليهم بما في كتبهم
وتقريعهم بما انطوت عليه مصاحفهم وكثرة سؤالهم له عليه السلام وتعنيتهم
اياه عن اخبار انبيائهم واسرار علومهم ومستودعات سيرهم واعلامه
لهم بمكتوم شرائعهم ومضمنات كتبهم مثل سؤالهم عن الروح وذي القرنين
واصحاب الكهف وعيسى وحكم الرجم وما حرم اسرائيل على نفسه وما
حرم عليهم من الانعام ومن طيبات كانت احلت لهم فحرمت عليهم ببغيهم
وقوله ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل وغير ذلك من امورهم

التي نزل فيها القران فاجابهم وعرفهم بما اوحي اليه من ذلك انه انكر
ذلك او كذبه بل اكثرهم صرح بصحة نبوته وصدق مقالته واعترف
بعناده وحسده اياه كاهل نجران وابن صوريا وابني اخطب وغيرهم ومن
باهت في ذلك بعض المباهتة وادعى ان فيما عندهم من ذلك لما حكاه
مخالفة دعي الى اقامة حجته وكشف دعوته فقيل له فاتوا بالتوراة
فاتلوها ان كنتم صادقين الى قوله الظالمون فقرع ووبخ ودعا الى احضار
ممكن غير ممتنع فمن معترف بما جحده ومتواقح يلقي على فضيحته من كتابه
يده ولم يؤثر ان واحدا منهم اظهر خلاف قوله من كتبه ولا ابدى صحيحا ولا
سقيما من صحفه قال الله تعالى يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا
يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير الاية

فصل هذه الوجوه الاربعة من اعجازه بينة لا نزاع فيها ولا مرية
ومن الوجوه البينة في اعجازه من غير هذه الوجوه اي وردت بتعجيز قوم في
قضايا واعلامهم انهم لا يفعلونها فما فعلوا ولا قدروا على ذلك كقوله
لليهود قل ان كانت لكم الدار الاخرة عند الله خالصة الاية قال
ابو اسحاق الزجاج في هذه الاية اعظم حجة واظهر دلالة على صحة الرسالة
لانه قال لهم فتمنوا الموت ان كنتم صادقين واعلمهم انهم لن يتمنوه ابدا
فلم يتمنه واحد منهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لا يقولها
رجل منهم الا غص بريقه يعني يموت مكانه فصرفهم الله عن تمنيه
وجزعهم ليظهر صدق رسوله وصحة ما اوحي اليه اذ لم يتمنه احد منهم

وكانوا على تكذيبه أحرص لو قدروا ولكن الله يفعل ما يريد فظهر
بذلك معجزته وبانت حجته قال ابو محمد الأصيلي من اعجب
امرهم انه لا يوجد منهم جماعة ولا واحد من يوم امر الله بذلك نبيه يقدم
عليه ولا يجيب اليه وهذا موجود مشاهد لمن اراد ان يمتحنه منهم
وكذلك آية المباهلة من هذا المعنى حيث وفد عليه اساقفة نجران وابوا الاسلام
فانزل الله عليه آية المباهلة بقوله فمن حاجك فيه الآية فامتنعوا منها
ورضوا باداء الجزية وذلك ان العاقب عظيمهم قال لهم قد علمتم انه نبي
وانه ما لاعن قوما نبي قط فبقي كبيرهم ولا صغيرهم ومثله قوله وان
كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا الى قوله فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاخبرهم
انهم لا يفعلون كما كان وهذه الآية ادخل في باب الاخبار عن الغيب
ولكن فيها من التعجيز ما في التي قبلها

فصل

ومنها الروعة التي
تلحق قلوب سامعيه واسماعهم عند سماعه والهيبة التي تعتريهم عند
تلاوته لقوة حاله وانافة خطره وهي على المكذبين به اعظم حتى كانوا يستثقلون
سماعه ويزيدهم نفورا كما قال تعالى ويودون انقطاعه
لكراهتهم له ولهذا قال عليه السلام ان القرآن صعب مستصعب
على من كرهه وهو الحكم واما المومن فلا تزال روعته به وهيبته اياه
مع تلاوته توليه انجذابا وتكسبه هشاشة لميل قلبه اليه وتصديقه
به قال تعالى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم
وقلوبهم الى ذكر الله وقال لو انزلنا هذا القرآن على جبل الآية

ويدل على ان هذا شيء خص به انه يعتري من لا يفهم معانيه ولا يعلم تفاسيره
كما روي عن نصراني انه مر بقارئ فوقف يبكي فقيل له مم بكيت قال للشجا
والنظم وهذه الروعة قد اعترت جماعة قبل الاسلام وبعده فمنهم من اسلم
لها لأول وهلة وآمن به ومنهم من كفر فحكي في الصحيح عن جبير بن
مطعم قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في المغرب بالطور فلما بلغ
هذه الآية أم خلقوا من غير شيء ام هم الخالقون الى قوله المسيطرون كاد
قلبي ان يطير وفي رواية وذلك اول ما وقر الاسلام في قلبي وعن عتبة بن
ربيعة انه كلم النبي صلى الله عليه وسلم فيما جاء به من خلاف قومه فتلا عليهم
حم فصلت الى قوله صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فامسك عتبة بيده
على فم النبي صلى الله عليه وسلم وناشده الرحم ان يكف وفي رواية فجعل
النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ وعتبة ملق يديه خلف ظهره معتمد عليهما حتى
انتهى الى السجدة فسجد النبي صلى الله عليه وسلم وقام عتبة لا يدري بما يراجعه
ورجع الى اهله ولم يخرج الى قومه حتى اتوه فاعتذر لهم وقال والله لقد
كلمني بكلام والله ما سمعت اذناي بمثله قط فما دريت ما اقول له وقد حكي
عن غير واحد ممن رام معارضته انه اعترته روعة وهيبة كف بها عن ذلك
فحكي ان ابن المقفع طلب ذلك ورامه وشرع فيه فمر بصبي يقرأ وقيل
يا ارض ابلعي ماءك فرجع ومحا ما عمل وقال اشهد ان هذا لا يعارض وما هو
من كلام البشر وكان من افصح اهل وقته وكان يحيى بن حكم الغزال
بليغ الاندلس في زمنه فحكي انه رام شيئا من هذا فنظر في سورة الاخلاص ليحذو

على مثالها ونسج برغمه على هو الها قال فاعترتني خشيه ورقه حملته على
التوبه والانابه فصل ومن وجوه اعجاز القران المعدوده كونه ايه
باقيه لا تعدم ما بقيت الدنيا مع تكفل الله بحفظه فقال
انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون وقال لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من
خلفه وساير معجزات الانبيا انقضت بانقضا اوقاتها فلم يبق الا خبرها
والقران العزيز الباهر اياته الظاهره معجزاته على ما كان عليه اليوم مدة خمس
مايه عام وخمس وثلاثين سنه لاول نزوله الى وقتنا هذا حجته قاهره ومعارضته
ممتنعه والاعصار كلها طافحه باهل البيان وحمله علم اللسان وايمه
البلاغه وفرسان الكلام وجهابذه البراعه والملحد فيهم كثير والمعادي للشرع
عتيد فما منهم من اتى بشي يوثر في معارضته ولا الف كلمتين في مناقضته
ولا قدر فيه على مطعن صحيح ولا قدح المتكلف من ذهنه في ذلك الا بزند
شحيح بل الماثور عن كل من رام ذلك القاوه في العجز بيديه والنكوص على
عقبيه فصل وقد عد جماعة من الايمه ومقلدي الامه في اعجاز
وجوها كثيره منها ان قاريه لا يمله وسامعه لا يمجه بل الاكباب على
تلاوته يزيده حلاوه وترديده يوجب له محبه لا يزال غضا طريا وغيره من
الكلام ولو بلغ في الحسن والبلاغه مبلغه يمل مع الترديد ويعادي اذا
اعيد وكتابنا يستلذ به في الخلوات ويونس بتلاوته في الازمات وسواه
من الكتب لا يوجد فيها ذلك حتى احدث اصحابها لها لحونا وطرقا يستجلبون
بتلك اللحون تنشيطهم على قراتها ولهذا وصف رسول الله صلى الله عليه

وسلم القران بانه لا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضي عبره ولا تفنى عجايبه هو
الفصل ليس بالهزل لا يشبع منه العلما ولا تزيغ به الاهوا ولا تلتبس به الالسنه
هو الذي لم تنته الجن حين سمعته ان قالوا انا سمعنا قرانا عجبا يهدي الى الرشد
ومنها جمعه لعلوم ومعارف لم تعهد العرب عامه ولا محمد صلى الله عليه
وسلم قبل نبوته خاصه بمعرفتها ولا القيام بها ولا يحيط بها احد من علما الامم
ولا يشتمل عليها كتاب من كتبهم فجمع فيه من بيان علم الشرايع والتنبيه على طرق
الحجج العقليات والرد على فرق الامم ببراهين قويه وادله بينه سهله
الالفاظ موجزه المقاصد رام المتحذلقون بعد ان ينصبوا ادله مثلها فلم
يقدروا عليها كقوله اوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق
مثلهم وقل يحييها الذي انشاها اول مره ولو كان فيهما الهه الا الله
لفسدتا الى ما حواه من علوم السير وانبا الامم والمواعظ والحكم واخبار
الدار الاخره ومحاسن الاداب والشيم قال الله جل اسمه ما فرطنا في الكتاب
من شي ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شي ولقد ضربنا للناس في هذا
القران من كل مثل وقال عليه السلم ان الله انزل هذا
القران امرا وزاجرا وسنه خاليه ومثلا مضروبا فيه نباكم وخبر ما كان
قبلكم ونبا ما بعدكم وحكم ما بينكم لا يخلقه طول الرد ولا تنقضي عجايبه
هو الحق ليس بالهزل من قال به صدق ومن حكم به عدل ومن خاصم به فلج
ومن قسم به اقسط ومن عمل به اجر ومن تمسك به هدي الى صراط مستقيم
ومن طلب الهدى من غيره اضله الله ومن حكم بغيره قصمه الله هو الذكر الحكيم

والنور المبين والصراط المستقيم وحبل الله المتين والشفا النافع
عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعه لا يعوج فيقوم ولا يزيغ فيستعتب
ولا تنقضي عجائبه ولا يخلق على كثرة الرد ونحوه عن ابن مسعود وقال
فيه لا تختلف ولا تتشانا فيه نبا الاولين والاخرين وفي الحديث قال الله
لمحمد عليه السلام اني منزل عليك توراة حديثة تفتح بها اعينا عميا واذانا
صما وقلوبا غلفا فيها ينابيع العلم وفهم الحكمة وربيع القلوب وعن كعب
عليكم بالقران فانه فهم العقول ونور الحكمة وقال تعالى
ان هذا القران يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون وقال هذا
بيان للناس وهدى الاية فجمع فيه مع وجازة الفاظه وجوامع كلمه اضعاف ما
في الكتب قبله التي الفاظها على الضعف منه مرات ومنها جمعه فيه بين الدليل
والمدلول وذلك انه احتج بنظم القران وحسن وصفه وايجازه وبلاغته
واثنا هذه البلاغة امره ونهيه ووعده ووعيده فالتالي له يفهم موضع
الحجة والتكليف معا من كلام واحد وسورة منفردة ومنها ان جعله
في حيز المنظوم الذي لم يعهد ولم يكن في حيز المنثور لان المنظوم اسهل
على النفوس واوعى للقلوب واسمع في الاذان واحلى على الافهام فالناس
اليه اميل والاهوا اليه اسرع ومنها تيسيره تعالى حفظه لمتعلميه
وتقريبه على متحفظيه قال الله تعالى ولقد يسرنا القران
للذكر وساير الامم لا تحفظ كتبها الواحد منهم فكيف الجما الغفير على مرور
السنين عليهم والقران ميسر حفظه للغلمان في اقرب مدة ومنها

مشاكلة بعض اجزايه بعضا وحسن ائتلاف انواعها والتيام اقسامها وحسن
التخلص من قصة الى اخرى والخروج من باب الى غيره على اختلاف معانيه
وانقسام السورة الواحدة الى امر ونهي وخبر واستخبار ووعد ووعيد واثبات
نبوة وتوحيد وتقرير وترغيب وترهيب الى غير ذلك من فوايده دون
خلل يتخلل فصوله والكلام الفصيح اذا اعتوره مثل هذا ضعفت قوته ولانت
جزالته وقل رونقه وتقلقلت الفاظه فتامل اول ص وما جمع فيها
من اخبار الكفار وشقاقهم وتقريعهم باهلاك القرون من قبلهم وما ذكر
من تكذيبهم لمحمد وتعجبهم مما اتى به والخبر عن اجماع ملايهم على الكفر وما ظهر
من الحسد في كلامهم وتعجيزهم وتوهينهم ووعيدهم بخزي الدنيا والاخرة
وتكذيب الامم قبلهم واهلاك الله لهم ووعيد هولا مثل مصابهم
وتصبير النبي صلى الله عليه وسلم على اذاهم وتسليته بكل ما تقدم ذكره ثم اخذ
في ذكر داود وقصص الانبيا كل هذا في اوجز كلام واحسن نظام ومنه
الجملة الكثيرة التي انطوت عليها الكلمات القليلة وهذا كله وكثير مما ذكرنا
انه ذكر في اعجاز القران الى وجوه كثيرة لم نذكرها اكثرها داخل في باب بلاغته
ولا ينبغي ان نعد فنا منفردا في اعجازه الا في باب فنون تفصيل البلاغة وكذلك
كثيرا مما قدمنا ذكره عنهم يعد في خواصه وفضايله لا اعجازه وحقيقة
الاعجاز الوجوه الاربعة التي ذكرنا فليعتمد عليها وما بعدها من خواص
القران وعجايبه التي لا تنقضي وبالله التوفيق **فصل** في انشقاق القمر
وحبس الشمس قال الله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر وان

يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر اخبر تعالى بوقوع انشقاقه بلفظ
الماضي واعراض الكفرة عن آياته فاجمع المفسرون واهل السنة على وقوعه
اخبرنا الحسين بن محمد الحافظ من كتابه حدثنا القاضي سراج بن عبد
الله حدثنا الاصيلي حدثنا المروزي حدثنا الفربري حدثنا البخاري حدثنا مسدد
حدثنا يحيى عن شعبة وسفيان عن الاعمش عن ابرهيم عن ابي معمر عن ابن مسعود
قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقتين
فرقة فوق الجبل وفرقة دونه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا
وفي رواية مجاهد ونحن مع النبي صلى الله عليه وسلم وفي بعض طرق الاعمش بمنى
ورواه ايضا عن ابن مسعود الاسود وقال حتى رايت الجبل بين فرجتي القمر
ورواه عنه مسروق انه كان بمكة وزاد فقال كفار قريش
سحركم ابن ابي كبشة فقال رجل منهم ان محمدا ان كان سحر القمر فانه لا يبلغ من
سحره ان يسحر الارض كلها فسلوا من ياتيكم من بلد آخر هل راوا هذا فاتوا
فسالوا فاخبروهم انهم راوا مثل ذلك وحكى السمرقندي عن الضحاك
نحوه وقال فقال ابو جهل هذا سحر فابعثوا الى اهل الآفاق حتى ينظروا ارأوا
ذلك ام لا فاخبر اهل الآفاق انهم راوه منشقا فقالوا يعني الكفار هذا
سحر مستمر ورواه ايضا عن ابن مسعود علقمة فهولاء اربعة عن عبد الله
وقد رواه غير ابن مسعود كما رواه ابن مسعود منهم انس وابن عباس وابن عمر
وحذيفة وعلي وجبير بن مطعم فقال علي من رواية ابي حذيفة الارحبي
انشق القمر ونحن مع النبي صلى الله عليه وسلم وعن انس سال اهل مكة النبي

صلى الله عليه وسلم ان يريهم آية فاراهم انشقاق القمر فرقتين حتى راوا حرا بينهما
رواه عن انس قتادة وفي رواية معمر وغيره عن قتادة عنه اراهم القمر مرتين
انشقاقه فنزلت اقتربت الساعة وانشق القمر ورواه عن جبير بن مطعم
ابنه محمد وابن ابنه جبير بن محمد ورواه عن ابن عباس عبيد الله بن عبد الله بن عتبة
ورواه عن ابن عمر مجاهد واكثر طرق هذه الاحاديث صحيحة والآية مصرحة ولا
يلتفت الى اعتراض مخذول بانه لو كان هذا لم يخف على اهل الارض اذ هو شي
ظاهر لجميعهم اذ لم ينقل لنا عن اهل الارض انهم رصدوه تلك الليلة فلم يروه
انشق ولو نقل الينا عمن لا يجوز تمالؤهم لكثرتهم على الكذب لما كانت علينا
به حجة اذ ليس القمر في حد واحد لجميع اهل الارض فقد يطلع على قوم قبل
ان يطلع على آخرين وقد يكون من قوم بضد ما هو من مقابليهم من اقطار الارض
او يحول بين قوم وبينه سحاب او جبال ولهذا نجد الكسوفات في بعض
البلاد دون بعض وفي بعضها جزئية وفي بعضها كلية وفي بعضها لا يعرفها الا
المدعون لعلمها ذلك تقدير العزيز العليم وآية القمر كانت ليلا والعادة من
الناس بالليل الهدو والسكون وايجاف الابواب وقطع التصرف ولا
يكاد يعرف من امور السماء شيا الا من رصد ذلك واهتبل به ولذلك
ما يكون الكسوف القمري كثيرا في البلاد واكثرهم لا يعلم به حتى يخبر وكثيرا
ما يحدث الثقات بعجائب يشاهدونها من انوار ونجوم طوالع عظام
تظهر في الاحيان بالليل في السما ولا علم عند احد منها وخرج الطحاوي
في مشكل الحديث عن اسما بنت عميس من طريقين ان النبي صلى الله عليه وسلم

كان يوحا اليه وراسه في حجر علي فلم يصل العصر حتى غربت الشمس فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اصليت يا علي فقال لا فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم انه كان في طاعتك وطاعة رسولك
فاردد عليه الشمس قالت اسما فرايتها غربت ثم رايتها طلعت ووقفت على الجبال
والارض وذلك بالصهبا في خيبر قال وهذان الحديثان ثابتان ورواتهما
ثقات وحكى الطحاوي ان احمد بن صالح كان يقول لا ينبغي لمن سبيله العلم
التخلف عن حفظ حديث اسما لانه من علامات النبوة وروى يونس بن بكير
في زيادة المغازي روايته عن ابن اسحاق لما اسري برسول الله صلى الله عليه
وسلم واخبر قومه بالرفقة والعلامة التي في العير قالوا متى تجي قال
يوم الاربعا فلما كان ذلك اليوم اشرفت قريش ينظرون وقد ولى
النهار ولم تجي فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فزيد له في النهار ساعة
وحبست عليه الشمس

فصل في نبع الما من بين اصابعه وتكثيره ببركته

اما الاحاديث في هذا فكثيرة جدا روى حديث نبع الما من بين اصابعه
صلى الله عليه وسلم جماعة من الصحابة منهم انس وجابر وابن مسعود
حدثنا ابو اسحاق ابرهيم بن جعفر الفقيه رحمه الله قرات عليه حدثنا
القاضي عيسى بن سهل حدثنا ابو القاسم حاتم بن محمد حدثنا ابو عمر بن الفخار
حدثنا ابو عيسى حدثنا يحيى حدثنا مالك عن اسحاق بن ابي طلحة عن انس بن
مالك رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم وحانت صلاة العصر فالتمس
الناس الوضو فلم يجدوه فاتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بوضو فوضع

رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك الانا يده وامر الناس ان يتوضوا منه
قال فرايت الما ينبع من بين اصابعه فتوضا الناس حتى توضوا من عند اخرهم
ورواه ايضا عن انس قتادة وقال باناء فيه ما يغمر اصابعه او
لا يكاد يغمر قال كم كنتم قال زهاء ثلاث مائة وفي رواية عنه وهم بالزوراء
عند السوق ورواه ايضا حميد وثابت والحسن عن انس وفي رواية حميد
قلت كم كانوا قال ثمانين ونحوه من ثابت عنه وعنه ايضا وهم نحو من سبعين
رجلا واما ابن مسعود ففي الصحيح عنه من رواية علقمة بينما نحن مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم وليس معنا ما فقال لنا رسول الله صلى الله
عليه وسلم اطلبوا من معه فضل ما فاتي بما فصبه في انا ثم وضع كفه فيه
فجعل الما ينبع من بين اصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي الصحيح عن سالم
بن ابي الجعد عن جابر عطش الناس يوم الحديبية ورسول الله صلى الله عليه
وسلم بين يديه ركوة فتوضا منها واقبل الناس نحوه وقالوا ليس عندنا ما الا
ما في ركوتك فوضع النبي صلى الله عليه وسلم يده في الركوة فجعل الما يفور
من بين اصابعه كامثال العيون وفيه فقلت كم كنتم قال لو كنا مائة الف
لكفانا كنا خمس عشرة مائة وروى مثله عن انس عن جابر وفيه انه كان بالحديبية
وفي رواية الوليد بن عبادة بن الصامت عنه وفي حديث مسلم الطويل في ذكر
غزوة بواط قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جابر
ناد الوضو وذكر الحديث بطوله وانه لم يجد الا قطرة في عزلا شجب فاتي به
النبي صلى الله عليه وسلم فغمزه وتكلم بشي لا ادري ما هو وقال

نادِ بجفنة الركب فأتيت بها فوضعتها بين يديه وذكر أن النبي صلى الله عليه
وسلم بسط يده في الجفنة وفرق أصابعه وصب جابر عليه وقال
بسم الله قال فرأيت الماء يفور من بين أصابعه ثم فارت الجفنة واستدارت حتى
امتلأت وأمر الناس بالاستقاء فاستقوا حتى رووا فقلت هل بقي أحد له
حاجة فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده من الجفنة وهي ملأى وعن الشعبي
أتي النبي صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره بإداوة ماء وقيل ما معنا يا رسول
الله ماء غيرها فسكبها في ركوة ووضع إصبعه وسطها وغمسها في الماء وجعل الناس
يجيئون ويتوضؤون ثم يقومون قال الترمذي وفي الباب عن عمران
بن الحصين ومثل هذا في هذه المواطن الحفلة والجموع الكثيرة لا تتطرق التهمة
إلى المحدث به لأنهم كانوا أسرع شيء إلى تكذيبه لما جبلت عليه النفوس
من ذلك ولأنهم كانوا ممن لا يسكت عن باطل فهؤلاء قد رووا هذا وأشاعوه
ونسبوا حضور الجم الغفير له ولم ينكر أحد من الناس عليهم ما حدثوا به
عنهم أنهم فعلوه وشاهدوه فصار كتصديق جميعهم له **فصل** ومما
يشبه هذا من معجزاته تفجير الماء ببركته وانبعاثه بمسه ودعوته فما روى
مالك في الموطأ عن معاذ بن جبل في قصة غزوة تبوك وأنهم وردوا العين
وهي تبض بشيء من الماء مثل الشراك فغرفوا من العين بأيديهم حتى اجتمع في
شيء ثم غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه وجهه ويديه وأعاده فيها
فجرت بماء كثير فاستقى الناس قال في حديث ابن إسحاق فانخرق من الماء
ما له حس كحس الصواعق ثم قال يوشك يا معاذ إن طالت بك

حياة أن ترى ما ههنا قد ملئ جنانا وفي حديث البراء وسلمة بن الأكوع
وحديثه أتم في قصة الحديبية وهم أربع عشرة مائة وبئرها لا تروي خمسين
شاة فنزحناها فلم نترك فيها قطرة فقعد رسول الله صلى الله عليه وسلم
على جباها قال البراء وأتي بدلو منها فبصق فدعا وقال سلمة فإما دعا
وإما بصق فيها فجاشت فارتووا واستقوا وركابهم وفي غير هذه الروايتين في
هذه القصة من طريق ابن شهاب في الحديبية فأخرج سهما من كنانته فوضع
في قعر قليب ليس فيه ماء فروي الناس حتى ضربوا بعطن وعن أبي قتادة وذكر أن
الناس شكوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العطش في بعض أسفاره
فدعا بالميضأة فجعلها في ضبنه ثم التقم فمها فالله أعلم نفث فيها أم لا فشرب
الناس حتى رووا وملؤوا كل إناء معهم فخيل إلي أنها كما أخذها مني وكانوا
اثنين وسبعين رجلا روى مثله عمران بن حصين وذكر الطبري حديث أبي قتادة
على غير ما ذكره أهل الصحيح وأن النبي صلى الله عليه وسلم خرج بهم ممدا لأهل
مؤتة عندما بلغه قتل الأمراء وذكر حديثا طويلا فيه معجزات وآيات
للنبي صلى الله عليه وسلم وفيه إعلامهم أنهم يفقدون الماء في غد وذكر
حديث الميضأة قال والقوم زهاء ثلاث مائة وفي كتاب مسلم
أنه قال لأبي قتادة احفظ على ميضأتك فإنه سيكون لها نبأ وذكر نحوه
ومن ذلك حديث عمران بن حصين حين أصاب النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه
عطش في بعض أسفارهم فوجه رجلين من أصحابه وأعلمهم أنهم يجدون امرأة
بمكان كذا معها بعير عليه مزادتان الحديث فوجداها وأتيا بها إلى النبي

صلى الله عليه وسلم فجعل في آنا من مزادتيها وقال فيه ما شاء الله
أن يقوله ثم أعاده في المزادتين ثم فتحت عزاليهما وأمر الناس فملؤوا أسقيتهم
حتى لم يدعوا شيئا إلا ملؤوه قال عمران وتخيل إلي أنهما لم تزدادا إلا امتلاء
ثم أمر فجمع للمرأة من الأزواد حتى ملأ ثوبها وقال اذهبي فإنا لم نأخذ من مائك
شيئا ولكن الله سقانا الحديث بطوله وعن سلمة بن الأكوع قال نبي الله صلى الله
عليه وسلم هل من وضوء فجاء رجل بإداوة فيها نطفة فأفرغها في قدح فتوضأنا
كلنا ندغفقه دغفقة أربع عشرة مائة وفي حديث عمر في جيش العسرة
وذكر ما أصابهم من العطش حتى إن الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه
فرغب أبو بكر إلى النبي صلى الله عليه وسلم في الدعا فرفع يديه فلم يرجعهما
حتى قالت السما فانسكبت فملؤوا ما معهم من آنية ولم تجاوز العسكر وعن عمرو
بن شعيب أن أبا طالب قال للنبي صلى الله عليه وسلم وهو
رديفه بذي المجاز عطشت وليس عندي ما فنزل النبي صلى الله عليه وسلم
وضرب بقدمه الأرض فخرج الما فقال اشرب والحديث في هذا الباب
كثير ومنه الإجابة بدعا الاستسقاء وما جانسه

فصل

ومن معجزاته تكثير الطعام ببركته ودعائه حدثنا القاضي الشهيد
أبو علي رحمه الله حدثنا العذري حدثنا الرازي حدثنا الجلودي حدثنا ابن
سفيان حدثنا مسلم بن الحجاج حدثنا سلمة بن شبيب حدثنا الحسن بن أعين
حدثنا معقل عن أبي الزبير عن جابر أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه
وسلم يستطعمه فأطعمه شطر وسق شعير فما زال يأكل منه وامرأته

وضيفه حتى كاله فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال
لو لم تكله لأكلتم منه ولقام بكم ومن ذلك حديث أبي طلحة المشهور وإطعامه
صلى الله عليه وسلم ثمانين أو سبعين رجلا من أقراص من شعير جاء به أنس تحت
يده أي إبطه فأمر بها ففتت وقال فيها ما شاء الله أن يقول وحديث جابر في
إطعامه صلى الله عليه وسلم يوم الخندق ألف رجل من صاع شعير وعناق
وقال جابر فأقسم بالله لأكلوا حتى تركوه وانحرفوا وإن برمتنا لتغط كما هي
وإن عجيننا ليخبز وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بصق في العجين
والبرمة وبارك رواه عن جابر سعيد بن ميناء وأيمن وحديث أبي أيوب أنه
صنع لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولأبي بكر من الطعام زهاء ما يكفيهما فقال
له النبي صلى الله عليه وسلم ادع ثلاثين من أشراف الأنصار فدعاهم فأكلوا
حتى تركوه ثم قال ادع ستين فكان مثل ذلك ثم قال ادع سبعين
فأكلوا حتى تركوا وما خرج منهم أحد حتى أسلم وبايع قال أبو أيوب فأكل
من طعامي مائة وثمانون رجلا وعن سمرة بن جندب أتي النبي صلى الله عليه
وسلم بقصعة فيها لحم فتعاقبوها من غدوة حتى الليل يقوم قوم ويقعد
آخرون ومن ذلك حديث عبد الرحمن بن أبي بكر كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم
ثلاثين ومائة وذكر في الحديث أنه عجن صاع من طعام وصنعت شاة
فشوي سواد بطنها قال وايم الله ما من الثلاثين ومائة إلا وقد حز له حزة
من سواد بطنها ثم جعل منها قصعتين فأكلنا أجمعون وفضل في القصعتين
فحملته على البعير ومن ذلك حديث عبد الرحمن بن أبي عمرة الأنصاري عن أبيه

ومثله لسلمة بن الاكوع وابي هريرة وعمر بن الخطاب فذكروا مخمصة
اصابت الناس مع النبي صلى الله عليه وسلم في بعض مغازيه فدعا ببقية الازواد
فجاء الرجل بالحثية من الطعام وفوق ذلك واعلاهم الذي اتى بالصاع من التمر
فجمعه على نطع قال سلمة فحزرته كربضة العنز ثم دعا الناس باوعيتهم فما بقي
في الجيش وعاء الا ملؤه وبقي منه وعن ابي هريرة امرني النبي صلى الله عليه
وسلم ان ادعو له اهل الصفة فتتبعتهم حتى جمعتهم فوضعت بين ايدينا
صحفة فاكلنا ما شئنا وفرغنا وهي مثلها حين وضعت الا ان فيها اثر الاصابع
وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم
بني عبد المطلب وكانوا اربعين منهم قوم ياكلون الجذعة ويشربون
الفرق فصنع لهم مدا من طعام فاكلوا حتى شبعوا وبقي كما هو ثم دعا بعس
فشربوا حتى رووا وبقي كانه لم يشرب وقال انس ان النبي صلى الله عليه
وسلم حين ابتنى بزينب امره ان يدعو له قوما سماهم وكل من لقيت حتى
امتلا البيت والحجرة وقدم اليهم تورا فيه قدر مد من تمر جعل حيسا فوضعه
قدامه وغمس ثلاث اصابعه وجعل القوم يتغدون ويخرجون وبقي
التور نحوا مما كان وكان القوم احدا واثنين وسبعين وفي رواية اخرى
في هذه القصة او مثلها ان القوم كانوا زهاء ثلاث مائة وانهم اكلوا حتى
شبعوا وقال لي ارفع فلا ادري حين وضعت كانت اكثر ام حين رفعت
وفي حديث جعفر بن محمد عن ابيه عن علي ان فاطمة طبخت قدرا لغدائهما
ووجهت عليا الى النبي صلى الله عليه وسلم ليتغدى معهما فامرها فغرفت منها

لجميع نسائه صحفة صحفة ثم له عليه السلام ولعلي ثم لها ثم رفعت القدر
وانها لتفيض قالت فاكلنا منها ما شاء الله وامر عمر بن الخطاب
ان يزود اربع مائة راكب من احمس فقال يا رسول الله ما هي الا اصوع قال
اذهب فذهب فزودهم منه وكان قدر الفصيل الرابض من التمر
وبقي بحاله من رواية دكين الاحمسي ومن رواية جرير ومثله من رواية النعمان
بن مقرن الخبر بعينه الا انه قال اربع مائة راكب من مزينة ومن ذلك
حديث جابر في دين ابيه بعد موته وقد كان بذل لغرماء ابيه اصل ماله
فلم يقبلوه ولم يكن في ثمرها سنين كفاف دينهم فجاء النبي صلى الله عليه وسلم
بعد ان امر بجدها وجعلها بيادر في اصولها فمشى فيها ودعا فاوفى منه
جابر غرماء ابيه وفضل مثل ما كانوا يجدون كل سنة وفي رواية مثل ما
اعطاهم قال وكان الغرماء يهود فعجبوا من ذلك وقال
ابو هريرة اصاب الناس مخمصة فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم
هل من شيء قلت نعم شيء من التمر في المزود قال فاتني به فادخل يده فاخرج
قبضة فبسطها ودعا بالبركة ثم قال ادع عشرة فاكلوا حتى شبعوا
ثم عشرة كذلك حتى اطعم الجيش كلهم وشبعوا قال خذ ما جئت به
وادخل يدك فاقبض منه ولا تكبه فقبضت على اكثر مما جئت به فاكلت
منه واطعمت حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعمر الى
ان قتل عثمان فانتهب مني فذهب وفي رواية فقد حملت من ذلك التمر كذا
وكذا من وسق في سبيل الله وذكرت مثل هذه الحكاية في غزوة

بتبوك وان التمر كان بضع عشرة تمرة ومنه ايضا حديث ابي هريرة حين
اصابه الجوع فاشبعه النبي صلى الله عليه وسلم فوجد لبنا في قدح قد
اهدي اليه وامره ان يدعو اهل الصفة قال فقلت ما هذا
اللبن فيهم كنت احق ان اصيب منه شربة اتقوى بها فدعوتهم وذكر
امر النبي صلى الله عليه وسلم له ان يسقيهم فجعلت اعطي الرجل فيشرب
حتى يروى ثم ياخذه الاخر حتى روي جميعهم قال فاخذ النبي صلى الله عليه
وسلم القدح وقال بقيت انا وانت اقعد فاشرب فشربت
ثم قال اشرب فشربت وما زال يقولها واشرب حتى قلت لا والذي
بعثك بالحق ما اجد له مسلكا فاخذ القدح فحمد الله وسمى وشرب
الفضلة وفي حديث خالد بن عبد العزى انه اجزر النبي صلى الله عليه وسلم
شاة وكان عيال خالد كثيرا يذبح الشاة فلا تبد عياله عظما عظما
وان النبي صلى الله عليه وسلم ابد الطعام بين القوم اذا اعطا كل واحد
منهم نصيبه على حدة واكل من هذه الشاة وجعل فضلتها في دار خالد
ودعا له بالبركة فنثر ذلك لعياله فاكلوا وافضلوا ذكر خبره الدولابي
ومن حديث الاجري في انكاح النبي صلى الله عليه وسلم لعلي فاطمة ان
النبي صلى الله عليه وسلم امر بلالا بقصعة من اربعة امداد او خمسة ويذبح
جزورا لوليمتها قال فاتيته بذلك فطعن في راسها ثم ادخل
الناس رفقة رفقة منها حتى فرغوا وبقيت منها فضلة فبرك فيها وامر
بحملها الى ازواجه وقال كلن واطعمن من غشيكن وفي حديث

انس تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم فصنعت امي ام سليم حيسا
فجعلته في تور فذهبت به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
ضعه وادع لي فلانا وفلانا ومن لقيت فدعوتهم ولم ادع احدا لقيته
الا دعوته وذكر انهم كانوا زهاء ثلاثمائة حتى ملؤا الصفة والحجرة
فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم تحلقوا عشرة عشرة ووضع
النبي صلى الله عليه وسلم يده على الطعام فدعا فيه وقال ما شاء الله ان يقول
فاكلوا حتى شبعوا كلهم فقال لي ارفع فما ادري حين وضعت كانت اكثر ام
حين رفعت واكثر احاديث هذه الفصول الثلاثة في الصحيح وقد اجتمع على
معنى حديث هذا الفصل بضعة عشر من الصحابة رواه عنهم اضعافهم
من التابعين ثم من لا ينعد بعدهم واكثرها في قصص مشهورة ومجامع
مشهودة لا يمكن التحدث عنها الا بالحق ولا يسكت الحاضر لها على ما
انكر **فصل** في كلام الشجر وشهادتها له بالنبوة واجابتها
دعوته حدثنا احمد بن محمد بن غلبون الشيخ الصالح فيما اجازنيه
عن ابي عمر الطلمنكي عن ابي بكر بن المهندس عن ابي القاسم البغوي حدثنا
احمد بن عمران الاخنسي حدثنا ابو حيان التيمي وكان صدوقا عن مجاهد
عن ابن عمر قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فدنا منه
اعرابي فقال يا اعرابي اين تريد قال الى اهلي قال هل لك الى خير قال
وما هو قال تشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده
ورسوله قال من يشهد لك على ما تقول قال هذه الشجرة

السمرة وهي بشاطي الوادي فاقبلت تخد الارض حتى قامت بين يديه فاستشهدها ثلاثا فشهدت انه كما قال ثم رجعت الى مكانها وعن بريدة قال سال اعرابي النبي صلى الله عليه وسلم اية فقال قل لتلك الشجرة رسول الله يدعوك قال فمالت الشجرة عن يمينها وشمالها وبين يديها وخلفها فتقطعت عروقها ثم جاءت تخد الارض تجر عروقها مغبرة حتى وقفت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت السلام عليك يا رسول الله قال الاعرابي مرها فلترجع الى منبتها فرجعت فدلت عروقها في ذلك فاستوت فقال الاعرابي ائذن لي اسجد لك قال لو امرت احدا ان يسجد لاحد لامرت المراة ان تسجد لزوجها قال فائذن لي اقبل يديك ورجليك فاذن له وفي الصحيح في حديث جابر بن عبد الله الطويل ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضي حاجته فلم ير شيئا يستتر به فاذا شجرتين بشاطي الوادي فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم الى احداهما فاخذ بغصن من اغصانها فقال انقادي علي باذن الله فانقادت معه كالبعير المخشوش الذي يصانع قائده وذكر انه فعل بالاخرى مثل ذلك حتى اذا كان بالمنصف بينهما قال التئما علي باذن الله فالتامتا وفي رواية اخرى قال يا جابر قل لهذه الشجرة يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم الحقي بصاحبتك حتى اجلس خلفكما ففعلت فرجعت حتى لحقت بصاحبتها فجلس خلفهما فخرجت احضر وجلست احدث نفسي فالتفت فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلا والشجرتان قد افترقتا فقامت كل واحدة منهما على ساق

فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقفة فقال برأسه هكذا يمينا وشمالا وروى اسامة بن زيد نحوه قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض مغازيه هل تعني مكانا لحاجة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت ان الوادي ما فيه موضع بالناس فقال هل ترى من نخل او حجارة فقلت ارى نخلات متقاربات قال انطلق وقل لهن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يامركن ان ياتين لمخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وقل للحجارة مثل ذلك فقلت ذلك لهن فوالذي بعثه بالحق لقد رايت النخلات يتقاربن حتى اجتمعن والحجارة يتعاقدن حتى صرن ركاما خلفهن فلما قضى حاجته قال لي قل لهن يفترقن فوالذي نفسي بيده لرايتهن والحجارة يفترقن حتى عدن الى مواضعهن وقال يعلى بن سيابة كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في مسير وذكر نحوا من هذين الحديثين وذكر فامر وديتين فانضمتا وفي رواية اشاءتين وعن غيلان بن سلمة الثقفي مثله في شجرتين وعن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله في غزاة حنين وعن يعلى بن مرة وهو ابن سيابة ايضا وذكر اشياء راها من رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ان طلحة او سمرة جاءت فاطافت به ثم رجعت الى منبتها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انها استاذنت ان تسلم علي وفي حديث عبد الله بن مسعود اذنت النبي صلى الله عليه وسلم بالجن ليلة استمعوا له شجرة وعن مجاهد عن مسعود في هذا الحديث ان الجن قالوا من يشهد لك قال هذه الشجرة تعالي يا شجرة فجاءت تجر عروقها لها قعاقع وذكر مثل الحديث

الاول أو نحوه قال القاضي ابو الفضل فهذا ابن عمر وبريدة وجابر
وابن مسعود ويعلى بن مرة واسامة بن زيد وانس بن مالك وعلي بن ابي طالب
وابن عباس وغيرهم قد اتفقوا على هذه القصة نفسها او معناها ورواها عنهم
من التابعين اضعافهم فصارت في انتشارها من القوة حيث هي وذكر ابن فورك
انه صلى الله عليه وسلم سار في غزوة الطايف ليلا وهو وسن فاعترضته
سدرة فانفرجت له نصفين حتى جاز بينهما وبقيت على ساقين الى وقتنا وهي هناك
معروفة معظمة ومن ذلك حديث انس ان جبريل قال للنبي صلى الله عليه
وسلم وراه حزينا اتحب ان اريك اية قال نعم فنظر رسول الله صلى الله عليه
وسلم الى شجرة من وراء الوادي فقال ادع تلك الشجرة فجاءت تمشي
حتى قامت بين يديه قال مرها فلترجع فعادت الى مكانها وعن علي نحو هذا
ولم يذكر فيها جبريل قال اللهم ارني اية لا ابالي من كذبني بعدها فدعا
شجرة وذكر مثله وحزنه صلى الله عليه وسلم لتكذيب قومه وطلبه الاية
لهم لا له وذكر ابن اسحاق ان النبي صلى الله عليه وسلم اري ركانة مثل هذه
الاية في شجرة دعاها فاتت حتى وقفت بين يديه ثم قال ارجعي فرجعت
وعن الحسن انه عليه السلام شكا الى ربه من قومه وانهم يخوفونه وساله
اية يعلم بها الا مخافة عليه فاوحى اليه ان ايت وادي كذا فيه شجرة
فادع غصنا منها ياتك ففعل فجاء يخط الارض خطا حتى انتصب بين
يديه فحبسه ما شاء الله ثم قال له ارجع كما جئت فرجع فقال يا رب
علمت الا مخافة علي ونحو منه عن عمر وقال فيه ارني اية لا ابالي من كذبني

بعدها وذكر نحوه وعن ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم قال
لاعرابي ارايت ان دعوت هذا العذق من هذه النخلة اتشهد اني رسول
الله قال نعم فدعاه فجعل ينقز حتى اتاه قال ارجع فعاد الى مكانه وخرجه
الترمذي وقال هذا حديث صحيح **فصل** في قصة حنين الجذع ويعضد
هذه الاخبار حديث انين الجذع وهو في نفسه مشهور منتشر والخبر به
متواتر خرجه اهل الصحيح ورواه من الصحابة بضعة عشر منهم ابي بن
كعب وجابر بن عبد الله وانس بن مالك وعبد الله بن عمر وعبد الله بن
عباس وسهل بن سعد وابو سعيد الخدري وبريدة وام سلمة والمطلب
بن ابي وداعة كلهم يحدث بمعنى هذا الحديث قال الترمذي وحديث
انس صحيح قال جابر بن عبد الله كان المسجد مسقوفا على جذوع نخل
فكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا خطب يقوم الى جذع منها فلما صنع
له المنبر سمعنا لذلك الجذع صوتا كصوت العشار وفي رواية انس حتى
ارتج المسجد بخواره وفي رواية سهل وكثر بكا الناس لما راوا به وفي رواية
المطلب حتى تصدع وانشق حتى جا النبي صلى الله عليه وسلم فوضع
يده عليه فسكت زاد غيره فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان هذا بكا لما
فقد من الذكر وزاد غيره والذي نفسي بيده لو لم التزمه لم يزل هكذا
الى يوم القيمة تحزنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فامر به رسول الله صلى
الله عليه وسلم فدفن تحت المنبر كذا في حديث المطلب وسهل بن سعد
واسحاق عن انس وفي بعض الروايات عن سهل فدفنت تحت منبره

أو جعلت في السقف وفي حديث أبي فكان إذا صلى النبي صلى الله عليه
وسلم صلى إليه فلما هدم المسجد أخذه أبي فكان عنده إلى أن أكلته الأرض
وعاد رفاتا وذكر الاسفرايني أن النبي صلى الله عليه وسلم دعاه إلى نفسه
فجاء يخرق الأرض فالتزمه ثم أمره فعاد إلى مكانه وفي حديث بريدة فقال
يعني النبي صلى الله عليه وسلم إن شئت أردك إلى الحائط الذي كنت فيه
تنبت لك عروقك ويكمل خلقك ويجدد لك خوص وثمرة وإن شئت
أغرسك في الجنة فيأكل أولياء الله من ثمرك ثم أصغى له النبي صلى الله عليه
وسلم يسمع ما يقول فقال بل تغرسني في الجنة فيأكل مني أولياء الله
وأكون في مكان لا أبلى فيه فسمعه من يليه فقال النبي صلى الله عليه
وسلم قد فعلت ثم قال اختار دار البقاء على دار الفناء فكان الحسن إذا
حدث بهذا بكى وقال يا عباد الله الخشبة تحن إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم شوقا إليه لمكانه فأنتم أحق أن تشتاقوا إلى لقائه
رواه عن جابر حفص بن عبيد الله ويقال عبيد الله بن حفص وأيمن وأبو نصرة
وابن المسيب وسعيد بن أبي كرب وكريب وأبو صالح ورواه عن أنس بن
مالك الحسن وثابت وإسحاق بن أبي طلحة ورواه عن ابن عمر نافع وأبو حية
ورواه أبو نضرة وأبو الوداك عن أبي سعيد وعمار بن أبي عمار عن ابن
عباس وأبو حازم وعباس بن سهل بن سعد عن سهل بن سعد وكثير بن زيد
بن المطلب وعبد الله بن بريدة عن أبيه والطفيل بن أبي عن أبيه قال
القاضي أبو الفضل رضي الله عنه فهذا حديث كما تراه خرجه أهل

الصحة ورواه من الصحابة من ذكرنا وغيرهم من التابعين ضعفهم إلى من
لم نذكره ومن دون هذا العدد يقع العلم لمن اعتنى بهذا الباب والله المثبت
على الصواب

فصل

ومثل هذا في سائر الجمادات حدثنا
القاضي أبو عبد الله محمد بن المرابط حدثنا المهلب حدثنا أبو القاسم حدثنا
أبو الحسن القابسي حدثنا المروزي حدثنا الفربري حدثنا البخاري حدثنا
محمد بن المثنى حدثنا أبو أحمد الزبيري قال حدثنا إسرائيل عن منصور
عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله قال لقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو
يؤكل وفي غير هذه الرواية عن ابن مسعود كنا نأكل مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم الطعام ونحن نسمع تسبيحه وقال أنس أخذ النبي
صلى الله عليه وسلم كفا من حصى فسبحن في يد رسول الله صلى الله عليه
وسلم حتى سمعنا التسبيح ثم صبهن في يد أبي بكر فسبحن ثم في أيدينا فسبحن
ورواه مثله أبو ذر وذكر أنهن سبحن في كف عمر وعثمان وقال
علي كنا بمكة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج إلى بعض نواحيها فما
استقبله شجر ولا جبل إلا قال له السلام عليك يا رسول الله وعن جابر
بن سمرة عنه عليه السلام إني لأعرف حجرا بمكة كان يسلم علي قيل إنه الحجر
الأسود وعن عائشة لما استقبلني جبريل بالرسالة جعلت لا أمر بحجر ولا
شجر إلا قال السلام عليك يا رسول الله وعن جابر بن عبد الله لم يكن النبي
صلى الله عليه وسلم يمر بحجر ولا شجر إلا سجد له وفي حديث العباس
إذ اشتمل عليه النبي صلى الله عليه وسلم وعلى بنيه بملاءة ودعا لهم بالستر

من النار كسترهم اياها بملاءة فامنت اسكفة الباب وحوائط البيت
آمين آمين وعن جعفر بن محمد عن ابيه مرض النبي صلى الله عليه وسلم فاتاه
جبريل بطبق فيه رمان وعنب فاكل منه صلى الله عليه وسلم فسبح وعن
انس صعد النبي صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر وعثمان احدا فرجف بهم
فقال اثبت احد فانما عليك نبي وصديق وشهيدان ومثله عن
ابي هريرة في حراء وزاد معه وعلي وطلحة والزبير وقال فانما عليك نبي او
صديق او شهيد والخبر في حرا ايضا عن عثمان قال ومعه عشرة من اصحابه
انا فيهم وزاد عبد الرحمن وسعدا قال ونسيت الاثنين وفي حديث
سعيد بن زيد ايضا مثله وذكر عشرة وزاد نفسه وقد روي انه حين طلبته
قريش قال له ثبير اهبط يا رسول الله فاني اخاف ان يقتلوك على ظهري
فيعذبني الله فقال له حرا الي يا رسول الله وروى ابن عمر ان النبي صلى الله عليه
وسلم قرا على المنبر وما قدروا الله حق قدره ثم قال يمجد الجبار نفسه
انا الجبار انا الجبار انا الكبير المتعال فرجف المنبر حتى قلنا ليخرن عنه
وعن ابن عباس كان حول البيت ستون وثلاث مائة صنم مثبتة الارجل
بالرصاص في الحجارة فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد عام
الفتح جعل يشير بقضيب في يده اليها ولا يمسها ويقول جاء الحق وزهق
الباطل الاية فما اشار الى وجه صنم الا وقع لقفاه ولا لقفاه الا وقع
لوجهه حتى ما بقي منها صنم ومثله في حديث ابن مسعود وقال فجعل
يطعنها ويقول جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد ومن ذلك

حديثه مع الراهب في ابتداء امره اذ خرج تاجرا مع عمه وكان الراهب
لا يخرج الى احد فخرج وجعل يتخللهم حتى اخذ بيد رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال هذا سيد العالمين يبعثه الله رحمة للعالمين فقال
اشياخ من قريش ما علمك فقال انه لم يبق حجر ولا شجر الا خر ساجدا له ولا
يسجد الا لنبي وذكر القصة ثم قال واقبل النبي صلى الله عليه وسلم وعليه
غمامة تظله فلما دنا من القوم وجدهم سبقوه الى فيء الشجرة فلما جلس مال
الفيء اليه **فصل** في الايات في ضروب الحيوانات حدثنا
سراج بن عبد الملك ابو الحسين الحافظ حدثنا ابي حدثنا القاضي يونس
حدثنا ابو الفضل الصقلي حدثنا ثابت بن قاسم عن ابيه وجده قالا حدثنا ابو
العلا احمد بن عمران حدثنا محمد بن فضيل حدثنا يونس بن عمرو حدثنا مجاهد
عن عايشة قالت كان عندنا داجن فاذا كان عندنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم قر وثبت مكانه فلم يجي ولم يذهب واذا خرج رسول
الله صلى الله عليه وسلم جا وذهب وروي عن عمر ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم كان في محفل من اصحابه اذ جا اعرابي قد صاد ضبا فقال ما
هذا قالوا نبي الله فقال واللات والعزى لا امنت بك او يومن هذا
الضب وطرحه بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم فقال له النبي صلى الله
عليه وسلم يا ضب فاجابه بلسان مبين يسمعه القوم جميعا لبيك
وسعديك يا زين من وافى القيمة قال من تعبد قال الذي في السماء عرشه وفي
الارض سلطانه وفي البحر سبيله وفي الجنة رحمته وفي النار عقابه قال

ثم انا قال رسول رب العالمين وخاتم النبيين وقد افلح من صدقك
وخاب من كذبك فاسلم الاعرابى ومن ذلك قصة كلام الذيب المشهوره
عن ابى سعيد الخدرى بينما راع يرعا غنما له عرض الذيب لشاة منها
فاخذها الراعى منه فاقعى الذيب وقال للراعى الا تتقى الله حلت بينى
وبين رزقى قال الراعى العجب من ذيب يتكلم بكلام الانس فقال الذيب
الا اخبرك باعجب من ذلك رسول الله بين الحرتين يحدث الناس بانباء
ما قد سبق فاتى الراعى النبى صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال
النبى صلى الله عليه وسلم قم فحدثهم ثم قال صدق والحديث فيه قصة وفى
بعضه طول وروى حديث الذيب عن ابى هريرة وفى بعض الطرق عن
ابى هريرة فقال الذيب انت اعجب واقفا على غنمك وتركت نبيا لم
يبعث الله نبيا قط اعظم عنده منه قدرا قد فتحت له ابواب الجنة
واشرف اهلها على اصحابه ينظرون قتالهم وما بينك وبينه الا هذا الشعب
فتصير فى جنود الله قال الراعى من لى بغنمى قال الذيب
انا ارعاها حتى ترجع فاسلم الرجل اليه غنمه ومضى وذكر قصته واسلامه
ووجوده النبى صلى الله عليه وسلم يقاتل فقال له النبى صلى الله عليه وسلم
عد الى غنمك تجدها بوفرها فوجدها كذلك وذبح للذيب شاة منها
وعن اهبان بن اوس وانه كان صاحب القصة والمحدث بها ومكلم
الذيب وعن سلمة بن عمرو بن الاكوع وانه كان صاحب القصة ايضا
وسبب اسلامه بمثل حديث ابى سعيد وقد روى بن وهب مثل هذا

انه جرى لابى سفيان بن حرب وصفوان بن امية مع ذيب وجداه اخذ
ظبيا فدخل الظبى الحرم فانصرف الذيب فعجبا من ذلك فقال الذيب
اعجب من ذلك محمد بن عبد الله يدعوكم الى الجنة وتدعونه الى النار فقال
ابو سفيان واللات والعزى لئن ذكرت هذا بمكة لتتركنها خلوفا
وقد روى مثل هذا الخبر وانه جرى لابى جهل واصحابه وعن عباس بن مرداس
لما تعجب من كلام ضمار صنمه وانشاده الشعر الذى ذكر فيه النبى صلى الله
عليه وسلم فاذا طاير سقط فقال يا عباس اتعجب من كلام ضمار ولا تعجب
من نفسك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الى الاسلام وانت
جالس فكان سبب اسلامه وعن جابر بن عبد الله عن رجل اتى النبى صلى الله
عليه وسلم وامن به وهو على بعض حصون خيبر وكان فى غنم يرعاها لهم
فقال يا رسول الله كيف بالغنم قال احصب وجوهها فان
الله سيؤدى عنك امانتك ويردها الى اهلها ففعل فصارت كل شاة
حتى دخلت الى اهلها وعن انس دخل النبى صلى الله عليه وسلم حايط انصار
وابو بكر وعمر ورجل من الانصار وفى الحايط غنم فسجدت له فقال
ابو بكر نحن احق بالسجود لك منها الحديث وعن ابى هريرة دخل النبى صلى
الله عليه وسلم حايطا فجا بعير فسجد له وذكر مثله ومثله فى الجمل عن
ثعلبة بن مالك وجابر بن عبد الله ويعلى بن مرة وعبد الله بن جعفر قال
وكان لا يدخل احد الحايط الا شد عليه الجمل فلما دخل عليه النبى
صلى الله عليه وسلم دعاه فوضع مشفره فى الارض وبرك بين يديه فخطمه

وقال ما بين السماء والأرض شيء لا يعلم أني رسول الله إلا عاصي الجن
والإنس ومثله عن عبد الله بن أبي أوفى وفي خبر آخر في حديث الجمل أن النبي
صلى الله عليه وسلم سألهم عن شأنه فأخبروه أنهم أرادوا ذبحه وفي
رواية أنه شكا إلي أنكم أردتم ذبحه بعد أن استعملتموه في شاق العمل
من صغره فقالوا نعم وقد روي في قصة العضباء وكلامها النبي صلى
الله عليه وسلم وتعريفها له نفسها ومبادرة العشب إليها في الرعي وتجنب
الوحوش عنها وقولهم لها إنك لمحمد وأنها لم تأكل ولم تشرب بعد موته
حتى ماتت ذكره الإسفرايني وروى ابن وهب أن حمام مكة أظلت
النبي صلى الله عليه وسلم يوم فتحها فدعا لها بالبركة وروي عن أنس وزيد
بن أرقم والمغيرة بن شعبة أن النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الغار أمر الله
شجرة فنبتت تجاه النبي صلى الله عليه وسلم فسترته وأمر حمامتين فوقفتا
بفم الغار وفي حديث آخر وأن العنكبوت نسجت على بابه فلما أتى
الطالبون له ورأوا ذلك قالوا لو كان فيه أحد لم تكن الحمامتان ببابه
والنبي صلى الله عليه وسلم يسمع كلامهم فانصرفوا وعن عبد الله بن قرط
قربت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بدنات خمس أو ست أو سبع
لينحرها يوم عيد فازدلفن إليه بأيتهن يبدأ وعن أم سلمة كان النبي صلى
الله عليه وسلم في صحراء فنادته ظبية يا رسول الله قال
ما حاجتك قالت صادني هذا الأعرابي ولي خشفان في ذلك الجبل
فأطلقني حتى أذهب فأرضعهما وأرجع قال وتفعلين قالت نعم فأطلقها

فذهبت

فذهبت ورجعت فأوثقها فانتبه الأعرابي وقال يا رسول الله ألك
حاجة قال تطلق هذه الظبية فأطلقها فخرجت تعدو في الصحراء
تقول أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله ومن هذا الباب ما روي
من تسخير الأسد لسفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ وجهه
إلى معاذ باليمن فلقي الأسد فعرفه أنه مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم
ومعه كتابه فهمهم وتنحى عن الطريق وذكر في منصرفه مثل ذلك وفي رواية
أخرى أن سفينة انكسرت به فخرج إلى جزيرة فإذا الأسد فقلت أنا مولى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يغمزني بمنكبه حتى أقامني على الطريق
وأخذ عليه السلام بأذن شاة لقوم من عبد القيس بين إصبعيه ثم خلاها
فصار لها ميسما وبقي ذلك الأثر فيها وفي نسلها بعد وما روي عن إبراهيم
بن حماد بسنده من كلام الحمار الذي أصابه بخيبر وقال له اسمي يزيد بن
شهاب فسماه النبي صلى الله عليه وسلم يعفورا وأنه كان يوجهه إلى
دور أصحابه فيضرب عليهم الباب برأسه ويستدعيهم وأن النبي صلى
الله عليه وسلم لما مات تردى في بئر جزعا وحزنا فمات وحديث
الناقة التي شهدت عند النبي صلى الله عليه وسلم لصاحبها أنه ما سرقها
وأنها ملكه وفي العنز التي أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم في عسكره
وقد أصابهم عطش ونزلوا على غير ماء وهم زهاء ثلاث مائة فحلبها
رسول الله صلى الله عليه وسلم فأروى الجند ثم قال لرافع املكها وما
أراك فربطها فوجدها قد انطلقت رواه ابن قانع وغيره وفيه

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي جاءنا هو الذي ذهب بها
وقال لفرسه عليه السلام وقد قام الى الصلاة في بعض اسفاره لا تبرح
بارك الله فيك حتى نفرغ من صلاتنا وجعله قبلته فما حرك عضوا حتى
صلى صلى الله عليه وسلم ويلتحق بهذا ما رواه الواقدي ان النبي صلى الله
عليه وسلم لما وجه رسله للملوك فخرج ستة نفر منهم في يوم واحد
فاصبح كل رجل منهم يتكلم بلسان القوم الذين بعثه اليهم والحديث
في هذا الباب كثير وقد جئنا منه بالمشهور من ذلك وما وقع منه في
كتب الائمة **فصل** في احياء الموتى وكلامهم وكلام الصبيان
والمراضيع وشهادتهم له بالنبوة **حدثنا** ابو الوليد هشام بن
احمد الفقيه بقراءتي عليه والقاضي ابو الوليد محمد بن رشد والقاضي ابو
عبد الله محمد بن عيسى التميمي وغير واحد سماعا واذنا قالوا حدثنا ابو علي
الحافظ حدثنا ابو زيد عبد الرحمن ابن يحيى حدثنا احمد بن سعيد حدثنا
بن الاعرابي حدثنا ابو داود حدثنا وهب بن بقية عن خالد هو
الطحان عن محمد بن عمرو عن ابي سلمة عن ابي هريرة ان يهودية اهدت
للنبي صلى الله عليه وسلم شاة مصلية سمتها فاكل رسول الله صلى
الله عليه وسلم منها واكل القوم **فقال** ارفعوا ايديكم فانها
اخبرتني انها مسمومة فمات بشر بن البراء وقال لليهودية ما حملك
على ما صنعت قالت ان كنت نبيا لم يضرك الذي صنعت وان كنت ملكا
ارحت الناس منك فامر بها فقتلت وقد روى هذا الحديث انس وفيه

قالت اردت قتلك **فقال** ما كان الله ليسلطك على ذلك فقالوا
نقتلها قال لا وكذلك عن ابي هريرة من رواية غير وهب قال فما عرض لها
ورواه ايضا جابر بن عبد الله وفيه اخبرتني به هذه الذراع قال ولم يعاقبها
وفي رواية الحسن ان فخذها تكلمني انها مسمومة وفي رواية ابي سلمة بن
عبد الرحمن قالت اني مسمومة وكذلك ذكر الخبر ابن اسحاق وقال فيه فتجاوز
عنها وفي الحديث الاخر عن انس انه قال فما زلت اعرفها في لهوات رسول
الله صلى الله عليه وسلم وفي حديث ابي هريرة ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال في وجعه الذي مات فيه ما زالت اكلة خيبر تعادني
فالان اوان قطعت ابهري وحكى ابن اسحاق ان كان المسلمون
ليرون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مات شهيدا مع ما اكرمه الله
من النبوة وقال ابن سحنون اجمع اهل الحديث ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قتل اليهودية التي سمته وقد ذكرنا اختلاف الروايات في
ذلك عن ابي هريرة وانس وجابر وفي رواية ابن عباس انه دفعها لاولياء بشر
بن البراء فقتلوها وكذلك قد اختلف في قتله الذي سحره قال
الواقدي وعفوه عنه اثبت عندنا وروي عنه انه قتله وروى الحديث
البزار عن ابي سعيد فذكر مثله الا انه قال في اخره فبسط يده وقال
كلوا بسم الله فاكلنا وذكر اسم الله فلم يضر منا احدا **قال**
القاضي ابو الفضل وقد خرج حديث الشاة المسمومة اهل الصحيح وخرجه
وهو حديث مشهور واختلف ائمة اهل النظر في هذا الباب فمن قائل

يقول هو كلام خلقه الله تعالى في الشاة المسمة أو الحجر أو الشجر
وحروف وأصوات يخلقها الله فيها ويسمعها منها دون تغيير أشكالها
ونقلها عن هيئتها وهو مذهب الشيخ أبي الحسن والقاضي أبي بكر رحمهما
الله وآخرون ذهبوا إلى إيجاد الحياة بها أولاً ثم الكلام بعده وحكي هذا
أيضاً عن شيخنا أبي الحسن وكل محتمل والله أعلم إذا لم تجعل الحياة شرطاً
لوجود الحروف والأصوات إذ لا يستحيل وجودها مع عدم الحياة
بمجردها فأما إذا كانت عبارة عن الكلام النفسي فلا بد من شرط الحياة لها
إذ لا يوجد كلام النفس إلا من حي خلافاً للجبائي من بين سائر متكلمي
الفرق في إحالة وجود الكلام اللفظي والحروف والأصوات إلا من حي
مركب على تركيب من يصح منه النطق بالحروف والأصوات فالتزم ذلك في
الحصا والجذع والذراع وقال إن الله خلق فيها حياة وخرق لها فماً
ولساناً وآلة أمكنها بها من الكلام وهذا لو كان لكان نقله والتهمم
به آكد من التهمم بنقل تسبيحه أو حنينه ولم ينقل أحد من أهل السير
والرواية شيئاً من ذلك فدل على سقوط دعواه مع أنه لا ضرورة إليه
في النظر والموفق الله وروى وكيع رفعه عن فهد بن عطية أن النبي صلى الله
عليه وسلم أتي بصبي قد شب لم يتكلم قط فقال من أنا فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم وروى عن معرض بن معيقيب رأيت من النبي صلى
الله عليه وسلم عجباً جيء بصبي يوم ولد وهو حديث مبارك اليمامة ويعرف
بحديث شاصونه اسم راويه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم

صدقت بارك الله فيك ثم إن الغلام لم يتكلم بعدها حتى شب فكان
يسمى مبارك اليمامة وكانت هذه القصة بمكة في حجة الوداع وعن الحسن
أتى رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر له أنه طرح له بنية في وادي
كذا فانطلق معه إلى الوادي وناداها باسمها يا فلانة أجيبي بإذن الله
فخرجت وهي تقول لبيك وسعديك فقال لها إن أبواك قد أسلما فإن
أحببت أن أردك عليهما قالت لا حاجة لي فيهما وجدت الله خيراً لي منهما
وعن أنس أن شاباً من الأنصار توفي وله أم عجوز عمياء فسجيناه وعزيناها
فقالت مات ابني قلنا نعم قالت اللهم إن كنت تعلم أني هاجرت
إليك وإلى نبيك رجاء أن تعينني على كل شدة فلا تحملن علي هذه المصيبة
فما برحنا أن كشف الثوب عن وجهه فطعم وطعمنا وروي عن عبد الله بن
عبيد الأنصاري كنت فيمن دفن ثابت بن قيس بن شماس وكان قتل
باليمامة فسمعناه حين أدخلناه القبر يقول محمد رسول الله أبو بكر
الصديق عمر الشهيد وعثمان البر الرحيم فنظرنا فإذا هو ميت وذكر
عن النعمان بن بشير أن زيد بن خارجة خر ميتاً في بعض أزقة المدينة فرفع
وسجي إذ سمعوه بين العشائين والنساء يصرخن حوله يقول أنصتوا أنصتوا
فحسر عن وجهه فقال محمد رسول الله النبي الأمي وخاتم النبيين
كان ذلك في الكتاب الأول ثم قال صدق صدق وذكر أبا بكر وعمر
وعثمان ثم قال السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته ثم عاد
ميتاً كما كان

فصل في إبراء المرضى وذوي العاهات

اخبرنا ابو الحسن علي بن مشرف فيما اجازنيه وقراته عليه عنه قال
حدثنا ابو اسحاق الحبال قال حدثنا ابو محمد النحاس حدثنا ابن الورد عن
البرقي عن ابن هشام عن زياد البكائي عن محمد بن اسحاق حدثنا ابن شهاب
وعاصم بن عمر بن قتادة وجماعة ذكرهم بقضية احد بطولها قال وقالوا
وقال سعد بن ابي وقاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لينا ولني السهم
لا نصل له فيقول ارم به وقد رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن قوسه حتى اندقت واصيب يومئذ عين قتادة يعني ابن النعمان حتى وقعت
على وجنته فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت احسن عينيه
وروى قصة قتادة عاصم بن عمر بن قتادة ويزيد بن عياض بن عمر بن قتادة
ورواها ابو سعيد الخدري عن قتادة وبصق على اثر سهم في وجه ابي قتادة
في يوم ذي قرد قال فما ضرب علي ولا قاح وروى النسائي عن عثمان بن
حنيف ان اعمى قال يا رسول الله ادع الله ان يكشف لي عن بصري
قال فانطلق فتوضا ثم صل ركعتين ثم قل اللهم اني اسالك واتوجه اليك
بنبيي محمد نبي الرحمة يا محمد اني اتوجه بك الى ربي ان يكشف عن بصري
اللهم شفعه في قال فرجع وقد كشف الله عن بصره وروى ان ابن ملاعب
الاسنة اصابه استسقا فبعث الى النبي صلى الله عليه وسلم فاخذ
بيده حثوة من الارض فتفل فيها ثم اعطاها رسوله فاخذها متعجبا يرى
ان قد هزئ به فاتاه بها وهو على شفا فشربها فشفاه الله وذكر العقيلي
عن حبيب بن فديك ويقال فويك ان اباه ابيضت عيناه فكان لا يبصر

بها شيئا فنفث رسول الله صلى الله عليه وسلم في عينيه فابصر فرايته
يدخل الخيط في الابرة وهو ابن ثمانين ورمي كلثوم بن الحصين يوم احد في
نحره فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه فبرا وتفل على شجة عبد
الله بن انيس فلم تمد وتفل في عيني علي يوم خيبر وكان رمدا فاصبح
بارئا ونفث على ضربة بساق سلمة بن الاكوع يوم خيبر فبريت
وفي رجل زيد بن معاذ حين اصابها السيف الى الكعب حين قتل ابن الاشرف
فبريت وعلى ساق علي بن الحكم يوم الخندق اذ انكسرت فبري مكانه وما
نزل عن فرسه واشتكى علي بن ابي طالب فجعل يدعو فقال
النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اشفه او عافه ثم ضربه برجله فما اشتكى
ذلك الوجع بعد وقطع ابو جهل يوم بدر يد معوذ بن عفرا فجاء يحمل يده فبصق
عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم والصقها فلصقت رواه ابن وهب
ومن روايته ايضا ان خبيب بن يساف اصيب يوم بدر مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم بضربة على عاتقه حتى مال شقه فرده رسول الله صلى
الله عليه وسلم ونفث عليه حتى صح واتته امراة من خثعم معها صبي به
بلاء لا يتكلم فاتي بماء فمضمض فاه وغسل يديه ثم اعطاها اياه وامرها
بسقيه ومسه به فبرا الغلام وعقل عقلا يفضل عقول الناس
وعن ابن عباس جاءت امراة بابن لها به جنون فمسح صدره فثع ثعة فخرج من
جوفه مثل الجرو الاسود فسعى فانكفات القدر على ذراع محمد بن حاطب
وهو طفل فمسح عليه ودعا له وتفل فيه فبرئ لحينه وكانت في

كف شرحبيل الجعفي سلعة تمنعه القبض على السيف وعنان الدابة
فشكاها للنبي عليه السلام فما زال يطحنها بكفه حتى رفعها ولم يبق
لها اثر وسالته جارية طعاما وهو ياكل فناولها من بين يديه وكانت قليلة
الحيا فقالت انما اريد من الذي في فيك فناولها ما في فيه ولم يكن يسال
شيئا فيمنعه فلما استقر في جوفها القي عليها من الحيا ما لم تكن امراة بالمدينة
اشد حيا منها **فصل** في اجابة دعايه وهذا باب واسع جدا
واجابة دعوة النبي صلى الله عليه وسلم لجماعة بما دعا لهم وعليهم متواتر على
الجملة معلوم ضرورة وقد جا في حديث حذيفة كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم اذا دعا لرجل ادركت الدعوة ولده وولد ولده حدثنا
ابو محمد العتابي بقراتي عليه حدثنا ابو القاسم حاتم بن محمد حدثنا ابو الحسن
القابسي حدثنا ابو زيد المروزي حدثنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن
اسمعيل حدثنا عبد الله بن الاسود حدثنا حرمي حدثنا شعبة عن قتادة
عن انس قال قالت امي يا رسول الله خادمك انس ادع الله له قال
اللهم اكثر ماله وولده وبارك له فيما اتيته ومن رواية عكرمة قال انس
فوالله ان مالي لكثير وان ولدي وولد ولدي ليعادون اليوم على نحو المائة
وفي رواية وما اعلم احدا اصاب من رخاء العيش ما اصبت
ولقد دفنت بيدي هاتين مائة من ولدي لا اقول سقطا ولا ولد ولد
ومنه دعاؤه لعبد الرحمن بن عوف بالبركة قال عبد الرحمن فلو
رفعت حجرا لرجوت ان اصيب تحته ذهبا وفتح الله عليه ومات فحفر

الذهب من تركته بالفؤوس حتى مجلت فيه الايدي واخذت كل زوجة
ثمانين الفا وكن اربعا وقيل مائة الف وقيل بل صولحت احداهن لانه
طلقها في مرضه على نيف وثمانين الفا واوصى بخمسين الفا بعد صدقاته
الفاشية في حياته وعوارفه العظيمة اعتق يوما ثلاثين عبدا وتصدق
مرة بعير فيها سبعمائة بعير وردت عليه تحمل من كل شي فتصدق بها
وبما عليها وباقتابها واحلاسها ودعا لمعاوية بالتمكين في البلاد فنال
الخلافة ولسعد بن ابي وقاص ان يجيب الله دعوته فما دعا على احد الا
استجيب له ودعا بعز الاسلام بعمر او بابي جهل فاستجيب له في عمر قال
ابن مسعود ما زلنا اعزة منذ اسلم عمر واصاب الناس في بعض مغازيه
عطش فساله عمر الدعا فدعا فجات سحابة فسقتهم حاجتهم ثم اقلعت
ودعا في الاستسقا فسقوا ثم شكوا اليه المطر فدعا فصحوا وقال
لابي قتادة افلح وجهك اللهم بارك له في شعره وبشره فمات وهو ابن
سبعين سنة وكانه ابن خمس عشرة وقال للنابغة لا يفضض
الله فاك فما سقطت له سن وفي رواية فكان احسن الناس وقيل الكرين
هذا ودعا لابن عباس اللهم فقهه في الدين وعلمه التاويل فسمي بعد
الحبر وترجمان القران ودعا لعبد الله بن جعفر بالبركة في صفقة يمينه فما
اشترى شيئا الا ربح فيه ودعا للمقداد بالبركة فكانت عنده غرائر من
المال ودعا بمثله لعروة بن ابي الجعد فقال فلقد كنت اقوم بالكناسة
فما ارجع حتى اربح اربعين الفا وقال البخاري في حديثه فكان

لو اشترى التراب لربح فيه وروى مثل هذا العروة ايضا وندت
له ناقة فدعا فجاء بها اعصار ريح حتى ردها عليه ودعا لام ابي هريرة فاسلمت
ودعا لعلي ان يكفى الحر والقر فكان يلبس في الشتا ثياب الصيف وفي الصيف
ثياب الشتا ولا يصيبه حر ولا برد ودعا لفاطمة ابنته الا يجيعها الله قالت
فما جعت بعد وساله الطفيل بن عمرو اية لقومه فقال اللهم نور له
فسطع نور بين عينيه فقال يا رب اخاف ان يقولوا مثله فتحول الى طرف
سوطه فكان يضي في الليلة المظلمة فسمي ذو النور ودعا على مضر فاقحطوا حتى
استعطفته قريش فدعا لهم فسقوا ودعا على كسرى حين مزق كتابه ان يمزق
ملكه فلم يبق له باقية ولا بقيت لفارس رياسة في اقطار الدنيا ودعا على صبي
قطع عليه الصلاة ان يقطع الله اثره فاقعد وقال لرجل راه ياكل
بشماله كل بيمينك فقال لا استطيع فقال لا استطعت فلم يرفعها الى فيه
وقال لعتبة بن ابي لهب اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فاكله الاسد
وقال لامراه اكلك الاسد فاكلها وحديثه المشهور من رواية عبد الله بن
مسعود في دعايه على قريش حين وضعوا السلا على رقبته وهو ساجد مع الفرث
والدم وسماهم وقال فلقد رايتهم قتلوا يوم بدر ودعا على الحكم بن ابي العاص
وكان يختلج بوجهه ويغمز عند النبي صلى الله عليه وسلم اى لا فراه فقال
كذلك كن فلم يزل يختلج الى ان مات ودعا على محلم بن جثامة فمات
لسبع فلفظته الارض ثم ووري فلفظته مرات فالقوه بين صدين ورضموا
عليه بالحجارة والصد جانب الوادي وجحد رجل بيع فرس وهي التي شهد فيها

خزيمة للنبي صلى الله عليه وسلم فرد الفرس بعد النبي صلى الله عليه وسلم
على الرجل وقال اللهم ان كان كاذبا فلا تبارك لها فاصبحت شاصية
برجلها اي رافعة وهذا الباب اكثر من ان يحاط به **فصل** في كرامته
وبركاته وانقلاب الاعيان له فيما لمسه او باشره اخبرنا احمد
بن محمد حدثنا ابو ذر الهروي اجازة وحدثنا القاضي ابو علي سماعا والقاضي
ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمن وغيرهما قالوا حدثنا ابو الوليد القاضي حدثنا
ابو ذر حدثنا ابو محمد وابو اسحاق وابو الهيثم حدثنا الفربري حدثنا البخاري
حدثنا يزيد بن زريع حدثنا سعيد عن قتادة عن انس بن مالك ان اهل المدينة
فزعوا مرة فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسا لابي طلحة كان يقطف
او به قطاف وقال غيره بطيا فلما رجع قال وجدنا فرسك بحرا
فكان بعد لا يجارى ونخس جمل جابر وكان قد اعيى فنشط حتى كان لا يملك
زمامه وصنع مثل ذلك بفرس لجعيل الاشجعي خفقها بمخفقة وبرك عليها
فلم يملك راسها نشاطا وباع من بطنها باثني عشر الفا وركب حمارا قطوفا
لسعد بن عبادة فرده هملاجا لا يساير وكانت شعرات من شعره في قلنسوة
خالد بن الوليد فلم يشهد بها قتالا الا رزق النصر وفي الصحيح عن اسماء بنت
ابي بكر انها اخرجت جبة طيالسة وقالت كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يلبسها فنحن نغسلها للمرضى نستشفي بها وحدثنا القاضي ابو علي
عن شيخه ابي القاسم المامون قال كانت عندنا قصعة من قصاع النبي صلى الله
عليه وسلم فكنا نجعل فيها الماء للمرضى فيستشفون بها واخذ جهجاه الغفاري

القضيب من يد عثمان ليكسره على ركبته فصاح الناس به فاخذته الاكلة
فقطعها ومات قبل الحول وسكب من فضل وضوئه في بئر قباء فما نزفت بعد
وبصق في بئر كانت في دار انس فلم يكن بالمدينة اعذب منها ومر على ماء فسال
عنه فقيل له اسمه بيسان وماؤه ملح فقال بل هو نعمان وماؤه
طيب فطاب واتى بدلو من ماء زمزم فمج فيه فصار اطيب من المسك واعطى
الحسن والحسين لسانه فمصاه وكانا يبكيان عطشا فسكتا وكانت لام
مالك قربة تهدي فيها للنبي صلى الله عليه وسلم سمنا فامرها النبي صلى الله عليه
وسلم الا تعصرها ثم دفعها اليها فاذا هي مملوءة سمنا فياتيها بنوها يسالونها الادم
وليس عندهم شيء فتعمد اليها فتجد فيها سمنا فكانت تقيم ادمها حتى عصرتها
وكان يتفل في افواه الصبيان المراضع فيجزيهم ريقه الى الليل ومن ذلك
بركة يده فيما لمسه وغرسه لسلمان حين كاتبه مواليه على ثلاث مائة ودية
يغرسها لهم كلها تعلق وتطعم وعلى اربعين اوقية من ذهب فقام عليه السلام
وغرسها له بيده الا واحدة غرسها غيره فاخذت كلها الا تلك الواحدة
فقلعها النبي صلى الله عليه وسلم وردها فاخذت وفي كتاب البزار فاطعم
النخل من عامه الا الواحدة فقلعها رسول الله صلى الله عليه وسلم وغرسها
فاطعمت من عامها واعطاه مثل بيضة الدجاجة من ذهب بعد ان
ادارها على لسانه فوزن منها لمواليه اربعين اوقية وبقي عندهم مثل
ما اعطاهم وفي حديث حنش بن عقيل سقاني رسول الله صلى الله عليه
وسلم شربة من سويق شرب اولها وشربت آخرها فما برحت اجد شبعها

اذا جعت وريها اذا عطشت وبردها اذا اضحيت واعطى قتادة بن النعمان
وصلى معه العشاء في ليلة مظلمة مطيرة عرجونا وقال انطلق به فانه سيضيء لك
من بين يديك عشرا ومن خلفك عشرا فاذا دخلت بيتك فسترى سوادا
فاضربه حتى يخرج فانه الشيطان فانطلق فاضاء له العرجون حتى دخل بيته ووجد
السواد فضربه حتى خرج ومنها دفعه لعكاشة جذل حطب وقال
اضرب به حين انكسر سيفه يوم بدر فعاد في يده سيفا صارما طويل القامة
ابيض شديد المتن فقاتل به ثم لم يزل عنده يشهد به المواقف الى ان استشهد
في قتال اهل الردة وكان هذا السيف يسمى العون ودفعه لعبد الله بن
جحش يوم احد وقد ذهب سيفه عسيب نخل فرجع في يده سيفا ومنه
بركته في درور الشياه الحوائل باللبن الكثير كقصة شاة ام معبد واعنز
معاوية بن ثور وشاة انس وغنم حليمة مرضعته وشارفها وشاة عبد الله بن
مسعود وكانت لم ينز عليها فحل وشاة المقداد ومن ذلك تزويده اصحابه
سقاء ماء بعد ان اوكاه ودعا فيه فلما حضرتهما الصلاة نزلا فحلاه واذا
به لبن طيب وزبدة في فمه من رواية حماد بن سلمة ومسح على راس عمير بن سعد
وبرك فمات وهو ابن ثمانين فما شاب وروي مثل هذه القصص عن غير واحد
منهم السائب بن يزيد ومدلوك وكان يوجد لعتبة بن فرقد طيب
يغلب طيب نسائه لان رسول الله صلى الله عليه وسلم مسح بيديه على
بطنه وظهره وسلت الدم عن وجه عائذ بن عمرو وكان جرح يوم حنين ودعا
له فكانت له غرة كغرة الفرس ومسح على راس قيس بن زيد الجذامي ودعا له

فهلك بن مائة سنة ورأسه أبيض وموضع كف النبي صلى الله عليه وسلم
وما مرت يده عليه من شعره أسود فكان يدعى الأغر وروي مثل هذه
الحكاية لعمرو بن ثعلبة الجهني ومسح وجه آخر فما زال على وجهه نور
ومسح وجه قتادة بن ملحان فكان لوجهه بريق حتى كان ينظر في وجهه
كما ينظر في المرآة ووضع يده على رأس حنظلة بن حذيم وبرك عليه فكان
حنظلة يؤتى بالرجل قد ورم وجهه والشاة قد ورم ضرعها فيوضع على
موضع كف النبي صلى الله عليه وسلم فيذهب الورم ونضح في وجه
زينب بنت أم سلمة نضحة من ماء فما يعرف كان في وجه امرأة من الجمال
ما بها ومسح على رأس صبي به عاهة فبرئ واستوى شعره وعلى غير واحد
من الصبيان والمرضى والمجانين فبرؤوا وأتاه رجل به أدرة فأمره أن ينضحها
بماء من عين مج فيها فبرأ وعن طاوس لم يؤت النبي صلى الله عليه وسلم
بأحد به مس فصك في صدره إلا ذهب ومج في دلو من بئر ثم صب فيها
ففاح منها ريح المسك وأخذ قبضة من تراب يوم حنين ثم رمى بها
في وجوه الكفار وقال شاهت الوجوه فانصرفوا يمسحون القذى عن
أعينهم وشكا إليه أبو هريرة النسيان فأمره ببسط ثوبه وغرف
بيده فيه ثم أمره بضمه ففعل فما نسي شيئا بعد وما يروى عنه في هذا
كثير وضرب صدر جرير بن عبد الله ودعا له وكان ذكر له أنه
لا يثبت على الخيل فصار أفرس العرب وأثبتهم ومسح رأس عبد الرحمن
بن زيد بن الخطاب وهو صغير وكان دميما ودعا له بالبركة ففرع الرجال

طولا

طولا وتماما **فصل** ومن ذلك ما اطلع عليه من الغيوب
وما يكون والأحاديث في هذا الباب بحر لا يدرك قعره ولا ينزف غمره
وهذه المعجزة من جملة معجزاته المعلومة على القطع الواصل إلينا خبرها
على التواتر لكثرة رواتها واتفاق معانيها على الاطلاع على الغيب حدثنا
الإمام أبو بكر محمد بن الوليد الفهري إجازة وقراءة على غيره قال أبو بكر حدثنا
أبو علي التستري حدثنا أبو عمر الهاشمي حدثنا اللؤلؤي حدثنا أبو داود حدثنا
عثمان بن أبي شيبة حدثنا جرير عن الأعمش عن أبي وائل عن حذيفة قال قام
فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما فما ترك شيئا يكون في مقامه ذلك
إلى قيام الساعة إلا حدثه حفظه من حفظه ونسيه من نسيه قد علمه أصحابي
هؤلاء وإنه ليكون منه الشيء فأعرفه فأذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل
إذا غاب عنه ثم إذا رآه عرفه ثم قال حذيفة ما أدري أنسي
أصحابي أم تناسوه والله ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم من قائد فتنة
إلى أن تنقضي الدنيا يبلغ من معه ثلاث مائة فصاعدا إلا قد سماه لنا
باسمه واسم أبيه وقبيلته وقال أبو ذر لقد تركنا رسول الله صلى
الله عليه وسلم وما يحرك طائر جناحيه في السماء إلا ذكر لنا منه علما وقد
خرج أهل الصحيح والأئمة ما أعلم به أصحابه صلى الله عليه وسلم مما وعدهم
به من الظهور على أعدائه وفتح مكة وبيت المقدس واليمن والشام والعراق
وظهور الأمن حتى تظعن المرأة من الحيرة إلى مكة لا تخاف إلا الله وأن
المدينة ستغزى وتفتح خيبر على يدي علي في غد يومه وما يفتح الله على أمته

من الدنيا ويؤتون من زهرتها وقسمتهم كنوز كسرى وقيصر وما تحدث
بينهم من الفتون والاختلاف والاهواء وسلوك سبيل من قبلهم وافتراقهم
على ثلاث وسبعين فرقة الناجية منها واحدة وانها ستكون لهم انماط ويغدو
احدهم في حلة ويروح في اخرى ويوضع بين يديه صحفة وترفع اخرى ويسترون
بيوتهم كما تستر الكعبة ثم قال آخر الحديث وانتم اليوم خير منكم يومئذ
وانهم اذا مشوا المطيطا وخدمتهم بنات فارس والروم رد الله باسهم
بينهم وسلط شرارهم على خيارهم وقتالهم الترك والخزر والروم وذهاب
كسرى وفارس حتى لا كسرى ولا فارس بعده وقيصر حتى لا قيصر بعده وذكر
ان الروم ذات قرون الى آخر الدهر وبذهاب الامثل فالامثل من الناس
وتقارب الزمان وقبض العلم وظهور الفتن والهرج وقال ويل
للعرب من شر قد اقترب وانه زويت له الارض فارى مشارقها ومغاربها
وسيبلغ ملك امته ما زوي له منها وكذلك كان امتدت في المشارق
والمغارب ما بين ارض الهند اقصى المشرق الى بحر طنجة حيث لا عمارة
وراء ذلك ما لم تملكه امة من الامم ولم تمتد في الجنوب ولا في الشمال
مثل ذلك وقوله لا يزال اهل المغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة
ذهب ابن المديني الى انهم العرب لانهم المختصون بالسقي بالغرب
وهي الدلو وغيره يذهب الى انهم اهل المغرب وقد ورد المغرب كذا في الحديث
بمعناه وفي حديث آخر من رواية ابي امامة لا تزال طائفة من امتي ظاهرين على
الحق قاهرين لعدوهم حتى ياتيهم امر الله وهم كذلك قيل يا رسول الله

واين هم قال ببيت المقدس واخبر بملك بني امية وولاية معاوية
ووصاه واتخاذ بني امية مال الله دولا وخروج ولد العباس بالرايات
السود وملكهم اضعاف ما ملكوا وخروج المهدي وما ينال
اهل بيته وتقتيلهم وتشريدهم وقتل علي وان اشقاها الذي تخضب
هذه من هذه اي لحيته من راسه وانه قسيم النار يدخل اولياءه الجنة
ويدخل اعداءه النار فكان فيمن عاداه الخوارج والناصبة وطائفة ممن
ينسب اليه من الروافض كفروه وقال بقتل عثمان وهو يقرا
المصحف وان الله عسى ان يلبسه قميصا وانهم يريدون خلعه وانه سيقطر
دمه على قوله فسيكفيكهم الله وان الفتن لا تظهر ما دام عمر
حيا ومحاربة الزبير لعلي وبنباح كلاب الحوأب على بعض ازواجه وانه يقتل
حولها قتلى كثيرة وتنجو بعدما كادت فنبحت على عائشة عند خروجها
الى البصرة وان عمارا تقتله الفئة الباغية فقتله اصحاب معاوية وقال
لعبد الله بن الزبير ويل للناس منك وويل لك من الناس وقال
في قزمان وقد ابلى مع المسلمين انه من اهل النار فقتل نفسه وقال في جماعة
فيهم ابو هريرة وسمرة بن جندب وحذيفة آخركم موتا في النار فكان
بعضهم يسال عن بعض فكان سمرة آخرهم موتا هرم وخرف فاصطلى بالنار
فاحترق فيها وقال في حنظلة الغسيل سلوا زوجته عنه فاني
رايت الملائكة تغسله فسالوها فقالت انه خرج جنبا واعجله الحال
عن الغسل قال ابو سعيد ووجدنا راسه تقطر ماء وقال

الخلافة في قريش ولن يزال هذا الامر في قريش ما اقاموا الدين وقال
يكون في ثقيف كذاب ومبير فراوهما الحجاج والمختار وان مسيلمة يعقره
الله وان فاطمة اول اهله لحوقا به وانذر بالردة وبان الخلافة بعده
ثلاثون ثم ملكا فكانت كذلك مدة الحسن بن علي وقال ان هذا الامر بدا
نبوة ورحمة ثم يكون رحمة وخلافة ثم يكون ملكا عضوضا ثم يكون
عتوا وجبروة وفسادا في الامة واخبر بشان اويس القرني وبامراء
يؤخرون الصلاة عن وقتها وسيكون في امته ثلاثون كذابا فيهم اربع نسوة
وفي حديث آخر ثلاثون دجالا كذابا احدهم الدجال الكذاب كلهم
يكذب على الله ورسوله وقال يوشك ان يكثر فيكم العجم ياكلون فيئكم
ويضربون رقابكم ولا تقوم الساعة حتى يسوق الناس بعصاه رجل من
قحطان وقال خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم ياتي من بعد
ذلك قوم يشهدون ولا يستشهدون ويخونون ولا يؤتمنون وينذرون
ولا يوفون وقال لا ياتي زمان الا والذي بعده شر منه وقال
هلاك امتي على ايدي اغيلمة من قريش قال ابو هريرة لو شئت سميتهم
لكم بنو فلان وبنو فلان واخبر بظهور القدرية والرافضة وسب آخر
هذه الامة اولها وقلة الانصار حتى يكونوا كالملح في الطعام فلم يزل
امرهم يتبدد حتى لم يبق لهم جماعة وانهم سيلقون بعده اثرة واخبر
بشان الخوارج وصفتهم والمخدج الذي فيهم وان سيماهم التحليق ويرى
رعاء الغنم رؤوس الناس والعراة الحفاة يتباهون في البنيان وان تلد الامة

ربها

ربها وان قريشا والاحزاب لا يغزونه ابدا وانه هو يغزوهم واخبر
بالموتان الذي يكون بعد فتح بيت المقدس وما وعد من سكنى البصرة وانهم
يغزون في البحر كالملوك على الاسرة وان الدين لو كان منوطا بالثريا لناله
رجال من ابناء فارس وهاجت ريح في غزاة فقال هاجت لموت
منافق فلما رجعوا الى المدينة وجدوا ذلك وقال لقوم من جلسائه ضرس
احدكم في النار اعظم من احد قال ابو هريرة فذهب القوم يعني ماتوا
وبقيت انا ورجل فقتل مرتدا يوم اليمامة واعلم بالذي غل خرزا من خرز
يهود فوجدت في رحله وبالذي غل الشملة وحيث هي ناقته حين ضلت
وكيف تعلقت بالشجر بخطامها وبشان كتاب حاطب الى اهل مكة
وبقصة عمير مع صفوان حين ساره وشارطه على قتل النبي صلى الله عليه
وسلم فلما جاء عمير النبي صلى الله عليه وسلم قاصدا القتلة واطلعه رسول
الله صلى الله عليه وسلم على الامر والسر اسلم واخبر بالمال الذي
تركه عمه العباس عند ام الفضل بعد ان كتمه فقال ما علمه
غيري وغيرها فاسلم واعلم بانه سيقتل ابي بن خلف وفي عتبة بن ابي
لهب انه ياكله كلب الله وعن مصارع اهل بدر فكان كما قال وقال في
الحسن ان ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين ولسعد تخلف
حتى ينتفع بك اقوام ويستضر بك آخرون واخبر بقتل اهل مؤتة يوم
قتلوا وبينهم مسيرة شهر او ازيد وبموت النجاشي يوم مات وهو
بارضه واخبر فيروز اذ ورد عليه رسولا من كسرى بموت كسرى

ذلك اليوم فلما حقق فيروز القصة اسلم واخبر ابا ذر بتطريده
فكان ووجده في المسجد نائما فقال له كيف بك اذا اخرجت منه
قال اسكن المسجد الحرام قال فاذا اخرجت منه الحديث وبعيشه وحده
وموته وحده واخبر ان اسرع ازواجه لحوقا به اطولهن يدا فكانت
زينب لطول يدها بالصدقة واخبر بقتل الحسين بالطف واخرج بيده
تربة وقال فيها مضجعه وقال في زيد بن صوحان تسبقه عضو منه الى
الجنة فقطعت يده في الجهاد وقال في الذين كانوا معه على حراء اثبت
فانما عليك نبي وصديق وشهيد فقتل علي وعمر وعثمان وطلحة والزبير
وطعن سعد وقال لسراقة كيف بك اذا لبست سواري كسرى
فلما اتي بهما لعمر البسهما اياه وقال الحمد لله الذي سلبهما كسرى والبسهما
سراقة وقال تبنى مدينة بين دجلة ودجيل وقطربل والصراة تجبى اليها
خزائن الارض يخسف بها يعني بغداد وقال سيكون في هذه الامة
رجل يقال له الوليد هو شر لهذه الامة من فرعون لقومه وقال
لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان دعواهما واحدة وقال لعمر في سهيل
بن عمرو عسى ان يقوم مقاما يسرك يا عمر فكان كذلك قام بمكة مقام
ابي بكر يوم بلغهم موت النبي صلى الله عليه وسلم وخطب بنحو خطبته
وثبتهم وقوى بصائرهم وقال لخالد حين وجهه لاكيدر
انك تجده يصيد البقر فوجدت هذه الامور كلها في حياته وبعد موته
كما قال عليه السلام الى ما اخبر به جلساءه من اسرارهم

وبواطنهم

وبواطنهم واطلع عليه من اسرار المنافقين وكفرهم وقولهم فيه وفي
المؤمنين حتى ان كان بعضهم يقول لصاحبه اسكت فوالله لو لم يكن عنده
من يخبره لاخبرته حجارة البطحاء واعلامه بصفة السحر الذي سحره لبيد
بن الاعصم وكونه في مشط ومشاقة في جف طلع نخلة ذكر وانه القي في
بئر ذروان فكان كما قال ووجد على تلك الصفة واعلامه قريشا باكل
الارضة ما في صحيفتهم التي تظاهروا بها على بني هاشم وقطعوا بها رحمهم
وانها ابقت فيها كل اسم لله فوجدوها كما قال ووصفه لكفار
قريش بيت المقدس حين كذبوه في الاسراء ونعته اياه نعت من عرفه
واعلامهم بعيرهم التي مر عليها في طريقه وانذارهم بوقت وصولها
فكان كله كما قال الى ما اخبر به من الحوادث التي تكون ولم تات
بعد منها ما ظهرت مقدماتها كقوله عمران بيت المقدس خراب يثرب
وخراب يثرب خروج الملحمة وخروج الملحمة فتح القسطنطينية ومن
اشراط الساعة وايات حلولها وذكر الحشر والنشر واخبار الابرار والفجار
والجنة والنار وعرصات القيامة وبحسب هذا الفصل ان يكون ديوانا
مفردا يشتمل على اجزاء وحده وفيما اشرنا اليه من نكت الاحاديث
التي ذكرناها كفاية واكثرها في الصحيح وعند الائمة

فصل

في عصمة الله تعالى له من الناس وكفايته من اذاه قال الله تعالى
والله يعصمك من الناس وقال تعالى واصبر لحكم ربك فانك باعيننا
وقال اليس الله بكاف عبده قيل بكاف محمدا اعداءه المشركين

وقيل غير هذا وقال انا كفيناك المستهزئين وقال واذ يمكر بك
الذين كفروا الاية اخبرنا القاضي الشهيد ابو علي الصدفي قراءة
عليه والفقيه الحافظ ابو بكر محمد بن عبد الله المعافري قالا حدثنا ابو
الحسين الصيرفي قال حدثنا ابو يعلى البغدادي حدثنا ابو علي السنجي حدثنا
ابو العباس المروزي حدثنا ابو عيسى الحافظ حدثنا عبد بن حميد حدثنا
مسلم بن ابرهيم حدثنا الحارث بن عبيد بن سعيد الجريري عن عبد الله بن
شقيق عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يحرس حتى نزلت هذه الاية والله يعصمك من الناس فاخرج رسول الله صلى
الله عليه وسلم راسه من القبة فقال لهم يا ايها الناس انصرفوا فقد عصمني
ربي عز وجل وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا نزل منزلا
اختار له اصحابه شجرة يقيل تحتها فاتاه اعرابي فاخترط سيفه ثم قال
من يمنعك مني فقال الله فرعدت يد الاعرابي وسقط سيفه وضرب
براسه الشجرة حتى سال دماغه فنزلت الاية وقد رويت هذه القصة
في الصحيح وان غورث بن الحارث صاحب هذه القصة وان النبي صلى الله
عليه وسلم عفا عنه فرجع الى قومه وقال جئتكم من عند خير الناس
وقد حكيت مثل هذه الحكاية انها جرت له يوم بدر وقد انفرد
من اصحابه لقضاء حاجته فتبعه رجل من المنافقين وذكر مثله وقد روي
انه وقع له مثلها في غزوة غطفان بذي امر مع رجل اسمه دعثور بن
الحارث وان الرجل اسلم فلما رجع الى قومه الذين اغروه وكان

سيدهم واشجعهم قالوا له اين ما كنت تقول وقد امكنك فقال
اني نظرت الى رجل ابيض طويل دفع في صدري فوقعت لظهري وسقط
السيف فعرفت انه ملك واسلمت قيل وفيه نزلت يا ايها الذين
امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم وفي
رواية الخطابي ان غورث بن الحارث المحاربي اراد ان يفتك بالنبي صلى الله
عليه وسلم فلم يشعر به الا وهو قائم على راسه منتضيا سيفه فقال
اللهم اكفنيه بما شئت فانكب من وجهه من زلخة زلخها بين كتفيه وندر
سيفه من يده الزلخة وجع الظهر وقيل في قصته غير هذا وذكر ان فيه
نزلت يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم الاية وقيل كان
النبي صلى الله عليه وسلم يخاف قريشا فلما نزلت هذه الاية استلقى ثم
قال من شاء فليخذلني وذكر عبد بن حميد قال كانت حمالة الحطب
تضع العضاه وهي جمر على طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانما
يطؤها كثيبا اهيل وذكر ابن اسحاق عنها انها لما بلغها نزول تبت يدا
ابي لهب وذكرها بما ذكرها الله مع زوجها من الذم اتت رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو جالس في المسجد ومعه ابو بكر وفي يدها
فهر من حجارة فلما وقفت عليهما لم تر الا ابا بكر واخذ الله ببصرها
عن نبيه صلى الله عليه وسلم فقالت يا ابا بكر اين صاحبك فقد
بلغني انه يهجوني والله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه وعن الحكم
بن ابي العاص تواعدنا على النبي صلى الله عليه وسلم حتى اذا رايناه سمعنا

صوتا خلفنا ما ظننا انه بقي من تهامة احد فوقعنا مغشيا علينا فما
افقنا حتى قضى صلاته ورجع الى اهله ثم تواعدنا ليلة اخرى فجئنا حتى اذا
رأيناه جاء الصفا والمروة فحالت بيننا وبينه وعن عمر تواعدنا انا وابو
جهم بن حذيفة ليلة قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فجئنا منزله
فسمعنا له فافتتح وقرأ الحاقة ما الحاقة الى فهل ترى لهم من باقية
فضرب ابو جهم على عضد عمر وقال انج وفرا هاربين فكانت من مقدمات
اسلام عمر ومنه العبرة المشهورة والكفاية التامة عند ما اخافته قريش
واجمعت على قتله وبيتوه فخرج عليهم من بيته فقام على رؤوسهم وقد ضرب
الله على ابصارهم وقد ذر التراب على رؤوسهم وخلص منهم وحمايته عن
رؤيتهم في الغار بما هيأ الله له من الآيات ومن العنكبوت الذي نسج عليه
حتى قال امية بن خلف حين قالوا ندخل الغار ما اربكم فيه وعليه من نسج
العنكبوت ما ارى انه قبل ان يولد محمد ووقفت حمامتان على فم
الغار فقالت قريش لو كان فيه احد لما كانت هناك الحمام
وقصته مع سراقة بن مالك بن جعشم حين الهجرة وقد جعلت قريش فيه
وفي ابي بكر الجعائل فانذر به فركب فرسه واتبعه حتى اذا قرب منه دعا
عليه النبي صلى الله عليه وسلم فساخت قوائم فرسه فخر عنها واستقسم
بالازلام فخرج له ما يكره ثم ركب ودنا حتى سمع قراءة النبي صلى الله عليه
وسلم وهو لا يلتفت وابو بكر يلتفت وقال للنبي صلى الله عليه
وسلم اتينا فقال لا تحزن ان الله معنا فساخت ثانية الى ركبتيها وخر

عنها فزجرها فنهضت ولقوائمها مثل الدخان فناداهم بالامان
فكتب له النبي صلى الله عليه وسلم امانا كتبه ابن فهيرة وقيل ابو بكر
واخبرهم بالاخبار وامره النبي صلى الله عليه وسلم ان لا يترك احدا
يلحق بهم فانصرف يقول للناس كفيتم ما هاهنا وقيل بل قال
لهما اراكما دعوتما علي فادعوا لي فنجا ووقع في نفسه ظهور النبي صلى
الله عليه وسلم وفي خبر آخر ان راعيا عرف خبرهما فخرج يشتد
يعلم قريشا فلما ورد مكة ضرب على قلبه فما يدري ما يصنع وانسي
ما خرج له حتى رجع الى موضعه وجاءه فيما ذكر ابن اسحاق وغيره ابو جهل
بصخرة وهو جالس وقريش ينظرون ليطرحها عليه فلزقت بيده ويبست
يداه الى عنقه واقبل يرجع القهقرى الى خلفه ثم سأله ان يدعو له
ففعل فانطلقت يداه وكان قد تواعد مع قريش بذلك وحلف
لئن رآه ليدمغنه فسألوه عن شأنه فذكر انه عرض لي دونه فحل ما رأيت
مثله قط هم بي ان يأكلني فقال النبي صلى الله عليه وسلم ذاك جبريل
لو دنا لاخذه وذكر السمرقندي ان رجلا من بني المغيرة اتى النبي صلى الله عليه
وسلم ليقتله فطمس الله على بصره فلم ير النبي صلى الله عليه وسلم وسمع
قوله فرجع الى اصحابه ولم يرهم حتى نادوه وذكر ان في هاتين القصتين
نزلت انا جعلنا في اعناقهم اغلالا الآيتين ومن ذلك ما ذكره
في قصته اذ خرج الى بني قريظة في اصحابه فجلس الى جدار بعض آطامهم
فانبعث عمرو بن جحاش احدهم ليطرح عليه رحا فقام النبي صلى الله عليه

وسلم فانصرف الى المدينة واعلمهم بعصمتهم وقد قيل ان
قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم ان
يبسطوا الى هذه الآية نزلت وحكى السمرقندي انه خرج الى بني
النضير يستعين في عقل الكلابي الذي قتل عمرو بن امية فقال
له حيي بن اخطب اجلس يا ابا القاسم حتى نطعمك ونعطيك ما سالتنا فجلس
النبي صلى الله عليه وسلم مع ابي بكر وعمر وتوامر حيي معهم على قتله فاعلم
جبريل النبي صلى الله عليه وسلم فقام كانه يريد حاجته حتى دخل
المدينة وذكر اهل التفسير ومعنى الحديث عن ابي هريرة ان ابا جهل
وعد قريشا لئن راى محمدا صلى الله عليه وسلم يصلي ليطان رقبته فلما
صلى النبي صلى الله عليه وسلم اعلموه فاقبل فلما قرب منه ولى هاربا ناكصا
على عقبيه متقيا بيديه فسئل فقال لما دنوت منه اشرفت
على خندق مملوء نارا كدت اهوي فيه وابصرت هولا عظيما وخفق
اجنحة قد ملات الارض فقال عليه السلام تلك الملائكة لو دنا لاختطفته
عضوا ثم انزل على النبي صلى الله عليه وسلم كلا ان الانسان ليطغى الى
آخر السورة ويروى ان شيبة بن عثمان الحجبي ادركه يوم حنين وكان
حمزة قد قتل اباه وعمه فقال اليوم ادرك ثاري من محمد فلما
اختلط الناس اتاه من خلفه ورفع سيفه ليصبه عليه قال فلما دنوت
منه ارتفع الي شواظ من نار اسرع من البرق فوليت هاربا واحس بي
النبي صلى الله عليه وسلم فدعاني فوضع يده على صدري وهو ابغض

الخلق علي فما رفعها الا وهو احب الخلق الي وقال لي ادن فقاتل فتقدمت
امامه اضرب بسيفي واقيه بنفسي ولو لقيت ابي تلك الساعة لاوقعت به دونه
وعن فضالة بن عمرو اردت قتل النبي صلى الله عليه وسلم عام الفتح وهو
يطوف بالبيت فلما دنوت منه قال افضالة قلت نعم قال ما
كنت تحدث به نفسك قلت لا شيء فضحك واستغفر لي ووضع يده على صدري
فسكن قلبي فوالله ما رفعها حتى ما خلق الله شيئا احب الي منه ومن مشهور
ذلك خبر عامر بن الطفيل واربد بن قيس حين وفدا على النبي صلى الله عليه وسلم
وكان عامر قال له انا اشغل عنك وجه محمد فاضربه انت فلم يره فعل
شيئا فلما كلمه في ذلك قال والله ما هممت ان اضربه الا وجدتك بيني وبينه
افاضربك ومن عصمته له تعالى ان كثيرا من اليهود والسحرة والكهنة انذر
به وعينوه لقريش واخبروهم بسطوته بهم وحضوهم على قتله فعصمه الله تعالى
حتى بلغ فيه امره ومن ذلك نصره بالرعب مسيرة شهر كما قال عليه السلم

فصل ومن معجزاته الباهرة ما جمعه الله له من المعارف
والعلوم وخصه به من الاطلاع على جميع مصالح الدنيا والدين ومعرفته من
امور شرائعه وقوانين دينه وسياسة عباده ومصالح امته وما كان في
الامم قبله وقصص الانبيا والرسل والجبابرة والقرون الماضية من لدن
ادم الى زمنه وحفظ شرائعهم وكتبهم ووعي سيرهم وسرد انبائهم وايام
الله فيهم وصفات اعيانهم واختلاف آرائهم والمعرفة بمددهم واعمارهم
وحكم حكمائهم ومحاجة كل امة من الكفرة ومعارضة كل فرقة من

وا

الحاسبين بما في كتبهم واعلامهم باسرارها ومخبآت علومها بما في كتبهم
واخبارهم بما كتموه من ذلك وعبروه الى الاحتواء على لغات العرب
وغريب الفاظ فرقها والاحاطه بضروب فصاحاتها والحفظ لايامها وامثالها
وحكمها ومعاني اشعارها والتخصيص بجوامع كلمها الى المعرفه بضرب
الامثال الصحيحه والحكم البينه لتقريب التفهيم للغامض والتبيين
للمشكل الى تمهيد قواعد الشرع الذي لا تناقض فيه ولا تخاذل مع
اشتمال شريعته على محاسن الاخلاق ومحامد الاداب وكل شي مستحسن
مفضل لم ينكر منه ملحد ذو عقل سليم شيا الا من جهة الخذلان بل
كل جاحد له وكافر من الجاهلية به اذا سمع ما يدعوا اليه صوبه
واستحسنه دون اقامة برهان عليه ثم ما احل لهم من الطيبات وحرم
عليهم من الخبائث وصان به انفسهم واعراضهم واموالهم من المعاقبات
والحدود عاجلا والتخويف بالنار اجلا الى الاحتواء على ضروب العلوم
وفنون المعارف كالطب والعباره والفرايض والحساب والنسب
وغير ذلك من العلوم مما اتخذ اهل هذه المعارف كلامه عليه السلم
فيها قدوة واصولا في علمهم كقوله عليه السلام الرويا لاول عابر وهي
على رجل طاير وقوله الرويا ثلاث رويا حق ورويا يحدث بها الرجل
نفسه ورويا تحزين من الشيطان وقوله اذا تقارب الزمان لم تكد
رويا المومن تكذب وقوله اصل كل دا البرده وما روي عنه في
حديث ابي هريره من قوله المعده حوض البدن والعروق اليها وارده

وان كان هذا حديثا لا نصححه لضعفه وكونه موضوعا تكلم عليه
الدارقطني وقوله خير ما تداويتم به السعوط واللدود والحجامه والمشي
وخير الحجامه يوم سبع عشره وتسع عشره واحدى وعشرين وفي العود
الهندي سبعة اشفيه وقوله ما ملا ابن ادم وعا شرا من بطن الى قوله
فان كان لا بد فثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس وقوله وقد
سيل عن سبا ارجل هو ام امراه او ارض فقال رجل ولد عشره
تيامن منهم سته وتشام اربعه الحديث بطوله وكذلك جوابه في نسب
قضاعه وغير ذلك مما اضطرت العرب على شغلها بالنسب الى سواله
عما اختلفوا فيه من ذلك وقوله حمير راس العرب ونابها ومذحج هامتها
وغلصمتها والازد كاهلها وجمجمتها وهمدان غاربها وذروتها وقوله
ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض وقوله في
الحوض زواياه سوا وقوله في حديث الذكر وان الحسنه بعشر فتلك
مايه وخمسون على اللسان والف وخمس مايه في الميزان وقوله وهو بموضع
نعم موضع الحمام هذا وقوله ما بين المشرق والمغرب قبله وقوله لعيينه
او الاقرع انا افرس بالخيل منك وقوله لكاتبه ضع القلم على اذنك فانه
اذكر للممل هذا مع انه صلى الله وسلم كان لا يكتب ولكنه اوتي علم كل شي
حتى قد وردت اثار بمعرفته حروف الخط وحسن تصويرها كقوله
لا تمد واسم الله الرحمن الرحيم رواه بن شعبان من طريق بن عباس وقوله في
الحديث الاخر الذي يروى عن معاويه انه كان يكتب بين يديه عليه

السلام فقال له ألق الدواة وحرّف القلم وأقم الباء وفرّق
السين ولا تعوّر الميم وحسّن الله ومدّ الرحمن وجوّد الرحيم وهذا وإن لم تصح
الرواية أنه عليه السلام كتب فلا يبعد أن يرزق علم هذا ويمنع الكتابة
والقراءة وأما علمه عليه السلام بلغات العرب وحفظه معاني أشعارها فأمر
مشهور قد نبهنا على بعضه أول الكتاب وكذلك حفظه لكثير من لغات
الأمم كقوله في الحديث سنه سنه وهي حسنة بالحبشية وقوله ويكثر
الهرج وهو القتل بها وقوله في حديث أبي هريرة اشكنب دردم أي وجع
البطن بالفارسية إلى غير ذلك مما لا يعلم بعض هذا ولا يقوم به ولا ببعضه
إلا من مارس الدرس والعكوف على الكتب ومثافنة أهلها عمره وهو رجل
كما قال الله أمي لم يكتب ولم يقرأ ولا عرف بصحبة من هذه
صفته ولا نشأ بين قوم لهم علم ولا قراءة لشيء من هذه الأمور ولا عرف
هو قبل بشيء منها قال الله تعالى وما كنت تتلو من قبله من
كتاب ولا تخطه بيمينك الآية إنما كانت معارف العرب النسب وأخبار
أوائلها والشعر والبيان وإنما حصل ذلك لهم بعد التفرغ لعلم ذلك
والاشتغال بطلبه ومباحثة أهله عنه وهذا الفن نقطة في بحر
علمه صلى الله عليه وسلم ولا سبيل إلى جحد الملحد لشيء مما ذكرناه ولا
وجد الكفرة حيلة في دفع ما نصصناه إلا قولهم أساطير الأولين وإنما
يعلمه بشر فرد الله قولهم بقوله لسان الذي يلحدون إليه أعجمي
وهذا لسان عربي مبين ثم ما قالوه مكابرة العيان فإن الذي نسبوا

تعليمه إليه إما سلمان أو العبد الرومي وسلمان إنما عرفه بعد الهجرة
ونزول الكثير من القرآن وظهور ما لا ينعدّ من الآيات وأما
الرومي فكان أسلم وكان يقرأ على النبي صلى الله عليه وسلم يجلس عنده
عند المروة وكلاهما أعجمي اللسان وهم الفصحاء اللدّ والخطباء اللسن قد
عجزوا عن معارضة ما أتى به والإتيان بمثله بل عن فهم وصفه وصورة
تأليفه ونظمه فكيف بأعجمي ألكن نعم وقد كان سلمان أو بلعام الرومي
أو يعيش أو جبر أو يسار على اختلافهم في اسمه بين أظهرهم يكلمونهم مدى
أعمارهم فهل حكي عن واحد منهم شيء مثل ما كان يجيء به محمد عليه السلام
وهل عرف واحد منهم بمعرفة شيء من ذلك وما منع العدو حينئذ على
كثرة عدده ودؤوب طلبه وقوة حسده أن يجلس إلى هذا فيأخذ عليه
أيضا ما يعارض به ويتعلم منه ما يحتج به على شيعته كفعل النضر بن الحارث
بما كان يمخرق به من أخبار كتبه ولا غاب النبي صلى الله عليه وسلم
عن قومه ولا كثرت اختلافاته إلى بلاد أهل الكتاب فيقال إنه
استمد منهم بل لم يزل بين أظهرهم راعيا في صغره وشبابه على عادة أبنائهم
ثم لم يخرج عن بلادهم إلا في سفرة أو سفرتين لم يطل فيهما مكثه مدة
يحتمل فيها تعليم القليل فكيف الكثير بل كان في سفره في صحبة قومه ورفاق
عشيرته لم يغب عنهم ولا خالف حاله مدة مقامه بمكة من تعليم واختلاف
إلى حبر أو قس أو منجم أو كاهن بل لو كان هذا بعد كله لكان مجيء ما أتى به
في معجز القرآن قاطعا لكل عذر ومدحضا لكل شبهة ومجليا لكل أمر

فصل ومن خصائصه عليه السلام وكراماته وباهر آياته
أنباؤه مع الملائكة والجن وامداد الله له بالملائكة وطاعة الجن له ورؤية
كثير من أصحابه لهم قال الله تعالى وإن تظاهرا عليه فإن الله هو
مولاه الآية وقال إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين
آمنوا وقال إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم الآيتين وقال
وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن الآية حدثنا سفيان
بن العاصي الفقيه سماعا عليه حدثنا أبو الليث السمرقندي قال أخبرنا عبد
الغافر الفارسي حدثنا أبو أحمد الجلودي حدثنا ابن سفيان حدثنا مسلم
حدثنا عبيد الله بن معاذ حدثنا أبي حدثنا شعبة عن سليمان الشيباني
سمع زر بن حبيش عن عبد الله قال لقد رأى من آيات ربه الكبرى
قال رأى جبريل في صورته له ستمائة جناح والخبر في محادثته مع جبريل
وإسرافيل وغيرهم من الملائكة وما شاهده من كثرتهم وعظم صور
بعضهم ليلة الإسراء مشهور وقد رآهم بحضرته جماعة من أصحابه في
مواطن مختلفة فرأى أصحابه جبريل عليه السلام في صورة رجل يسأله عن
الإسلام والإيمان ورأى ابن عباس وأسامة وغيرهما عنده جبريل في
صورة دحية ورأى سعد على يمينه ويساره جبريل وميكائيل في صورة
رجلين عليهما ثياب بيض ومثله عن غير واحد وسمع بعضهم زجر
الملائكة خيلها يوم بدر وبعضهم رأى تطاير الرؤوس من الكفار ولا يرون
الضارب ورأى أبو سفيان بن الحارث يومئذ رجالا بيضا على خيل

بلق

بلق بين السماء والأرض ما يقوم لها شيء وقد كانت الملائكة تصافح
عمران بن الحصين وأرى النبي صلى الله عليه وسلم لحمزة جبريل في الكعبة فخر
مغشيا عليه ورأى عبد الله بن مسعود الجن ليلة الجن وسمع كلامهم
وشبههم برجال الزط وذكر ابن سعد أن مصعب بن عمير لما قتل يوم أحد
أخذ الراية ملك على صورته فكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول
له تقدم يا مصعب فقال له الملك لست بمصعب فعلم أنه ملك وقد
ذكر غير واحد من المصنفين عن عمر بن الخطاب أنه قال بينا نحن جلوس
مع النبي صلى الله عليه وسلم إذ أقبل شيخ بيده عصا فسلم على النبي صلى الله
عليه وسلم فرد عليه وقال نغمة الجن من أنت قال أنا هامة بن
الهيم بن لاقيس بن إبليس فذكر أنه لقي نوحا ومن بعده في حديث طويل
وأن النبي صلى الله عليه وسلم علمه سورا من القرآن وذكر الواقدي قتل
خالد عند هدمه العزى للسوداء التي خرجت له ناشرة شعرها عريانة
فجدلها بسيفه وأعلم النبي صلى الله عليه وسلم فقال له تلك العزى
وقال عليه السلام إن شيطانا تفلت البارحة ليقطع علي صلاتي
فأمكنني الله منه فأخذته فأردت أن أربطه إلى سارية من سواري
المسجد حتى تنظروا إليه كلكم فذكرت دعوة أخي سليمان رب
اغفر لي وهب لي ملكا الآية فرده الله خاسئا وهذا باب واسع ٥
فصل ومن دلائل نبوته وعلامات رسالته ما ترادفت به
الأخبار عن الرهبان والأحبار وعلماء أهل الكتب من صفته وصفة أمته

وَاسمه وعلاماته وذكر الخاتم الذي بين كتفيه وما وجد من ذلك
في اشعار الموحدين المتقدمين من شعر تبع والأوس بن حارثة وكعب بن لوي
وسفيان بن مجاشع وقس بن ساعدة وما ذكر عن سيف بن ذي يزن وغيرهم
وما عرف به من امره زيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وعثكلان
الحميري وعلما يهود وشامول عالمهم صاحب تبع من صفته وخبره وما ألفي
من ذلك في التوراة والانجيل مما قد جمعه العلما وبينوه ونقله عنها
ثقات من اسلم منهم مثل ابن سلام وبني سعية وابن يامين ومخيريق وكعب
واشباههم ممن اسلم من علما يهود وبحيرا ونسطور وصاحب بصرى
وضغاطر واسقف الشام والجارود وسلمان والنجاشي ونصارى الحبشة
واساقف نجران وغيرهم ممن اسلم من علما النصارى وقد اعترف بذلك هرقل
وصاحب رومة عالما النصارى ورئيساهم ومقوقس صاحب مصر والشيخ
صاحبه وابن صوريا وابن اخطب واخوه وكعب بن اسد والزبير بن باطيا وغيرهم
من علما اليهود ممن حمله الحسد والنفاسة على البقا على الشقا والاخبار في هذا
كثير لا تنحصر وقد قرع اسماع يهود والنصارى بما ذكر انه في كتبهم من صفته
وصفة اصحابه واحتج عليهم بما انطوت عليه من ذلك صحفهم وذمهم بتحريف
ذلك وكتمانه وليهم السنتهم ببيان امره ودعوتهم المباهلة على الكاذب
فما منهم الا من نفر عن معارضته وابدا ما الزمهم من كتبهم اظهاره
ولو وجد واخلاف قوله لكان اظهاره اهون عليهم من بذل النفوس
والاموال وتخريب الديار ونبذ القتال وقد قال لهم قل

فاتوا

فاتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين الى ما انذر به الكهان مثل
شافع بن كليب وشق وسطيح وسواد بن قارب وخنافر وافعى نجران وجذل
بن جذل الكندي وابن خلصة الدوسي وسعد بن بنت كريز وفاطمة بنت
النعمان ومن لا يعد كثرة الى ما ظهر على السنة الاصنام من نبوته وحلول
وقت رسالته وسمع من هواتف الجن ومن ذبائح النصب واجواف الصور
وما وجد من اسم النبي صلى الله عليه وسلم والشهادة له بالرسالة مكتوب
في الحجارة والقبور بالخط القديم ما اكثره مشهور واسلام من اسلم بسبب
ذلك معلوم مذكور **فصل** ومن ذلك ما ظهر من الآيات عند
مولده وما حكته امه ومن حضره من العجائب وكونه رافعا راسه عند ما
وضعته شاخصا ببصره الى السما وما رأته من النور الذي خرج معه عند
ولادته وما رأته اذ ذاك ام عثمان بن ابي العاص من تدلي النجوم وظهور النور
عند ولادته حتى ما تنظر الا النور وقول الشفا ام عبد الرحمن
بن عوف لما سقط عليه السلام على يدي واستهل سمعت قايلا يقول رحمك
الله واضا لي ما بين المشرق والمغرب حتى نظرت الى قصور الروم وما تعرفت
حليمة وزوجها ظئراه من بركته ودرور لبنها له ولبن شارفها وخصب
غنمها وسرعة شبابه وحسن نشاته وما جرى من العجائب ليلة مولده من ارتجاس
ايوان كسرى وسقوط شرفاته وغيض بحيرة طبرية وخمود نار فارس
وكان لها الف عام لم تخمد وانه كان اذا اكل مع عمه ابي طالب
وآله وهو صغير شبعوا ورووا فاذا غاب فاكلوا في غيبته لم يشبعوا

وكان ساير ولد ابى طالب يصبحون شعثا ويصبح صلى الله عليه وسلم صقيلا دهينا كحيلا قالت ام ايمن حاضنته ما رايته عليه السلام شكا جوعا ولا عطشا صغيرا ولا كبيرا ومن ذلك حراسة السما بالشهب وقطع رصد الشياطين ومنعهم استراق السمع وما نشا عليه من بغض الاصنام والعفة عن امور الجاهلية وما خصه الله به من ذلك وحماه حتى فى ستره فى الخبر المشهور عند بناء الكعبة اذ اخذ ازاره ليجعله على عاتقه ليحمل عليه الحجارة وتعرى فسقط الى الارض حتى رد ازاره عليه فقال له عمه ما بالك قال انى نهيت عن التعرى ومن ذلك اظلال الله له بالغمام فى سفره وفى رواية ان خديجة ونساها راينه لما قدم وملكان يظلانه فذكرت ذلك لميسرة فاخبرها انه راى ذلك منذ خرج معه فى سفره وقد روى ان حليمة رات غمامة تظله وهو عندها وروى ذلك عن اخيه من الرضاعة ومن ذلك انه نزل فى بعض اسفاره قبل مبعثه تحت شجرة يابسة فاعشوشب ما حولها واينعت هى فاشرقت وتدلت عليه اغصانها بمحضر من راه وميل فى الشجرة اليه فى الخبر الاخر حتى اظلته وما ذكر من انه كان لا ظل لشخصه فى شمس ولا قمر لانه كان نورا وان الذباب كان لا يقع على جسده ولا ثيابه ومن ذلك تحبيب الخلوة اليه حتى اوحى اليه ثم اعلامه بموته ودنو اجله وان قبره فى المدينة فى بيته وان بين بيته وبين منبره روضة من رياض الجنة وتخيير الله له عند موته وما اشتمل عليه حديث الوفاة من كراماته وتشريفه وصلاة الملايكة على جسده على ما

رويناه فى بعضها واستيذان ملك الموت عليه ولم يستاذن على غيره قبله وندايهم الذى سمعوه الا تنزعوا القميص عنه عند غسله وما روى من تعزية الخضر والملايكة اهل بيته عند موته الى ما ظهر على اصحابه من كراماته وبركته فى حياته وموته كاستسقا عمر بعمه وتبرك غير واحد بذريته

فصل قال القاضى ابو الفضل قد اتينا فى هذا الباب على نكت من معجزاته واضحة وجمل من علامات نبوته مقنعة فى واحد منها الكفاية والغنية وتركنا الكثير سوى ما ذكرنا واقتصرنا من الاحاديث الطوال على عين الغرض وفص المقصد ومن كثير الاحاديث وغريبها على ما صح واشتهر الا يسيرا من غريبه مما ذكره مشاهير الايمة وحذفنا الاسناد فى جمهورها طلبا للاختصار وبحسب هذا الباب لو تقصى ان يكون ديوانا جامعا يشتمل على مجلدات عدة ومعجزات نبينا اظهر من معجزات الرسل بوجهين احدهما كثرتها وانه لم يوت نبى معجزة الا وعند نبينا مثلها او ما هو ابلغ منها وقد نبه الناس على ذلك فان اردته فتامل فصول هذا الباب ومعجزات من تقدم من الانبيا تقف على ذلك ان شا الله واما كونها كثيرة فهذا القران وكله معجز واقل ما يقع الاعجاز به عند بعض ايمة المحققين سورة انا اعطيناك الكوثر او اية فى قدرها وذهب بعضهم الى ان كل اية منه كيف كانت معجزة وزاد اخرون ان كل جملة منتظمة منه معجزة وان كانت من كلمة او كلمتين والحق ما ذكرناه اولا لقوله تعالى فاتوا بسورة مثله فهو اقل ما تحداهم به مع ما ينصر

هذا من نظر وتحقيق يطول بسطه واذا كان هذا ففي القران من الكلمات
نحو من سبعة وسبعين الف كلمة ونيف على عدد بعضهم وعدد كلمات
انا اعطيناك الكوثر عشر كلمات فتجزا القران على نسبة عدد انا اعطيناك
الكوثر ازيد من سبعة الاف جزء كل واحد منها معجز في نفسه ثم اعجازه
كما تقدم بوجهين طريق بلاغته وطريق نظمه فصار في كل جزء من هذا
العدد معجزان فتضاعف العدد من هذا الوجه ثم فيه وجوه اعجاز اخر
من الاخبار بعلوم الغيب فقد يكون في السورة الواحدة من هذه التجزية
الخبر عن اشيا من الغيب كل خبر منها بنفسه معجز فتضاعف العدد كرة
اخرى ثم وجوه الاعجاز الاخر التي ذكرناها توجب التضعيف هذا في
حق القران فلا يكاد ياخذ العد معجزاته ولا يحوي الحصر براهينه ٥ ثم
الاحاديث الواردة والاخبار الصادرة عنه عليه السلم في هذه
الابواب وعما دل على امره مما اشرنا الى جمله يبلغ نحوا من هذا الوجه
الثاني وضوح معجزاته صلى الله عليه وسلم فان معجزات الرسل كانت
بقدر همم اهل زمانهم وبحسب الفن الذي سما فيه قرنه فلما كان
زمن موسى غاية علم اهله السحر بعث اليهم موسى بمعجزة تشبه ما يدعون
قدرتهم عليه فجاهم منها ما خرق عادتهم ولم يكن في قدرتهم وابطل
سحرهم وكذلك زمن عيسى اغنا ما كان الطب واوفر ما كان اهله
فجاهم امر لا يقدرون عليه واتاهم ما لم يحتسبوه من احيا الميت
وابرا الاكمه والابرص دون معالجة ولا طب وهكذا سائر معجزات

الانبيا

الانبيا ثم ان الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم وجملة معارف
العرب وعلومها اربعة البلاغة والشعر والخبر والكهانة فانزل عليه
القران الخارق لهذه الاربعة فصول من الفصاحة والايجاز والبلا غه
الخارجة عن نمط كلامهم ومن النظم الغريب والاسلوب العجيب
الذي لم يهتدوا في المنظوم الى طريقه ولا علموا في اساليب الاوزان
منهجه ومن الاخبار عن الكوائن والحوادث والاسرار والمخبات
والضماير فتوجد على ما كانت ويعترف المخبر عنها بصحة ذلك وصدقه
وان كان اعدا العدو فابطل الكهانة التي تصدق مرة وتكذب عشرا ثم
اجتثها من اصلها برجم الشهب ورصد النجوم وجا من الاخبار عن القرون
السالفة وانبا الانبيا والامم البائدة والحوادث الماضية ما يعجز من
تفرغ لهذا العلم عن بعضه على الوجوه التي بسطناها وبينا المعجز فيها ثم بقيت
هذه المعجزة الجامعة لهذه الوجوه الى الفصول الاخر التي ذكرناها في معجزات
القران ثابتة الى يوم القيمة بينة الحجة لكل امة تاتي لا يخفى وجوه ذلك على
من نظر فيه وتامل وجوه اعجازه الى ما اخبر به من الغيوب على هذه السبيل
فلا يمر عصر ولا زمن الا ويظهر فيه صدقه بظهور مخبره على ما اخبر فيتجدد
الايمان ويتظاهر البرهان وليس الخبر كالعيان وللمشاهدة زيادة في اليقين
فالنفس اشد طمانينة الى عين اليقين منها الى علم اليقين وان كان
كل عندها حقا وسائر معجزات الرسل انقرضت بانقراضهم وعدمت
بعدم ذواتها ومعجزة نبينا لا تبيد ولا تنقطع واياته تتجدد ولا

تضمحل ولهذا أشار عليه السلام بقوله فيما حدثنا القاضي
الشهيد أبو علي حدثنا القاضي أبو الوليد حدثنا أبو ذر حدثنا أبو محمد
وأبو إسحاق وأبو الهيثم قالوا حدثنا الفربري حدثنا البخاري حدثنا عبد
العزيز بن عبد الله حدثنا الليث عن سعيد عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله
آمن عليه البشر وإنما كان الذي أوتيت وحيا أوحاه الله إلي فأرجو
أني أكثرهم تابعا يوم القيامة هذا معنى الحديث عند بعضهم وهو الظاهر
والصحيح إن شاء الله وذهب غير واحد من العلماء في تأويل هذا الحديث
وظهور معجزة نبينا عليه السلام إلى معنى آخر من ظهورها بكونها وحيا
وكلاما لا يمكن التخييل فيه ولا التحيل عليه والتشبيه فإن غيرها
من معجزات الرسل قد رام المعاندون لها بأشياء طمعوا في التخييل بها
على الضعفاء كإلقاء السحرة حبالهم وعصيهم وشبه هذا مما يخيله الساحر
أو يتحيل فيه والقرآن كلام ليس للحيلة ولا للسحر في التخييل فيه عمل
فكان من هذا الوجه عندهم أظهر من غيره من المعجزات كما لا يتم
لشاعر ولا خطيب أن يكون شاعرا أو خطيبا بضرب من الحيل والتمويه
والتأويل الأول أخلص وأرضى وفي هذا التأويل الثاني ما يغمض الجفن
عليه ويغضى وجه ثالث على مذهب من قال بالصرفة وأن
المعارضة كانت في مقدور البشر فصرفوا عنها أو على أحد مذهبي أهل
السنة من أن الإتيان بمثله من جنس مقدورهم ولكن لم يكن ذلك قبل

ولا يكون بعد لأن الله لم يقدرهم ولا يقدرهم عليها وبين المذهبين فرق
بين وعليهما جميعا فترك العرب الإتيان بما في مقدورهم أو ما هو من جنس
مقدورهم ورضاهم بالبلاء والجلاء والسباء والإذلال وتغيير
الحال وسلب النفوس والأموال والتقريع والتوبيخ والتعجيز والتهديد
والوعيد أبين آية للعجز عن الإتيان بمثله والنكول عن معارضته وأنهم
منعوا عن شيء هو من جنس مقدورهم وإلى هذا ذهب الإمام أبو المعالي
الجويني وغيره وقال هذا عندنا أبلغ في خرق العادة بالأفعال البديعة
في أنفسها كقلب العصا حية ونحوها فإنه قد يسبق إلى بال الناظر
بدارًا أن ذلك من اختصاص صاحب ذلك بمزية معرفة في ذلك الفن
وفضل علم إلى أن يرد ذلك صحيح النظر وأما التحدي للخلائق المئين
من السنين بكلام من جنس كلامهم ليأتوا بمثله فلم يأتوا فلم يبق بعد توفر
الدواعي على المعارضة ثم عدمها إلا منع الله الخلق عنها بمثابة ما لو قال
نبي آيتي أن يمنع الله القيام عن الناس مع مقدرتهم عليه وارتفاع الزمانة عنهم
فكان ذلك وعجزهم الله عن القيام لكان ذلك أبهر آية وأظهر دلالة وبالله التوفيق
وقد غاب عن بعض العلماء وجه ظهور آيته على سائر آيات الأنبياء
حتى احتاج للعذر عن ذلك بدقة أفهام العرب وذكاء ألبابها ووفور
عقولها وأنهم أدركوا المعجزة فيه بفطنتهم وجاءهم من ذلك بحسب إدراكهم
وغيرهم من القبط وبني إسرائيل وغيرهم لم يكونوا بهذه السبيل بل كانوا
من الغباوة وقلة الفطنة بحيث جوز عليهم فرعون أنه ربهم وجوز

عليهم السامري ذلك في العجل بعد ايمانهم وعبدوا المسيح مع اجماعهم على
صلبه وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم فكانهم من الآيات الظاهرة البينة
للابصار بعد يغلط افهامهم مما لا يشكون فيه ومع هذا فقالوا لن نؤمن
لك حتى نرى الله جهرة ولم يصبروا على المن والسلوى واستبدلوا الذي هو
ادنى بالذي هو خير والعرب على جاهليتها اكثرها تعترف بالصانع وانما
كانت تتقرب بالاصنام الى الله زلفى ومنهم من آمن بالله وحده من قبل الرسول
صلى الله عليه وسلم بدليل عقله وصفاء لبه ولما جاءهم الرسول بكتاب الله
فهموا حكمته وتبينوا بفضل ادراكهم لاول وهلة معجزته فآمنوا به وازدادوا
كل يوم ايمانا ورفضوا الدنيا كلها في صحبته وهجروا ديارهم واموالهم
وقتلوا آباءهم وابناءهم في نصرته واتى في معنى هذا ما يلوح له رونق ويعجب
منه زبرج لو احتيج اليه وحقق لكنا قدمنا من بيان معجزة نبينا صلى الله عليه
وسلم وظهورها ما يغني عن ركوب بطون هذه المسالك وظهورها وبالله
استعين القسم الثاني فيما يجب على الانام من حقوقه عليه السلام
قال القاضي ابو الفضل وهذا قسم لخصنا فيه الكلام في
اربعة ابواب على ما ذكرناه اول الكتاب ومجموعها في وجوب تصديقه
واتباعه وطاعته ومحبته ومناصحته وتوقيره وبره وحكم الصلاة عليه
والتسليم وزيارة قبره ٥ تم الجزو الاول

يتلوه في الجزء الثاني الباب الاول في فرض
الايمان به ووجوب طاعته واتباع سنته

الجزء الثاني
من كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفا
تأليف الإمام
القاضي أبو الفضل عياض ابن موسى ابن
عياض بن عمرون موسى بن عياض اليحصبي السبتي
رضي الله عنه

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله

الباب الاول

في فرض الايمان به ووجوب طاعته واتباع سنته اذا تقرر بما ذكرناه
ثبوت نبوته وصحة رسالته وجب الايمان به وتصديقه فيما اتى به
قال الله تعالى فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي انزلنا وقال
انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا لتؤمنوا بالله ورسوله وقال
فآمنوا بالله ورسوله النبي الامي الآية فالايمان بالنبي صلى الله عليه وسلم
واجب متعين لا يتم ايمان الا به ولا يصح اسلام الا معه قال الله تعالى ومن لم
يؤمن بالله ورسوله فانا اعتدنا للكافرين سعيرا حدثنا ابو محمد
الخشني الفقيه بقراءتي عليه حدثنا الامام ابو علي الطبري حدثنا عبد
الغافر الفارسي حدثنا ابن عمرويه حدثنا ابن سفيان حدثنا ابو الحسين حدثنا
امية بن بسطام حدثنا يزيد بن زريع حدثنا روح عن العلاء بن عبد الرحمن
بن يعقوب عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال امرت ان
اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله ويؤمنوا بي وبما جئت به فاذا
فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها وحسابهم على الله
قال القاضي ابو الفضل والايمان به عليه السلام هو تصديق
نبوته ورسالة الله له وتصديقه في جميع ما جاء به وما قاله ومطابقة تصديق
القلب بذلك شهادة اللسان بانه رسول الله فاذا اجتمع التصديق به بالقلب
والنطق بالشهادة بذلك باللسان تم الايمان به والتصديق له كما ورد

في هذا الحديث نفسه من رواية عبد الله بن عمر امرت ان اقاتل
الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وذكر اركان
الاسلام ثم ساله عن الايمان قال ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله
الحديث فقد قرر ان الايمان به محتاج الى العقد بالجنان والاسلام به
مضطر الى النطق باللسان وهذه الحال المحمودة التامة واما الحال
المذمومة فالشهادة باللسان دون تصديق القلب وهذا هو النفاق
قال الله تعالى اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله
والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون اي كاذبون
في قولهم ذلك عن اعتقادهم وتصديقهم وهم لا يعتقدونه فلما لم
يصدق ذلك ضمائرهم لم ينفعهم ان يقولوا بالسنتهم ما ليس في قلوبهم
فخرجوا عن اسم الايمان ولم يكن لهم في الآخرة حكمه اذ لم يكن معهم ولحقوا
بالكافرين في الدرك الاسفل من النار وبقي عليهم حكم الاسلام باظهار
شهادة اللسان في احكام الدنيا المتعلقة بالائمة وحكام المسلمين
الذين احكامهم على الظواهر بما اظهروه من علامة الاسلام اذ لم يجعل
للبشر سبيل الى السرائر ولا امروا بالبحث عنها بل نهى النبي صلى الله عليه
وسلم عن التحكم عليها وذم ذلك وقال هلا شققت عن قلبه وللفرق
بين القول والعقد ما جعل في حديث جبريل الشهادة من الاسلام
والتصديق من الايمان وبقيت حالتان اخريان بين هذين احداهما
ان يصدق بقلبه ثم يخترم قبل اتساع وقت الشهادة بلسانه فاختلف

فيه فشرط بعضهم من تمام الإيمان القول والشهادة به ورآه بعضهم
مؤمنا مستوجبا للجنة لقوله عليه السلام يخرج من النار من كان في قلبه
مثقال ذرة من إيمان فلم يذكر سوى ما في القلب وهذا مؤمن بقلبه غير
عاص ولا مفرط بترك غيره وهذا هو الصحيح في هذا الوجه الثانية
أن يصدق بقلبه ويطول مهله وعلم ما يلزمه من الشهادة فلم ينطق بها جملة
ولا استشهد في عمره ولا مرة فهذا اختلف فيه أيضا فقيل هو مؤمن
لأنه مصدق والشهادة من جملة الأعمال فهو عاص بتركها غير مخلد وقيل
ليس بمؤمن حتى يقارن عقده شهادة إذ الشهادة إنشاء عقد والتزام إيمان
وهي مرتبطة مع العقد ولا يتم التصديق مع المهلة إلا بها وهذا هو الصحيح
وهذا نبذ يفضي إلى متسع من الكلام في الإسلام والإيمان وأبوابهما وفي
الزيادة فيهما والنقصان وهل التجزي ممتنع على مجرد التصديق لا
يصح فيه جملة وإنما يرجع إلى ما زاد عليه من عمل أو قد يعرض فيه لاختلاف
صفاته وتباين حالاته من قوة يقين وتصميم اعتقاد ووضوح معرفة ودوام
حاله وحضور قلبه وفي بسط هذا خروج عن غرض التأليف وفيما ذكرنا
غنية فيما قصدنا إن شاء الله **فصل** وأما وجوب طاعته
فإذا وجب الإيمان به وتصديقه فيما جاء به وجبت طاعته لأن ذلك
فيما أتى به **قال** الله تعالى يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله والرسول
وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون وقال وإن تطيعوه تهتدوا وقال
من يطع الرسول فقد أطاع الله وقال وما آتاكم الرسول فخذوه

وما

وما نهاكم عنه فانتهوا وقال ومن يطع الله والرسول فأولئك الآية
وقال وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله فجعل تعالى طاعة رسوله
طاعته وقرن طاعته بطاعته ووعد على ذلك بجزيل الثواب وأوعد على
مخالفته بسوء العقاب وأوجب امتثال أمره واجتناب نهيه قال
المفسرون والأئمة طاعة الرسول في التزام سنته والتسليم لما جاء به
وقالوا ما أرسل الله من رسول إلا فرض طاعته على من أرسله إليه وقالوا
من يطع الرسول فقد أطاع الله في سنته يطع الله في فرائضه وسئل
سهل بن عبد الله عن شرائع الإسلام **فقال** وما آتاكم الرسول
فخذوه وقال السمرقندي يقال أطيعوا الله في فرائضه والرسول في سنته
وقيل أطيعوا الله فيما حرم عليكم والرسول فيما بلغكم ويقال أطيعوا
الله بالشهادة له بالربوبية والنبي بالشهادة له بالنبوة **حدثنا** أبو
محمد بن عتاب بقراءتي عليه حدثنا حاتم بن محمد حدثنا أبو الحسن علي بن محمد بن
خلف حدثنا محمد بن أحمد حدثنا البخاري حدثنا عبدان أخبرنا يونس عن
الزهري أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن أنه سمع أبا هريرة يقول إن رسول
الله صلى الله عليه وسلم **قال** من أطاعني فقد أطاع الله ومن
عصاني فقد عصى الله ومن أطاع أميري فقد أطاعني ومن عصا أميري
فقد عصاني فطاعة الرسول من طاعة الله إذ الله أمر بطاعته فطاعته
امتثال لما أمر الله به وطاعة له وقد حكى الله عن الكفار في دركات
ب جهنم يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا

الرسول لا منوا طاعته حيث لا ينفعهم النبي وقال عليه السلم
اذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه واذا امرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم
وفي حديث ابي هريرة عنه عليه السلام كل امتي يدخلون الجنة الا من
ابى قالوا ومن يابى قال من اطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد ابى وفي
الحديث الآخر الصحيح عنه عليه السلام مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل
اتى قوما فقال يا قوم اني رأيت الجيش بعيني واني انا النذير العريان فالنجا
فاطاعه طائفة من قومه فادلجوا فانطلقوا على مهلهم فنجوا وكذبت
طائفة منهم فاصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش فاهلكهم واجتاحهم
فذلك مثل من اطاعني واتبع ما جئت به ومثل من عصاني وكذب ما جئت
به من الحق وفي الحديث الآخر في مثله كمثل من بنى دارا وجعل فيها مادبة
وبعث داعيا فمن اجاب الداعي دخل الدار واكل من المادبة ومن لم يجب
الداعي لم يدخل الدار ولم ياكل من المادبة فالدار الجنة والداعي محمد
فمن اطاع محمدا فقد اطاع الله ومن عصى محمدا فقد عصى الله ومحمد فرق بين
الناس

فصل

واما وجوب اتباعه وامتثال سنته والاقتدا
بهديه فقد قال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني
يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم وقال فآمنوا بالله ورسوله النبي الامي الذي
يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون وقال فلا وربك لا يؤمنون
حتى يحكموك الى قوله تسليما اي ينقادون لحكمك يقال سلم واستسلم
واسلم اذا انقاد وقال لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة

لمن كان يرجو الله واليوم الآخر الآية قال محمد بن علي الترمذي
الاسوة في الرسول الاقتدا به والاتباع لسنته وترك مخالفته في قول
او فعل وقال غير واحد من المفسرين بمعناه وقيل هو عتاب للمتخلفين
عنه وقال سهل في قوله صراط الذين انعمت عليهم قال بمتابعة السنة
فامرهم تعالى بذلك ووعدهم الاهتدا باتباعه لان الله ارسله بالهدى
ودين الحق ليزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويهديهم الى صراط مستقيم ووعدهم
محبته تعالى في الآية الاخرى ومغفرته اذا اتبعوه وآثروه على اهوائهم وما
تجنح اليه نفوسهم وان صحة ايمانهم بانقيادهم له ورضاهم بحكمه وترك
الاعتراض وروي عن الحسن ان اقواما قالوا يا رسول الله انا نحب الله فانزل
الله تعالى قل ان كنتم تحبون الله الآية وروي ان الآية نزلت في كعب بن
الاشرف وغيره وانهم قالوا نحن ابناء الله واحباؤه ونحن اشد حبا لله فانزل
الله الآية وقال الزجاج معناه ان كنتم تحبون الله ان تقصدوا
طاعته فافعلوا ما امركم به اذ محبة العبد لله والرسول طاعته لهما
ورضاه بما امرا ومحبة الله لهم عفوه عنهم وانعامه عليهم برحمته ويقال
الحب من الله عصمة وتوفيق ومن العباد طاعة كما قال القائل

تعصي الاله وانت تظهر حبه ۞ هذا لعمري في القياس بديع
لو كان حبك صادقا لاطعته ۞ ان المحب لمن يحب مطيع

ويقال محبة العبد لله تعظيمه له وهيبته منه ومحبة الله له رحمته
له وارادته الجميل له ويكون بمعنى مدحه وثنائه عليه قال

القشيري فاذا كان بمعنى الرحمة والارادة والمدح كان من صفات
الذات وسيأتي بعد في ذكر محبة العبد غير هذا بحول الله تعالى حدثنا
ابو اسحاق ابرهيم بن جعفر الفقيه قال حدثنا ابو الاصبغ عيسى بن سهل
وحدثنا ابو الحسن يونس بن مغيث الفقيه قراءتي عليه قالا حدثنا حاتم
بن محمد قال حدثنا ابو حفص الجهني حدثنا ابو بكر الآجري حدثنا ابرهيم
بن موسى الجوزي حدثنا داود بن رشيد حدثنا الوليد بن مسلم عن ثور
بن يزيد عن خالد بن معدان عن عبد الرحمن بن عمرو الاسلمي وحجر الكلاعي
عن العرباض بن سارية في حديثه في موعظة النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين
عضوا عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات الامور فان كل محدثة بدعة
وكل بدعة ضلالة زاد في حديث جابر بمعناه وكل ضلالة في النار وفي
حديث ابي رافع عنه عليه السلام لا الفين احدكم متكئا على اريكته ياتيه
الامر من امري مما امرت به او نهيت عنه فيقول لا ادري ما وجدنا في
كتاب الله اتبعناه وفي حديث عايشة صنع رسول الله صلى الله
عليه وسلم شيئا ترخص فيه فتنزه عنه قوم فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه
وسلم فحمد الله ثم قال ما بال اقوام يتنزهون عن الشيء اصنعه فوالله
اني لاعلمهم بالله واشدهم له خشية وروي عنه عليه السلام انه قال
القران صعب مستصعب على من كرهه وهو الحكم فمن استمسك
بحديثي وفهمه وحفظه جاء مع القران ومن تهاون بالقران وحديثي خسر

الدنيا

الدنيا والاخرة امرت امتي ان ياخذوا بقولي ويطيعوا امري ويتبعوا
سنتي فمن رضي بقولي فقد رضي بالقران قال الله تعالى وما اتاكم
الرسول فخذوه الاية وقال عليه السلام من اقتدى بي فهو مني ومن
رغب عن سنتي فليس مني وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
ان احسن الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد وشر الامور محدثاتها
وعن عبد الله بن عمرو بن العاصي قال النبي صلى الله عليه وسلم العلم ثلاثة
فما سوى ذلك فهو فضل اية محكمة او سنة قائمة او فريضة عادلة
وعن الحسن بن ابي الحسن قال عليه السلام عمل قليل في سنة خير من عمل
كثير في بدعة وقال عليه السلام ان الله يدخل العبد الجنة بالسنة
تمسك بها وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال المتمسك بسنتي
عند فساد امتي له اجر مائة شهيد وقال عليه السلام ان بني اسرائيل
افترقوا على اثنين وسبعين ملة وان امتي تفترق على ثلاث وسبعين
كلها في النار الا واحدة قالوا ومن هم يا رسول الله قال الذي انا عليه
اليوم واصحابي وعن انس قال عليه السلام من احيى سنتي فقد احياني
ومن احياني كان معي وعن عمرو بن عوف المزني ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال لبلال بن الحارث من احيى سنة من سنتي قد اميتت بعدي
فان له من الاجر مثل من عمل بها من غير ان ينقص من اجورهم شيئا ومن
ابتدع بدعة ضلالة لا يرضى الله ورسوله كان عليه مثل اثام من عمل
بها لا ينقص ذلك من اوزار الناس شيئا فصل واما ما ورد

عن السلف والايمة من اتباع سنته والاقتدا بهديه وسيرته فحدثنا
الشيخ ابو عمران موسى بن عبد الرحمن ابن ابي تليد الفقيه سماعا عليه قال
اخبرنا ابو عمر الحافظ حدثنا سعيد بن نصر حدثنا قاسم بن اصبغ ووهب
بن مسرة قالا حدثنا محمد بن وضاح حدثنا يحيى بن يحيى حدثنا مالك عن بن شهاب
عن رجل من ال خالد بن اسيد انه سال عبد الله بن عمر فقال يا ابا عبد الرحمن
انا نجد صلاة الخوف وصلاة الحضر في القران ولا نجد صلاة السفر فقال
بن عمر يا بن اخي ان الله بعث الينا محمدا ولا نعلم شيا فانما نفعل كما رايناه
يفعل وقال عمر بن عبد العزيز سن رسول الله صلى الله عليه وسلم
وولاة الامر بعده سننا الاخذ بها تصديق لكتاب الله واستعمال لطاعة
الله وقوة على دين الله ليس لاحد تغييرها ولا تبديلها ولا النظر في راي
من خالفها من اقتدى بها مهتد ومن انتصر بها منصور ومن خالفها واتبع
غير سبيل المومنين ولاه الله ما تولى واصلاه جهنم وساءت مصيرا
وقال الحسن بن ابي الحسن عمل قليل في سنة خير من عمل كثير في بدعة
وقال بن شهاب بلغنا عن رجال من اهل العلم قالوا الاعتصام بالله نجاة
وكتب عمر بن الخطاب تعلموا السنة والفرايض واللحن اي اللغة وقال
انا ناسا يجادلونكم بالقران فخذوهم بالسنن فان اصحاب السنن اعلم
بكتاب الله وفي خبر حين صلى بذي الحليفة ركعتين فقال اصنع كما رايت
رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن علي حين قرن فقال له عثمان
ترى اني انهى الناس عنه وتفعله قال لم اكن ادع سنة رسول الله صلى

الله عليه وسلم لقول احد من الناس وعنه الا اني لست بنبي ولا يوحى
الي ولكني اعمل بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ما استطعت
وكان بن مسعود يقول القصد في السنة خير من الاجتهاد في البدعة
وقال بن عمر صلاة السفر ركعتان من خالف السنة كفر وقال
ابي بن كعب عليكم بالسبيل والسنة فانه ما على الارض من عبد على السبيل
والسنة ذكر الله ففاضت عيناه من خشية الله ربه فيعذبه الله ابدا
وما على الارض من عبد على السبيل والسنة ذكر الله في نفسه فاقشعر
جلده من خشية الله الا كان مثله مثل شجرة قد يبس ورقها فهي كذلك
اذ اصابتها ريح شديدة فتحات عنها ورقها الا حط الله عنه خطاياه كما
تحات عن الشجرة ورقها فان اقتصادا في سبيل الله وسنة خير من اجتهاد
في خلاف سبيل وسنة وانظروا ان يكون عملكم ان كان اجتهادا او
اقتصادا ان يكون على منهاج الانبيا وسنتهم وكتب بعض عمال عمر بن
عبد العزيز الى عمر بحال بلده وكثرة لصوصه هل ياخذهم بالظنة او يحملهم
على البينة وما جرت عليه السنة فكتب اليه عمر خذهم بالبينة وما
جرت عليه السنة فان لم يصلحهم الحق فلا اصلحهم الله وعن عطا في قوله
تعالى فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول الى كتاب الله وسنة
رسول الله وقال الشافعي ليس في سنة رسول الله الا اتباعها
وقال عمر ونظر الى الحجر الاسود انك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا اني
رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك لما قبلتك ثم قبله وراى

عبد الله بن عمر يدير ناقته في مكان فسئل فقال لا أدري إلا أني رأيت
رسول الله صلى الله عليه وسلم فعله ففعلته وقال أبو عثمان الحيري
من أمّر السنة على نفسه قولا وفعلا نطق بالحكمة ومن أمّر الهوى على نفسه نطق
بالبدعة وقال سهل التستري أصول مذهبنا ثلاثة الاقتدا
بالنبي صلى الله عليه وسلم في الأخلاق والأفعال والأكل من الحلال
وإخلاص النية في جميع الأعمال وجاء في تفسير قوله تعالى والعمل الصالح يرفعه
أنه الاقتدا بالنبي صلى الله عليه وسلم وحكي أن أحمد بن حنبل قال كنت
يوما مع جماعة تجردوا ودخلوا الما فاستعملت الحديث من كان يؤمن بالله
واليوم الآخر فلا يدخل الحمام إلا بميزر ولم أتجرد فرأيت تلك الليلة قائلا
لي يا أحمد أبشر فإن الله قد غفر لك باستعمالك السنة وجعلك إماما يقتدى
بك قلت من أنت قال جبريل **فصل** ومخالفة أمره وتبديل سنته
ضلال وبدعة متوعد عليه بالخذلان والعذاب قال الله
تعالى فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم
وقال ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين
نوله ما تولى الآية حدثنا أبو محمد عبد الله بن أبي جعفر وعبد
الرحمن بن عتاب بقراءتي عليهما قالا حدثنا أبو القاسم حاتم بن محمد حدثنا أبو
الحسن القابسي حدثنا أبو الحسن بن مسرور الدباغ حدثنا أحمد بن أبي سليمان
حدثنا سحنون بن سعيد حدثنا ابن القاسم حدثنا مالك عن العلاء بن عبد
الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج إلى

المقبرة وذكر الحديث في صفة أمته وفيه فليذادن رجال عن
حوضي كما يذاد البعير الضال فأناديهم ألا هلم ألا هلم فيقال
إنهم قد بدلوا فأقول فسحقا فسحقا فسحقا وروى أنس أن النبي صلى الله
عليه وسلم قال من رغب عن سنتي فليس مني وقال من أدخل في أمرنا ما ليس
منه فهو رد وروى ابن أبي رافع عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
لا ألفين أحدكم متكيا على أريكته يأتيه الأمر من أمري مما أمرت به أو نهيت عنه
فيقول لا أدري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه زاد في حديث المقدام ألا
وإن ما حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما حرم الله وقال
عليه السلام وجي بكتاب في كتف كفى بقوم حمقا أو قال ضلالا أن يرغبوا عما
جاء به نبيهم إلى غير نبيهم أو كتاب غير كتابهم فنزلت أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك
الكتاب يتلى عليهم الآية وقال عليه السلام هلك المتنطعون وقال أبو بكر
الصديق رضي الله عنه لست تاركا شيئا كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يعمل به إلا عملت به إني أخشى إن تركت شيئا من أمره أن أزيغ ٥ ٥

الباب الثاني في لزوم محبته

قال الله تعالى قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم
وعشيرتكم وأموال اقترفتموها الآية فكفى بهذا حضا وتنبيها ودلالة
وحجة على إلزام محبته ووجوب فرضها وعظم خطرها واستحقاقه لها
عليه السلام إذ قرع تعالى من كان ماله وأهله وولده أحب إليه من الله
ورسوله وأوعدهم بقوله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره ثم فسقهم بتمام

الآية وأعلمهم أنهم من ضل ولم ينصح الله حدثنا أبو علي الغساني
الحافظ فيما أجازنيه وهو مما قرأته على غير واحد قال حدثنا سراج بن
عبد الله القاضي حدثنا أبو محمد الأصيلي حدثنا المروزي حدثنا أبو عبد
الله محمد بن يوسف حدثنا محمد بن إسمعيل حدثنا يعقوب بن إبراهيم حدثنا ابن
علية عن عبد العزيز بن صهيب عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده
والناس أجمعين وعن أبي هريرة نحوه وعن انس عليه السلام ثلاث من كن
فيه وجد حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما
وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في
النار وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم
لأنت أحب إلي من كل شيء إلا نفسي التي بين جنبي فقال النبي صلى الله عليه
وسلم لن يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه فقال عمر والذي
أنزل عليك الكتاب لأنت أحب إلي من نفسي التي بين جنبي فقال
له النبي صلى الله عليه وسلم الآن يا عمر قال سهل من لم ير ولاية الرسول
عليه السلام عليه في جميع الأحوال ويرى نفسه في ملكه عليه السلام
لا يذوق حلاوة سنته لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يؤمن
أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه الحديث

فصل في ثواب محبته

حدثنا أبو محمد بن عتاب بقراءتي عليه حدثنا أبو
القاسم حاتم بن محمد حدثنا أبو الحسن علي بن خلف حدثنا أبو زيد المروزي
حدثنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن إسمعيل ابا عبدان حدثنا
أبي حدثنا شعبة عن عمرو بن مرة عن سالم بن أبي الجعد عن أنس أن رجلا
أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال متى الساعة يا رسول الله
قال ما أعددت لها من كثير صلاة ولا صوم ولا صدقة ولكني أحب
الله ورسوله قال أنت مع من أحببت وعن صفوان بن قدامة هاجرت
إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأتيته فقلت يا رسول الله ناولني يدك
أبايعك فناولني يده فقلت يا رسول الله إني أحبك قال المرء مع من
أحب وروى هذا اللفظ عن النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن
مسعود وأبو موسى وأنس وعن أبي ذر بمعناه وعن علي أن النبي صلى الله
عليه وسلم أخذ بيد حسن وحسين فقال من أحبني وأحب هذين
وأباهما وأمهما كان معي في درجتي يوم القيمة وروي أن رجلا أتى
النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله لأنت أحب إلي
من أهلي ومالي وإني لأذكرك فما أصبر حتى أجيء وأنظر إليك وإني
ذكرت موتي وموتك فعرفت أنك إذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين
وإن دخلتها لا أراك فأنزل الله عز وجل ومن يطع الله والرسول
فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء
والصالحين وحسن أولئك رفيقا فدعا به فقرأها عليه وفي حديث آخر
كان رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم ينظر إليه لا يطرف فقال
ما بالك قال بأبي وأمي أتمتع من النظر إليك فإذا كان يوم القيمة رفعك

الله بفضله فانزل الله الآية وفي حديث انس من احبني كان معي في
الجنة **فصل** في ما روي عن السلف والائمة من محبتهم للنبي
صلى الله عليه وسلم وشوقهم له حدثنا القاضي الشهيد حدثنا
العذري حدثنا الرازي حدثنا الجلودي حدثنا ابن سفيان حدثنا
مسلم حدثنا قتيبة حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن عن سهيل عن ابيه
عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اشد امتي لي
حبا ناس يكونون بعدي يود احدهم لو رآني باهله وماله ومثله عن
ابي ذر وتقدم حديث عمر وقوله للنبي صلى الله عليه وسلم لانت احب
الي من نفسي وما تقدم عن الصحابة في مثله وعن عمرو بن العاص ما كان
احد احب الي من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن عبدة بنت معدان
قالت ما كان خالد ياوي الى فراش الا وهو يذكر من شوقه الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم والى اصحابه من المهاجرين والانصار
يسميهم ويقول هم اصلي وفصلي واليهم يحن قلبي طال شوقي اليهم
فعجل رب قبضي اليك حتى تغلبه النوم وروي عن ابي بكر انه قال
للنبي صلى الله عليه وسلم والذي بعثك بالحق لاسلام ابي طالب كان اقر
لعيني من اسلامه يعني اباه ابا قحافة وذلك ان اسلام ابي طالب
كان اقر لعينك ونحوه عن عمر بن الخطاب قاله للعباس ان تسلم احب
الي من ان يسلم الخطاب لان ذلك كان احب الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم وعن ابن اسحاق ان امراة من الانصار قتل ابوها واخوها

وزوجها يوم احد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت
ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا خيرا هو بحمد الله كما تحبين
قالت ارنيه حتى انظر اليه فلما راته قالت كل مصيبة بعدك جلل وسئل
علي بن ابي طالب كيف كان حبكم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
كان والله احب الينا من اموالنا واولادنا وآبائنا وامهاتنا ومن الماء البارد
على الظما وعن زيد بن اسلم خرج عمر ليلة يحرس فرأى مصباحا في بيت واذا
عجوز تنفش صوفا وتقول **شعر**

على محمد صلاة الابرار ... صلى عليه الطيبون الاخيار

قد كنت قواما بكا بالاسحار ... يا ليت شعري والمنايا اطوار

هل تجمعني وحبيبي الدار

تعني النبي صلى الله عليه وسلم فجلس عمر يبكي وفي الحكاية طول وروي
عن عبد الله بن عمر خدرت رجله فقيل له اذكر احب الناس اليك
يزل عنك فصاح وا محمداه فانتشرت ولما احتضر بلال نادت
امراته واحزناه فقال واطرباه غدا القى الاحبة محمدا وحزبه وروي
ان امراة قالت لعائشة اكشفي لي قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم
فكشفته لها فبكت حتى ماتت ولما اخرج اهل مكة زيد بن الدثنة من
الحرم ليقتلوه قال له ابو سفيان بن حرب انشدك بالله يا زيد احب
ان محمدا الآن عندنا مكانك تضرب عنقه وانك في اهلك فقال
زيد والله ما احب ان محمدا الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة
واني جالس في اهلي فقال ابو سفيان ما رأيت من الناس احدا يحب

أحداً أحب أصحاب محمد محمداً صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس كانت
المرأة إذا أتت النبي صلى الله عليه وسلم حلّفها بالله ما خرجت من بغض
زوج ولا رغبة بأرض عن أرض وما خرجت إلا حباً لله ورسوله ووقف
ابن عمر على ابن الزبير بعد قتله فاستغفر له وقال كنت والله ما علمت صواماً
قواماً تحب الله ورسوله **فصل** في علامة محبته عليه السلام اعلم
أن من أحب شيئاً آثره وآثر موافقته وإلا لم يكن صادقاً في حبه وكان
مدعياً فالصادق في حب النبي من تظهر علامة ذلك عليه وأولها
الاقتداء به واستعمال سنته واتباع أقواله وأفعاله وامتثال أوامره
واجتناب نواهيه والتأدب بأدبه في عسره ويسره ومنشطه ومكرهه
وشاهد هذا قوله تعالى قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله
وإيثار ما شرعه وحض عليه على هوى نفسه وموافقة شهوته قال
الله تعالى والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم
ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان
بهم خصاصة وإسخاط العباد في رضى الله حدثنا القاضي أبو
علي الحافظ حدثنا أبو الحسين الصيرفي وأبو الفضل بن خيرون قالا
حدثنا أبو يعلى البغدادي حدثنا أبو علي السنجي حدثنا محمد بن محبوب
حدثنا أبو عيسى حدثنا مسلم بن حاتم حدثنا محمد بن عبد الله الأنصاري عن
أبيه عن علي بن زيد عن زيد بن المسيب قال قال أنس بن مالك
قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بني إن قدرت أن تصبح وتمسي

ليس في قلبك غش لأحد فافعل ثم قال لي يا بني وذلك من سنتي ومن أحيا
سنتي فقد أحبني ومن أحبني كان معي في الجنة فمن اتصف بهذه الصفة فهو
كامل المحبة لله ورسوله ومن خالفها في بعض هذه الأمور فهو ناقص المحبة
ولا يخرج عن اسمها ودليله قوله عليه السلام للذي حده في الخمر
ولعنه بعضهم وقال ما أكثر ما يؤتى به فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا تلعنه فإنه يحب الله ورسوله ومن علامات محبة النبي صلى
الله عليه وسلم كثرة ذكره له فمن أحب شيئاً أكثر ذكره ومنها كثرة شوقه
إلى لقائه فكل حبيب يحب لقاء حبيبه وفي حديث الأشعريين عند قدومهم
المدينة أنهم كانوا يرتجزون غداً نلقى الأحبة محمداً وصحبه وتقدم قول
بلال ومثله قال عمار قبل قتله وما ذكرناه من قصة خالد بن معدان
ومن علاماته مع كثرة ذكره تعظيمه له وتوقيره عند ذكره وإظهار
الخشوع والانكسار مع سماع اسمه قال إسحق التجيبي كان
أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يذكرونه إلا خشعوا واقشعرت
جلودهم وبكوا وكذلك كثير من التابعين منهم من يفعل ذلك محبة له
وشوقاً إليه ومنهم من يفعله تهيباً وتوقيراً ومنها محبته لمن أحب النبي
صلى الله عليه وسلم ومن هو بسببه من آل بيته وصحابته من المهاجرين
والأنصار وعداوة من عاداهم وبغض من أبغضهم وسبهم فمن أحب
شيئاً أحب من يحب وقد قال عليه السلام في الحسن والحسين
اللهم إني أحبهما فأحبهما وفي رواية في الحسن فأحب من يحبه وقال

من أحبهما فقد أحبني ومن أحبني فقد أحب الله ومن أبغضهم فقد
أبغضني ومن أبغضني فقد أبغض الله وقال الله الله في أصحابي لا
تتخذوهم غرضا فمن أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم
ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله يوشك
أن يأخذه وقال في فاطمة إنها بضعة مني يغضبني ما أغضبها
وقال لعائشة في أسامة بن زيد أحبيه فإني أحبه وقال آية الإيمان
حب الأنصار وآية النفاق بغضهم وفي حديث ابن عمر من أحب العرب
فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم فبالحقيقة من أحب شيئا
أحب كل شيء يحبه وهذه سيرة السلف حتى في المباحات وشهوات
النفس وقد قال أنس حين رأى النبي صلى الله عليه وسلم يتتبع الدباء
من حوالي القصعة فما زلت أحب الدباء من يومئذ وهذا الحسن بن علي
وعبد الله بن عباس وابن جعفر أتوا سلمى وسألوها أن تصنع لهم طعاما
مما كان يحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ابن عمر يلبس النعال
السبتية ويصبغ بالصفرة إذ رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم
يفعل نحو ذلك ومنها بغض من أبغض الله ورسوله ومعاداة من
عاداه ومجانبة من خالف سنته وابتدع في دينه واستثقاله كل
أمر يخالف شريعته قال الله تعالى لا تجد قوما يؤمنون بالله
واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله وهؤلاء أصحابه عليه
السلام قد قتلوا أحباءهم وقاتلوا آباءهم وأبناءهم في مرضاته

وقال له عبد الله بن عبد الله بن أبي لو شئت لأتيتك برأسه يعني
أباه ومنها أن يحب القرآن الذي أتى به عليه السلام وهدى به واهتدى
وتخلق به حتى قالت عائشة كان خلقه القرآن وحبه للقرآن تلاوته
والعمل به وتفهمه ويحب سنته ويقف عند حدودها قال
سهل بن عبد الله علامة حب الله حب القرآن وعلامة حب الله وحب
القرآن حب النبي صلى الله عليه وسلم وعلامة حب النبي صلى الله عليه
وسلم حب السنة وعلامة حب السنة حب الآخرة وعلامة حب
الآخرة بغض الدنيا وعلامة بغض الدنيا أن لا يدخر منها إلا زادا وبلغة
إلى الآخرة وقال ابن مسعود لا يسأل أحد عن نفسه إلا
القرآن فإن كان يحب القرآن فهو يحب الله ورسوله ومن علامة حب النبي
صلى الله عليه وسلم شفقته على أمته ونصحه لهم وسعيه في مصالحهم
ورفع المضار عنهم كما كان عليه السلام بالمؤمنين رؤوفا رحيما ومن
علامة تمام محبته زهد مدعيها في الدنيا وإيثاره الفقر واتصافه به
وقد قال عليه السلام لأبي سعيد الخدري إن الفقر إلى من يحبني منكم
أسرع من السيل من أعلى الوادي أو الجبل إلى أسفله وفي حديث
عبد الله بن مغفل قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم يا رسول الله
إني أحبك فقال انظر ما تقول قال والله إني أحبك ثلاث
مرات قال إن كنت تحبني فأعد للفقر تجفافا ثم ذكر نحو حديث أبي سعيد
بمعناه فصل في معنى المحبة للنبي صلى الله عليه وسلم وحقيقتها

اختلف الناس في محبة الله ومحبة النبي صلى الله عليه وسلم وكثرت
عباراتهم في ذلك وليست ترجع بالحقيقة الى اختلاف مقال ولكنها
اختلاف احوال فقال سفيان المحبة اتباع الرسول عليه السلام كأنه
التفت الى قوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني الاية وقال
بعضهم محبة الرسول اعتقاد نصرته والذب عن سنته والانقياد لها
وهيبة مخالفته وقال بعضهم المحبة دوام الذكر للمحبوب وقال اخر
ايثار المحبوب وقال بعضهم المحبة الشوق الى المحبوب وقال بعضهم
المحبة مواطاة القلب لمراد الرب يحب ما احب ويكره ما كره وقال
اخر المحبة ميل القلب الى موافق له واكثر العبارات المتقدمة اشارة
الى ثمرات المحبة دون حقيقتها وحقيقة المحبة الميل الى ما يوافق
الانسان وتكون موافقته له اما لاستلذاذه بادراكه كحب الصور
الجميلة والاصوات الحسنة والاطعمة والاشربة اللذيذة واشباهها
مما كل طبع سليم مائل اليها لموافقتها له او لاستلذاذه بادراكه
بحاسة عقله وقلبه معاني باطنة شريفة كحب الصالحين والعلماء واهل
المعروف والماثور عنهم السير الجميلة والافعال الحسنة فان طبع
الانسان مائل الى الشغف بامثال هؤلاء حتى يبلغ التعصب بقوم
لقوم والتشيع من امة في اخرين ما يؤدي الى الجلاء عن الاوطان
وهتك الحرم واخترام النفوس او يكون حبه اياه لموافقته له من جهة
احسانه له وانعامه عليه فقد جبلت النفوس على حب من احسن

اليها فاذا تقرر لك هذا نظرت هذه الاسباب كلها في حقه عليه
السلام فعلمت انه عليه السلام جامع لهذه المعاني الثلاثة الموجبة لهذه
المحبة اما جمال الصورة والظاهر وكمال الاخلاق والباطن فقد قررنا
منها قبل في ما مر من الكتاب ما لا يحتاج الى زيادة واما احسانه
وانعامه على امته فكذلك وقد مر منه في اوصاف الله تعالى له من
رافته بهم ورحمته لهم وهدايته اياهم وشفقته عليهم واستنقاذهم
به من النار وانه بالمومنين رؤف رحيم ورحمة للعالمين ومبشرا ونذيرا
وداعيا الى الله باذنه ويتلوا عليهم اياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب
والحكمة ويهديهم الى صراط مستقيم فاي احسان اجل قدرا واعظم
خطرا من احسانه الى جميع المومنين واي افضال اعم منفعة واكثر
فائدة من انعامه على كافة المسلمين اذ كان ذريعتهم الى الهداية
ومنقذهم من العماية وداعيهم الى الفلاح والكرامة ووسيلتهم الى
ربهم وشفيعهم والمتكلم عنهم والشاهد لهم والموجب لهم البقاء
الدائم والنعيم السرمد فقد استبان لك انه صلى الله عليه وسلم
مستوجب للمحبة الحقيقية شرعا بما قدمناه من صحيح الاثار وعادة
وجبلة بما ذكرناه انفا لافاضته الاحسان وعمومه الاجمال واذا
كان الانسان يحب من منحه في دنياه مرة او مرتين معروفا او
استنقذه من هلكة او مضرة مدة التاذي بها قليل منقطع فمن منحه
ما لا يبيد من النعم ووقاه ما لا يفنى من عذاب الجحيم اولى بالحب

واذا كان يحب بالطبع ملكا لحسن سيرته او حاكما لما يؤثر من قوام
طريقته او قاصا بعيد الدار لما يشاد من علمه او كرم شيمته فمن جمع هذه
الخصال على غاية مراتب الكمال احق بالحب واولى بالميل وقد قال علي
رضي الله عنه في صفته عليه السلام من رآه بديهة هابه ومن خالطه معرفة
احبه وذكرنا عن بعض الصحابة انه كان لا يصرف بصره عنه محبة فيه

فصل في مناصحته عليه السلم قال الله تعالى ولا على
الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين
من سبيل والله غفور رحيم قال اهل التفسير اذا نصحوا لله ورسوله
اذا كانوا مخلصين مسلمين في السر والعلانية حدثنا الفقيه
ابو الوليد بقراءتي عليه حدثنا حسين بن محمد حدثنا يوسف بن عبد الله
حدثنا ابن عبد المؤمن حدثنا ابو بكر التمار حدثنا ابو داود حدثنا
احمد بن يونس حدثنا زهير حدثنا سهيل بن ابي صالح عن عطاء بن يزيد
عن تميم الداري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الدين النصيحة ان الدين النصيحة ان الدين النصيحة قالوا لمن يا رسول
الله قال لله ولكتابه ولرسوله وائمة المسلمين وعامتهم قال ائمتنا رحمهم
الله النصيحة لله ولرسوله وائمة المسلمين وعامتهم واجبة قال الامام
ابو سليمان البستي النصيحة كلمة يعبر بها عن جملة ارادة الخير للمنصوح
له وليس يمكن ان يعبر عنها بكلمة واحدة تحصرها ومعناها في اللغة
الاخلاص من قولهم نصحت العسل اذا خلصته من شمعه وقال

ابو بكر

ابو بكر بن ابي اسحاق النصح فعل الشيء الذي به الصلاح والملاءمة مأخوذ
من النصاح وهو الخيط الذي يخاط به الثوب وقال ابو اسحاق
الزجاج نحوه فنصيحة الله صحة الاعتقاد له بالوحدانية ووصفه بما هو
اهله وتنزيهه عما لا يجوز عليه والرغبة في محابه والبعد من مساخطه
والاخلاص في عبادته والنصيحة لكتابه الايمان به والعمل بما فيه وتحسين
تلاوته والتخشع عنده والتعظيم له وتفهمه والتفقه فيه والذب عنه من
تأويل الغالين وطعن الملحدين والنصيحة لرسوله التصديق بنبوته وبذل
الطاعة له فيما امر به ونهى عنه قاله ابو سليمان وقال ابو بكر وموازرته
ونصرته وحمايته حيا وميتا واحياء سنته بالطلب والذب عنها ونشرها
والتخلق باخلاقه الكريمة وآدابه الجميلة وقال ابو ابراهيم اسحق
التجيبي نصيحة رسول الله التصديق بما جاء به والاعتصام بسنته ونشرها
والحض عليها والدعوة الى الله والى كتابه والى رسوله واليها والى العمل بها
وقال احمد بن محمد من مفروضات القلوب اعتقاد النصيحة لرسول الله صلى
الله عليه وسلم قال ابو بكر الآجري وغيره النصح له يقتضي نصحا في حيوته
ونصحا بعد مماته ففي حياته نصح اصحابه له بالنصر والمحاماة عنه ومعاداة
من عاداه والسمع والطاعة وبذل النفوس والاموال دونه كما قال
تعالى رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الآية وقال وينصرون الله
ورسوله الآية واما نصيحة المسلمين له بعد وفاته فالتزام التوقير
والاجلال وشدة المحبة له والمثابرة على تعلم سنته والتفقه في

شريعته ومحبة أهل بيته وأصحابه ومجانبة من رغب عن سنته وانحرف عنها
وبغضه والتحذير منه والشفقة على أمته والبحث عن تعرف أخلاقه وسيره
وآدابه والصبر على ذلك فعلى ما ذكر تكون النصيحة إحدى ثمرات المحبة
وعلامة من علاماتها كما قدمناه وحكى الإمام أبو القاسم
القشيري أن عمرو بن الليث أحد ملوك خراسان ومشاهير الثوار المعروف
بالصفار رؤي في النوم فقيل له ما فعل الله بك فقال غفر لي فقيل بما
ذا قال صعدت ذروة جبل يوماً فأشرفت على جنودي فأعجبتني كثرتهم
فتمنيت أني حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعنته ونصرته
فشكر الله لي ذلك وغفر لي وأما النصح لأئمة المسلمين فطاعتهم
في الحق ومعونتهم فيه وأمرهم به وتذكيرهم إياه على أحسن وجه وتنبيههم
على ما غفلوا عنه وكتم عنهم من أمور المسلمين وترك الخروج عليهم
وتضريب الناس وإفساد قلوبهم عليهم والنصح لعامة المسلمين إرشادهم إلى
مصالحهم ومعونتهم في أمر دينهم ودنياهم بالقول والفعل وتنبيه
غافلهم وتبصير جاهلهم ورفد محتاجهم وستر عوراتهم ودفع المضار
عنهم وجلب المنافع إليهم

الباب الثالث

في تعظيم أمره ووجوب توقيره وبره قال الله تعالى يا أيها
النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً لتؤمنوا بالله ورسوله
وتعزروه وتوقروه وقال يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله
ورسوله وقال يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي الآية

الآية

الآيات وقال لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً
فأوجب تعالى تعزيره وتوقيره وألزم إكرامه وتعظيمه قال ابن
عباس تعزروه تجلوه وقال المبرد تعزروه تبالغوا في تعظيمه وقال
الأخفش تنصرونه وقال الطبري تعينونه ونهى عن التقدم بين يديه بالقول
وسوء الأدب بسبقه بالكلام على قول ابن عباس وغيره وهو اختيار
ثعلب قال سهل بن عبد الله لا تقولوا قبل أن يقول وإذا قال
فأنصتوا له واستمعوا ونهوا عن التقدم والتعجل بقضاء أمر قبل قضائه فيه
وأن يفتاتوا بشيء في ذلك من قتال أو غيره من أمر دينهم إلا بأمره ولا يسبقوه
به إلى هذا يرجع قول الحسن ومجاهد والضحاك والسدي والثوري ثم
وعظهم وحذرهم مخالفة ذلك فقال واتقوا الله إن الله سميع
عليم قال الماوردي اتقوه يعني في التقدم وقال السلمي اتقوا الله في
إهمال حقه وتضييع حرمته إنه سميع لقولكم عليم بفعلكم ثم نهاهم
عن رفع الصوت فوق صوته والجهر له بالقول كما يجهر بعضهم لبعض
ويرفع صوته وقيل كما ينادي بعضكم بعضاً باسمه قال أبو محمد مكي أي لا
تسابقوه بالكلام وتغلظوا له بالخطاب ولا تنادوه باسمه نداء بعضكم
لبعض ولكن عظموه ووقروه ونادوه بأشرف ما يحب أن ينادى به يا رسول
الله يا نبي الله وهذا كقوله في الآية الأخرى لا تجعلوا دعاء الرسول
بينكم كدعاء بعضكم بعضاً على أحد التأويلين وقال غيره لا تخاطبوه إلا
مستفهمين ثم خوفهم الله تعالى بحبط أعمالهم إن هم فعلوا ذلك

وحذرهم منه قيل نزلت الآية في وفد بني تميم وقيل في غيرهم أتوا
النبي صلى الله عليه وسلم فنادوه يا محمد يا محمد اخرج الينا فذمهم
الله تعالى بالجهل ووصفهم بأن اكثرهم لا يعقلون وقيل نزلت الآية الأولى
في محاورة كانت بين أبي بكر وعمر بين يدي رسول الله صلى الله عليه
وسلم واختلاف جرى بينهما حتى ارتفعت أصواتهما وقيل نزلت في ثابت
بن قيس بن شماس خطيب النبي صلى الله عليه وسلم في مفاخرة بني تميم وكان في
أذنيه صمم فكان يرفع صوته فلما نزلت هذه الآية أقام في منزله وخشي
أن يكون حبط عمله وأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا نبي الله
لقد خشيت أن أكون هلكت نهانا الله أن نجهر بالقول وأنا امرؤ جهير
الصوت فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا ثابت أما ترضى أن تعيش
حميدا وتقتل شهيدا وتدخل الجنة فقتل يوم اليمامة وروي أن أبا بكر
لما نزلت هذه الآية قال والله يا رسول الله لا أكلمك بعدها إلا كأخي
السرار وان عمر كان اذا حدثه حدثه كأخي السرار ما كان يسمع
رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الآية حتى يستفهمه فأنزل
الله تعالى فيهم إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك
الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم وقيل نزلت
إن الذين ينادونك من وراء الحجرات في غير بني تميم نادوه باسمه وروى
صفوان بن عسال بينا النبي صلى الله عليه وسلم في سفر اذ ناداه
اعرابي بصوت له جهوري ايا محمد ايا محمد فقلنا له اغضض

من صوتك فإنك قد نهيت عن رفع الصوت وقال الله يا أيها الذين
آمنوا لا تقولوا راعنا الآية قال بعض المفسرين هي لغة كانت في
الأنصار نهوا عن قولها تعظيما للنبي صلى الله عليه وسلم وتبجيلا له لأن
معناه ارعنا نرعك فنهوا عن قولها إذ مقتضاها كأنهم لا يرعونه
إلا برعايته لهم بل حقه أن يرعى على كل حال وقيل كانت اليهود تعرض
بها للنبي صلى الله عليه وسلم بالرعونة فنهي المسلمون عن قولها قطعا
للذريعة ومنعا للتشبه بهم في قولها لمشاركة اللفظة وقيل غير
هذا **فصل** في عادة الصحابة في تعظيمه عليه السلام وتوقيره
وإجلاله حدثنا القاضي أبو علي الصدفي وأبو بحر الأسدي سماعا
عليهما في آخرين قالوا حدثنا أحمد بن عمر حدثنا أحمد بن الحسين حدثنا محمد بن
عيسى حدثنا ابرهيم بن سفيان حدثنا مسلم حدثنا محمد بن المثنى وأبو معن
الرقاشي واسحاق بن منصور حدثنا الضحاك بن مخلد أخبرنا حيوة بن شريح
حدثني يزيد بن أبي حبيب عن ابن شماسة المهري قال حضرنا عمرو
بن العاصي فذكر حديثا طويلا فيه عن عمرو قال وما كان أحد أحب الي
من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أجل في عيني منه وما كنت أطيق
أن أملأ عيني منه إجلالا له ولو سئلت أن أصفه ما أطقت لأني لم
أكن أملأ عيني منه وروى الترمذي عن أنس أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم كان يخرج على أصحابه من المهاجرين والأنصار وهم جلوس
فيهم أبو بكر وعمر فلا يرفع أحد منهم اليه بصره إلا أبو بكر وعمر فإنهما

كانا ينظران اليه وينظر اليهما ويبتسمان اليه ويبتسم اليهما وروى
اسامة بن شريك اتيت النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه حوله كانما على
رؤوسهم الطير وفي حديث صفته اذا تكلم اطرق جلساؤه كانما
على رؤوسهم الطير وقال عروة بن مسعود حين وجهته قريش عام القضية
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وراى من تعظيم اصحابه له ما راى وانه
لا يتوضا الا ابتدروا وضوءه وكادوا يقتتلون عليه ولا يبصق بصاقا ولا
يتنخم نخامة الا تلقوها باكفهم فدلكوا بها وجوههم واجسادهم ولا يسقط
منه شعرة الا ابتدروها واذا امرهم بامر ابتدروا امره واذا تكلم خفضوا
اصواتهم عنده وما يحدون اليه النظر تعظيما له فلما رجع الى قريش قال
يا معشر قريش اني جئت كسرى في ملكه وقيصر في ملكه والنجاشي في ملكه
واني والله ما رايت ملكا في قوم قط مثل محمد في اصحابه وفي رواية ان رايت
ملكا قط يعظمه اصحابه ما يعظم محمدا اصحابه وقد رايت قوما
لا يسلمونه ابدا وعن انس لقد رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم والحلاق
يحلقه واطاف به اصحابه فما يريدون ان تقع شعرة الا في يد رجل ومن هذا
لما اذنت قريش لعثمان في الطواف بالبيت حين وجهه النبي صلى الله عليه
وسلم اليهم في القضية ابى وقال ما كنت لافعل حتى يطوف
به رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي حديث طلحة ان اصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم قالوا لاعرابي جاهل سله عمن قضى نحبه وكانوا
يهابونه ويوقرونه فساله فاعرض عنه اذ طلع طلحة فقال

رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا ممن قضى نحبه وفي حديث
قيلة فلما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا القرفصاء ارعدت من
الفرق وذلك هيبة له وتعظيما وفي حديث المغيرة كان اصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقرعون بابه بالاظافير وقال البراء بن عازب لقد
كنت اريد ان اسال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الامر فاوخر سنين
من هيبته **فصل** واعلم ان حرمة النبي صلى الله عليه وسلم
بعد موته وتوقيره وتعظيمه لازم كما كان حال حياته وذلك عند ذكره
عليه السلام وذكر حديثه وسنته وسماع اسمه وسيرته ومعاملة آله
وعترته وتعظيم اهل بيته وصحابته قال ابو ابراهيم التجيبي واجب
على كل مومن متى ذكره او ذكر عنده ان يخضع ويخشع ويتوقر ويسكن من
حركته وياخذ من هيبته واجلاله بما كان ياخذ به نفسه لو كان بين يديه
ويتادب بما ادبنا الله به قال القاضي ابو الفضل وهذه كانت سيرة سلفنا
الصالح وائمتنا الماضين رضي الله عنهم حدثنا القاضي ابو عبد الله
محمد بن عبد الرحمن الاشعري وابو القاسم احمد بن بقي الحاكم وغير واحد فيما
اجازونيه قالوا اخبرنا ابو العباس احمد بن دلهاث قال حدثنا ابو الحسن
علي بن فهر حدثنا ابو بكر محمد بن احمد بن الفرج حدثنا ابو الحسن عبد الله
بن المنتاب حدثنا يعقوب بن اسحاق بن ابي اسرائيل حدثنا ابن حميد قال
ناظر ابو جعفر امير المومنين مالكا في مسجد رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال له مالك يا امير المومنين لا ترفع صوتك في هذا

المسجد فان الله عز وجل أدب قوما فقال لا ترفعوا أصواتكم
فوق صوت النبي الآيه ومدح قوما فقال ان الذين يغضون أصواتهم الآيه
وذم قوما فقال ان الذين ينادونك الآيه وان حرمته ميتا كحرمته حيا
فاستكان لها أبو جعفر وقال يا ابا عبد الله استقبل القبلة وأدعو
ام استقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ولم تصرف وجهك عنه
وهو وسيلتك ووسيلة ابيك آدم عليه السلام الى الله يوم القيمه
بل استقبله واستشفع به فيشفعك الله قال الله تعالى ولو
انهم اذ ظلموا أنفسهم الآيه وقال مالك وقد سئل عن ايوب السختياني
ما حدثتكم عن احد الا وايوب أفضل منه قال وحج حجتين فكنت أرمقه
ولا أسمع منه غير انه كان اذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم بكا حتى أرحمه
فلما رايت منه ما رايت واجلاله للنبي صلى الله عليه وسلم كتبت عنه وقال
مصعب بن عبد الله كان مالك اذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم يتغير
لونه وينحني حتى يصعب ذلك على جلسائه فقيل له يوما في ذلك فقال
لو رايتم ما رايت لما انكرتم علي ما ترون لقد كنت ارى محمد بن المنكدر وكان
سيد القرا لا نكاد نسأله عن حديث أبدا الا يبكي حتى نرحمه ولقد كنت
ارى جعفر بن محمد وكان كثير الدعابة والتبسم فاذا ذكر عنده النبي
صلى الله عليه وسلم اصفر وما رايته يحدث عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم الا على طهارة ولقد اختلفت اليه زمانا فما كنت اراه الا على
ثلاث خصال اما مصليا واما صامتا واما يقرأ القرآن ولا يتكلم فيما

لا يعنيه وكان من العلماء والعباد الذين يخشون الله عز وجل ولقد
كان عبد الرحمن بن القاسم يذكر النبي صلى الله عليه وسلم فينظر الى لونه كانه
نزف منه الدم وقد جف لسانه في فمه هيبة لرسول الله صلى الله عليه
وسلم ولقد كنت آتي عامر بن عبد الله بن الزبير فاذا ذكر عنده النبي صلى الله
عليه وسلم بكا حتى لا يبقى في عينيه دموع ولقد رايت الزهري وكان
من اهنا الناس واقربهم فاذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم فكانه ما عرفك
ولا عرفته ولقد كنت آتي صفوان بن سليم وكان من المتعبدين المجتهدين
فاذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم بكا فلا يزال يبكي حتى يقوم الناس
عنه ويتركوه وروي عن قتادة انه كان اذا سمع الحديث اخذه العويل
والزويل ولما كثر على مالك الناس قيل له لو جعلت مستمليا يسمعهم فقال
قال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت
النبي وحرمته حيا وميتا سوا وكان عبد الرحمن بن مهدي اذا قرأ حديث
النبي صلى الله عليه وسلم امرهم بالسكوت وقال لا ترفعوا اصواتكم فوق
صوت النبي ويتاول انه يجب له من الانصات عند قراءة حديثه ما
يجب له عند سماع قوله فصل في سيرة السلف في تعظيم رواية
حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنته حدثنا الحسين
بن محمد الحافظ حدثنا الفضل بن خيرون حدثنا أبو بكر البرقاني وغيره
حدثنا أبو الحسن الدارقطني حدثنا علي بن مبشر حدثنا احمد بن سنان
القطان حدثنا يزيد بن هارون حدثنا المسعودي عن مسلم البطين عن

عمرو بن ميمون قال اختلفت الى ابن مسعود سنة فما سمعته يقول
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا انه حدث يوما فجرى على لسانه
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم علاه كرب حتى رايت العرق يتحدر
عن جبهته ثم قال هكذا ان شاء الله او فوق ذا او ما دون ذا او ما قرب
من ذا وفي رواية فتربد وجهه وفي رواية وقد تغرغرت عيناه وانتفخت
اوداجه وقال ابرهيم بن عبد الله بن قريم الانصاري قاضي المدينة مر
مالك بن انس على ابي حازم فجازه وقال اني لم اجد موضعا اجلس فيه
فكرهت ان اخذ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا قايم
وقال مالك جا رجل الى ابن المسيب فساله عن حديث وهو
مضطجع فجلس وحدثه فقال له الرجل وددت انك لم تتعن فقال
اني كرهت ان احدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا مضطجع
وروي عن محمد بن سيرين انه قد يكون يضحك فاذا ذكر عنده حديث
النبي صلى الله عليه وسلم خشع وقال ابو مصعب كان مالك بن انس لا يحدث
بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الا وهو على وضوء اجلالا له
وحكى مالك ذلك عن جعفر بن محمد وقال مصعب بن عبد الله
كان مالك بن انس اذا حدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم توضا
وتهيا ولبس ثيابه ثم يحدث قال مصعب فسيل عن ذلك
فقال انه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مطرف كان اذا
اتى الناس مالكا خرجت اليهم الجارية فتقول لهم يقول لكم الشيخ

تريدون الحديث او المسايل فان قالوا المسايل خرج اليهم وان قالوا
الحديث دخل مغتسله واغتسل وتطيب ولبس ثيابا جددا ولبس ساجه
وتعمم ووضع على راسه رداءه وتلقى له منصة فيخرج فيجلس عليها وعليه
الخشوع ولا يزال يبخر بالعود حتى يفرغ من حديث رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال غيره ولم يكن يجلس على تلك المنصة الا اذا حدث عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال ابن ابي اويس فقيل لمالك في ذلك
فقال احب ان اعظم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا احدث
به الا على طهارة متمكنا وكان يكره ان يحدث في الطريق وهو قايم او
مستعجل وقال احب ان افهم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال عبد الله بن المبارك كنت عند مالك وهو يحدثنا فلدغته
عقرب ست عشرة مرة وهو يتغير لونه ويصفر ولا يقطع حديث
رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما فرغ من المجلس وتفرق عنه الناس
قلت يا ابا عبد الله لقد رايت منك اليوم عجبا قال نعم انما صبرت
اجلالا لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن مهدي مشيت
يوما مع مالك الى العقيق فسالته عن حديث فانتهرني وقال كنت في عيني
اجل من ان تسال عن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نمشي
وساله جرير بن عبد الحميد القاضي عن حديث وهو قايم فامر بحبسه
فقيل له انه قاض قال القاضي احق من ان يؤدب وذكر ان هشام
بن الغازي سال مالكا عن حديث وهو واقف فضربه عشرين

سوى طائر اسحق حدثه عيسى بن حدثنا فقال هشام وددت لو ان ذنبي
حبسا طاوبريدي حدثنا قال عبد الله بن صالح كان مالك والليث
لا يحدثان الحديث الا وهما طاهران وكان قتادة يستحب ان لا يقرأ احاديث
رسول الله صلى الله عليه وسلم الا على وضوء ولا يحدث الا على طهارة
وكان الاعمش اذا اراد ان يحدث وهو على غير وضوء تيمم

فصل

ومن توقيره صلى الله عليه وسلم وبره بر آله وذريته وامهات المومنين
ازواجه كما حض عليه عليه السلم وسلكه السلف الصالح رضي الله عنهم
قال الله تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت
ويطهركم الاية وقال تعالى وازواجه امهاتهم اخبرنا الشيخ ابو محمد
بن احمد العدل من كتابه وكتبت من اصله حدثنا ابو الحسن المقرى
الفرغاني حدثتني ام القاسم بنت الشيخ ابي بكر الخفاف حدثنا ابي حدثنا
حاتم هو ابن عقيل حدثنا يحيى هو ابن اسمعيل حدثنا يحيى هو الحماني حدثنا وكيع
عن ابيه عن سعيد بن مسروق عن سعيد بن حيان عن زيد بن ارقم قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انشدكم الله واهل بيتي ثلاثا
قلنا لزيد من اهل بيته قال آل علي وآل جعفر وآل عقيل وآل العباس
وقال عليه السلام اني تارك فيكم ما ان اخذتم به لن تضلوا كتاب
الله وعترتي اهل بيتي فانظروا كيف تخلفوني فيهما وقال عليه السلم معرفة
آل محمد براءة من النار وحب آل محمد جواز على الصراط والولاية لآل محمد
امان من العذاب قال بعض العلماء معرفتهم هي معرفة مكانهم

من النبي صلى الله عليه وسلم واذا عرفهم بذلك عرف وجوب حقهم
وحرمتهم بسببه وعن عمر بن ابي سلمة لما نزلت انما يريد الله ليذهب عنكم
الرجس اهل البيت الاية وذلك في بيت ام سلمة دعا فاطمة وحسنا وحسينا
فجللهما بكساء وعلي خلف ظهره ثم قال اللهم هولاء اهل بيتي فاذهب عنهم
الرجس وطهرهم تطهيرا وعن سعد بن ابي وقاص لما نزلت آية المباهلة
دعا النبي صلى الله عليه وسلم عليا وحسنا وحسينا وفاطمة وقال
اللهم هولاء اهلي وقال النبي صلى الله عليه وسلم في علي من كنت مولاه فعلي
مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وقال فيه لا يحبك الا
مومن ولا يبغضك الا منافق وقال للعباس والذي نفسي بيده لا يدخل
قلب رجل الايمان حتى يحبكم لله ولرسوله ومن آذى عمي فقد آذاني وانما
عم الرجل صنو ابيه وقال للعباس اغد علي يا عم مع ولدك
فجمعهم وجللهم بملاءته وقال هذا عمي وصنو ابي وهولاء اهل بيتي فاسترهم
من النار كستري اياهم فامنت اسكفة الباب وحوائط البيت آمين آمين
وكان ياخذ اسامة بن زيد والحسن ويقول اللهم اني احبهما فاحبهما
وقال ابو بكر رضي الله عنه ارقبوا محمدا في اهل بيته وقال ايضا
والذي نفسي بيده لقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم احب الي ان
اصل من قرابتي وقال صلى الله عليه وسلم احب الله من احب
حسنا وقال من احبني واحب هذين واشار الى حسن وحسين واباهما
وامهما كان معي في درجتي يوم القيمة وقال صلى الله عليه وسلم من اهان

قريشا أهانه الله وقال قدموا قريشا ولا تقدموها وقال
عليه السلام لأم سلمة لا تؤذيني في عايشة وعن عقبة بن الحارث رايت ابا بكر
رضي الله عنه وجعل الحسن على عنقه وهو يقول بأبي شبيه بالنبي ليس
شبيها بعلي وعلي يضحك وروى عن عبد الله بن حسن بن حسن قال أتيت عمر
بن عبد العزيز في حاجة فقال اذا كانت لك حاجة فأرسل الي أو اكتب
فاني استحيي من الله أن يراك على بابي وعن الشعبي صلى زيد بن ثابت على جنازة
امه ثم قربت له بغلته ليركبها فجاء ابن عباس فأخذ بركابه فقال زيد خل
عنه يا ابن عم رسول الله قال هكذا يفعل بالعلماء فقبل زيد يد ابن عباس
وقال هكذا امرنا ان نفعل بأهل بيت نبينا ورأى ابن عمر محمد بن اسامة
بن زيد فقال ليت هذا عبدي فقيل له هو محمد بن اسامة فطأطأ ابن
عمر راسه ونقر بيده الارض وقال لو رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم
لأحبه وقال الأوزاعي دخلت بنت اسامة بن زيد صاحب رسول الله
صلى الله عليه وسلم على عمر بن عبد العزيز ومعها مولى لها يمسك بيدها
فقام اليها حتى جعل يدها بين يديه ويداه في ثيابه ومشى بها حتى اجلسها
على مجلسه وجلس بين يديها وما ترك لها حاجة الا قضاها ولما فرض
عمر بن الخطاب لابنه عبد الله في ثلاثة الاف ولاسامة بن زيد في ثلاثة
الاف وخمسمائة قال عبد الله لابيه لم فضلته فوالله ما
سبقني الى مشهد فقال له لان زيدا كان احب الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم من ابيك واسامة احب اليه منك فأثرت

حب رسول الله صلى الله عليه وسلم على حبي وبلغ معاوية ان كابس
بن ربيعة يشبه برسول الله صلى الله عليه وسلم فلما دخل عليه من
باب الدار قام عن سريره وتلقاه وقبل بين عينيه واقطعه
المرغاب لشبهه صورة رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى ان
مالكا رحمه الله لما ضربه جعفر بن سليمان ونال منه ما نال
وحمل مغشيا عليه دخل عليه الناس فافاق فقال اشهدكم اني
جعلت ضاربي في حل فسئل بعد ذلك فقال خفت أن اموت
فألقى النبي صلى الله عليه وسلم فأستحيي منه أن يدخل بعض آله النار
بسببي وقيل ان المنصور أقاده من جعفر فقال له اعوذ بالله
والله ما ارتفع منها سوط عن جسمي الا وقد جعلته في حل لقرابته من
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابو بكر بن عياش لو
أتاني ابو بكر وعمر وعلي لبدأت بحاجة علي قبلهما لقرابته من رسول
الله صلى الله عليه وسلم ولان اخر من السماء الى الارض احب الي من
ان اقدمه عليهما وقيل لابن عباس ماتت فلانة لبعض ازواج
النبي صلى الله عليه وسلم فسجد فقيل له اتسجد هذه الساعة فقال أليس
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رأيتم آية فاسجدوا
وأي آية أعظم من ذهاب ازواج النبي صلى الله عليه وسلم وتقولان
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزورها ولما وردت
حليمة السعدية على النبي صلى الله عليه وسلم بسط لها رداءه وقضى

وكان ابو بكر وعمر يزورانها
زيارة النبي صلى الله عليه

حاجتها فلما توفي وفدت على ابي بكر وعمر فصنعا بها مثل ذلك

فصل ومن توقيره وبره عليه السلام توقير اصحابه وبرهم
ومعرفة حقهم والاقتدا بهم وحسن الثنا عليهم والاستغفار لهم والامساك
عما شجر بينهم ومعاداة من عاداهم والاضراب عن اخبار المورخين
وجهلة الرواة وضلال الشيعة والمبتدعين القادحة في احد منهم
وان يلتمس لهم فيما نقل مثل ذلك فيما بينهم من الفتن احسن التاويلات
ويخرج لهم اصوب المخارج اذ هم اهل ذلك ولا يذكر احد منهم بسوء
ولا يغمص عليه امر بل يذكر حسناتهم وفضائلهم وحميد سيرتهم ويسكت
عما وراء ذلك كما قال عليه السلام اذا ذكر اصحابي فامسكوا
قال الله تعالى محمد رسول الله والذين معه اشدا على الكفار رحما بينهم
الى اخر السورة وقال والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار
الاية وقال لقد رضي الله عن المومنين اذ يبايعونك تحت الشجرة وقال
رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الاية حدثنا القاضي
ابو علي حدثنا ابو الحسين وابو الفضل قالا حدثنا ابو يعلى حدثنا ابو علي
السنجي حدثنا محمد بن محبوب حدثنا الترمذي حدثنا الحسن بن الصباح
حدثنا سفيان بن عيينة عن زائدة عن عبد الملك بن عمير عن ربعي عن
حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتدوا
باللذين من بعدي ابي بكر وعمر وقال اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم
وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل اصحابي
كمثل الملح في الطعام لا يصلح الطعام الا به وقال الله الله
في اصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي فمن احبهم فبحبي احبهم ومن ابغضهم
فببغضي ابغضهم ومن اذاهم فقد اذاني ومن اذاني فقد اذى الله ومن
اذى الله يوشك ان ياخذه وقال لا تسبوا اصحابي فلو انفق احدكم مثل
احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه وقال من سب اصحابي فعليه
لعنة الله والملائكة والناس اجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا
وقال اذا ذكر اصحابي فامسكوا وقال في حديث جابر ان الله اختار
اصحابي على جميع العالمين سوى النبيين والمرسلين واختار لي منهم اربعة
ابا بكر وعمر وعثمان وعليا فجعلهم خير اصحابي وفي اصحابي كلهم خير وقال
من احب عمر فقد احبني ومن ابغض عمر فقد ابغضني قال
مالك بن انس وغيره من ابغض الصحابة وسبهم فليس لهم في فيء المسلمين
حق ونزع باية الحشر والذين جاوا من بعدهم الاية وقال من غاظه
اصحاب رسول الله فهو كافر قال الله تعالى ليغيظ بهم الكفار
وقال عبد الله بن المبارك خصلتان من كانتا فيه نجا الصدق وحب
اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم قال ايوب السختياني من احب ابا بكر فقد
اقام الدين ومن احب عمر فقد اوضح السبيل ومن احب عثمان فقد استضا
بنور الله ومن احب عليا فقد اخذ بالعروة الوثقى ومن احسن الثنا على
اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فقد بري من النفاق ومن انتقص احدا
منهم فهو مبتدع مخالف للسنة والسلف الصالح واخاف ان لا

يصعد له عمل الى السماء حتى يحبهم جميعا ويكون قلبه سليما وفي حديث
خالد بن سعيد ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ايها الناس اني راض عن
ابي بكر فاعرفوا له ذلك ايها الناس اني راض عن عمر وعن علي وعن عثمان
وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف فاعرفوا لهم ذلك ايها
الناس ان الله قد غفر لاهل بدر والحديبية ايها الناس احفظوني في
اصحابي واصهاري واختاني لا يطالبنكم احد منهم بمظلمة فانها مظلمة
لا توهب في القيمة غدا وقال رجل للمعافى بن عمران اين عمر بن عبد
العزيز من معاوية فغضب ولا يقاس باصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم احد معاوية صاحبه وصهره وكاتبه وامينه على وحي الله واتى
النبي صلى الله عليه وسلم بجنازة رجل فلم يصل عليه وقال كان يبغض
عثمان فابغضه الله وقال عليه السلام في الانصار اعفوا
عن مسيئهم واقبلوا من محسنهم وقال احفظوني في اصحابي واصهاري
فانه من حفظني فيهم حفظه الله في الدنيا والاخرة ومن لم يحفظني فيهم
تخلى الله منه ومن تخلى الله منه يوشك ان ياخذه وعنه عليه السلام
من حفظني في اصحابي كنت له حافظا يوم القيمة وقال من حفظني في
اصحابي ورد على الحوض ومن لم يحفظني في اصحابي لم يرد على الحوض
ولم يرني الا من بعيد قال مالك رحمه الله هذا النبي مودب الخلق الذي
هدانا الله به وجعله رحمة للعالمين يخرج في جوف الليل الى البقيع
ويدعو لهم ويستغفر كالمودع لهم وبذلك امره الله وامر النبي صلى

الله عليه وسلم بحبهم وموالاتهم ومعاداة من عاداهم وروي عن كعب
ليس احد من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم الا له شفاعة يوم القيمة
وطلب من المغيرة بن نوفل ان يشفع له يوم القيمة قال سهل
بن عبد الله التستري لم يومن بالرسول من لم يوقر اصحابه ولم يعزز
امره **فصل** ومن اعظامه واكباره اعظام جميع اسبابه واكرام
مشاهده وامكنته من مكة والمدينة ومعاهده وما لمسه عليه السلم
او عرف به وروي عن صفية بنت نجدة قالت كانت لابي محذورة قصة
في مقدم راسه اذا قعد وارسلها اصابت الارض فقيل له الا تحلقها
فقال لم اكن بالذي احلقها وقد مسها رسول الله صلى الله عليه
وسلم بيده وكانت في قلنسوة خالد بن الوليد شعرات من شعره عليه
السلم فسقطت قلنسوته في بعض حروبه فشد عليها شدة انكر عليه اصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم كثرة من قتل فيها فقال لم افعلها بسبب
القلنسوة بل لما تضمنته من شعره عليه السلام لئلا اسلب بركتها وتقع
في ايدي المشركين وروي ابن عمر واضعا يده على مقعد النبي صلى الله عليه وسلم
من المنبر ثم وضعها على وجهه ولهذا كان مالك رحمه الله لا يركب بالمدينة
دابة وكان يقول استحي من الله ان اطاه فيها رسول الله صلى الله
عليه وسلم بحافر دابة وروي انه وهب للشافعي كراعا كثيرا كان عنده
فقال له الشافعي امسك منها دابة فاجابه بمثل هذا الجواب
وقد حكى ابو عبد الرحمن السلمي عن احمد بن فضلويه الزاهد وكان

من القراء الرماة انه قال ما مسست القوس بيدي الا على طهارة منذ
بلغني ان النبي صلى الله عليه وسلم اخذ القوس بيده وقد افتى مالك فيمن
قال تربة المدينة ردية يضرب ثلاثين درة وامر بحبسه وكان له قدر
وقال ما احوجه الى ضرب عنقه تربة دفن فيها النبي صلى الله عليه وسلم
يزعم انها غير طيبة وفي الصحيح انه قال عليه السلام في المدينة
من احدث فيها حدثا او آوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس
اجمعين لا يقبل منه صرف ولا عدل وحكي ان جهجاها الغفاري
اخذ قضيب النبي صلى الله عليه وسلم من يد عثمان رضي الله عنه وتناوله
ليكسره على ركبته فصاح به الناس فاخذته الاكلة في ركبته فقطعها
ومات قبل الحول وقال عليه السلام من حلف على منبري كاذبا فليتبوأ
مقعده من النار وحدثت ان ابا الفضل الجوهري لما ورد المدينة
زائرا وقرب من بيوتها ترجل ومشى باكيا منشدا

ولما راينا رسم من لم يدع لنا ۞ فؤادا لعرفان الرسوم ولا لبا
نزلنا عن الاكوار نمشي كرامة ۞ لمن بان عنه ان نلم به ركبا

وحكي عن بعض المريدين انه لما اشرف على مدينة الرسول صلى الله
عليه وسلم انشا يقول متمثلا

رفع الحجاب لنا فلاح لناظر ۞ قمر تقطع دونه الاوهام
واذا المطي بنا بلغن محمدا ۞ فظهورهن على الرجال حرام
قربننا من خير من وطئ الثرى ۞ فلها علينا حرمة وذمام

وحي

وحكي عن بعض المشايخ انه حج ماشيا فقيل له في ذلك فقال
العبد الابق يمشي الى بيت مولاه راكبا لو قدرت ان امشي على راسي ما
مشيت على قدمي قال القاضي وجدير لمواطن عمرت بالوحي والتنزيل
وتردد بها جبريل وميكائيل وعرجت بها الملائكة والروح وضجت
عرصاتها بالتقديس والتسبيح واشتملت تربتها على جسد سيد
البشر وانتشر عنها من دين الله وسنة رسوله ما انتشر مدارس آيات
ومساجد وصلوات ومشاهد الفضل والخيرات ومعاهد البراهين
والمعجزات ومناسك الدين ومشاعر المسلمين ومواقف سيد المرسلين
ومتبوأ خاتم النبيين حيث انفجرت النبوة واين فاض عبابها ومواطن
طويت الرسالة فيها واول ارض مس جلد المصطفى ترابها ان تعظم
عرصاتها وتتنسم نفحاتها وتقبل ربوعها وجدرانها

يا دار خير المرسلين ومن به ۞ هدي الانام وخص بالآيات
عندي لاجلك لوعة وصبابة ۞ وتشوق متوقد الجمرات
وعلي عهد ان ملات محاجري ۞ من تلكم الجدران والعرصات
لاعفرن مصون شيبي بينها ۞ من كثرة التقبيل والرشفات
لولا العوادي والاعادي زرتها ۞ ابدا ولو سحبا على الوجنات
لكن ساهدي من جميل تحيتي ۞ لقطين تلك الدار والحجرات
اذكى من المسك المفتق نفحة ۞ تغشاه بالآصال والبكرات
وتخصه بزواكي الصلوات ۞ ونوامي التسليم والبركات

في حكم الصلاة عليه والتسليم وفرض ذلك وفضيلته قال
الله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي الآية وقال ابن عباس
معناه ان الله وملائكته يباركون على النبي وقيل ان الله يترحم على
النبي وملائكته يدعون له وقال المبرد واصل الصلاة الترحم
وهي من الله رحمة ومن الملائكة رقة واستدعاء للرحمة من الله وقد
ورد في الحديث صفة صلاة الملائكة على من جلس ينتظر
الصلاة اللهم اغفر له اللهم ارحمه فهذا دعاء وقال بكر
القشيري الصلاة من الله تعالى لمن دون النبي رحمة وللنبي صلى الله
عليه وسلم تشريف وزيادة تكرمة وقال ابو العالية صلاة الله
ثناؤه عليه عند الملائكة وصلاة الملائكة الدعاء قال القاضي ابو
الفضل وقد فرق النبي صلى الله عليه وسلم في حديث تعليم الصلاة
عليه بين لفظ الصلاة ولفظ البركة فدل على انهما بمعنيين واما
التسليم الذي امر الله به عباده فقال القاضي ابو بكر
بن بكير نزلت هذه الآية على النبي صلى الله عليه وسلم فامر الله اصحابه
ان يسلموا عليه وكذلك من بعدهم امروا ان يسلموا على النبي
صلى الله عليه وسلم عند حضورهم قبره وعند ذكره وفي معنى
السلام عليه ثلاثة وجوه احدها السلامة لك ومعك ويكون
السلامة مصدرا كاللذاذ واللذاذة الثاني اي السلام على

حفظك

حفظك ورعايتك متول له وكفيل به ويكون هنا السلام اسم
الله الثالث ان السلامة بمعنى المسالمة والانقياد كما قال فلا
وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم
حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما **فصل** علم ان النبي صلى الله
عليه وسلم فرض على الجملة غير محدد بوقت لامر الله تعالى بالصلاة
عليه وحمل الائمة والعلماء له على الوجوب واجمعوا عليه وحكى
ابو جعفر الطبري ان محمل الآية عنده على الندب وادعى فيه الاجماع
ولعله فيما زاد على مرة والواجب منه الذي يسقط به الحرج ومأثم
ترك الفرض مرة كالشهادة له بالنبوة وما عدا ذلك فمندوب مرغب
فيه من سنن الاسلام وشعار اهله قال القاضي ابو الحسن
بن القصار المشهور عن اصحابنا ان ذلك واجب في الجملة على الانسان
وفرض عليه ان ياتي بها مرة من دهره مع القدرة على ذلك قال
القاضي ابو بكر بن بكير افترض الله على خلقه ان يصلوا على نبيه ويسلموا
تسليما ولم يجعل ذلك لوقت معلوم فالواجب ان يكثر المرء منها ولا
يغفل عنها قال القاضي ابو محمد بن نصر الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم
واجبة في الجملة قال القاضي ابو عبد الله محمد بن سعيد ذهب
مالك واصحابه وغيرهم من اهل العلم ان الصلاة على النبي صلى الله عليه
وسلم فرض بالجملة بعقد الايمان لا يتعين في الصلاة وان من صلى عليه
مرة واحدة من عمره سقط الفرض عنه وقال اصحاب الشافعي

الصلاة على

الفرض منها الذي امر الله به ورسوله عليه السلام هو في الصلاه
وقالوا اما في غيرها فلا خلاف انها غير واجبه واما في الصلاه فحكى
الاماما ابو جعفر الطبري والطحاوي وغيرهما اجماع جميع المتقدمين
والمتاخرين من علما الامه على ان الصلاه على النبي صلى الله عليه وسلم
في التشهد غير واجب وشذ الشافعي في ذلك فقال من لم يصل
على النبي صلى الله عليه وسلم من بعد التشهد الاخير وقبل السلام
فصلاته فاسده وان صلى عليه قبل ذلك لم يجزه ولا سلف له في هذا
القول ولا سنه يتبعها وقد بالغ في انكار هذه المسله عليه لمخالفته فيها
من تقدمه جماعه وشنعوا عليه الخلاف فيها منهم الطبري والقشيري
وغير واحد وقال ابو بكر بن المنذر يستحب ان لا يصلي احد صلاه
الا صلى فيها على رسول الله صلى الله عليه وسلم فان ترك ذلك تارك
فصلاته مجزيه في مذهب مالك واهل المدينه وسفيان الثوري واهل
الكوفه من اصحاب الراي وغيرهم وهو قول جمل اهل العلم وحكى
عن مالك وسفيان انها في التشهد الاخير مستحبه وان تاركها في التشهد
مسي وشذ الشافعي فاوجب على تاركها في الصلاه الاعاده واوجب
اسحاق الاعاده مع تعمد تركها دون النسيان وحكى ابو محمد
بن ابي زيد عن محمد بن المواز ان الصلاه على النبي صلى الله عليه وسلم فريضه
قال ابو محمد يريد ليست من فرايض الصلاه وقاله محمد بن
الحكم وغيره وحكى ابن القصار وعبد الوهاب ان محمد بن المواز يراها

فريضه

فريضة في الصلاه كقول الشافعي وقد خالف الخطابي من اصحاب
الشافعي وغيره الشافعي في هذه المسله قال الخطابي وليست
بواجبه في الصلاه وهو قول جماعة الفقها الا الشافعي ولا اعلم
له فيها قدوة والدليل على انها ليست من فروض الصلاه عمل
السلف الصالح قبل الشافعي واجماعهم عليه وقد شنع الناس عليه
هذه المسله جدا وهذا تشهد ابن مسعود الذي اختار الشافعي وهو
الذي علمه له النبي صلى الله عليه وسلم ليس فيه الصلاه على النبي صلى الله
عليه وسلم وكذلك كل من روى التشهد عن النبي صلى الله عليه وسلم كابي
هريره وابن عباس وجابر وابن عمر وابي سعيد الخدري وابي موسى الاشعري
وعبد الله بن الزبير لم يذكروا فيه صلاه على النبي صلى الله وسلم وقد
قال ابن عباس وجابر كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلمنا التشهد
كما يعلمنا السوره من القران ونحوه عن ابن سعيد قال ابن عمر كان ابو بكر
يعلمنا التشهد على المنبر كما يعلمون الصبيان في الكتاب وعلمه ايضا على
المنبر عمر بن الخطاب وفي الحديث لا صلاه لمن لم يصل علي قال ابن
القصار معناه كامله او لمن لم يصل علي مره في عمره وضعف اهل
الحديث كلهم روايه هذا الحديث وفي حديث ابي جعفر عن ابن مسعود
عن النبي صلى الله عليه وسلم من صلى صلاه لم يصل فيها علي وعلى اهل بيتي
لم تقبل منه قال الدارقطني الصواب انه قول ابي جعفر محمد بن
علي بن الحسين لو صليت صلاه لم اصل فيها على النبي صلى الله عليه وسلم

ولا على أهل بيته لرأيت أنها لا تتم **فصل** في المواطن التي تستحب
فيها الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم ويرغب من ذلك في
تشهد الصلاة كما قدمناه وذلك بعد التشهد وقبل الدعاء حدثنا
القاضي أبو علي رحمه الله بقراءتي عليه قال حدثنا الإمام أبو القاسم
البلخي قال حدثنا الفارسي عن أبي القاسم الخزاعي عن الهيثم عن أبي عيسى
الحافظ قال حدثنا محمود بن غيلان حدثنا عبد الله بن يزيد المقرئ
حدثنا حيوة بن شريح حدثني أبو هانئ الخولاني أن عمرو بن مالك الجنبي
أخبره أنه سمع فضالة بن عبيد يقول سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلا
يدعو في صلاته فلم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال
النبي صلى الله عليه وسلم عجل هذا ثم دعاه فقال له ولغيره إذا صلى
أحدكم فليبدأ بتحميد الله والثناء عليه ثم ليصل على النبي ثم ليدع بعد بما
شاء ويروى من غير هذا السند بتمجيد الله وهو أصح وعن عمر بن الخطاب
الدعاء والصلاة معلق بين السماء والأرض لا يصعد إلى الله منه شيء
حتى يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم وعن علي عن النبي صلى الله عليه وسلم
معناه وقال وعلى آل محمد وروي أن الدعاء محجوب حتى يصلي الداعي
على النبي صلى الله عليه وسلم وعن ابن مسعود إذا أراد أحدكم أن يسأل
الله شيئا فليبدأ بمدحه والثناء عليه بما هو أهله ثم يصلي على النبي صلى
الله عليه وسلم ثم ليسأل فإنه أجدر أن ينجح وعن جابر قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجعلوني كقدح الراكب فإن الراكب

يملأ قدحه ثم يضعه ويرفع متاعه فإن احتاج إلى شراب شربه
أو الوضوء توضأ وإلا أهراقه ولكن اجعلوني في أول الدعاء وأوسطه
وآخره وقال ابن عطاء للدعاء أركان وأجنحة وأسباب
وأوقات فإن وافق أركانه قوي وإن وافق أجنحته طار في السماوات
وإن وافق مواقيته فاز وإن وافق أسبابه أنجح فأركانه حضور القلب
والرقة والاستكانة والخشوع وتعلق القلب بالله وقطعه من الأسباب
وأجنحته الصدق ومواقيته الأسحار وأسبابه الصلاة على محمد صلى
الله عليه وسلم وفي الحديث الدعاء بين الصلاتين لا يرد وفي
حديث آخر كل دعاء محجوب دون السماء فإذا جاءت الصلاة علي صعد
الدعاء وفي دعاء ابن عباس الذي رواه عنه حنش فقال في آخره واستجب
دعائي ثم تبدأ بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم أن تصلي على محمد
عبدك ونبيك ورسولك أفضل ما صليت على أحد من خلقك أجمعين
آمين ومن مواطن الصلاة عليه عند ذكره وسماع اسمه أو كتابه أو عند
الأذان وقد قال عليه السلام رغم أنف رجل ذكرت عنده
فلم يصل علي وكره ابن حبيب ذكر النبي صلى الله عليه وسلم عند الذبح وكره
سحنون الصلاة عليه عند التعجب وقال لا يصلى عليه إلا على طريق
الاحتساب وطلب الثواب وقال أصبغ عن ابن القاسم
موطنان لا يذكر فيهما إلا الله الذبيحة والعطاس فلا تقل فيهما بعد ذكر
الله محمد رسول الله ولو قال بعد ذكر الله صلى الله على محمد لم يكن تسمية

لذمع الله وقاله اشهب ولا ينبغي أن تجعل الصلاة على النبي صلى الله عليه
وسلم استنانا وروى النسائي عن اوس عن النبي صلى الله عليه وسلم
الامر بالاكثار من الصلاة عليه يوم الجمعة ومن مواطن الصلاة والسلم
دخول المسجد قال ابو اسحق بن شعبان وينبغي لمن دخل المسجد
أن يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله ويترحم عليه وعلى آله
وبارك عليه وعلى آله ويسلم تسليما ويقول اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح
لي أبواب رحمتك وإذا خرج فعل مثل ذلك وجعل موضع رحمتك
فضلك وقال عمرو بن دينار في قوله تعالى إذا دخلتم بيوتا
فسلموا على أنفسكم قال إن لم يكن في البيت أحد فقل السلام على
النبي ورحمة الله وبركاته السلم علينا وعلى عباد الله الصالحين السلم
على أهل البيت ورحمة الله وبركاته قال ابن عباس المراد بالبيوت
هنا المساجد وقال النخعي اذا لم يكن في المسجد احد فقل السلم
على رسول الله واذا لم يكن في البيت احد فقل السلام علينا وعلى عباد
الله الصالحين وعن علقمة اذا دخلت المسجد اقول السلم عليك ايها
النبي ورحمة الله وبركاته صلى الله وملايكته على محمد ونحوه عن كعب
اذا دخل واذا خرج ولم يذكر الصلاة واحتج ابن شعبان لما ذكره
بحديث فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ان النبي صلى الله عليه
وسلم كان يفعله اذا دخل المسجد ومثله عن ابي بكر بن عمرو بن حزم وذكر
السلام والرحمة وقد ذكرنا هذا الحديث آخر القسم والاختلاف في

الفاظه ومن مواطن الصلاة عليه أيضا الصلاة على الجنائز وذكر عن ابي
امامة انها من السنة ومن مواطن الصلاة التي مضى عليها عمل الامة ولم
تنكرها الصلاة على النبي وآله في الرسائل وما يكتب بعد البسملة ولم يكن هذا
في الصدر الأول وأحدث عند ولاية بني هاشم فمضى به عمل الناس في
أوطار الأرض ومنهم من يختم به أيضا الكتب وقال عليه السلام
من صلى علي في كتاب لم تزل الملايكة تستغفر له ما دام اسمي في ذلك
الكتاب ومن مواطن السلم على النبي صلى الله عليه وسلم تشهد الصلاة
حدثنا ابو القاسم خلف بن ابرهيم المقرى الخطيب رحمه الله وغيره
قال حدثتني كريمة بنت محمد قالت حدثنا ابو الهيثم حدثنا محمد بن يوسف
حدثنا محمد بن اسمعيل حدثنا ابو نعيم حدثنا الاعمش عن شقيق بن سلمة عن
عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا صلى احدكم
فليقل التحيات لله والصلوات والطيبات السلم عليك ايها النبي ورحمة
الله وبركاته السلم علينا وعلى عباد الله الصالحين فانكم اذا قلتموها
اصابت كل عبد صالح في السماء والارض هذا احد مواطن التسليم
عليه وسنته اول التشهد وقد روى مالك عن ابن عمر انه كان يقول
ذلك اذا فرغ من تشهده واراد ان يسلم واستحب مالك في المبسوط ان
يسلم بمثل ذلك قبل السلم قال محمد بن مسلمة اراد ما جاء
عن عايشة وابن عمر انهما كانا يقولان عند سلامهما السلام عليك
ايها النبي ورحمة الله وبركاته السلم علينا وعلى عباد الله الصالحين السلم

عليكم واستحب أهل العلم أن ينوي الإنسان حين سلامه كل عبد
صالح في السماء والأرض من الملائكة وبني آدم والجن وقال مالك
في المجموعة واجب للمأموم إذا سلم إمامه أن يقول السلام عليك أيها
النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام
عليكم **فصل** في كيفية الصلاة عليه والتسليم حدثناه
أبو إسحاق إبراهيم بن جعفر الفقيه بقراءتي عليه حدثنا القاضي أبو الأصبغ
حدثنا أبو عبد الله بن عتاب حدثنا أبو بكر بن واقد وغيره حدثنا أبو
عيسى حدثنا عبيد الله حدثنا يحيى حدثنا مالك عن عبد الله بن أبي بكر
بن حزم عن أبيه عن عمرو بن سليم الزرقي أنه قال أخبرني أبو حميد
الساعدي أنهم قالوا يا رسول الله كيف نصلي عليك فقال قولوا اللهم
صل على محمد وأزواجه وذريته كما صليت على آل إبراهيم وبارك على محمد
كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد وفي رواية مالك عن أبي مسعود
الأنصاري قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آله كما صليت على إبراهيم
وبارك على محمد كما باركت على آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد
والسلام كما قد علمتم وفي رواية كعب بن عجرة اللهم صل على محمد وآل محمد
كما صليت على إبراهيم وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على إبراهيم إنك
حميد مجيد وعن عقبة بن عمرو في حديثه اللهم صل على محمد النبي الأمي
وعلى آله وفي رواية أبي سعيد الخدري اللهم صل على محمد عبدك ورسولك
وذكر معناه حدثنا القاضي أبو عبد الله التميمي سماعا عليه

وأبو علي الحسن بن طريف النحوي بقراءتي عليه قالا حدثنا أبو عبد الله
بن سعدون الفقيه قال حدثنا أبو بكر المطوعي قال حدثنا أبو عبد الله
الحاكم عن أبي بكر بن أبي دارم الحافظ عن علي بن أحمد العجلي عن حرب
بن الحسن عن يحيى بن المساور عن عمرو بن خالد عن زيد بن علي بن الحسين
عن أبيه علي عن أبيه الحسين عن أبيه علي بن أبي طالب قال عدهن في
يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال عدهن في يدي جبريل وقال
هكذا نزلت من عند رب العزة اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما
باركت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى
آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد اللهم وترحم
على محمد وعلى آل محمد كما ترحمت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد
مجيد اللهم وتحنن على محمد وعلى آل محمد كما تحننت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم
إنك حميد مجيد وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم من سره أن
يكتال بالمكيال الأوفى إذا صلى علينا أهل البيت فليقل اللهم صل
على محمد النبي وأزواجه أمهات المؤمنين وذريته وأهل بيته كما صليت
على إبراهيم إنك حميد مجيد وفي رواية زيد بن خارجة الأنصاري سألت
النبي صلى الله عليه وسلم كيف نصلي عليك فقال صلوا واجتهدوا في
الدعاء ثم قولوا اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم
إنك حميد مجيد وعن سلامة الكندي كان علي يعلمنا الصلاة على
النبي صلى الله عليه وسلم اللهم داحي المدحوات وباري المسموكات

اجعل شرايف صلواتك ونوامى بركاتك ورافة تحننك على محمد
عبدك ورسولك الفاتح لما اغلق والخاتم لما سبق والمعلن الحق بالحق
والدامغ لجيشات الاباطيل كما حمل فاضطلع بامرك بطاعتك مستوفزا
فى مرضاتك واعيا لوحيك حافظا لعهدك ماضيا على نفاذ امرك حتى
اورى قبسا لقابس الا الله تصل به باهله اسبابه به هديت القلوب
بعد خوضات الفتن والاثم موضحات الاعلام ونايرات الاحكام ٥
ومنيرات الاسلام فهو امينك المامون وخازن علمك المخزون وشهيدك
يوم الدين وبعيثك نعمة ورسولك بالحق رحمة اللهم افسح له فى عدنك
واجزه مضاعفات الخير من فضلك مهنئات له غير مكدرات من فوز
ثوابك المحلول وجزيل عطايك المعلول اللهم اعل على بناء البانين بناءه
واكرم مثواه لديك ونزله واتمم له نوره واجزه من ابتعاثك له مقبول
الشهادة ومرضى المقالة ذا منطق عدل وخطة فصل وبرهان عظيم
وعنه ايضا فى الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ان الله وملائكته
يصلون على النبى الآية لبيك اللهم وسعديك صلوات الله البر الرحيم
والملائكة المقربين والنبيين والصديقين والشهداء والصالحين وما
سبح لك من شئ يا رب العالمين على محمد بن عبد الله خاتم النبيين وسيد
المرسلين وامام المتقين ورسول رب العالمين الشاهد البشير
الداعى اليه باذنك السراج المنير وعليه السلام وعن عبد الله بن مسعود
اللهم اجعل صلواتك وبركاتك ورحمتك على سيد المرسلين وامام

المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك امام الخير ورسول
الرحمة اللهم ابعثه مقاما محمودا نغبطه فيه الاولون والاخرون اللهم
صل على محمد وال محمد كما صليت على ال ابرهيم انك حميد مجيد وبارك
على محمد وعلى ال محمد كما باركت على ابرهيم وال ابرهيم انك حميد مجيد
وكان الحسن البصرى يقول من اراد ان يشرب بالكاس الاوفى من
حوض المصطفى فليقل اللهم صل على محمد وعلى اله واصحابه واولاده ٥
وازواجه وذريته واهل بيته واصهاره وانصاره واشياعه ومحبيه
وامته وعلينا معهم اجمعين يا ارحم الراحمين وعن طاوس عن ابن عباس انه
كان يقول اللهم تقبل شفاعة محمد الكبرى وارفع درجته العليا واته سؤله
فى الاخرة والاولى كما اتيت ابرهيم وموسى وعن وهب بن الورد انه كان
يقول فى دعايه اللهم اعط محمدا افضل ما سالك لنفسه واعط محمدا
افضل ما سالك له احد من خلقك واعط محمدا افضل ما انت مسؤول
له الى يوم القيمة وعن ابن مسعود انه كان يقول اذا صليتم على النبى عليه
السلام فاحسنوا الصلاة عليه فانكم لا تدرون ذلك يعرض عليه وقولوا
اللهم اجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين وامام المتقين
وخاتم النبيين عبدك ورسولك امام الخير وقايد الخير ورسول الرحمة
اللهم ابعثه مقاما محمودا نغبطه فيه الاولون والاخرون اللهم صل
على محمد وعلى ال محمد كما صليت على ال ابرهيم انك حميد مجيد اللهم بارك
على محمد وعلى ال محمد كما باركت على ال ابرهيم انك حميد مجيد ومما يؤثر

في تطويل الصلاة وتكثير الثناء عن أهل البيت وغيرهم كثير وقوله والسلم كما قد علمتم هو ما علمهم في التشهد من قوله السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الصالحين وفي تشهد علي السلم على نبي الله السلام على انبياء الله ورسله السلام على رسول الله السلم على محمد بن عبد الله السلم علينا وعلى المومنين والمومنات من غاب منهم ومن شهد اللهم اغفر لمحمد وتقبل شفاعته واغفر لاهل بيته واغفر لي ولوالدي وما ولدا وارحمهما السلم علينا وعلى عباد الله الصالحين السلم عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته جا في هذا الحديث عن علي الدعا للنبي بالغفران وفي حديث الصلاة عنه قبل الدعا له بالرحمة ولم يات غيره من الاحاديث المرفوعة المعروفة وقد ذهب ابو عمر بن عبد البر وغيره الى انه لا يدعا للنبي بالرحمة وانما يدعا له بالصلاة والبركة التي تختص به ويدعا لغيره بالرحمة والمغفرة وقد ذكر ابو محمد بن ابي زيد في الصلاة على النبي اللهم ارحم محمدا وال محمد كما ترحمت على ابرهيم وال ابرهيم ولم يات هذا في حديث صحيح وحجته قوله في السلام والسلم عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته

فصل في فضيلة الصلاة على النبي والتسليم عليه والدعا له حدثنا احمد بن محمد الشيخ الصالح من كتابه حدثنا القاضي يونس ابن مغيث حدثنا ابو بكر بن معاوية حدثنا النساي اخبرنا سويد بن نصر اخبرنا عبد الله عن حيوة بن شريح قال اخبرني كعب بن علقمة انه سمع عبد الرحمن بن جبير مولى

نافع انه سمع عبد الله بن عمرو يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا سمعتم المودن فقولوا مثل ما يقول وصلوا علي فانه من صلى علي صلى الله عليه عشرا ثم سلوا لي الوسيلة فانها منزلة في الجنة لا تنبغي الا لعبد من عباد الله وارجوا ان اكون انا هو فمن سال لي الوسيلة فانها حلت عليه الشفاعة وروى انس بن مالك ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من صلى علي صلاة صلى الله عليه عشر صلوات وحط عنه عشر خطيات ورفع له عشر درجات وفي رواية وكتب له عشر حسنات وعن انس عنه عليه السلم ان جبريل ناداني فقال من صلى عليك صلاة صلى الله عليه عشرا ورفعه عشر درجات ومن رواية عبد الرحمن بن عوف عنه عليه السلام لقيت جبريل فقال اني ابشرك ان الله يقول من سلم عليك سلمت عليه ومن صلى عليك صليت عليه ونحوه من رواية ابي هريرة ومالك بن اوس ابن الحدثان وعبيد الله بن ابي طلحة وعن زيد بن الحباب سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول من قال اللهم صل على محمد وانزله المنزل المقرب عندك يوم القيمة وجبت له شفاعتي وعن ابن مسعود اولى الناس بي يوم القيامة اكثرهم علي صلاة وعن ابي هريرة عنه عليه السلام من صلى علي في كتاب لم تزل الملايكة تستغفر له ما بقي اسمي في ذلك الكتاب وعن عامر بن ربيعة سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول من صلى علي صلاة صلت عليه الملايكة ما صلى علي فليقلل من ذلك عبد او ليكثر وعن ابي بن كعب كان رسول الله صلى الله عليه

وسلم اذا ذهب ربع الليل قام فقال يا ايها الناس اذكروا الله
جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه فقال ابي بن كعب يا رسول
الله اني اكثر الصلاة عليك فكم اجعل لك من صلاتي قال ما شئت قال
الربع قال ما شئت وان زدت فهو خير قال النصف قال ما شئت
وان زدت فهو خير قال الثلثين قال ما شئت وان زدت فهو خير قال
يا رسول الله فاجعل صلاتي كلها لك قال اذا تكفى ويغفر ذنبك
وعن ابي طلحة دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم فرايت من بشره وطلاقته
ما لم اره قط فسالته فقال وما يمنعني وقد خرج جبريل
آنفا فاتاني ببشارة من ربي ان الله تعالى بعثني اليك ابشرك انه ليس
احد من امتك يصلي عليك الا صلى الله وملائكته بها عشرا وعن جابر
بن عبد الله قال قال النبي صلى الله عليه وسلم من قال حين يسمع النداء
اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدا الوسيلة
والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته حلت له الشفاعة
يوم القيامة وعن سعد بن ابي وقاص من قال حين يسمع المؤذن
انا اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله
رضيت بالله ربا وبمحمد رسولا وبالاسلام دينا غفر له وروى ابن وهب
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من سلم علي عشرا فكانما اعتق رقبة وفي
بعض الآثار ليردن علي اقوام ما اعرفهم الا بكثرة صلاتهم علي وفي آخر
ان انجاكم يوم القيامة من اهوالها ومواطنها اكثركم علي صلاة وعن

ابي بكر الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم امحق للذنوب من الماء البارد
للنار والسلام عليه افضل من عتق الرقاب فصل في ذم من لم يصل
على النبي صلى الله عليه وسلم واثمه حدثنا القاضي الشهيد ابو علي
رحمه الله حدثنا ابو الفضل بن خيرون وابو الحسن الصيرفي قالا حدثنا
ابو يعلى حدثنا السنجي حدثنا محمد بن محبوب حدثنا ابو عيسى حدثنا احمد
بن ابراهيم الدورقي حدثنا ربعي بن ابراهيم عن عبد الرحمن بن اسحاق عن سعيد
بن ابي سعيد عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم رغم انف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي ورغم انف رجل دخل
رمضان ثم انسلخ قبل ان يغفر له ورغم انف رجل ادرك عنده ابواه
الكبر فلم يدخلاه الجنة قال عبد الرحمن واظنه قال او احدهما وفي
حديث آخر ان النبي صلى الله عليه وسلم صعد المنبر فقال آمين ثم صعد
فقال آمين ثم صعد فقال آمين فساله معاذ عن ذلك فقال
ان جبريل صلى الله عليه وسلم اتاني فقال يا محمد من سميت بين يديه فلم يصل
عليك فمات فدخل النار فابعده الله قل آمين فقلت آمين وقال فيمن ادرك
رمضان فلم يقبل منه فمات مثل ذلك ومن ادرك ابويه او احدهما فلم
يبرهما فمات مثله وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه عليه السلام انه قال البخيل كل البخيل
من ذكرت عنده فلم يصل علي وعن جعفر بن محمد عن ابيه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم من ذكرت عنده فلم يصل علي اخطئ به طريق الجنة
وعن علي بن ابي طالب عنه عليه السلام انه قال ان البخيل الذي ذكرت

عنده فلم يصل علي وعن ابي هريرة قال ابو القاسم صلى الله عليه وسلم
ايما قوم جلسوا مجلسا ثم تفرقوا قبل ان يذكروا الله ويصلوا على النبي صلى
الله عليه وسلم كانت عليهم من الله ترة ان شاء عذبهم وان شاء غفر لهم وعن
ابي هريرة من نسي الصلاة علي نسي طريق الجنة وعن قتادة عنه عليه السلم
من الجفاء ان اذكر عند الرجل فلا يصلي علي وعن جابر عنه عليه السلم
ما جلس قوم مجلسا ثم تفرقوا على غير صلاة على النبي صلى الله عليه وسلم الا
تفرقوا على انتن من ريح الجيفة وعن ابي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
لا يجلس قوم مجلسا لا يصلون فيه على النبي صلى الله عليه وسلم الا كان
عليهم حسرة وان دخلوا الجنة لما يرون من الثواب حكى ابو عيسى
الترمذي عن بعض اهل العلم قال اذا صلى الرجل على النبي صلى الله عليه وسلم
في المجلس مرة اجزا عنه ما كان في ذلك المجلس فصل في تخصيصه
عليه السلم بتبليغ صلاة من صلى عليه او سلم من الانام حدثنا
القاضي ابو عبد الله التميمي حدثنا الحسين بن محمد حدثنا ابو عمر الحافظ
حدثنا ابن عبد المومن حدثنا ابن داسة حدثنا ابو داود حدثنا ابن عوف
حدثنا المقرئ حدثنا حيوة بن شريح عن ابي صخر حميد بن زياد عن يزيد بن عبد
الله بن قسيط عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من
احد يسلم علي الا رد الله علي روحي حتى ارد عليه السلام وذكر ابو بكر
بن ابي شيبة عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من صلى علي عند قبري سمعته ومن صلى علي نائيا بلغته وعن ابن مسعود ان

لله

لله ملائكة سياحين في الارض يبلغوني عن امتي السلام ونحوه عن ابي هريرة
وعن ابن عمر اكثروا من السلام على نبيكم كل جمعة فانه يوتى به منكم في كل
جمعة وفي رواية فان احدا لا يصلي علي الا عرضت صلاته علي حين يفرغ منها
وعن الحسن عنه عليه السلم حيثما كنتم فصلوا علي فان صلاتكم تبلغني وعن ابن
عباس ليس احد من امة محمد يسلم عليه ويصلي عليه الا بلغه وذكر بعضهم
ان العبد اذا صلى على النبي صلى الله عليه وسلم عرض عليه اسمه وعن الحسن بن
علي اذا دخلت المسجد فسلم على النبي فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
لا تتخذوا بيتي عيدا ولا تتخذوا بيوتكم قبورا وصلوا علي حيث كنتم فان صلاتكم
تبلغني حيث كنتم وفي حديث اوس اكثروا علي من الصلاة يوم الجمعة فان صلاتكم
معروضة علي وعن سليمان بن سحيم رايت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم
فقلت يا رسول الله هولاء الذين ياتونك فيسلمون عليك اتفقه
سلامهم قال نعم وارد عليهم وعن ابن شهاب بلغنا ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال اكثروا من الصلاة علي في الليلة الزهراء واليوم الازهر
فانهما يوديان عنكم وان الارض لا تاكل اجساد الانبيا وما من مسلم
يصلي علي الا حملها ملك حتى يوديها الي ويسميه حتى انه ليقول ان فلانا
يقول كذا وكذا فصل في الاختلاف في الصلاة على غير النبي
وساير الانبيا عليهم السلام قال القاضي وفقه الله عامة اهل
العلم متفقون على جواز الصلاة على غير النبي صلى الله عليه وسلم وروي
عن ابن عباس انه لا تجوز الصلاة على غير النبي صلى الله عليه وسلم وروي

عنه لا ينبغي الصلاة إلا على النبيين وقال سفيان يكره أن يصلى
إلا على نبي ووجدت بخط بعض شيوخي مذهب مالك انه لا يجوز أن
يصلى على أحد من الأنبيا سوى محمد عليه السلم وهذا غير معروف من مذهبه
وقد قال مالك في المبسوطة ليحيى بن إسحاق أكره الصلاة على غير الأنبيا
وما ينبغي لنا أن نتعدى ما أمرنا به قال يحيى بن يحيى لست آخذ بقوله ولا
بأس بالصلاة على الأنبيا كلهم وعلى غيرهم واحتج بحديث ابن عمر وبما جاء في حديث
تعليم النبي الصلاة عليه وفيه وعلى أزواجه وعلى آله قالوا والأسانيد
عن ابن عباس لينة والصلاة في لسان العرب بمعنى الترحم والدعا وذلك
على الإطلاق حتى يمنع منه حديث صحيح أو إجماع وقد قال تعالى هو الذي
يصلي عليكم وملائكته الآية وقال خذ من أموالهم صدقة تطهرهم
وتزكيهم بها وصل عليهم الآية وقال أولئك عليهم صلوات من ربهم
ورحمة وقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم صل على آل أبي أوفى وكان إذا
أتاه قوم بصدقتهم قال اللهم صل على آل فلان وفي حديث الصلاة اللهم
صل على محمد وعلى أزواجه وذريته وفي آخر وعلى آل محمد قيل أتباعه
وقيل أمته وقيل الأتباع والرهط والعشيرة وقيل آل الرجل
ولده وقيل قومه وقيل أهله الذين حرمت عليهم الصدقة وفي رواية
أنس سئل النبي صلى الله عليه وسلم من آل محمد قال كل تقي ويجي على مذهب
الحسن أن المراد بآل محمد محمد نفسه فإنه كان يقول في صلاته على
النبي اللهم اجعل صلواتك وبركاتك على آل أحمد يريد نفسه لأنه كان

لا يخل

لا يخل بالفرض الذي أمر الله به هو الصلاة على محمد نفسه وهذا
مثل قوله عليه السلم لقد أوتي مزمارا من مزامير آل داود يريد
مزامير داود وفي حديث أبي حميد الساعدي في الصلاة اللهم
صل على محمد وأزواجه وذريته وفي حديث ابن عمر أنه كان يصلي
على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى أبي بكر وعمر ذكره مالك في الموطا من
رواية يحيى الأندلسي وروى ابن وهب عن أنس بن مالك كنا ندعوا
لأصحابنا بالغيب فنقول اللهم اجعل منك على فلان صلوات قوم
أبرار الذين يقومون بالليل ويصومون بالنهار قال القاضي
والذي ذهب إليه المحققون وأميل إليه ما قاله مالك وسفيان
رحمهما الله وروي عن ابن عباس واختاره غير واحد من الفقها
والمتكلمين أنه لا يصلى على غير الأنبيا عند ذكرهم بل هو شيء يختص
به الأنبيا عند ذكرهم توقيرا لهم وتعزيزا كما يخص الله عند ذكره بالتنزيه
والتقديس والتعظيم ولا يشاركه فيه غيره كذلك يجب تخصيص النبي
صلى الله عليه وسلم وساير الأنبيا بالصلاة والتسليم ولا يشارك
فيه سواهم كما أمر الله بقوله صلوا عليه وسلموا تسليما ويذكر من
سواهم من الأئمة وغيرهم بالغفران والرضى كما قال تعالى
يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان وقال
والتابعون لهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأيضا فهو أمر لم يكن معروفا
في الصدر الأول كما قال أبو عمران وإنما أحدثته الرافضة

والمستبعد في بعض الأئمة فشاركوهم عند الذكر لهم بالصلاة
وساووهم بالنبي صلى الله عليه وسلم في ذلك وأيضا فان التشبه
بأهل البدع منهي عنه فيجب مخالفتهم فيما التزموه من ذلك
وذكر الصلاة على الآل والأزواج مع النبي صلى الله عليه وسلم بحكم
التبع والإضافة إليه لا على التخصيص وصلاة النبي صلى الله عليه وسلم
على من صلى عليه تجري مجرى الدعاء والمواجهة ليس فيها معنى التعظيم
والتوقير لهم وقد قال تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم
كدعاء بعضكم بعضا فكذلك يجب أن يكون الدعاء له مخالفا لدعاء الناس
بعضهم لبعض وهذا اختيار الإمام أبي المظفر الاسفرايني من شيوخنا

فصل في حكم زيارة قبره عليه السلام وفضيلة من زاره وسلم
عليه وكيف يسلم ويدعو وزيارة قبره عليه السلام سنة من المسلمين
مجمع عليها وفضيلة مرغب فيها روى عن ابن عمر قال قال
النبي صلى الله عليه وسلم من زار قبري وجبت له شفاعتي وعن أنس
بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من زارني في
المدينة محتسبا كان في جواري وكنت له شفيعا يوم القيامة وفي حديث
آخر من زارني بعد موتي فكأنما زارني في حياتي وكره مالك أن يقال
زرنا قبر النبي وقد اختلف في معنى ذلك فقيل كراهة الاسم
لما ورد من قوله عليه السلام لعن الله زوارات القبور وهذا
يرده قوله نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها وقوله من زارني

فقد أطلق اسم الزيارة وقيل لأن ذلك لما قيل ان الزائر
أفضل من المزور وهذا أيضا ليس بشيء إذ ليس كل زائر بهذه
الصفة وليس عموما وقد ورد في حديث أهل الجنة زيارتهم لربهم ولم
يمنع هذا اللفظ في حقه تعالى وأولى عندي أن منعه وكراهة مالك له
لإضافته إلى قبر النبي صلى الله عليه وسلم وأنه لو قال زرنا النبي لم يكرهه
لقوله صلى الله عليه وسلم اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد اشتد
غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد فحمى إضافة هذا
اللفظ إلى القبر والتشبه بفعل أولئك قطعا للذريعة وحسما للباب
والله أعلم قال إسحاق بن إبراهيم الفقيه ومما لم يزل من شأن
من حج المرور بالمدينة والقصد إلى الصلاة في مسجد رسول الله صلى
الله عليه وسلم والتبرك برؤية روضته ومنبره وقبره ومجلسه
وملامس يديه ومواطئ قدميه والعمود الذي كان يستند إليه
وينزل جبريل فيه بالوحي عليه وبمن عمره وقصده من الصحابة وأئمة
المسلمين والاعتبار بذلك كله وقال ابن أبي فديك سمعت بعض
من أدركت يقول بلغنا أنه من وقف عند قبر النبي صلى الله عليه
وسلم فتلا هذه الآية إن الله وملائكته يصلون على النبي ثم قال صلى الله
عليك يا محمد من يقولها سبعين مرة ناداه ملك صلى الله عليك
يا فلان ولم تسقط له حاجة وعن يزيد بن أبي سعيد المهري قدمت
على عمر بن عبد العزيز فلما ودعته قال لي إليك حاجة إذا أتيت

المدينة سحرى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فاقرء مني السلام قال
غيره وكان يبرد اليه البريد من الشام قال بعضهم رايت انس بن
مالك اتى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فوقف فرفع يديه حتى ظننت
انه افتتح الصلاة فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم ثم انصرف قال مالك
في رواية ابن وهب اذا سلم على النبي صلى الله عليه وسلم ودعا يقف
ووجهه الى القبر لا الى القبلة ويدنوا ويسلم ولا يمس القبر بيده وقال
في المبسوط لا ارى ان يقف عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم يدعو
ولكن يسلم ويمضي قال ابن ابي مليكة من احب ان يقوم وجاه
النبي صلى الله عليه وسلم فليجعل القنديل الذي في القبلة عند القبر
على راسه وقال نافع كان ابن عمر يسلم على القبر رايته مائة مرة واكثر
يجي الى القبر فيقول السلام على النبي صلى الله عليه وسلم السلام على ابي بكر
السلام على ابي ثم ينصرف وفي الموطا من رواية يحيى بن يحيى الليثي انه كان
يقف على النبي صلى الله عليه وسلم فيصلي على ابي بكر وعمر وعند ابن القاسم
والقعنبي ويدعو لابي بكر وعمر قال مالك في رواية ابن وهب
يقول المسلم السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته قال في
المبسوط ويسلم على ابي بكر وعمر قال القاضي ابو الوليد الباجي
وعندي انه يدعو للنبي بلفظ الصلاة ولابي بكر وعمر كما في حديث
ابن عمر من الخلاف وقال ابن حبيب ويقول اذا دخل مسجد الرسول
بسم الله وسلام على رسول الله عليه السلام السلام علينا من ربنا وصلى

الله

الله وملائكته على محمد اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب
رحمتك وجنتك واحفظني من الشيطان الرجيم ثم اقصد الى الروضة
وهي ما بين القبر والمنبر فاركع فيها ركعتين قبل وقوفك بالقبر
تحمد الله فيها وتساله تمام ما خرجت اليه والعون عليه وان كانت
ركعتاك في غير الروضة اجزاتاك وفي الروضة افضل وقد قال
عليه السلام ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ومنبري على
ترعة من ترع الجنة ثم تقف بالقبر متواضعا متوقرا فتصلي عليه وتثني بما
يحضرك وتسلم على ابي بكر وعمر وتدعو لهما واكثر من الصلاة في مسجد
النبي صلى الله عليه وسلم بالليل والنهار ولا تدع ان تاتي مسجد قبا وقبور
الشهدا قال مالك في كتاب محمد ويسلم على النبي صلى الله عليه
وسلم اذا دخل وخرج يعني في المدينة وفي ما بين ذلك قال محمد واذا
خرج جعل آخر عهده الوقوف بالقبر وكذلك من خرج مسافرا ٥
وروى ابن وهب عن فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال اذا دخلت المسجد فصل على النبي صلى الله عليه وسلم
وقل اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب رحمتك واذا خرجت
فصل على النبي صلى الله عليه وسلم وقل اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح
لي ابواب فضلك وفي رواية اخرى فليسلم مكان فليصل فيه
ويقول اذا خرج اللهم اني اسالك من فضلك وفي اخرى اللهم
احفظني من الشيطان وعن محمد بن سيرين كان الناس يقولون

اذا دخلوا المسجد صلى الله وملايكته على محمد السلام عليك ايها
النبي ورحمة الله وبركاته بسم الله دخلنا وبسم الله خرجنا وعلى الله توكلنا
وكانوا يقولون اذا خرجوا مثل ذلك وعن فاطمة ايضا كان النبي
صلى الله عليه وسلم اذا دخل المسجد يقول صلى الله على محمد وسلم ثم ذكر
مثل حديث فاطمة قبل هذا وفي رواية حمد الله وصلى على النبي صلى الله
عليه وسلم وذكر مثله وفي رواية بسم الله والسلام على رسول الله
وعن غيرها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل المسجد
قال اللهم افتح لي ابواب رحمتك ويسر لي ابواب رزقك
وعن ابي هريرة اذا دخل احدكم المسجد فليصل على النبي صلى الله عليه
وسلم وليقل اللهم افتح لي وقال مالك في المبسوط وليس يلزم من دخل
المسجد وخرجه من اهل المدينة الوقوف بالقبر وانما ذلك
للغربا وقال فيه ايضا لا باس لمن قدم من سفر او خرج الى سفر ان
يقف على قبر النبي صلى الله عليه وسلم فيصلي عليه ويدعوا لابي بكر
وعمر فقيل له فان ناسا من اهل المدينة لا يقدمون من سفر
ولا يريدونه يفعلون ذلك في اليوم مرة او اكثر وربما وقفوا
في الجمعة او في الايام المرة والمرتين او اكثر عند القبر فيسلمون
ويدعون ساعة فقال لم يبلغني هذا عن احد من اهل الفقه ببلدنا
وتركه واسع ولا يصلح اخر هذه الامة الا ما اصلح اولها ولم يبلغني
عن اول هذه الامة وصدرها انهم كانوا يفعلون ذلك

ويكره الا لمن جا من سفر او اراده قال ابن القاسم ورايت
اهل المدينة اذا خرجوا منها او دخلوها اتوا القبر فسلموا وذلك
راي قال الباجي ففرق بين اهل المدينة والغربا لان الغربا قصدوا
لذلك واهل المدينة مقيمون بها لم يقصدوها من اجل القبر والتسليم
وقال عليه السلام اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد اشتد
غضب الله على قوم اتخذوا قبور انبيائهم مساجد وقال لا تتخذوا
قبري عيدا ومن كتاب احمد بن سعيد الهندي فيمن وقف بالقبر لا
يلصق به ولا يمسه ولا يقف عنده طويلا وفي العتبية يبدا بالركوع
قبل السلام في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم واحب مواضع التنفل
فيه مصلى النبي صلى الله عليه وسلم حيث العمود المخلق واما في
الفريضة فالتقدم الى الصفوف والتنفل فيه للغربا احب الي من
التنفل في البيوت فصل فيما يلزم من دخل مسجد النبي صلى الله
عليه وسلم من الادب سوا ما قدمناه وفضله وفضل الصلاة فيه
وفي مسجد مكة وذكر قبره ومنبره وفضل سكنى المدينة ومكة
قال الله تعالى اسس على التقوى من اول يوم احق ان تقوم
فيه وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم سيل اي مسجد هو قال مسجدي
هذا وهو قول ابن المسيب وزيد بن ثابت وابن عمر ومالك بن انس
وغيرهم وعن ابن عباس انه مسجد قبا حدثنا هشام بن احمد
الفقيه بقراتي عليه قال حدثنا الحسين بن محمد الحافظ حدثنا ابو

عمر النمري حدثنا ابو محمد بن عبد المومن حدثنا ابو بكر بن داسة حدثنا
ابو داود حدثنا مسدد حدثنا سفيان عن الزهري عن سعيد بن المسيب
عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تشد الرحال الا الى
ثلاثة مساجد مسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الاقصى وقد تقدمت
الاثار في الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم عند دخول
المسجد وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا
دخل المسجد قال اعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم
من الشيطان الرجيم وقال مالك رحمه الله سمع عمر بن الخطاب
رضي الله عنه صوتا في المسجد فدعا بصاحبه فقال ممن انت قال رجل
من ثقيف قال لو كنت من هاتين القريتين ان مسجدنا لا يرفع فيه
الصوت قال محمد بن مسلمة لا ينبغي لاحد ان يعتمد المسجد برفع الصوت
ولا بشيء من الاذى وان ينزه عما يكره وقال القاضي حكا ذلك كله
القاضي اسمعيل في مبسوطه في باب فضل مسجد النبي عليه السلم والعلما
متفقون ان حكم ساير المساجد هذا الحكم قال القاضي اسمعيل وقال
محمد يعني بن مسلمة ويكره في مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم الجهر على
المصلين فيما يخلط عليهم صلاتهم وليس مما خص به المساجد رفع
الصوت قد كره رفع الصوت بالتلبية في مساجد الجماعات الا المسجد
الحرام ومسجدنا وقال ابو هريرة عنه عليه السلام صلاة في
مسجدي هذا خير من الف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام قال

القاضي اختلف الناس في معنى هذا الاستثنا على اختلافهم
في المفاضلة بين مكة والمدينة فذهب مالك في رواية اشهب عنه
وقاله ابن نافع صاحبه وجماعة اصحابه الى ان معنى الحديث ان الصلاة في
مسجد الرسول افضل من الصلاة في ساير المساجد بالف صلاة الا المسجد
الحرام فان الصلاة في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم افضل من الصلاة
فيه بدون الالف واحتجوا بما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه
صلاة في المسجد الحرام خير من ماية صلاة فيما سواه فتاتي فضيلة مسجد
الرسول صلى الله عليه وسلم بتسع ماية وعلى غيره بالف وهذا مبني على
تفضيل المدينة على مكة على ما قدمناه وهو قول عمر بن الخطاب
ومالك واكثر المدنيين وذهب اهل مكة والكوفة الى تفضيل مكة وهو
قول عطاء وابن وهب وابن حبيب من اصحاب مالك وحكاه الساجي
عن الشافعي وحملوا الاستثنا في الحديث المتقدم على ظاهره وان الصلاة
في المسجد الحرام افضل واحتجوا بحديث عبد الله بن الزبير عن النبي صلى
الله عليه وسلم بمثل حديث ابي هريرة وفيه وصلاة في المسجد الحرام
افضل من الصلاة في مسجدي هذا بماية صلاة وروى قتادة مثله
فتاتي فضل الصلاة في المسجد الحرام على هذا على الصلاة في ساير المساجد
بماية الف ولا خلاف ان موضع قبره افضل بقاع الارض قال
القاضي ابو الوليد الباجي الذي يقتضيه الحديث مخالفة حكم مكة
لساير المساجد ولا يعلم منه حكمها مع المدينة وذهب الطحاوي

الى ان هذا التفضيل انما هو في صلاة الفرض وذهب مطرف من
اصحابنا الى ان ذلك في النافلة ايضا قال وجمعة خير من جمعة ورمضان
خير من رمضان وقد ذكر عبد الرزاق في تفضيل رمضان بالمدينة
وغيرها حديثا نحوه وقال عليه السلم ما بين بيتي ومنبري روضة
من رياض الجنة ومثله عن ابي هريرة وابي سعيد وزاد ومنبري على
حوضي وفي حديث اخر منبري على ترعة من ترع الجنة قال الطبري فيه
معنيان احدهما ان المراد بالبيت بيت سكناه على الظاهر مع انه روي
ما بينه بين حجرتي ومنبري والثاني ان البيت هنا القبر وهو قول
زيد بن اسلم في هذا الحديث كما روي بين قبري ومنبري ۝ وقال
الطبري واذا كان قبره في بيته اتفقت معاني الروايات ولم يكن بينها
خلاف لان قبره في حجرته وهو بيته وقوله ومنبري على حوضي قيل
يحتمل انه منبره بعينه الذي كان في الدنيا وهو اظهر والثاني ان
يكون له هناك منبر والثالث ان قصد منبره والحضور عنده لملازمة
الاعمال الصالحة يورد الحوض ويوجب الشرب منه قاله الباجي
وقوله روضة من رياض الجنة يحتمل معنيين احدهما انه موجب
لذلك وان الدعاء والصلاة فيه يستحق ذلك من الثواب كما قيل
الجنة تحت ظلال السيوف والثاني ان تلك البقعة قد ينقلها الله
فتكون في الجنة بعينها قاله الداودي وروى ابن عمر وجماعة من
الصحابة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في المدينة لا يصبر على لاوائها

وشدتها احد الا كنت له شهيدا او شفيعا يوم القيمة وقال فيمن
تحمل عن المدينة والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون وقال انما
المدينة كالكير تنفي خبثها وتنصع طيبها وقال لا يخرج احد عن المدينة
رغبة عنها الا ابدلها الله خيرا منه وروي عنه عليه السلم من
مات في احد الحرمين حاجا او معتمرا بعثه الله يوم القيمة لا حساب
عليه ولا عذاب وفي طريق اخر بعث من الامنين يوم القيمة وعن
ابن عمر من استطاع ان يموت بالمدينة فليمت بها فاني اشفع لمن يموت
بها وقال تعالى ان اول بيت وضع للناس للذي ببكة الى
قوله امنا قال بعض المفسرين امنا من النار وقيل كان يامن من الطلب
من احدث حدثا او لجا اليه في الجاهلية وهذا مثل قوله واذ
جعلنا البيت مثابة للناس وامنا على قول بعضهم وحكي ان
اقواما اتوا سعدون الخولاني بالمنستير فاعلموه ان كتامة قتلوا
رجلا واضرموا عليه النار طول الليل فلم تعمل فيه وبقي ابيض ۝
البدن فقال لعله حج ثلاث حجج قالوا نعم قال حدثت ان من حج حجة
ادى فرضه ومن حج ثانية داين ربه ثبتت هذه الزيادة في اخرى وبها
تمام الحديث ومن حج ثلاث حجج حرم الله شعره وبشره على النار فنادى من
مكة غدا ملك من عند الله من كان له على الله دين فليقم الى ولما نظر
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الكعبة قال مرحبا بك من بيت ۰
ما اعظمك واعظم حرمتك وفي الحديث عنه عليه السلام ما من احد

يدعو الله عند الركن الأسود إلا استجاب الله له وكذلك عند
الميزاب وعنه عليه السلام من صلى خلف المقام ركعتين غفر له ما
تقدم من ذنبه وما تأخر وحشر يوم القيمة من الآمنين قرأت على
القاضي الحافظ أبي علي رحمه الله حدثك أبو العباس العذري قال
حدثنا أبو اسامة محمد بن أحمد بن محمد الهروي حدثنا
الحسن ابن رشيق سمعت أبا الحسن محمد بن الحسن بن راشد سمعت أبا بكر
محمد بن ادريس سمعت الحميدي قال سمعت سفيان بن عيينة قال سمعت
عمرو ابن دينار قال سمعت بن عباس يقول سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول ما دعا أحد بشيء في هذا الملتزم إلا استجيب له قال
ابن عباس وأنا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من
رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا استجيب لي وقال عمرو بن دينار
وأنا فما دعوت الله تعالى بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من بن
عباس إلا استجيب لي وقال سفيان وأنا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم
منذ سمعت هذا من عمرو إلا استجيب لي قال الحميدي وأنا فما دعوت
الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من سفيان إلا استجيب لي وقال
محمد بن ادريس وأنا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت
هذا من الحميدي إلا استجيب لي وقال أبو الحسن محمد بن الحسن
وأنا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من محمد بن ادريس
إلا استجيب لي قال أبو اسامة وما اذكر الحسن بن رشيق

قال فيه شيئا وأنا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت
هذا من الحسن ابن رشيق إلا استجيب لي من أمر الدنيا وأنا أرجو
أن يستجاب لي من أمر الآخرة قال العذري وأنا فما دعوت
الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من اسامة إلا استجيب لي قال
أبو علي وأنا فقد دعوت الله فيه أشياء كثيرة استجيب لي بعضها
وأرجو من سعة فضله أن يستجيب لي بقيتها قال القاضي أبو الفضل
ذكرنا نبذا من هذه النكت في هذا الفصل وإن لم يكن من الباب لتعلقها
بالفصل الذي قبله حرصا على تمام الفائدة والله الموفق للصواب برحمته

القسم الثالث فيما يجب للنبي صلى الله عليه وسلم وما يستحيل أو
يجوز عليه وما يمتنع أو يصح من الأحوال البشرية أن تضاف إليه
قال الله تعالى وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات
أو قتل الآية وقال ما المسيح بن مريم إلا رسول قد خلت من قبله
الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام وقال وما أرسلنا قبلك
من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق وقال إنما
أنا بشر مثلكم يوحى إلي الآية فمحمد صلى الله عليه وسلم وسائر الأنبياء
من البشر أرسلوا إلى البشر ولولا ذلك لما أطاق الناس مقاومتهم
والقبول عنهم ومخاطبتهم قال الله تعالى ولو جعلناه ملكا
لجعلناه رجلا أي لما كان إلا في صورة البشر الذي يمكنكم مخاطبته إذ
لا تطيقون مقاومة الملك ومخاطبته ورؤيته إذا كان على صورته

وقال لو كان في الارض ملايكه يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم
من السما ملكا اي لا يمكن في سنة الله ارسال الملك الا لمن هو
من جنسه او من خصه الله تعالى واصطفاه وقواه على مقاومته
كالانبيا والرسل فالانبيا والرسل وسايط بين الله وبين خلقه يبلغونهم
اوامره ونواهيه ووعده ووعيده ويعرفونهم ما لم يعلموه من امره
وخلقه وجلاله وسلطانه وجبروته وملكوته فظواهرهم واجسادهم
وبنيتهم متصفة باوصاف البشر طارى عليها ما يطرا على البشر
من الاعراض والاسقام والموت والفنا ونعوت الانسانية وارواحهم
وبواطنهم متصفة باعلى من اوصاف البشر متعلقة بالملا الاعلى
متشبهة بصفات الملايكه سليمة من التغير والافات لا يلحقها
غالبا عجز البشرية ولا ضعف الانسانية اذ لو كانت بواطنهم خالصة
للبشرية كظواهرهم لما اطاقوا الاخذ عن الملايكه ورويتهم ومخاطبتهم
ومخالطتهم كما لا يطيقه غيرهم من البشر ولو كانت اجسامهم
وظواهرهم متسمة بنعوت الملايكه وبخلاف صفات البشر لما اطاق
البشر ومن ارسلوا اليه مخالطتهم كما تقدم من قول الله تعالى
فجعلوا من جهة الاجسام والظواهر مع البشر ومن جهة الارواح
والبواطن مع الملايكه كما قال عليه السلام لو كنت متخذا من
امتي خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن اخوة الاسلام لكن صاحبكم
خليل الرحمن وكما قال تنام عيناي ولا ينام قلبي وقال اني لست

كهيئتكم اني اظل يطعمني ربي ويسقيني فبواطنهم منزهة عن
الافات مطهرة من النقايص والاعتلالات وهذه جملة لن يكتفي
بمضمونها كل همة بل الاكثر يحتاج الى بسط وتفصيل على ما ناتي به
بعد هذا في البابين بعون الله تعالى وهو حسبي ونعم الوكيل

الباب الاول

فيما يختص بالامور الدينية والكلام في عصمة نبينا وساير الانبيا
صلوات الله عليهم اجمعين قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه
اعلم ان الطوارى من التغيرات والافات على احاد البشر لا يخلوا
ان يطرا على جسمه او حواسه بغير قصد واختيار كالامراض والاسقام
او يطرا بقصد واختيار وكله في الحقيقة عمل وفعل ولكن جرى رسم
المشايخ بتفصيله الى ثلاثة انواع عقد بالقلب وقول باللسان
وعمل بالجوارح وجميع البشر تطرا عليهم الافات والتغيرات
بالاختيار وبغير الاختيار في هذه الوجوه كلها والنبي صلى الله عليه
وسلم وان كان من البشر ويجوز على جبلة البشر فقد قامت
البراهين القاطعة وتمت كلمة الاجماع على خروجه عنهم وتنزيهه عن
كثير من الافات التي تقع على الاختيار وعلى غير الاختيار كما سنبينه
ان شا الله فيما ياتي به من التفاصيل **فصل** في حكم عقد قلب
النبي من وقت نبوته اعلم منحنا الله واياك توفيقه ان ما تعلق منه
بطريق التوحيد والعلم بالله وصفاته والايمان به وبما اوحي اليه

فعلى غاية المعرفة ووضوح العلم واليقين والانتفاء عن الجهل
بشيء من ذلك او الشك او الريب فيه والعصمة من كل ما يضاد
المعرفة بذلك واليقين هذا ما وقع اجماع المسلمين عليه ولا يصح
بالبراهين الواضحة ان يكون في عقود الانبيا سواه ولا تعترض على هذا
بقول ابرهيم عليه السلم قال بلى ولكن ليطمئن قلبي اذ لم يشك
ابرهيم في اخبار الله تعالى له باحياء الموتى ولكن اراد طمانينة القلب
وترك المنازعة لمشاهدة الاحيا فحصل له العلم الاول بوقوعه
واراد العلم الثاني بكيفيته ومشاهدته الوجه الثاني ان
ابرهيم عليه السلم انما اراد اختبار منزلته عند ربه وعلم اجابة
دعوته بسؤال ذلك من ربه ويكون قوله اولم تؤمن بصدق
منزلتك مني وخلتك واصطفائك الوجه الثالث انه سال
زيادة يقين وقوة طمانينة اي وان لم يكن في الاول شك اذ
العلوم الضرورية والنظرية قد تتفاضل في قوتها وطريان
الشكوك على الضروريات ممتنع ويجوز في النظريات فاراد
الانتقال من النظر والخبر الى المشاهدة والترقي من علم اليقين
الى عين اليقين فليس الخبر كالمعاينة ولهذا قال سهل بن عبد
الله سال كشف غطاء العيان ليزداد بنور اليقين تمكنا في
حاله الوجه الرابع انه لما احتج على المشركين بان ربه يحيي
ويميت طلب ذلك من ربه ليصح احتجاجه عيانا الوجه

الخامس

الخامس قول بعضهم هو سؤال على طريق الادب المراد اقدرني على
احياء الموتى وقوله ليطمئن قلبي عن هذه الامنية الوجه السادس
انه اري من نفسه الشك وما شك لكن ليجاوب فيزداد قربة وقول
نبينا عليه السلم نحن احق بالشك من ابرهيم نفي لان يكون ابرهيم
شك وابعاد للخواطر الضعيفة ان تظن هذا بابرهيم اي نحن
موقنون بالبعث واحياء الله الموتى فلو شك ابرهيم لكنا اولى بالشك
منه اما على طريق الادب او ان تريد امته الذين يجوز عليهم الشك
او على طريق التواضع والاشفاق ان حملت قصة ابرهيم على اختبار حاله
او زيادة يقينه فان قلت فما معنى قوله فان كنت في شك مما انزلنا
اليك فاسال الذين يقرؤن الكتاب من قبلك الايتان فاحذر ثبت
الله قلبك ان يخطر ببالك ما ذكره فيه بعض المفسرين عن ابن عباس
او غيره من اثبات شك للنبي صلى الله عليه وسلم فيما اوحي اليه وانه
من البشر فمثل هذا لا يجوز عليه جملة بل قد قال ابن عباس لم يشك
النبي ولم يسئل ونحوه عن ابن جبير والحسن وحكى قتادة ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال ما اشك ولا اسال وعامة المفسرين على
هذا واختلفوا في معنى الاية فقيل المراد قل يا محمد للشاك ان كنت
في شك الاية قالوا وفي السورة نفسها ما دل على هذا التاويل قوله
قل يايها الناس ان كنتم في شك من ديني الاية وقيل المراد بالخطاب
العرب وغير النبي صلى الله عليه وسلم كما قال لئن اشركت ليحبطن

علك الآيه الخطاب له والمراد غيره ومثله فلا تك في مرية مما يعبد
هولاء ونظيره كثير وقال بكر بن العلاء الاراه يقول ولا تكونن
من الذين كذبوا بايات الله وهو عليه السلام كان المكذب فيما يدعوا
اليه فكيف يكون ممن كذب به فهذا كله يدل على ان المراد بالخطاب
غيره ومثل هذه الآيه قوله الرحمن فاسئل به خبيرا المأمور هاهنا غير
النبي صلى الله عليه وسلم ليسئل والنبي صلى الله عليه وسلم هو الخبير
المسئول لا المستخبر السايل وقال ان هذا الشك الذي امر به غير النبي
صلى الله عليه وسلم بسوال الذين يقرون الكتاب انما هو فيما قصه من
اخبار الامم لا في ما دعا اليه من التوحيد والشريعه ومثل هذا قوله
تعالى واسال من ارسلنا قبلك من رسلنا الآيه المراد به المشركون
والخطاب مواجهه للنبي صلى الله عليه وسلم قاله القتبي وقيل معناه
سلنا عن من ارسلنا من قبلك فحذف الخافض وتم الكلام ثم ابتدا اجعلنا
من دون الرحمن الآيه على طريق الانكار اي ما جعلنا حكاه مكي وقيل
امر النبي صلى الله عليه وسلم ان يسال الانبيا ليله الاسراء عن ذلك
فكان اشد يقينا من ان يحتاج الى السوال فروي انه قال
لا اسال قد اكتفيت قاله ابن زيد وقال سل امم من ارسلنا هل جاوهم
بغير التوحيد وهو معنى قول مجاهد والسدي والضحاك وقتاده
والمراد بهذا والذي قبله اعلامه بما بعثت به الرسل وانه تعالى لم
ياذن في عباده غيره لاحد ردا على مشركي العرب وغيرهم في قولهم

انما نعبدهم ليقربونا الى الله زلفى وكذلك قوله تعالى والذين اتيناهم
الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين اي في علمهم
بانك رسول الله وان لم يقروا بذلك وليس المراد شكه فيما ذكر في
اول الآيه وقد تكون ايضا على مثل ما تقدم اي قل لمن امترى يا محمد
في ذلك لا تكونن من الممترين بدليل قوله تعالى افغير الله ابتغي حكما الآيه
وان النبي صلى الله عليه وسلم يخاطب بذلك غيره وقيل هو تقرير كقوله
أأنت قلت للناس اتخذوني وامي الهين وقد علم انه لم يقل وقيل معناه
ما كنت في شك فسل تزدد طمانينه وعلما الى علمك ويقينك وقيل ان
كنت تشك فيما شرفناك وفضلناك به فسلهم عن صفتك في الكتب
ونشر فضايلك وروي عن ابي عبيده ان المراد ان كنت في شك من
غيرك فيما انزلنا فان قيل فما معنى قوله حتى اذا استيئس الرسل
وظنوا انهم قد كذبوا على قراه التخفيف قلنا المعنى في ذلك ما قالته عايشه
معاذ الله ان تظن ذلك الرسل بربها وانما معنى ذلك ان الرسل لما
استيئسوا ظنوا ان من وعدهم النصر من اتباعهم كذبوهم وعلى هذا اكثر
المفسرين وقيل ان الضمير في ظنوا عايد على الاتباع والامم لا على الانبياء
والرسل وهو قول ابن عباس والنخعي وابن جبير وجماعه من العلماء وبهذا
المعنى قرا مجاهد كذبوا بالفتح فلا يشغل بالك من شاذ التفسير سواه
مما لا يليق بمنصب العلماء فكيف بالانبياء وكذلك ما ورد في حديث
السيره ومبتدا الوحي من قوله لخديجه لقد خشيت على نفسي ليس

معناه الشك فيما آتاه الله بعد رؤية الملك ولكن لعله خشي أن لا
تحتمل قوته مقاومة الملك وأعباء الوحي فينخلع قلبه أو تزهق نفسه
هذا على ما ورد في الصحيح أنه قاله بعد لقاء الملك أو يكون ذلك قبل
لقائه الملك وإعلام الله تعالى له بالنبوة لأول ما عرضت عليه من العجائب
وسلم عليه الحجر والشجر وبدأته المنامات والتباشير كما روي في بعض
طرق هذا الحديث أن ذلك كان أولا في المنام ثم أري في اليقظة مثل
ذلك تأنيسا له عليه السلام لئلا يفجأه الأمر مشاهدة ومشافهة
فلا يحتمله لأول حالة بنية البشرية وفي الصحيح عن عائشة أول ما
بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة قالت
ثم حبب إليه الخلاء وقالت إلى أن جاءه الحق وهو في غار حراء الحديث
وعن ابن عباس مكث النبي صلى الله عليه وسلم بمكة خمس عشرة سنة
يسمع الصوت ويرى الضوء سبع سنين ولا يرى شيئا وثمان سنين
يوحى إليه وقد روى ابن إسحاق عن بعضهم أن النبي صلى الله عليه وسلم
ذكر جواره بغار حراء قال فجاءني وأنا نائم فقال اقرأ
فقلت ما أقرأ وذكر نحو حديث عائشة في غطه له وإقرائه اقرأ باسم
ربك السورة قال فانصرف عني وهببت من نومي فكأنما صورت
في قلبي ولم يكن أبغض إلي من شاعر أو مجنون وقلت من نومي فكأنها
قلت لا تحدث عني قريش بهذا أبدا لأعمدن إلى حالق من الجبل
فلأطرحن نفسي منه فلأقتلنها فبينا أنا عامد لذلك إذ سمعت

منادياً ينادي من السماء يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل فرفعت
رأسي فإذا جبريل على صورة رجل وذكر الحديث فقد بين في هذا أن
قوله لما قال وقصده لما قصد إنما كان قبل لقائه جبريل عليهما السلام
وقبل إعلام الله له بالنبوة وإظهاره اصطفاءه له بالرسالة ومثله
حديث عمرو بن شرحبيل أنه عليه السلام قال لخديجة إني إذا خلوت
وحدي سمعت نداء وقد خشيت والله أن يكون هذا لأمر ومن رواية
حماد بن سلمة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لخديجة إني لأسمع صوتا
وأرى ضوءا وأخشى أن يكون بي جنون وعلى هذا يتأول لو صح قوله في
بعض الأحاديث إن الأبعد شاعر أو مجنون وألفاظ يفهم منها معاني
الشك في تصحيح ما رآه وأنه كان كله في ابتداء أمره وقبل لقاء الملك
إليه وإعلام الله أنه رسول فكيف وبعض هذه الألفاظ لا تصح طرقها
وأما بعد إعلام الله تعالى له ولقائه الملك فلا يصح فيه ريب ولا يجوز
عليه شك فيما ألقي إليه وقد روى ابن إسحاق عن شيوخه أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم كان يرقى بمكة من العين قبل أن ينزل عليه
فلما نزل عليه القرآن أصابه نحو ما كان يصيبه فقالت له خديجة
أوجه إليك من يرقيك قال أما الآن فلا وحديث خديجة
واختبارها أمر جبريل بكشف رأسها الحديث إنما ذلك في حق خديجة لتتحقق
صحة نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن الذي يأتيه ملك ويزول
الشك عنها لا أنها فعلت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم وليختبر هو حاله

بذلك بل قد ورد في حديث عبد الله بن محمد بن يحيى بن عروة عن هشام
عن أبيه عن عائشة أن ورقة أمر خديجة أن تخبر الأمر بذلك وفي
حديث إسمعيل بن أبي حكيم أنها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابن
عم هل تستطيع أن تخبرني بصاحبك إذا جاءك قال نعم فلما جاء جبريل
أخبرها فقالت له اجلس إلى شقي وذكر الحديث إلى آخره وفيه فقالت
ما هذا شيطان هذا الملك يا ابن عم فاثبت وأبشر وآمنت به فهذا يدل
أنها مستثبتة لما فعلته لنفسها ومستظهرة لإيمانها لا للنبي صلى الله
عليه وسلم وقول معمر في فترة الوحي فحزن النبي صلى الله عليه وسلم
فيما بلغنا حزنا غدا منه مرارا كي يتردى من رؤوس شواهق الجبال
لا يقدح في هذا الأصل لقول معمر عنه فيما بلغنا ولم يسنده ولا ذكر
رواته ولا من حدث به ولا أن النبي صلى الله عليه وسلم قاله ولا يعرف
مثل هذا إلا من جهة النبي صلى الله عليه وسلم مع أنه قد يحمل على أنه
كان أول الأمر كما ذكرناه أو أنه فعل ذلك لما أخرجه من تكذيب
من بلغه كما قال تعالى فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم
يؤمنوا بهذا الحديث أسفا ويصحح معنى هذا التأويل حديث رواه
شريك عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر بن عبد الله أن المشركين
لما اجتمعوا بدار الندوة للتشاور في شأن النبي صلى الله عليه وسلم
واتفق رأيهم على أن يقولوا إنه ساحر اشتد ذلك عليه وتزمل في
ثيابه وتدثر فيها فأتاه جبريل فقال يا أيها المزمل يا أيها

المدثر أو خاف أن الفزع لأمر أو سبب منه فخشي أن يكون
عقوبة من ربه ففعل ذلك بنفسه ولم يرد بعد شرع بالنهي عن
ذلك فيعترض به ونحو هذا فرار يونس عليه السلم خشية تكذيب
قومه له لما وعدهم به من العذاب وقول الله في يونس فظن أن لن
نقدر عليه معناه لن نضيق عليه قال مكي طمع في رحمة الله
وأن لا يضيق عليه مسالكه في خروجه وقيل حسن ظنه بمولاه أنه
لا يقضي عليه العقوبة وقيل نقدر عليه ما أصابه وقد قرئ نقدر
عليه بالتشديد وقيل نؤاخذه بغضبه وذهابه وقال ابن زيد معناه
أفظن أن لن نقدر عليه على الاستفهام ولا يليق أن يظن بنبي أن يجهل
صفة من صفات ربه وكذلك قوله إذ ذهب مغاضبا الصحيح مغاضبا
لقومه لكفرهم وهو قول ابن عباس والضحاك وغيرهم لا لربه إذ مغاضبة
الله معاداة ومعاداة الله كفر لا يليق بالمومنين فكيف بالأنبياء وقيل
مستحييا من قومه أن يسموه بالكذب أو يقتلوه كما ورد في الخبر وقيل
مغاضبا لبعض الملوك فيما أمره به من التوجه إلى أمر أمره الله به على
لسان نبي آخر فقال له يونس غيري أقوى عليه مني فعزم عليه فخرج
لذلك مغاضبا وقد روي عن ابن عباس أن إرسال يونس ونبوته إنما
كان بعد أن نبذه الحوت واستدل من الآية بقوله تعالى فنبذناه
بالعراء وهو سقيم وأنبتنا عليه شجرة من يقطين وأرسلناه ونستدل
أيضا بقوله ولا تكن كصاحب الحوت وذكر القصة ثم قال فاجتباه

ربه فجعله من الصالحين فيكون هذه القصه اذا قبل نبوته
فان قيل فما معنى قوله عليه السلام انه ليغان على قلبى فاستغفره
الله كل يوم مايه مرة وفى طريق فى اليوم سبعين مرة فاحذر ان يقع
ببالك ان يكون هذا الغين وسوسه او ريبًا وقع فى قلبه عليه السلام
بل اصل الغين فى هذا ما يتغشى القلب ويغطيه قاله ابو عبيد واصله
من غين السماء وهو اطباق الغيم عليها وقال غيره والغين شى يغشى القلب
ولا يغطيه كل التغطيه كالغيم الرقيق الذى يعرض فى الهواء فلا يمنع
ضو الشمس وكذلك لا يفهم من الحديث انه يغان على قلبه مايه مره
او اكثر من سبعين فى اليوم اذ ليس يقتضيه لفظه الذى ذكرناه وهو
اكثر الروايات وانما هذا عدد للاستغفار لا للغين فيكون المراد
بهذا الغين اشاره الى غفلات قلبه وفترات نفسه وسهوها عن مداومه
الذكر ومشاهده الحق بما كان صلى الله عليه وسلم دفع اليه من مقاساه
البشر وسياسه الامه ومعاناه الاهل ومقاومه الولى والعدو
ومصلحه النفس وكلفه من اعبا اداء الرساله وحمل الامانه وهو فى كل
هذا فى طاعه ربه وعباده خالقه ولكن لما كان صلى الله عليه وسلم ارفع
الخلق عند الله مكانه واعلاهم درجه واتمهم به معرفه وكانت
حاله عند خلوص قلبه وخلو همه وتفرده بربه واقباله بكليته عليه
ومقامه هنالك ارفع حاليه راى عليه السلام حال فترته عنها
وشغله بسواها غضًا على حاله وخفضًا من رفيع مقامه فاستغفر الله

من ذلك هذا اولا واشبهها والى معنا ما اشرنا به مال كثير من الناس
وحام حوله فقارب ولم يرد وقد قربنا غامض معناه وكشفنا للمستفيد محياه
وهو مبنى على جواز الفترات والغفلات والسهو فى غير طريق البلاغ على ما
سياتى وذهبت طايفه من ارباب القلوب ومشيخه المتصوفه ممن قال بتنزيه
النبى صلى الله عليه وسلم عن هذا جمله واجله ان يجوز عليه فى حال سهو او
فتره الى ان معنى الحديث ما يهم خاطره ويغم فكره من امر امته عليه السلام لاهتمامه
بهم وكثره شفقته عليهم فيستغفر لهم قالوا وقد يكون الغين هاهنا على قلبه
السكينه التى تتغشاه لقوله تعالى فانزل الله سكينته عليه ويكون استغفاره
عليه السلام عندها اظهارًا للعبوديه والافتقار وقال ابن عطاء
استغفاره وفعله هذا تعريف للامه تحملهم على الاستغفار وقال غيره
ويستشعرون الحذر ولا يركنون الى الامن وقد يحتمل ان يكون هذه الاغانه
حاله خشيه واعظام يغشى قلبه فيستغفر حينئذ شكرا لله وملازمه
لعبوديته كما قال فى ملازمه العباده افلا اكون عبدا شكورا وعلى هذه
الوجوه الاخيره يحمل ما روى فى بعض طرق هذا الحديث عنه عليه السلام
انه ليغان على قلبى فى اليوم اكثر من سبعين مرة فاستغفر الله فان قلت
فما معنى قوله تعالى لمحمد عليه السلام ولو شا الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن
من الجاهلين وقوله لنوح عليه السلام فلا تسالنى ما ليس لك به علم انى
اعظك ان تكون من الجاهلين فاعلم انه لا يلتفت فى ذلك الى قول من قال
فى اية نبينا عليه السلام لا تكونن ممن يجهل ان الله لو شا لجمعهم على الهدى

وفي آية نوح لا تكونن ممن يجهل ان وعد الله حق لقوله وان وعدك
الحق اذ فيه اثبات الجهل بصفة من صفات الله وذلك لا يجوز على الانبيا
والمقصود وعظهم الا يتشبهوا في امورهم بسمات الجاهلين كما قال
اني اعظك وليس في آية منها دليل على كونهم على تلك الصفة التي نهاهم
عن الكون عليها فكيف وآية نوح قبلها فلا تسالني ما ليس لك به علم فحمل
ما بعدها على ما قبلها اولى لان مثل هذا قد يحتاج الى اذن وقد تجوز
اباحة السوال فيه ابتدا فنهاه الله ان يسال عما طوى عنه علمه
واكنه من غيبه من السبب الموجب لهلاك ابنه ثم اكمل الله نعمته
عليه باعلامه ذلك بقوله انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح ۝
حكى ذلك معناه مكي كذلك امر نبينا في الآية الاخرى بالتزام
الصبر على اعراض قومه ولا يحرج عند ذلك فيقارب حال الجاهل
بشدة التحسر حكاه ابو بكر بن فورك وقيل معنى الخطاب لامة محمد
اي فلا تكونوا من الجاهلين حكاه ابو مكي وقال مثله في القران
كثير فبهذا الفصل وجب القول بعصمة الانبيا منه بعد النبوة قطعا
فان قلت فاذا قررت عصمتهم من هذا وانه لا يجوز عليهم
شي من ذلك فما معنى اذا وعيد الله لنبينا عليه السلم على ذلك
ان فعله وتحذيره منه كقوله لئن اشركت ليحبطن عملك الآية
وقوله ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك الآية وقوله ۝
اذا لاذقناك ضعف الحياة الآية وقوله لاخذنا منه باليمين ۝

وقوله وان تطع اكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله وقو
فان يشا الله يختم على قلبك وقوله وان لم تفعل فما بلغت رسالته
وقوله اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين فاعلم وفقنا الله واياك
انه عليه السلم لا يصح ولا يجوز عليه ان لا يبلغ وان يخالف امر ربه
ولا ان يشرك ولا يتقول على الله ما لا يجب او يفتري عليه او يضل
او يختم على قلبه او يطيع الكافرين لكن يسر امره بالمكاشفة والبيان في
البلاغ للمخالفين وان ابلاغه ان لم يكن بهذه السبيل فكانه ما بلغ
وطيب نفسه وقوى قلبه بقوله والله يعصمك من الناس كما قال
لموسى وهارون لا تخافا لتشتد بصايرهم في الابلاغ واظهار دين الله ۝
ويذهب عنهم خوف العدو المضعف للنفس واما قوله ولو تقول علينا
بعض الاقاويل الآية وقوله اذا لاذقناك ضعف الحياة فمعناه ان هذا
جزا من فعل هذا وجزاوك لو كنت ممن يفعله وهو لا يفعله وكذلك
قوله وان تطع اكثر من في الارض يضلوك فالمراد غيره كما قال ان تطيعوا
الذين كفروا الآية وقوله ان يشا الله يختم على قلبك ولئن اشركت ليحبطن
عملك وما اشبهه فالمراد غيره وان هذه حال من اشرك والنبي صلى الله
عليه وسلم لا يجوز عليه هذا وقوله اتق الله ولا تطع الكافرين فليس فيه
انه اطاعهم والله ينهاه عما يشا ويامره بما يشا كما قال ولا تطرد الذين ۝
يدعون ربهم الآية وما كان طردهم عليه السلام ولا كان من الظالمين
فصل واما عصمتهم من هذا الفن قبل النبوة فللناس فيه

خلاف والصواب أنهم معصومون قبل النبوة من الجهل
بالله وصفاته والتشكك في شيء من ذلك وقد تعاضدت الاخبار والاثار
بتنزيههم عن هذه النقيصة منذ ولدوا ونشأتهم على التوحيد
والايمان بل على اشراق انوار المعارف ونفحات الطاف السعادة
كما نبهنا عليه في الباب الثاني من القسم الاول من كتابنا هذا ولم
ينقل احد من اهل الاخبار ان احدا نبي واصطفي ممن عرف بكفر واشراك
قبل ذلك ومستند هذا الباب النقل وقد استدل بعضهم بان
القلوب تنفر عمن كانت هذه سبيله وانا اقول ان قريشا قد رمت
نبينا بكل ما افترته وعير كفار الامم انبياءهم بكل ما امكنها واختلقته
مما نص الله عليه او نقلته الينا الرواة ولم نجد في شيء من ذلك تعييرا
لواحد منهم برفضه آلهتهم وتقريعه بذمه بترك ما كان قد جامعهم عليه
ولو كان هذا لكانوا بذلك مبادرين وبتلونه في معبوده
محتجين ولكان توبيخهم له بنهيهم عما كان يعبد قبل افظع واقطع في الحجة
من توبيخه بنهيهم عن تركهم آلهتهم وما كان يعبد اباؤهم من قبل
ففي اطباقهم على الاعراض عنه دليل على انهم لم يجدوا سبيلا اليه
اذ لو كان لنقل وما سكتوا عنه كما لم يسكتوا عند تحويل القبلة
وقالوا ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها كما حكاه الله عنهم
وقد استدل القاضي القشيري على تنزيههم بقوله تعالى واذ اخذنا
من النبيين ميثاقهم ومنك الاية وبقوله واذ اخذ الله ميثاق

النبيين الى قوله لتؤمنن به ولتنصرنه قال فطهره الله في الميثاق
وبعيد ان ياخذ منه الميثاق قبل خلقه ثم ياخذ ميثاق النبيين بالايمان
به ونصره قبل مولده بدهور ويجوز عليه الشرك او غيره من الذنوب
هذا ما لا يجوزه الا ملحد هذا معنى كلامه وكيف يكون ذلك وقد
اتاه جبريل وشق قلبه صغيرا واستخرج منه علقة وقال هذا حظ
الشيطان منك ثم غسله وملأه حكمة وايمانا كما تظاهرت به
اخبار المبدأ ولا يشبه عليك بقول ابرهيم في الكوكب والقمر
والشمس هذا ربي فانه قد قيل كان هذا في سن الطفولية وابتداء
النظر والاستدلال وقبل لزوم التكليف وذهب معظم الحذاق
من العلماء والمفسرين الى انه انما قال ذلك مبكتا لقومه ومستدلا
عليهم وقيل معناه الاستفهام الوارد مورد الانكار والمراد
فهذا ربي قال الزجاج قوله هذا ربي اي على قولكم كما قال
اين شركاي اي عندكم ويدل على انه لم يعبد شيئا من ذلك ولا
اشرك قط بالله طرفة عين قول الله عز وجل عنه اذ قال لابيه وقومه
ما تعبدون ثم قال افرأيتم ما كنتم تعبدون انتم واباؤكم الاقدمون
فانهم عدو لي الا رب العالمين وقال اذ جاء ربه بقلب سليم اي من
الشرك وقوله واجنبني وبني ان نعبد الاصنام فان قلت
فما معنى قوله لئن لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين قيل انه
ان لم يؤيدني بمعونته اكن مثلكم في ضلالكم وعبادتكم على

معنى الإشفاق والحذر والا فهو معصوم في الأزل من
الضلال فإن قلت فما معنى قوله تعالى وقال الذين كفروا لرسلهم
لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن في ملتنا ثم قال بعد عن الرسل قد
افترينا على الله كذبا إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها فلا
يشكل عليك لفظة العود وأنها تقتضي أنما يعودون إلى ما كانوا
فيه من ملتهم فقد تأتي هذه اللفظة في كلام العرب لغير ما ليس له
ابتداء بمعنى الصيرورة كما جاء في حديث الجهنميين عادوا حمما ولم
يكونوا قبل كذلك ومثله قول الشاعر فعادا بعد أبوالا
وما كانوا قبل كذلك فإن قلت وما معنى قوله تعالى ووجدك
ضالا فهدى فليس هو من الضلال الذي هو الكفر قيل ضالا عن
النبوة فهداك إليها قاله الطبري وقيل وجدك من أهل الضلال
فعصمك من ذلك وهداك للإيمان وإلى إرشادهم ونحوه عن السدي
وغير واحد وقيل ضالا عن شريعتك أي لا تعرفها فهداك إليها
والضلال هاهنا التحير ولهذا كان عليه السلام يخلو بغار حراء
في طلب ما يتوجه به إلى ربه ويتشرع به حتى هداه الله إلى الإسلام
قال معناه القشيري وقيل لا تعرف الحق فهداك إليه وهذا
مثل قوله وعلمك ما لم تكن تعلم قاله علي بن عيسى وقال ابن عباس لم
يكن له ضلالة معصية وقيل هدى أي بين أمرك بالبراهين
وقيل وجدك ضالا بين مكة والمدينة فهداك إلى المدينة

وقيل المعنى وجدك فهدى بك ضالا وعن جعفر بن محمد ووجدك
ضالا عن محبتي لك في الأزل أي لا تعرفها فمننت عليك بمعرفتي وقرأ
الحسن بن علي ووجدك ضال فهدى أي اهتدى بك وقال ابن عطاء
ووجدك ضالا أي محبا لمعرفتي والضال المحب كما قال إنك لفي
ضلالك القديم أي محبتك القديمة ولم يريدوا هاهنا في الدين
إذ لو قالوا ذلك في نبي الله لكفروا ومثله عند هذا قوله إنا لنراها
في ضلال مبين أي محبة بينة وقال الجنيد ووجدك متحيرا
في بيان ما أنزل إليك فهداك لبيانه لقوله وأنزلنا إليك الذكر
الآية وقيل وجدك لم يعرفك أحد بالنبوة حتى أظهرك فهدى بك
السعداء ولا أعلم أحدا قال من المفسرين فيها ضالا عن الإيمان وكذلك
في قصة موسى عليه السلام قوله فعلتها إذا وأنا من الضالين أي من
المخطئين الفاعلين شيئا بغير قصد قاله ابن عرفة وقال
الأزهري معناه من الناسين وقد قيل ذلك في قوله ووجدك
ضالا فهدى أي ناسيا كما قال أن تضل إحداهما فإن قلت فما معنى
قوله تعالى ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان فالجواب
أن السمرقندي قال معناه ما كنت تدري قبل الوحي أن تقرأ القرآن ولا كيف
تدعو الخلق إلى الإيمان وقال بكر القاضي نحوه قال ولا الإيمان
الذي هو الفرائض والأحكام قال فكان قبل مؤمنا بتوحيده ثم نزلت
الفرائض التي لم يكن يدريها قبل فزاد بالتكليف إيمانا وكذلك الحديث

الذي رواه عثمان بن ابي شيبة بسنده عن جابر ان النبي صلى الله عليه
وسلم قد كان يشهد مع المشركين مشاهدهم فسمع ملكين خلفه
احدهما يقول لصاحبه اذهب حتى تقوم خلفه فقال الاخر كيف
اقوم خلفه وعهده باستلام الاصنام فلم يشهدهم بعد فهذا
حديث انكره احمد بن حنبل جدا وقال هذا موضوع او شبيه بالموضوع
وقال الدارقطني يقال ان عثمان وهم في اسناده والحديث بالجملة
منكر ليس متفق على اسناده فلا يلتفت اليه والمعروف عن النبي
صلى الله عليه وسلم خلافه عند اهل العلم من قوله بغضت الي
الاصنام وقوله في الحديث الاخر الذي روته ام ايمن حين كلمه
عمه واله في حضور بعض اعيادهم فعزموا عليه فيه بعد كراهيته
لذلك فخرج معهم ورجع مرعوبا فقال كلما دنوت منها من صنم
تمثل لي شخص ابيض طويل يصيح بي وراك لا تمسه فما شهد بعد لهم عيدا
وقوله في قصة بحيرا حين استحلف النبي صلى الله عليه وسلم باللات والعزى
اذ لقيه بالشام في سفرته مع عمه ابي طالب وهو صبي وراى فيه علامات
النبوة فاختبره بذلك فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لا تسالني
بهما فوالله ما ابغضت شيئا قط بغضهما فقال له بحيرا فبالله الا
ما اخبرتني عما اسالك عنه فقال سل عما بدا لك وكذلك المعروف
من سيرته عليه السلم وتوفيق الله له انه كان قبل نبوته يخالف
المشركين في وقوفهم بمزدلفة في الحج فكان يقف هو بعرفة لانه كان

موقف ابرهيم عليه السلم فصل قال القاضي ابو الفضل
رضي الله عنه قد بان بما قدمناه عقود الانبيا في التوحيد والايمان
والوحي وعصمتهم في ذلك على ما بيناه فاما ما عدا هذا الباب من
عقود قلوبهم فجماعها انها مملوءة علما ويقينا على الجملة وانها قد احتوت
من المعرفة والعلم بامور الدين والدنيا ما لا شي فوقه ومن طالع الاخبار
واعتنى بالحديث وتامل ما قلناه وجده وقد قدمنا منه في حق نبينا
في الباب الرابع اول قسم من هذا الكتاب ما ينبهك على ما وراه الا ان
احوالهم في هذه المعارف تختلف واما ما تعلق منها بامر الدنيا فلا
يشترط في حق الانبيا العصمة من عدم معرفة الانبيا ببعضها او اعتقادها
على خلاف ما هي عليه ولا وصم عليهم فيه اذ هممهم متعلقة بالاخرة
وانبايها وامر الشريعة وقوانينها وامور الدنيا تضادها بخلاف
غيرهم من اهل الدنيا الذين يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الاخرة
هم غافلون كما سنبين هذا في الباب الثاني ان شا الله ولكنه لا يقال
انهم لا يعلمون شيا من امر الدنيا فان ذلك يودي الى الغفلة والبله
وهم المنزهون عنه بل قد ارسلوا الى اهل الدنيا وقلدوا سياستهم
وهدايتهم والنظر في مصالح دينهم ودنياهم وهذا لا يكون مع عدم
العلم بامور الدنيا بالكلية واحوال الانبيا وسيرهم في هذا
الباب معلومة ومعرفتهم بذلك كله مشهورة واما ان كان هذا
العقد مما يتعلق بالدين فلا يصح من النبي الا العلم به ولا يجوز عليه جهالة

جملة لانه لا يخلو ان يكون حصل بذلك عن وحي من الله فهو ما لا
يصح منه الشك فيه على ما قدمناه فكيف الجهل بل حصل له العلم
اليقين او يكون فعل ذلك باجتهاده فيما لم ينزل عليه فيه شي على القول
بتجويز وقوع الاجتهاد منه في ذلك على قول المحققين وعلى مقتضى
حديث ام سلمة اني انما اقضي بينكم برأيي فيما لم ينزل علي فيه خرجه
الثقات وكقصة اسرى بدر والاذن للمتخلفين على رأي بعضهم
فلا يكون ايضا ما يعتقده مما يثمره اجتهاده الا حقا وصحيحا هذا هو
الحق الذي لا يلتفت الى خلاف من خالف فيه لا على القول بتصويب
المجتهدين الذي هو الحق والصواب عندنا ولا على القول الاخر بان الحق
في طرف واحد لعصمة النبي صلى الله عليه وسلم من الخطا في الاجتهاد
في الشرعيات ولان القول في تخطية المجتهد انما هو بعد استقرار الشرع
ونظر النبي واجتهاده انما هو فيما لم ينزل عليه فيه شي ولم يشرع له قبل
هذا فيما عقد عليه صلى الله عليه وسلم قلبه واما ما لم يعقد عليه قلبه
من امور النوازل الشرعية فقد كان لا يعلم منها اولا الا ما علمه الله
شيا شيا حتى استقر علم جملتها عنده اما بوحي من الله او اذن ان يشرع
في ذلك ويحكم بما اراه الله وقد كان ينتظر الوحي في كثير منها ولكنه لم
يمت حتى استفرغ علم جميعها عنده عليه السلام وتقررت معارفها
لديه على التحقيق ورفع الشك والريب وانتفاء الجهل وبالجملة فلا يصح منه
الجهل بشي من تفاصيل الشرع الذي امر بالدعوة اليه اذ لا تصح دعوته

الى ما لا يعلمه واما ما تعلق بعقده من ملكوت السموات والارض
وخلق الله وتعيين اسمايه الحسنى واياته الكبرى وامور الاخرة
واشراط الساعة واحوال السعداء والاشقياء وعلم ما كان ويكون
مما لم يعلمه الا بوحي فعلى ما تقدم من انه معصوم فيه لا ياخذه فيما اعلم
منه شك ولا ريب بل هو فيه على غاية اليقين لكنه لا يشترط له العلم
بجميع تفاصيل ذلك وان كان عنده من علم ذلك ما ليس عند جميع
البشر لقوله اني لا اعلم الا ما علمني ربي ولقوله ولا خطر على قلب بشر
ولا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وقول موسى للخضر هل اتبعك
على ان تعلمن مما علمت رشدا وقوله صلى الله عليه وسلم اسالك باسمايك
الحسنى ما علمت منها وما لم اعلم وقوله اسالك بكل اسم سميت به نفسك
او استاثرت به في علم الغيب عندك وقد قال الله تعالى وفوق
كل ذي علم عليم قال زيد بن اسلم وغيره حتى ينتهي العلم الى الله وهذا ما
لا خفا به اذ معلوماته تعالى لا يحاط بها ولا منتهى لها هذا حكم عقد
النبي في التوحيد والشرع والمعارف والامور الدينية

فصل

واعلم ان الامة مجمعة على عصمة النبي من الشيطان وكفايته منه
لا في جسمه بانواع الاذى ولا على خاطره بالوسواس وقد اخبرنا القاضي
الحافظ ابو علي رحمه الله قال حدثنا ابو الفضل بن خيرون العدل حدثنا
ابو بكر البرقاني وغيره حدثنا ابو الحسن الدارقطني حدثنا اسمعيل
الصفار حدثنا عباس الترقفي حدثنا محمد بن يوسف حدثنا سفيان عن

منصور عن سالم بن أبي الجعد عن مسروق عن عبد الله بن مسعود
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم من أحد إلا
وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة قالوا وإياك يا رسول
الله قال وإياي ولكن الله أعانني عليه فأسلم زاد غيره عن منصور فلا
يأمرني إلا بخير وعن عائشة بمعناه وروي فأسلم بضم الميم أي فأسلم
أنا منه وصحح بعضهم هذه الرواية ورجحها وروي فأسلم يعني القرين
أنه انتقل عن حال كفره إلى الإسلام فصار لا يأمر إلا بخير كالملك
وهو ظاهر الحديث ورواه بعضهم فاستسلم قال القاضي أبو الفضل
رضي الله عنه فإذا كان هذا حكم شيطانه وقرينه المسلط على بني آدم
فكيف بمن بعد منه ولم يلزم صحبته ولا أقدر على الدنو منه وقد جاءت
الآثار بتصدي الشياطين له في غير موطن رغبة في إطفاء نوره
وإماتة نفسه وإدخال شغل عليه إذ يئسوا من إغوائه فانقلبوا
خاسرين كتعرضه له في صلاته فأخذه النبي صلى الله عليه وسلم وأسره
ففي الصحاح قال أبو هريرة عنه عليه السلام إن الشيطان عرض
لي قال عبد الرزاق في صورة هر فشد علي يقطع علي الصلاة فأمكنني
الله منه فذعته ولقد هممت أن أوثقه إلى سارية حتى تصبحوا تنظرون
إليه فذكرت قول أخي سليمان رب اغفر لي وهب لي ملكا الآية
فرده الله خاسئا وفي حديث أبي الدرداء عنه عليه السلام إن عدو
الله إبليس جاءني بشهاب من نار ليجعله في وجهي والنبي صلى الله عليه

وسلم في الصلاة وذكر تعوذه بالله منه ولعنه له ثم أردت أخذه وذكر
نحوه وقال لأصبح موثقا يتلاعب به ولدان أهل المدينة وكذلك في
حديثه في الإسراء وطلب عفريت له بشعلة من نار فعلمه جبريل ما يتعوذ
به منه ذكره في الموطأ ولما لم يقدر على أذاه بمباشرته تسبب بالتوسط
إلى عداه كقضيته مع قريش في الائتمار بقتل النبي صلى الله عليه وسلم
وتصوره في صورة الشيخ النجدي ومرة أخرى في غزوة يوم بدر في صورة
سراقة بن مالك وهو قوله تعالى وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم الآية
ومرة ينذر بشأنه عند بيعة العقبة وكل هذا قد كفاه الله أمره
وعصمه ضره وشره وقد قال عليه السلام إن عيسى عليه السلام
كفي من لمسه فجاء ليطعن بيده في خاصرته حين ولد فطعن في الحجاب وقال
عليه السلام حين لد في مرضه وقيل له خشينا أن يكون بك ذات الجنب
فقال إنها من الشيطان ولم يكن الله ليسلطه علي فإن قيل فما معنى
قوله تعالى وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله الآية فقد
قال بعض المفسرين إنها راجعة إلى قوله وأعرض عن الجاهلين
ثم قال وإما ينزغنك أي يستخفنك غضب يحملك على ترك الإعراض عنهم
فاستعذ وقيل النزغ هنا الفساد كما قال من بعد أن نزغ الشيطان
بيني وبين إخوتي وقيل ينزغنك يغرينك ويحركك والنزغ أدنى الوسوسة
فأمر الله تعالى أنه متى تحرك عليه غضب على عدوه أو رام الشيطان
من إغرائه به وخواطر أدنى وساوسه ما لم يجعل له سبيل إليه أن

يستعيذ منه فيكفى امره ويكون سبب تمام عصمته اذ لم
يسلط عليه باكثر من التعرض له ولم يجعل له قدرة عليه وقد قيل في هذه
الآية غير هذا وكذلك لا يصح ان يتصور له الشيطان في صورة الملك
ويلبس عليه لا في اول الرسالة ولا بعدها والاعتماد في ذلك دليل المعجز بل لا يشك
النبي ان ما يأتيه من الله الملك ورسوله حقيقة اما بعلم ضروري يخلقه
الله له او ببرهان يظهر لديه لتتم كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل
لكلماته فان قيل فما معنى قوله وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي
الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته الآية فاعلم ان للناس في معنى هذه
الآية اقاويل منها السهل والوعث والسمين والغث واولى ما يقال
فيها ما عليه الجمهور من المفسرين ان التمني هاهنا التلاوة والقاء
الشيطان فيها اشغاله بخواطر واذكار من امور الدنيا للتالي حتى يدخل
عليه الوهم والنسيان في ما تلاه او يدخل غير ذلك على افهام
السامعين من التحريف وسوء التأويل ما يزيله الله وينسخه ويكشف لبسه
ويحكم اياته وسيأتي الكلام على هذه الآية بعد باشبع من هذا ان شاء
الله وقد حكى السمرقندي انكار قول من قال بتسلط الشيطان
على ملك سليمان وغلبته عليه وان مثل هذا لا يصح وقد ذكرنا قصة
سليمان مبينة بعد هذا ومن قال ان الجسد هو الولد الذي ولد له
وقال ابو بكر محمد مكي في قصة ايوب وقوله اني مسني الشيطان بنصب
وعذاب انه لا يجوز لاحد ان يتأول ان الشيطان هو الذي امرضه

والقى الضر في بدنه ولا يكون ذلك الا بفعل الله وامره ليبتليهم
ويثيبهم قال مكي وقيل ان الذي اصابه الشيطان ما وسوس به الى اهله
فان قلت فما معنى قوله تعالى عن يوشع وما انسانيه الا الشيطان
وقوله عن يوسف فانساه الشيطان ذكر ربه وقول نبينا عليه السلام
حين نام عن الصلاة يوم الوادي ان هذا واد به شيطان وقول موسى
عليه السلام في وكزته هذا من عمل الشيطان فاعلم ان هذا الكلام قد
يرد في جميع هذا على مورد مستمر كلام العرب في وصفهم كل قبيح من شخص
او فعل بالشيطان او فعله كما قال تعالى كأنه رؤوس الشياطين وقال
صلى الله عليه وسلم فليقاتله فانما هو شيطان وايضا فان قول
يوشع لا يلزمنا الجواب عنه اذ لم تثبت له في ذلك الوقت نبوة مع موسى
قال الله تعالى واذ قال موسى لفتاه والمروي انه انما نبئ بعد موت
موسى وقيل قبل موته وقول موسى كان قبل نبوته بدليل القرآن وقصة
يوسف قد ذكر انها كانت قبل نبوته وقد قال المفسرون في قوله
تعالى فانساه الشيطان قولين احدهما ان الذي انساه الشيطان
ذكر ربه احد صاحبي السجن وربه الملك اي انساه ان يذكر للملك شأن
يوسف عليه السلام وايضا فان مثل هذا من فعل الشيطان ليس فيه
تسلط على يوسف ويوشع بوساوس ونزغ وانما هو بشغل خواطرهما
بامور اخر وتذكيرهما من امورهما ما ينسيهما ما نسيا واما قوله عليه
السلام ان هذا واد به شيطان فليس فيه ذكر تسلطه عليه ولا

وسوسته له بل ان كان بمقتضى ظاهره فقد بين امر ذلك الشيطان
بقوله ان الشيطان اتى بلالا فلم يزل يهديه كما يهدا الصبي حتى
نام فاعلم ان تسلط الشيطان في ذلك الوادي انما كان على بلال
الموكل بكلاءة الفجر هذا ان جعلنا قوله ان هذا واد به شيطان تنبيها
على سبب النوم عن الصلاة واما ان جعلناه تنبيها على سبب الرحيل
عن الوادي وعلة لترك الصلاة به وهو دليل مساق حديث زيد بن
اسلم فلا اعتراض به في هذا الباب لبيانه وارتفاع اشكاله ٥

فصل واما اقواله عليه السلم فقامت الدلائل الواضحة
بصحة المعجزة على صدقه واجمعت الامة فيما كان طريقه البلاغ انه
معصوم فيه من الاخبار عن شي بخلاف ما هو به لا قصدا وعمدا ولا
سهوا او غلطا اما تعمد الخلف في ذلك فمنتف بدليل المعجزة القايمة
مقام قول الله صدق فيما قال اتفاقا وباطباق اهل الملة اجماعا ٥
واما وقوعه على جهة الغلط في ذلك فبهذه السبيل عند الاستاذ
ابي اسحاق الاسفرايني ومن قال بقوله ومن جهة الاجماع فقط
وورود الشرع بانتفاء ذلك وعصمة النبي لا من مقتضى المعجزة نفسها
عند القاضي ابي بكر الباقلاني ومن وافقه لاختلاف بينهم في مقتضى
المعجزة لا نطول بذكره فنخرج عن غرض الكتاب فلنعتمد على ما ٥
وقع عليه اجماع المسلمين انه لا يجوز عليه خلف في القول في
ابلاغ الشريعة والاعلام بما اخبر به عن ربه وما اوحاه اليه من وحيه لا

على وجه العمد ولا غير عمد ولا في حالي الرضا والسخط والصحة
والمرض وفي حديث عبد الله بن عمرو قلت يا رسول الله اكتب كلما
اسمع منك قال نعم قلت في الرضى والغضب قال نعم فاني لا اقول في
ذلك كله الا حقا ولنزد ما اشرنا اليه من دليل المعجزة عليه بيانا
فنقول اذا قامت المعجزة على صدقه وانه لا يقول الا حقا ولا يبلغ
عن الله الا صدقا وان المعجزة قايمة مقام قول الله له صدقت فيما تذكره
عني وهو يقول اني رسول الله اليكم لابلغكم ما ارسلت به اليكم وابين
لكم ما نزل عليكم وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى وقد جاءكم
الرسول بالحق من ربكم وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه ٥
فانتهوا فلا يصح ان يوجد منه في هذا الباب خبر بخلاف مخبره على اي وجه
كان ولو جوزنا الغلط والسهو لما تميز لنا من غيره ولاختلط الحق بالباطل
فالمعجزة مشتملة على تصديقه جملة واحدة من غير خصوص فتنزيه النبي صلى
الله عليه وسلم عن ذلك كله واجب برهانا واجماعا كما قاله ابو اسحاق

فصل وقد توجهت ها هنا لبعض الطاعنين سؤالات منها
ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قرا سورة والنجم وقال افرايتم اللات والعزى
ومناة الثالثة الاخرى قال تلك الغرانيق العلا وان شفاعتهن لترتجى
ويروى ترتضى وفي رواية ان شفاعتها لترتجا وانها لمع الغرانيق العلى ٥
وفي اخرى والغرانقة العلى تلك الشفاعة ترتجا فلما ختم السورة سجد
وسجد معه المسلمون والكفار لما سمعوه اثنى على الهتهم وما وقع في

بعض الروايات ان الشيطان القاها على لسانه وان النبي صلى الله
عليه وسلم كان تمنى ان لو نزل عليه شي يقارب بينه وبين قومه وفي رواية
الا ينزل عليه شي ينفرهم عنه وذكر هذه القصة وان جبريل جاءه فعرض عليه
السورة فلما بلغ الكلمتين قال له ما جئتك بهاتين فحزن لذلك النبي صلى الله
عليه وسلم فانزل الله عز وجل تسلية له وما ارسلنا من قبلك من رسول
ولا نبي الاية وقوله وان كادوا ليفتنونك الاية فاعلم اكرمك الله ان لنا
في الكلام على مشكل هذا الحديث ماخذين احدهما في توهين اصله
والثاني على تسليمه اما الماخذ الاول فيكفيك ان هذا حديث لم يخرجه
احد من اهل الصحة ولا رواه ثقة بسند سليم متصل وانما اولع به
وبمثله المفسرون والمورخون المولعون بكل غريب المتلقفون من الصحف
كل صحيح وسقيم وصدق القاضي بكر بن العلاء المالكي حيث قال لقد بلي
الناس ببعض اهل الاهواء والتفسير وتعلق بذلك الملحدون مع ضعف
نقلته واضطراب رواياته وانقطاع اسناده واختلاف كلماته فقايل
يقول انه في الصلاة واخر يقول قالها في نادي قومه حين انزلت عليه
السورة واخر يقول قالها وقد اصابته سنة واخر يقول بل حدث
نفسه فسها واخر يقول ان الشيطان قالها على لسانه وان النبي صلى
الله عليه وسلم لما عرضها على جبريل قال ما هكذا اقراتك واخر يقول
بل اعلمهم الشيطان ان النبي صلى الله عليه وسلم قراها فلما بلغ النبي ذلك
قال والله ما هكذا انزلت الى غير ذلك من اختلاف الرواة ومن

حكيت هذه الحكاية عنه من المفسرين والتابعين لم يسندها احد
منهم ولا رفعها الى صاحب واكثر الطرق عنهم فيها ضعيفة واهية
والمرفوع فيه حديث شعبة عن ابي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فيما
احسب الشك في الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم كان بمكة وذكر
القصة قال ابو بكر البزار هذا الحديث لا نعلمه يروى عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال ابو بكر باسناد متصل يجوز ذكره الا هذا ولم يسنده
عن شعبة الا امية بن خالد وغيره يرسله عن سعيد بن جبير وانما يعرف
عن الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس فقد بين لك ابو بكر رحمه الله انه لا
يعرف من طريق يجوز ذكره سوى هذا وفيه من الضعف ما نبه عليه مع
وقوع الشك فيه كما ذكرناه الذي لا يوثق به ولا حقيقة معه واما
حديث الكلبي فما لا تجوز الرواية عنه ولا ذكره لقوة ضعفه وكذبه كما اشار
اليه البزار رحمه الله والذي منه في الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم
قرا والنجم وهو بمكة فسجد معه المسلمون والمشركون والجن
والانس هذا توهينه من طريق النقل فاما من جهة المعنى فقد قامت
الحجة واجمعت الامة على عصمته صلى الله عليه وسلم ونزاهته عن مثل
هذه الرذيلة اما من تمنيه ان ينزل عليه مثل هذا من مدح الهة غير الله
وهو كفر او ان يتسور عليه الشيطان ويشبه عليه القران حتى يجعل
فيه ما ليس منه حتى ينبهه عليه جبريل عليهما السلام وذلك كله ممتنع
في حقه عليه السلام او يقول ذلك النبي من قبل نفسه عمدا وذلك كفر

أو سهوا وهو معصوم من هذا كله وقد قررنا بالبرهان والإجماع
عصمته عليه السلام من جريان الكفر على قلبه أو لسانه لا عمدا ولا
سهوا أو أن تشبه عليه ما يلقيه الملك بما يلقي الشيطان أو يكون للشيطان
عليه سبيل أو أن يتقول على الله لا عمدا ولا سهوا ما لم ينزل عليه وقد
قال تعالى ولو تقول علينا بعض الأقاويل الآية وقال إذا لأذقناك
ضعف الحياة وضعف الممات الآية ووجه ثان وهو استحالة هذه
القصة نظرا وعرفا وذلك أن هذا الكلام لو كان كما روي لكان
بعيد الالتيام متناقض الأقسام ممتزج المدح بالذم متخاذل
التأليف والنظم ولما كان النبي صلى الله عليه وسلم ومن بحضرته
من المسلمين وصناديد المشركين ممن يخفى عليه ذلك وهذا لا يخفى
على أدنى متأمل فكيف بمن رجح حلمه واتسع في باب البيان ومعرفة
فصيح الكلام علمه ووجه ثالث أنه قد علم من عادة المنافقين ومعاندي
المشركين وضعفة القلوب والجهلة من المسلمين نفورهم لأول وهلة
وتخليط العدو على النبي صلى الله عليه وسلم لأقل فتنة وتعييرهم
المسلمين والشمات بهم الفينة بعد الفينة وارتداد من في قلبه مرض
ممن أظهر الإسلام لأدنى شبهة ولم يحك أحد في هذه القصة شيئا
سوى هذه الرواية الضعيفة الأصل ولو كان ذلك لوجدت بها
قريش بها على المسلمين الصولة ولأقامت بها اليهود عليهم الحجج كما
فعلوا مكابرة في قصة الإسراء حتى كانت في ذلك لبعض الضعفاء

ردة وكذلك ما روي في قصة القضية ولا فتنة أعظم من هذه
البلية ولا تشغيب للمعادي حينئذ أشد من هذه الحادثة لو أمكنت
فما روي عن معاند فيها كلمة ولا عن مسلم بسببها بنت شفة فدل على
بطلها واجتثاث أصلها ولا شك في إدخال بعض شياطين الإنس
والجن هذا الحديث على بعض مغفلي المحدثين ليلبس به على ضعفاء المسلمين
ووجه رابع ذكر الرواة لهذه القضية أن فيها نزلت وإن كادوا
ليفتنونك الآيتين وهاتان الآيتان تردان الخبر الذي رووه لأن
الله تعالى ذكر أنهم كادوا يفتنونه حتى يفتري وأنه لولا أن ثبته لكاد
يركن إليهم فمضمون هذا ومفهومه أن الله عصمه من أن يفتري
وثبته حتى لم يركن إليهم قليلا فكيف كثيرا وهم يروون في أخبارهم
الواهية أنه زاد على الركون والافتراء بمدح آلهتهم وأنه قال
عليه السلام افتريت على الله وقلت ما لم يقل وهذا ضد مفهوم الآية
وهي تضعف الحديث لو صح فكيف ولا صحة له وهذا مثل قوله في
الآية الأخرى ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم أن
يضلوك وما يضلون إلا أنفسهم وما يضرونك من شيء وقد روي
عن ابن عباس كل ما في القرآن كاد فهو ما لا يكون قال
الله تعالى يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار ولم يذهب وأكاد
أخفيها ولم يفعل قال القشيري القاضي ولقد طالبته قريش وثقيف
إذ مر بآلهتهم أن يقبل بوجهه إليها ووعدوه الإيمان به إن فعل فما

فعل ولا كان ليفعل قال ابن الانباري ما قارب الرسول ولا
ركن وقد ذكرت في معنى الاية تفاسير اخر ما ذكرناه من نص الله
على عصمة رسوله ترد سفسافها فلم يبق في الاية الا ان الله امتن
على رسوله بعصمته وتثبيته بما كاده به الكفار وراموا من فتنته
ومرادنا من ذلك تنزيهه وعصمته صلى الله عليه وسلم وهو
مفهوم الاية واما الماخذ الثاني فهو مبني على تسليم الحديث لو صح ۝
وقد اعاذنا الله من صحته ولكن على ذلك من حال فقد اجاب على
ذلك ائمة المسلمين باجوبة منها الغث والسمين فمنها ما روى قتادة
ومقاتل ان النبي صلى الله عليه وسلم اصابته سنة عند قراءته هذه
السورة فجرى هذا الكلام على لسانه بحكم النوم وهذا لا يصح
اذ لا يجوز على النبي مثله في حالة من احواله ولا يخلقه الله على لسانه
ولا يستولي الشيطان عليه في نوم ولا في يقظة لعصمته في هذا
الباب من جميع العمد والسهو وفي قول الكلبي ان النبي صلى الله عليه ۝
وسلم حدث نفسه فقال ذلك الشيطان على لسانه وفي رواية ابن
شهاب عن ابي بكر بن عبد الرحمن قال وسها فلما اخبر بذلك قال انما
ذلك من الشيطان وكل هذا لا يصح ان يقوله عليه السلام لا سهوا
ولا قصدا ولا يتقوله الشيطان على لسانه وقيل لعل النبي صلى الله
عليه وسلم قاله اثناء تلاوته على تقدير التقرير والتوبيخ للكفار
كقول ابرهيم هذا ربي على احد التاويلات وكقوله بل فعله كبيرهم

هذا بعد السكت وبيان الفصل بين الكلامين ثم رجع الى تلاوته
وهذا ممكن مع بيان الفصل وقرينة تدل على المراد وانه ليس من ۝
المتلو وهو احد ما ذكره القاضي ابو بكر ولا يعترض على هذا بما روي
انه كان في الصلاة فقد كان الكلام قبل فيها غير ممنوع والذي ۝
يظهر ويترجح في تاويله عنده وعند غيره من المحققين على تسليمه ان النبي صلى
الله عليه وسلم كان كما امره ربه يرتل القران ترتيلا ويفصل
الاي تفصيلا في قراءته كما رواه الثقات عنه فيمكن ترصد الشيطان
لتلك السكتات ودسه فيها ما اختلقه من تلك الكلمات محاكيا نغمة
النبي صلى الله عليه وسلم بحيث يسمعه من دنا اليه من الكفار فظنوها
من قول النبي صلى الله عليه وسلم واشاعوها ولم يقدح ذلك عند
المسلمين لحفظ السورة قبل ذلك على ما انزلها الله وتحققهم من حال ۝
النبي في ذم الاوثان وعيبها ما عرف منه وقد حكى محمد بن ۝
عقبة في مغازيه نحو هذا وقال ان المسلمين لم يسمعوها وانما القى
الشيطان ذلك في اسماع المشركين وقلوبهم ويكون ما روي من حزن
النبي صلى الله عليه وسلم لهذه الاشاعة والشبهة وسبب هذه الفتنة
وقد قال تعالى وما ارسلنا من قبلك من نبي ولا رسول الاية فمعنى
تمنى تلا قال الله تعالى لا يعلمون الكتاب الا اماني اي تلاوة
وقوله فينسخ الله ما يلقي الشيطان اي يذهبه ويزيل اللبس به ويحكم
اياته وقيل معنى الاية وهو ما يقع للنبي صلى الله عليه وسلم من السهو

اذا قرأ فينتبه لذلك ويرجع عنه وهذا نحو قول الكلبي في الآيه
التي حدثت فيها نفسه وقال اذا تمنى اي حدث نفسه وفي روايه
ابي بكر بن عبد الرحمن نحوه وهذا السهو في القراه انما يصح فيما ليس
طريقه تغيير المعاني وتبديل الالفاظ وزياده ما ليس من القران
بل السهو عن اسقاط ايه منه او كلمه ولكنه لا يقر على هذا السهو
بل ينبه عليه ويذكر به للحين على ما سنذكره في حكم ما يجوز عليه
من السهو وما لا يجوز ومما يظهر في تاويله ايضا ان مجاهدا روى
هذه القصه والغرانقه العلى فان سلمنا القصه قلنا لا يبعد ان
هذا كان قرانا والمراد بالغرانقه العلى وان شفاعتهن
لترتجى الملايكه على هذه الروايه وبهذا فسر الكلبي الغرانقه انها
الملايكه على هذه الروايه وذلك ان الكفار كانوا يعتقدون الاوثان
والملايكه بنات الله كما حكى الله عنهم ورد عليهم في هذه السوره
بقوله الكم الذكر وله الانثى فانكر الله كل هذا من قولهم ورجا
الشفاعه من الملايكه صحيح فلما تاوله المشركون على ان المراد بهذا
الذكر الهتهم ولبس عليهم الشيطان ذلك وزينه في قلوبهم
والقاه اليهم نسخ الله ما القى الشيطان واحكم اياته ورفع تلاوه
تلك اللفظتين التي وجد الشيطان بها سبيلا للالباس كما نسخ كثير
من القران ورفعت تلاوته وكان في انزال الله تعالى لذلك حكمه
وفي نسخه حكمه يضل به من يشاء ويهدي من يشاء وما يضل به الا

الفاسقين وليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض
والقاسيه قلوبهم وان الظالمين لفي شقاق بعيد وليعلم الذين
اوتوا العلم انه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم الايه وقيل
ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قرا هذه السوره وبلغ ذكر اللات والعزى
ومناة الثالثه الاخرى خاف الكفار ان ياتي بشي من ذمها فسبقوا
الى مدحها بتلك الكلمتين ليخلطوا في تلاوه النبي صلى الله عليه وسلم
ويشنعوا عليه على عادتهم وقولهم لا تسمعوا لهذا القران والغوا فيه
لعلكم تغلبون ونسب هذا الفعل الى الشيطان لحمله لهم عليه واشاعوا
ذلك واذاعوه وان النبي صلى الله عليه وسلم قاله فحزن لذلك من
كذبهم وافترايهم عليه فسلاه الله تعالى بقوله وما ارسلنا من قبلك
الايه وبين للناس الحق من ذلك من الباطل وحفظ القران واحكم
اياته ودفع ما لبس به العدو وكما ضمنه تعالى من قوله تعالى انا نحن
نزلنا الذكر وانا له لحافظون الايه ومن ذلك ما روي من قصه يونس
عليه السلام انه وعد قومه العذاب عن ربه فلما تابوا كشف عنهم
العذاب فقال لا ارجع اليهم كذابا ابدا فذهب مغاضبا فاعلم
اكرمك الله ان ليس في خبر من الاخبار الوارده في هذا الباب ان يونس
قال لهم ان الله مهلككم وانما فيه انه دعا عليهم بالهلاك والدعاء
ليس بخبر يطلب صدقه من كذبه لكنه قال لهم ان العذاب مصبحكم
وقت كذا وكذا فكان ذلك كما قال ثم رفع الله العذاب عنهم وتداركهم

قال الله تعالى الا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب
الخزي الآية وروى في الأخبار انهم رأوا دلائل العذاب ومخايله
قاله ابن مسعود وقال سعيد بن جبير غشاهم العذاب كما يغشى
الثوب القبر فان قلت فما معنى ما روي من ان عبد الله بن ابي
سرح كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ارتد مشركا وصار
الى قريش فقال لهم اني كنت اصرف محمدا حيث اريد كان يملي علي عزيز
حكيم فاقول او عليم حكيم فيقول نعم كل صواب وفي حديث آخر
فيقول له النبي صلى الله عليه وسلم اكتب كذا فيقول اكتب كذا فيقول
اكتب كيف شئت ويقول اكتب عليما حكيما فيقول اكتب سميعا بصيرا
فيقول له اكتب كيف شئت وفي الصحيح عن انس ان نصرانيا كان يكتب
للنبي صلى الله عليه وسلم بعد ما اسلم ثم ارتد وكان يقول ما يدري محمد
الا ما كتبت له قلنا علم ثبتنا الله واياك على الحق ولا جعل للشيطان
وتلبيسه الحق بالباطل الينا سبيلا ان مثل هذه الحكاية اولا لا توقع في
قلب مؤمن ريبا اذ هي حكاية عن من ارتد وكفر بالله ونحن لا نقبل خبر المسلم
المتهم فكيف بكافر افترى هو ومثله على الله ورسوله ما هو اعظم من هذا
والعجب لسليم العقل يشغل بمثل هذه الحكاية سره وقد صدرت من
عدو كافر مبغض للدين مفتر على الله ورسوله ولم يرد عن احد من المسلمين
ولا ذكر احد من الصحابة انه شاهد ما قاله وافتراه على نبي الله وانما يفتري
الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله واولئك هم الكاذبون ولو كانت

صحيحة لما كان فيها قدح ولا توهيم للنبي صلى الله عليه وسلم فيما اوحي
اليه ولا جواز للنسيان والغلط عليه والتحريف فيما بلغه ولا طعن
في نظم القرآن وانه من عند الله اذ ليس فيه لو صح اكثر من ان الكاتب قال
له عليم حكيم او كتبه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم كذلك هو فسبقه
لسانه او قلمه لكلمة او كلمتين مما نزل على الرسول عليه السلم قبل
اظهار الرسول لها اذ كان ما تقدم مما املاه الرسول يدل عليها
ويقتضي وقوعها بقوة قدرة الكاتب على الكلام ومعرفته به وجودة
حسه وفطنته كما يتفق ذلك للعارف اذا سمع البيت ان يسبق الى
قافيته او مبتدا الكلام الحسن الى ما يتم به ولا يتفق ذلك في جملة الكلام
كما لا يتفق ذلك في آية ولا سورة وكذلك قوله عليه السلم ان صح كل صواب ب
فقد يكون هذا فيما كان فيه من مقاطع الآي وجهان وقراءتان انزلتا
جميعا على النبي صلى الله عليه وسلم فاملا احداهما وتوصل الكاتب بفطنته
ومعرفته بمقتضى الكلام الى الاخرى فذكرها للنبي فصوبها
له النبي صلى الله عليه وسلم ثم احكم الله من ذلك ما احكم ونسخ ما نسخ كما
قد وجد ذلك في بعض مقاطع الآي مثل قوله ان تعذبهم فانهم
عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم وهذه قراءة الجمهور وقد
قرأ جماعة فانك انت الغفور الرحيم وليست من المصحف وكذلك كلمات
جاءت على وجهين في غير المقاطع قرأ بهما معا الجمهور وثبتا في المصحف
مثل وانظر الى العظام كيف ننشرها وننشزها ونقض الحق ونقص

الحق وكل هذا لا يوجب ريبا ولا ينسب للنبي صلى الله عليه وسلم غلطا
ولا وهما وقد قيل ان هذا يحتمل ان يكون فيما يكتبه عن النبي صلى الله
عليه وسلم الى الناس غير القرآن فيصف الله سبحانه ويسميه في ذلك
كيف شاء **فصل** هذا القول فيما طريقه البلاغ واما ما ليس
سبيله سبيل البلاغ من الاخبار التي لا مستند لها الى الاحكام
ولا اخبار المعاد ولا تضاف الى وحي بل في امور الدنيا واحوال نفسه
فالذي يجب تنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن ان يقع خبره في شيء من ذلك
بخلاف مخبره لا عمدا ولا سهوا ولا غلطا وانه معصوم من ذلك في
حال رضاه وفي حال سخطه وجده ومزحه وصحته ومرضه ودليل ذلك
اتفاق السلف واجماعهم عليه وذلك انا نعلم من دين الصحابة وعادتهم
مبادرتهم الى تصديق جميع احواله والثقة بجميع اخباره في اي باب
كانت وعن اي شيء وقعت وانه لم يكن لهم توقف ولا تردد في شيء منها
ولا استثبات عن حاله عند ذلك هل وقع فيها سهو ام لا ولما احتج
ابن ابي الحقيق اليهودي على عمر حين اجلاهم من خيبر باقرار رسول الله
صلى الله عليه وسلم لهم واحتج عليه عمر بقوله صلى الله عليه وسلم كيف
بك اذا اخرجت من خيبر فقال اليهودي كانت هزيلة من ابي القاسم
فقال عمر كذبت يا عدو الله وايضا فان اخباره وآثاره وسيره
وشمائله معتنى بها مستقصى تفاصيلها ولم يرد في شيء منها استدراكه
عليه السلام لغلط في قول قاله او اعترافه بوهم في شيء اخبر به ولو

كان ذلك لنقل كما نقل من قصته عليه السلام رجوعه عما اشار به
على الانصار في تلقيح النخل وكان ذلك رأيا لا خبرا وغير ذلك من
الامور التي ليست من هذا الباب كقوله والله لا احلف على يمين فارى
خيرا منها الا فعلت التي حلفت عليه وكفرت عن يميني وقوله انكم تختصمون
الي الحديث وقوله اسق يا زبير حتى يبلغ الماء الجدر كما سنبين كل ما في
هذا من مشكل في هذا الباب والذي بعده ان شاء الله مع اشباهها وايضا
فان الكذب متى عرف من احد في شيء من الاخبار بخلاف ما هو على اي وجه
كان استريب بخبره واتهم في حديثه ولم يقع قوله في النفوس موقعا ولهذا
ما ترك المحدثون والعلماء الحديث عمن عرف بالوهم والغفلة وسوء
الحفظ وكثرة الغلط مع ثقته وايضا فان تعمد الكذب في امور الدنيا
معصية والاكثار منه كبيرة باجماع مسقط للمروءة وكل هذا مما ينزه عنه
منصب النبوة والمرة الواحدة منه فيما يستبشع ويستشنع مما يخل
بصاحبها ويزري بقائلها لاحقة بذلك واما فيما لا يقع هذا الموقع
فان عددناها من الصغائر فهل تجري على حكمها في الخلاف فيها مختلف
فيه والصواب تنزيه النبوة عن قليله وكثيره سهوه وعمده اذ عمدة
النبوة البلاغ والاعلام والتبيين وتصديق ما جاء به النبي صلى
الله عليه وسلم وتجويز شيء من هذا قادح في ذلك ومشكك فيه
مناقض للمعجزة فلنقطع عن يقين بانه لا يجوز على الانبياء خلف في القول
في وجه من الوجوه لا بقصد ولا بغير قصد ولا نتسامح مع من

تسامح في تجويز ذلك عليهم حال السهو فيما ليس طريقه البلاغ
نعم وبانه لا يجوز عليهم الكذب قبل النبوة ولا الاتسام به في امور
هم واحوال دنياهم لان ذلك كان يزري ويريب بهم وينفر
القلوب عن تصديقهم بعد وانظر احوال اهل عصر النبي صلى الله
عليه وسلم من قريش وغيرها من الامم وسؤالهم عن حاله في صدق
لسانه وما عرفوا به من ذلك واعترفوا به مما عرف واتفق النقل منه
على عصمة نبينا صلى الله عليه وسلم منه قبل وبعد وقد ذكرنا من
الاثار فيه في الباب الثاني اول الكتاب ما يبين لك صحة ما اشرنا اليه

فصل فان قلت فما معنى قوله عليه السلام في حديث السهو الذي
حدثنا به الفقيه ابو اسحاق ابرهيم بن جعفر قال اخبرنا القاضي ابو
الاصبغ بن سهل قال اخبرنا حاتم بن محمد اخبرنا ابو عبد الله بن الفخار
اخبرنا ابو عيسى اخبرنا عبيد الله اخبرنا يحيى عن مالك عن داود
بن الحصين عن ابي سفيان مولى ابن ابي احمد انه قال سمعت ابا هريرة
يقول صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة العصر فسلم في ركعتين
فقام ذو اليدين فقال يا رسول الله أقصرت الصلاة ام نسيت
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل ذلك لم يكن وفي الرواية
الاخرى ما قصرت وما نسيت الحديث بقصته فاخبر بنفي الحالتين
وانها لم تكن وقد كان احد ذلك كما قال ذو اليدين قد كان
بعض ذلك يا رسول الله فاعلم وفقنا الله واياك ان للعلماء

في ذلك اجوبة بعضها بصدد الانصاف ومنها ما هو بنية
التعسف والاعتساف وها انا اقول اما على القول بتجويز الوهم
والغلط فيما ليس طريقه من القول البلاغ وهذا الذي زيفناه من
القولين فلا اعتراض بهذا الحديث وشبهه واما على مذهب من يمنع
السهو والنسيان في افعاله جملة ويرى انه في مثل هذا عامد في صورة
النسيان ليسن فهو صادق في خبره لانه لم ينس ولا قصرت ولكنه
على القول تعمد هذا الفعل في هذه الصورة ليسنه لمن اعتراه مثله
وهو قول مرغوب عنه نذكره في موضعه واما على احالة السهو
عليه في الاقوال وتجويز السهو عليه فيما ليس طريقه القول كما
سنذكره ففيه اجوبة منها ان النبي صلى الله عليه وسلم اخبر عن
اعتقاده وضميره اما انكار القصر فحق وصدق باطنا وظاهرا
واما النسيان فاخبر صلى الله عليه وسلم عن اعتقاده وانه لم ينس
في ظنه فكانه قصد الخبر بهذا عن ظنه وان لم ينطق به وهذا
صدق ايضا ووجه ثان ان قوله لم انس راجع الى السلام اي اني سلمت
قصدا وسهوت عن العدد اي لم انس في نفس السلام وهذا محتمل
وفيه بعد ووجه ثالث وهو ابعدها ما ذهب اليه بعضهم وان
احتمله اللفظ من قوله كل ذلك لم يكن اي لم يجتمع القصر والنسيان
بل كان احدهما ومفهوم اللفظ خلافه مع الرواية الاخرى الصحيحة
وهو قوله ما قصرت الصلاة وما نسيت هذا ما رأيت فيه لائمتنا

وكل من هذه الوجوه محتمل للفظ على بعد بعضها وتعسف الآخر
منها قال القاضي ابو الفضل والذي اقول ويظهر لي انه اقرب
من هذه الوجوه كلها ان قوله لم انس انكار للفظ الذي نفاه عن نفسه
وانكر على غيره بقوله بئس ما لاحدكم ان يقول نسيت اية كذا
وكذا ولكنه نُسّي وبقوله في بعض روايات الحديث الآخر لست
انسى ولكن أُنسّى فلما قال له السايل اقصرت الصلاة ام نسيت انكر
قصرها كما كان ونسيانه هو من قبل نفسه وانه ان كان جرى شيء
من ذلك فقد نُسّي حتى سأل غيره فتحقق انه نُسّي واجري ذلك عليه
ليسن فقوله على هذا لم انس ولم تقصر وكل ذلك لم يكن صدق
وحق لم تقصر ولم ينس حقيقة ولكنه نُسّي ووجه آخر استثرته
من كلام بعض المشايخ وذلك انه قال ان النبي صلى الله عليه وسلم كان
يسهو ولا ينسى ولذلك نفى عن نفسه النسيان قال لان النسيان
غفلة وآفة والسهو انما هو شغل قال فكان النبي صلى الله عليه وسلم
يسهو في صلاته ولا يغفل عنها وكان يشغله عن حركات الصلاة ما
في الصلاة شغلا بها لا غفلة عنها فهذا ان تحقق على هذا المعنى لم يكن
في قوله ما قصرت ولا نسيت خلف في قول واما قصة كلمات
ابرهيم عليه السلم المذكورة في الحديث انها كذباته الثلاث المنصوصة
في القران منها اثنان قوله اني سقيم وبل فعله كبيرهم هذا وقوله
للملك عن زوجته انها اختي فاعلم اكرمك الله ان هذه كلها خارجة

عن الكذب اما قوله اني سقيم فقال الحسن وغيره معناه سأسقم
اي ان كل مخلوق معرض لذلك فاعتذر لقومه من الخروج معهم
الى عيدهم بهذا وقيل بل سقيم بما قدر علي من الموت وقيل سقيم
القلب بما اشاهده من كفركم وعنادكم وقيل بل كانت الحمى تاخذه
عند طلوع نجم معلوم فلما راه اعتذر بعادته وكل هذا ليس فيه
كذب بل هو خبر صحيح صدق وقيل بل عرض بسقم حجته عليهم وضعف
ما اراد بيانه لهم من جهة النجوم التي كانوا يشتغلون بها وانه
اثناء نظره في ذلك وقبل استقامة حجته عليهم في حال سقم ومرض
حال مع انه لم يشك هو ولا ضعف ايمانه ولكنه ضعف في استدلاله
عليهم وسقم نظره كما يقال حجة سقيمة ونظر معلول حتى ألهمه الله
باستدلاله وصحة حجته عليهم بالكوكب والشمس والقمر ما نصه
الله تعالى فقد قدمنا بيانه واما قوله بل فعله كبيرهم هذا الآية
فانه علق خبره بشرط نطقه صدقا ايضا ولا خلف فيه واما قوله
اختي فقد بين في الحديث وقال فانك اختي في الاسلام وهو صدق
والله تعالى يقول انما المؤمنون اخوة فان قلت فهذا النبي صلى الله
عليه وسلم قد سماها كذبات لم يكذب ابرهيم الا ثلاث كذبات
وقال في حديث الشفاعة ويذكر كذباته فمعناه انه لم يتكلم كلاما
صورته صورة الكذب وان كان حقا في الباطن الا هذه الكلمات
ولما كان مفهوم ظاهرها خلاف باطنها اشفق ابرهيم عليه السلام

بواحد بعد ها واما الحديث كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا
اراد غزوة ورى بغيرها فليس فيه خلف في القول انما هو ستر مقصده
لئلا ياخذ عدوه حذره وثم وجد دها به بذكر السؤال عن موضع
آخر والبحث عن أخباره والتعريض بذكره لا انه يقول تجهزوا الى غزوة
كذا او وجهتنا الى موضع كذا خلاف مقصده فهذا لم يكن والاول
ليس فيه خبر يدخله الخلف فان قلت فما معنى قول موسى عليه
السلم وقد سئل اي الناس اعلم فقال انا اعلم فعتب الله عليه ذلك
اذ لم يرد العلم اليه الحديث وفيه قال بلى عبد لنا بمجمع البحرين اعلم
منك وهذا خبر قد انبأنا الله انه ليس كذلك فاعلم انه وقع في
هذا الحديث من بعض طرقه الصحيحة عن ابن عباس هل تعلم احدا اعلم
منك فاذا كان جوابه على علمه فهو خبر حق وصدق لا خلف فيه
ولا شبهة وعلى الطريق الآخر فمحمله على ظنه ومعتقده كما لو
صرح به لأن حاله في النبوة والاصطفاء يقتضي ذلك فيكون اخباره
بذلك ايضا عن اعتقاده وحسبانه صدقا لا خلف فيه وقد يريد
بقوله انا اعلم بما تقتضيه وظايف النبوة من علوم التوحيد وامور
الشريعة وسياسة الامة ويكون الخضر اعلم منه بامور اخر مما لا
يعلمه احد الا باعلام الله من علوم غيبه كالقصص المذكوره في خبرهما
فكان موسى اعلم على الجملة بما تقدم وهذا اعلم على الخصوص بما اعلم
ويدل عليه قوله تعالى وعلمناه من لدنا علما وعتب الله عليه فيما

قاله العلما انكار هذا القول عليه لانه لم يرد العلم اليه كما قالت
الملايكة لا علم لنا الا ما علمتنا او لانه لم يرض قوله شرعا وذلك
والله اعلم لئلا يقتدى به فيه من لم يبلغ كماله في تزكية نفسه وعلو
درجته من امته فيهلك لما تضمنه من مدح الانسان نفسه ويورثه
ذلك من الكبر والعجب والتعاطي والدعوى وان نزه عن هذه الرذايل
الانبيا فغيرهم بمدرجة سبيلها ودرك ليلها الا من عصمه الله فالتحفظ
منها اولى لنفسه وليقتدى به ولهذا قال عليه السلم تحفظا من مثل
هذا مما قد علم به انا سيد ولد ادم ولا فخر وهذا الحديث احدى
حجج القايلين بنبوة الخضر لقوله فيه انا اعلم من موسى ولا يكون الولي
اعلم من النبي واما الانبيا فيتفاضلون في المعارف وبقوله وما
فعلته عن امري فدل انه بوحي ومن قال انه ليس بنبي قال يحتمل
ان يكون فعله بامر نبي آخر وهذا يضعف لانه ما علمنا انه كان في زمن
موسى عليه السلم نبي غيره الا اخاه هرون وما نقل احد من اهل
الاخبار في ذلك شيئا يعول عليه واذا جعلنا اعلم منك ليس على
العموم وانما هو على الخصوص وفي قضايا معينة لم يحتج الى اثبات نبوة الخضر
وبهذا قال بعض الشيوخ كان موسى اعلم من الخضر فيما اخذ عن الله
والخضر اعلم فيما دفع اليه من موسى وقال آخر انما الجي موسى الى الخضر
للتاديب لا للتعليم **فصل** واما ما يتعلق بالجوارح من الاعمال
ولا يخرج من جملتها القول باللسان فيما عدا الخبر الذي وقع فيه

الكلام ولا الاعتقاد بالقلب فيما عدا التوحيد وما قدمناه
من معارفه المختصة به فاجمع المسلمون على عصمة الانبيا من الفواحش
والكباير الموبقات ومستند الجمهور في ذلك الاجماع الذي ذكرناه
وهو مذهب القاضي ابي بكر ومنعها غيره بدليل العقل مع الاجماع وهو
قول الكافة واختاره الاستاذ ابو اسحاق وكذلك لا خلاف انهم
معصومون من كتمان الرسالة والتقصير في التبليغ لان كل ذلك
تقتضي العصمة منه المعجزة مع الاجماع على ذلك من الكافة واما
الصغاير فجوزها جماعة من السلف وغيرهم على الانبيا وهو مذهب
ابي جعفر الطبري وغيره من الفقها والمحدثين والمتكلمين وسنورد
بعد هذا ما احتجوا به وذهبت طايفة اخرى الى الوقف وقالوا
العقل لا يحيل وقوعها منهم ولم يات في الشرع قاطع باحد الوجهين
وذهبت طايفة اخرى من المحققين من الفقها والمتكلمين الى عصمتهم
من الصغاير كعصمتهم من الكباير قالوا لاختلاف الناس في الصغاير
وتعيينها من الكباير واشكال ذلك وقول ابن عباس وغيره ان كل ما
عصي الله به فهو كبيرة وانه انما سمي منها الصغير بالاضافة الى ما هو
اكبر منه ومخالفة الباري في اي امر كان يجب كونه كبيرة قال
القاضي ابو محمد عبد الوهاب لا يمكن ان يقال في معاصي الله صغيرة
الا على معنى انها تغتفر باجتناب الكباير ولا يكون لها حكم مع ذلك
بخلاف الكباير اذا لم يتب منها فلا يحبطها شي والمشيئة في العفو

عنها

عنها الى الله سبحانه وهو قول القاضي ابي بكر رحمه الله وجماعة
ايمة الاشعرية وكثير من ايمة الفقها وقال بعض ايمتنا ولا يجب على
القولين انهم معصومون عن تكرار الصغاير وكثرتها اذ يلحقها ذلك
بالكباير ولا في صغيرة ادت الى ازالة الحشمة واسقطت المروة واوجبت
الازرا والخساسة فهذا ايضا مما يعصم عنه الانبيا اجماعا لان
مثل هذا يحط منصب المتسم به ويزري بصاحبه وينفر القلوب
عنه والانبيا منزهون عن ذلك بل يلحق بهذا ما كان من قبيل المباح
فادى الى مثله لخروجه بما ادى اليه عن اسم المباح الى الحظر وقد ذهب
بعضهم الى عصمتهم من مواقعة المكروه قصدا وقد استدل بعض
الايمة على عصمتهم من الصغاير بالمصير الى امتثال افعالهم واتباع اثارهم
وسيرهم مطلقا وجمهور الفقها على ذلك من اصحاب مالك والشافعي وابي
حنيفة من غير التزام قرينة بل مطلقا عند بعضهم وان اختلفوا في حكم
ذلك وحكى ابن خواز منداد وابو الفرج عن مالك التزام ذلك
وجوبا وهو قول الابهري وابن القصار واكثر اصحابنا وقول اكثر اهل
العراق وابن سريج والاصطخري وابن خيران من الشافعية واكثر الشافعية
على ان ذلك ندب وذهبت طايفة اخرى الى الاباحة وقيد بعضهم
الاتباع فيما كان من الامور الدينية وعلم به مقصد القربة ومن قال
بالاباحة في افعاله لم يقيده قال فلو جوزنا عليهم الصغاير
لم يمكن الاقتدا بهم في افعالهم اذ ليس كل فعل من افعاله يتميز

معصيه به من القربه والاباحه او الحظر او المعصيه ولا يصح ان
يؤمر المرء بامتثال امر لعله معصيه لاسيما على من يرى تقديم الفعل
على القول اذا تعارضا من الاصوليين ونزيد هذا حجة بان يقول من
جوز الصغاير ومن نفاها عن نبينا عليه السلم مجمعون انه لا يقر على
منكر من قول او فعل وانه متى راى شيا فسكت عنه صلى الله عليه وسلم
دل على جوازه فكيف يكون هذا حاله في حق غيره ثم يجوز وقوعه منه
في نفسه وعلى هذا الماخذ تجب عصمتهم من مواقعة المكروه كما قيل اذ
الحظر او الندب على الاقتدا بفعله ينافي الزجر والنهي عن فعل المكروه
وايضا فقد علم من دين الصحابه قطعا الاقتدا بافعال النبي صلى الله
عليه وسلم كيف توجهت وفي كل فن كالاقتدا باقواله فقد نبذوا
خواتيمهم حين نبذ خاتمه وخلعوا نعالهم حين خلع واحتجاجهم برؤية ابن
عمر اياه جالسا لقضا حاجته مستقبلا بيت المقدس واحتج غيره
واحد منهم في غير شي مما بابه العباده او العاده بقوله رايت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يفعله وقال هلا خبرتيها اني اقبل وانا صايم
وقالت عايشه محتجه كنت افعله انا ورسول الله صلى الله عليه وسلم
وغضب عليه السلم على الذي اخبر بمثل هذا عنه فقال يحل الله لرسوله
ما يشا وقال اني لاخشاكم لله واعلمكم بحدوده والاثار في هذا
اعظم من ان نحيط عليها لكنه يعلم من مجموعها على القطع اتباعهم افعاله
واقتداوهم بها ولو جوزوا عليه المخالفة في شي منها لما اتسق هذا

ولنقل عنهم وظهر بحثهم عن ذلك ولما انكر عليه السلم على الاخر قوله
واعتذاره بما ذكرناه واما المباحات فجايز وقوعها منهم اذ ليس فيها
قدح بل هي ماذون فيها وايديهم كايدي غيرهم مسلطة عليها الا انهم
بما خصوا به من رفيع المنزلة وشرحت له صدورهم من انوار المعرفه
واصطفوا به من تعلق الهمم بالله والدار الاخرة لا ياخذون من المباحات
الا الضرورات مما يتقوون به على سلوك طريقهم وصلاح دينهم
وضرورة دنياهم وما اخذ على هذه السبيل التحق طاعة فصار قربه
كما بينا منه اول الكتاب طرفا في خصال نبينا عليه السلم فبان لك
عظيم فضل الله على نبينا وعلى ساير انبيايه عليهم السلم بان جعل افعالهم
قربات وطاعات بعيده عن وجه المخالفه ورسم المعصيه

فصل

وقد اختلف في عصمتهم من المعاصي قبل النبوه فمنعها قوم وجوزها
اخرون والصحيح ان شا الله تنزيههم من كل عيب وعصمتهم من كل
ما يوجب الريب فكيف والمسله تصورها كالممتنع فان المعاصي والنواهي
انما تكون بعد تقرر الشرع وقد اختلف الناس في حال نبينا عليه السلم
قبل ان يوحى اليه هل كان متبعا لشرع قبله ام لا فقال جماعه لم يكن
متبعا لشي وهذا قول الجمهور فالمعاصي على هذا القول غير موجوده
ولا معتبره في حقه حينيذ اذ الاحكام الشرعيه انما تتعلق بالاوامر
والنواهي وتقرر الشريعه ثم اختلفت حجج القايلين بهذه المقالة عليه
فذهب سيف السنه ومقتدى فرق الامه القاضي ابو بكر الى ان طريق

العلم بذلك النقل وموارد الخبر من طريق السمع وحجته انه لو كان
ذلك لنقل ولما امكن كتمه وستره في العادة اذ كان من مهم امره
واولى ما اهتبل به من سيرته ولفخر به اهل تلك الشريعة ولاحتجوا به
عليه ولم يؤثر شيء من ذلك جملة وذهبت طائفة الى امتناع ذلك عقلا
قالوا لانه يبعد ان يكون متبوعا من عرف تابعا وبنوا هذا على التحسين
والتقبيح وهي طريقة غير سديدة واستناد ذلك الى النقل كما تقدم
للقاضي ابي بكر اولى واظهر وقالت فرقة اخرى بالوقف في امره عليه
السلام وترك قطع الحكم عليه بشيء في ذلك اذ لم يحل الوجهين منهما العقل
ولا استبان عندها في احدهما طريق النقل وهو مذهب ابي المعالي
وقالت فرقة ثالثة انه كان عاملا بشرع من قبله ثم اختلفوا هل يتعين ذلك
الشرع ام لا فوقف بعضهم عن تعيينه واحجم وجسر بعضهم على التعيين
وصمم ثم اختلفت هذه المعينة فيمن كان يتبع فقيل نوح وقيل ابرهيم
وقيل موسى وقيل عيسى صلوات الله عليهم فهذه جملة المذاهب في هذه
المسله والاظهر فيها ما ذهب اليه القاضي ابو بكر وابعدها مذاهب
المعينين اذ لو كان شيء من ذلك لنقل كما قدمناه ولم يخف جملة ولا حجة
لهم في ان عيسى اخر الانبياء فلزمت شريعته من جاء بعدها اذ لم يثبت
عموم دعوة عيسى بل الصحيح انه لم يكن لنبي دعوة عامة الا لنبينا عليه
السلم ولا حجة ايضا للاخر في قوله تعالى ان اتبع ملة ابرهيم حنيفا
وللاخرين في قوله شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا فحمل هذه الاية على

اتباعهم

اتباعهم في التوحيد كقوله اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده
وقد سمى الله تعالى فيهم من لم يبعث ولم يكن له شريعة تخصه كيوسف
ابن يعقوب على قول من يقول انه ليس برسول وقد سمى الله تعالى جماعة
منهم في هذه الاية شرائعهم مختلفة لا يمكن الجمع بينها فدل ان المراد
ما اجتمعوا عليه من التوحيد وعبادة الله تعالى وبعد هذا فهل يلزم من
قال بمنع الاتباع هذا القول في سائر الانبياء غير نبينا او يخالفون بينهم
اما من منع الاتباع عقلا فيطرد اصله في كل رسول بلا مرية واما من
مال الى النقل فاينما تصور له وتقرر اتبعه ومن قال بالوقف فعلى
اصله ومن قال بوجوب الاتباع لمن قبله يلزمه بمساقه حجته في كل
شيء **فصل** هذا حكم ما تكون المخالفة فيه من الاعمال عن قصد
وهو ما يسمى معصية ويدخل تحت التكليف واما ما يكون بغير قصد
وتعمد كالسهو والنسيان في الوظائف الشرعية مما تقرر
الشرع بعدم تعلق الخطاب به وترك المؤاخذة عليه فاحوال
الانبياء في ترك المؤاخذة به وكونه ليس بمعصية لهم مع اممهم سوا
ثم ذلك على نوعين ما طريقه البلاغ وتقرير الشرع وتعلق الاحكام
وتعليم الامة بالفعل واخذهم باتباعه فيه وما هو خارج عن
هذا مما يختص بنفسه اما الاول فحكمه عند جماعة من العلماء
حكم السهو في القول في هذا الباب وقد ذكرنا الاتفاق على امتناع
ذلك في حق النبي عليه السلم وعصمته من جوازه عليه قصدا

أو سهواً وكذلك قالوا الأفعال في هذا الباب لا تجوز طروق
المخالفة فيها لا عمداً ولا سهواً لأنها بمعنى القول من جهة التبليغ ٥
والأداء وطروء هذه العوارض عليها يوجب التشكيك وتسبب
المطاعن واعتذروا عن أحاديث السهو بتوجيهات نذكرها بعد
هذا وإلى هذا مال أبو إسحاق وذهب الأكثر من الفقهاء والمتكلمين
إلى أن المخالفة في الأفعال البلاغية والأحكام الشرعية سهواً
وعن غير قصد منه جائز عليه كما تقرر من أحاديث السهو في الصلاة
وفرقوا بين ذلك وبين الأقوال البلاغية لقيام المعجز على الصدق
في القول ومخالفة ذلك يناقضها وأما السهو في الأفعال فغير
مناقض لها ولا قادح في النبوة بل غلطات الفعل وغفلات القلب
من سمات البشر كما قال عليه السلم إنما أنا بشر أنسى كما تنسون
فإذا نسيت فذكروني نعم بل حالة النسيان والسهو هنا في حقه
عليه السلم سبب إفادة علم وتقرير شرع كما قال عليه السلم إني
لأنسى أو أنسى لأسن بل قد روي لست أنسى ولكن أنسى لأسن وهذه
الحالة زيادة له في التبليغ وتمام عليه في النعمة بعيدة عن سمات
النقص وأغراض الطعن فإن القائلين بتجويز ذلك يشترطون أن الرسل
لا تقر على السهو والغلط بل ينبهون عليه ويعرفون حكمه بالفور
على قول بعضهم وهو الصحيح وقبل انقراضهم على قول الآخرين ٥
وأما ما ليس طريقه البلاغ ولا بيان الأحكام من أفعاله عليه السلم

وما يختص به من أمور دينه وأذكار قلبه فيما لم يفعله ليتبع فيه
فالأكثر من طبقات علماء الأمة على جواز السهو والغلط عليه فيها
ولحوق الفترات والغفلات بقلبه وذلك بما كلفه من مقاساة الخلق
وسياسات الأمة ومعاناة الأهل وملاحظة الأعداء ولكن ٥
ليس على سبيل التكرار ولا الاتصال بل على سبيل الندور كما
قال عليه السلام إنه ليغان على قلبي فأستغفر الله وليس في هذا
شيء يحط من رتبته ويناقض معجزته وذهبت طائفة إلى منع السهو
والنسيان والغفلات والفترات في حقه عليه السلم جملة وهو مذهب
جماعة المتصوفة وأصحاب علم القلوب والمقامات ولهم في هذه
الأحاديث مذاهب سنذكرها بعد هذا إن شاء الله تعالى

فصل

في الكلام على الأحاديث المذكور فيها السهو منه عليه السلام قد
قدمنا في الفصول قبل هذا ما يجوز فيه السهو عليه عليه السلم وما
يمتنع وأحلناه في الأخبار جملة وفي الأقوال الدينية قطعاً وأجزنا
وقوعه في الأفعال الدينية على الوجه الذي رتبناه وأشرنا إلى ما
ورد في ذلك ونحن نبسط القول فيه الصحيح من الأحاديث الواردة
في سهوه عليه السلم في الصلاة ثلاثة أحاديث أولها حديث ذي اليدين
في السلام من اثنتين الثاني حديث ابن بحينة في القيام من اثنتين الثالث
حديث ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى الظهر خمساً وهذه
الأحاديث مبنية على السهو في الفعل الذي قررناه وحكمة الله فيه

ليسن به اذ البلاغ بالفعل اجلى منه بالقول وارفع للاحتمال
وشرطه انه لا يقر على هذا السهو بل يشعر به ليرتفع الالتباس وتظهر
فايده الحكمه فيه كما قدمناه وان النسيان والسهو في الفعل في حقه
عليه السلم غير مضاد للمعجزه ولا قادح في التصديق وقد قال
عليه السلام انما انا بشر انسى كما تنسون فاذا نسيت فذكروني وقال
رحم الله فلانا لقد اذكرني كذا وكذا ايه كنت اسقطتهن ويروى انسيتهن
وقال عليه السلم اني لانسى او انسى لاسن قيل هذا اللفظ شك من
الراوي وقد قيل اني لا انسى ولكن انسى لاسن وذهب ابن نافع وعيسى
ابن دينار انه ليس بشك وان معناه التقسيم اي انا انسى او ينسيني الله
قال القاضي ابو الوليد الباجي يحتمل ما قالاه ان يريد اني انسى
في اليقظه وانسى في النوم او انسى على سبيل عاده البشر من الذهول
عن الشي والسهو او انسى مع اقبالي عليه وتفرغي له فاضاف احد
النسيانين الى نفسه اذ كان له بعض السبب فيه ونفى الاخر عن نفسه اذ
هو فيه كالمضطر وذهبت طايفه من اصحاب المعاني والكلام على الحديث
الى ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يسهو في الصلاه ولا ينسى لان
النسيان ذهول وغفله وافه قال والنبي صلى الله عليه وسلم منزه
عنها والسهو شغل فكان عليه السلم يسهو في صلاته ويشغله عن
حركات الصلاه ما في الصلاه شغلا بها لا غفله عنها واحتج بقوله في
الروايه الاخرى اني لا انسى وذهبت طايفه الى منع هذا كله عنه

وقالوا ان سهوه عليه السلم كان عمدا وقصدا ليسن وهذا قول
مرغوب عنه متناقض المقاصد لا يحلى منه بطايل لانه كيف يكون
متعمدا ساهيا في حال ولا حجه لهم في قولهم انه امر بتعمد صوره النسيان
ليسن لقوله اني لانسى او انسى وقد اثبت احد الوصفين ونفى مناقضه
التعمد والقصد وقال انما انا بشر مثلكم انسى كما تنسون وقد مال
الى هذا عظيم من المحققين من ايمتنا وهو ابو المظفر الاسفرايني ولم
يرتضه غيره منهم ولا ارتضيه ولا حجه لهاتين الطايفتين في قوله
اني لا انسى ولكن انسى اذ ليس فيه حكم النسيان بالجمله وانما فيه نفي
لفظه وكراهه لقبه لقوله بيسما لاحدكم ان يقول نسيت ايه كذا
ولكنه نسي او نفي الغفله وقله الاهتمام بامر الصلاه عن قلبه لكن شغل
بها عنها ونسي بعضها ببعضها كما ترك الصلاه يوم الخندق حتى خرج
وقتها وشغل بالتحرز من العدو عنها فشغل بطاعه عن طاعه وقيل
ان الذي ترك يوم الخندق اربع صلوات الظهر والعصر والمغرب
والعشا وبه احتج من ذهب الى جواز تاخير الصلاه في الخوف اذا لم
يتمكن من ادايها الى وقت الامن وهو مذهب الشاميين والصحيح
ان حكم صلاه الخوف كان بعد هذا فهو ناسخ له فان قلت فما تقول في
نومه عليه السلم عن الصلاه يوم الوادي وقد قال ان عيني تنامان
ولا ينام قلبي فاعلم ان للعلما عن ذلك اجوبه منها ان المراد بان
هذا حكم قلبه عند نومه وعينيه في غالب الاوقات وقد يندر

منه غير ذلك ويصح هذا التاويل قوله عليه السلم في الحديث
نفسه ان الله قبض ارواحنا وقوله لبلال فيه ما القيت على نومة مثلها
قط ولكن مثل هذا انما يكون منه لامر يريده من اثبات حكم وتاسيس
سنة واظهار شرع وكما قال في الحديث الاخر لو شا الله لايقظنا
ولكن اراد ان يكون لمن بعدكم الثاني ان قلبه لا يستغرقه النوم
حتى يكون منه الحدث فيه لما روي انه كان محروسا وانه كان ينام
حتى ينفخ وحتى يسمع غطيطه ثم يصلي ولا يتوضا وحديث ابن عباس
المذكور فيه وضوء عند قيامه من النوم فيه نومه مع اهله فلا
يمكن الاحتجاج به على وضوء بمجرد النوم اذ لعل ذلك لملامسة
الاهل او لحدث اخر كيف وفي اخر الحديث نفسه ثم نام حتى
سمعت غطيطه ثم اقيمت الصلاة فصلى ولم يتوضا وقيل لا ينام
قلبه من اجل انه يوحى اليه في النوم وليس في قصة الوادي الا نوم
عينيه عن روية الشمس وليس هذا من فعل القلب وقد قال عليه السلم
ان الله قبض ارواحنا ولو شا لردها الينا في حين غير هذا فان قيل
فلولا عادته في استغراق النوم لما قال لبلال اكلا لنا الصبح فقيل
في الجواب انه كان من شانه عليه السلم التغليس بالصبح ومراعاة اول
الفجر لا تصح فيمن نامت عينه اذ هو ظاهر يدرك بالجوارح الظاهرة
فوكل بلالا لمراعاة اوله ليعلمه بذلك كما لو شغل بشغل غير النوم عن
مراعاته فان قيل فما معنى نهيه عليه السلم عن القول نسيت

وقد قال عليه السلم اني انسى كما تنسون فاذا نسيت فذكروني وقال
لقد اذكرني كذا وكذا اية كنت انسيتها فاعلم اكرمك الله انه لا
تعارض في هذه الالفاظ اما نهيه عن ان يقال نسيت اية كذا
فمحمول على ما نسخ نقله من القران اي ان الغفلة في هذا لم تكن منه ولكن
الله اضطره اليها ليمحو ما يشا ويثبت وما كان من سهو او غفلة من قبله
تذكرها صلح ان يقال فيه انسي وقد قيل ان هذا منه صلى الله عليه
وسلم على طريق الاستحباب ان يضيف الفعل الى خالقه والاخر على طريق
الجواز لاكتساب العبد فيه واسقاطه عليه السلام لما اسقط من
هذه الايات جايز عليه بعد بلاغ ما امر ببلاغه وتوصيله الى عباده
ثم يستذكرها من امته او من قبل نفسه الا ما قضى الله نسخه ومحوه
من القلوب وترك استذكاره وقد يجوز ان ينسى النبي صلى الله عليه
وسلم ما هذا سبيله كرة ويجوز ان ينساه منه قبل البلاغ ما لا يغير
نظما ولا يخلط حكما مما لا يدخل خللا في الخبر ثم يذكره اياه ويستحيل
دوام نسيانه له لحفظ الله كتابه وتكليفه بلاغه **فصل** في الرد
على من اجاز عليهم الصغاير والكلام على ما احتجوا به في ذلك
اعلم ان المجوزين للصغاير على الانبيا من الفقها والمحدثين
ومن شايعهم على ذلك من المتكلمين احتجوا على ذلك بظواهر كثيرة
من القران والحديث ان التزموا ظواهرها افضت بهم الى تجويز
الكباير وخرق الاجماع وما لا يقوله مسلم فكيف وكل ما احتجوا

به مما اختلف المفسرون في معناه وتقابلت الاحتمالات في
مقتضاه وجاءت اقاويل فيها للسلف بخلاف ما التزمناه من ذلك
فاذا لم يكن مذهبهم اجماعا وكان الخلاف فيما احتجوا به قديما وقامت
الدلالة على خطاء قولهم وصحة غيره وجب تركه والمصير الى ما صح
وها نحن ناخذ في النظر فيها ان شاء الله فمن ذلك قوله تعالى لنبينا محمد
عليه السلم ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر وقوله
واستغفر لذنبك وللمومنين والمومنات وقوله ووضعنا عنك
وزرك الذي انقض ظهرك وقوله عفا الله عنك لم اذنت لهم وقوله
لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم وقوله عبس
وتولى ان جاءه الاعمى الاية وما قص من قصص غيره من الانبياء
كقوله وعصى ادم ربه فغوى وقوله فلما اتاهما صالحا جعلا له شركا
فيما اتاهما الاية وقوله عنه ربنا ظلمنا انفسنا الاية وقوله عن
يونس سبحانك اني كنت من الظالمين وما ذكر من قصته وقصة داود
وقوله وظن داود انما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا واناب
الى قوله ماب وقوله ولقد همت به وهم بها وما قص من قصته
مع اخوته وقوله عن موسى فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من
عمل الشيطان وقول النبي صلى الله عليه وسلم في دعايه اغفر لي ما
قدمت واخرت واسررت واعلنت ونحوه من ادعيته عليه
السلم وذكر الانبيا في الموقف ذنوبهم في حديث الشفاعة وقوله

انه ليغان على قلبي فاستغفر الله وفي حديث ابي هريرة اني لاستغفر
الله واتوب اليه في اليوم اكثر من سبعين مرة وقوله تعالى عن نوح والا
تغفر لي وقد كان قال الله تعالى له ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم
مغرقون وقال عن ابرهيم والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين
وقوله عن موسى تبت اليك وقوله ولقد فتنا سليمان الى ما اشبه
هذه الظواهر فاما احتجاجهم بقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك
وما تاخر فهذا قد اختلف فيه المفسرون فقيل المراد ما كان قبل
النبوة وبعدها وقيل المراد ما وقع لك من ذنب وما لم يقع اعلمه انه
مغفور له وقيل ما كان قبل النبوة والمتاخر عصمتك بعدها
حكاه احمد بن نصر وقيل المراد بذلك امته عليه السلم وقيل المراد
ما كان عن سهو وغفلة وتاويل حكاه الطبري واختاره القشيري
وقيل ما تقدم لابيك ادم وما تاخر من ذنوب امتك حكاه
السمرقندي والسلمي عن ابن عطاء وبمثله والذي قبله يتاول قوله
واستغفر لذنبك وللمومنين والمومنات قال مكي مخاطبة النبي صلى
الله عليه وسلم هاهنا هي مخاطبة لامته وقيل ان النبي صلى الله عليه
وسلم لما امر ان يقول وما ادري ما يفعل بي ولا بكم سر بذلك
الكفار فانزل الله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر
الاية وبمال المومنين في الاية الاخرى بعدها قاله ابن عباس
فمقصد الاية انك مغفور لك غير مواخذ ان لو كان قال بعضهم

المغفرة هاهنا تبرئة من العيوب واما قوله ووضعنا عنك وزرك
الذي انقض ظهرك فقيل ما سلف من ذنبك قبل النبوة وهو قول ابن زيد
والحسن ومعنى قول قتادة وقيل معناه انه حفظ قبل نبوته منها وعصم
ولولا ذلك لاثقلت ظهره حكى معناه السمرقندي وقيل المراد بذلك
ما اثقل ظهره من اعباء الرسالة حتى بلغها حكاه الماوردي والسلمي وقيل
حططنا عنك ثقل ايام الجاهلية حكاه مكي وقيل ثقل شغل سرك
وحيرتك وطلب شريعتك حتى شرعنا ذلك لك حكى معناه القشيري
وقيل معناه خففنا عليك ما حملت بحفظنا لما استحفظت وحفظ عليك
ومعنى انقض ظهرك اي كاد ينقضه فيكون المعنى على من جعل ذلك
لما قبل النبوة اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم بامور فعلها قبل نبوته
وحرمت عليه بعد النبوة فعدها اوزارا وثقلت عليه واشفق منها
او يكون الوضع عصمة الله له وكفايته من ذنوب لو كانت لانقضت
ظهره او يكون من ثقل الرسالة او ما ثقل عليه وشغل قلبه من امور
الجاهلية واعلام الله تعالى له بحفظ ما استحفظه من وحيه واما قوله
عفا الله عنك لم اذنت لهم فامر لم يتقدم للنبي صلى الله عليه وسلم فيه
من الله نهي فيعد معصية ولا عده الله عليه معصية بل لم يعده اهل
العلم معاتبة وغلطوا من ذهب الى ذلك قال نفطويه وقد حاشاه
الله من ذلك بل كان مخيرا في امرين قالوا وقد كان له ان يفعل ما شاء فيما
لم ينزل عليه فيه وحي فكيف وقد قال الله تعالى له فاذن لمن شئت

منهم فلما اذن لهم اعلمه الله بما لم يطلع عليه من سرهم انه لو لم ياذن
لهم لقعدوا وانه لا حرج عليه فيما فعل وليس عفا هاهنا بمعنى غفر
بل كما قال النبي صلى الله عليه وسلم عفا الله لكم عن صدقة الخيل
والرقيق ولم تجب عليهم قط اي لم يلزمكم ذلك ونحوه للقشيري قال
وانما العفو لا يكون الا عن ذنب من لم يعرف كلام العرب قال ومعنى
عفا الله عنك اي لم يلزمك ذنبا قال الداودي روي انها تكرمة قال
مكي هو استفتاح كلام مثل اصلحك الله واعزك الله وحكى
السمرقندي ان معناه عافاك الله واما قوله في اسارى بدر ما كان لنبي
ان يكون له اسرى الآيتين فليس فيه الزام ذنب للنبي صلى الله عليه وسلم
بل فيه بيان ما خص به وفضل من بين سائر الانبياء فكانه قال ما كان
هذا لنبي غيرك كما قال عليه السلام احلت لي الغنائم ولم تحل لنبي
قبلي فان قيل فما معنى قوله تريدون عرض الدنيا الآية قيل المعنى
بالخطاب لمن اراد ذلك منهم وتجرد غرضه لعرض الدنيا وحده
والاستكثار منها وليس المراد بهذا النبي صلى الله عليه وسلم ولا علية
اصحابه بل قد روي عن الضحاك انها نزلت حين انهزم المشركون
يوم بدر واشتغل الناس بالسلب وجمع الغنائم عن القتال حتى خشي
عمر ان يعطف عليهم العدو ثم قال تعالى لولا كتاب من الله سبق واختلف
المفسرون في معنى الآية فقيل معناها لولا انه سبق مني ان لا اعذب
احدا الا بعد النهي لعذبتكم فهذا ينفي ان يكون امر الاسرى معصية

وقيل المعنى لولا ايمانكم بالقرآن وهو الكتاب السابق فاستوجبتم
به الصفح لعوقبتم على الغنايم ويزاد هذا القول تفسيرا وبيانا بان
يقال لولا ما كنتم مومنين بالقرآن وكنتم ممن احلت لهم الغنايم لعوقبتم
كما عوقب من تعدى وقيل لولا انه سبق في اللوح المحفوظ انها
حلال لكم لعوقبتم فهذا كله ينفي الذنب والمعصية لان من فعل
ما احل له لم يعص قال الله تعالى فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا وقيل
بل كان عليه السلام قد خير في ذلك وقد روي عن علي رضي الله عنه
قال جاء جبريل عليه السلام الى النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر فقال
خير اصحابك في الاسارى ان شاءوا القتل وان شاءوا الفدا على ان
يقتل منهم عام المقبل مثلهم فقالوا الفدا ويقتل منا وهذا دليل
على صحة ما قلناه وانهم لم يفعلوا الا ما اذن لهم فيه لكن بعضهم
مال الى اضعف الوجهين مما كان الاصلح غيره من الاثخان والقتل
فعوتبوا على ذلك وبين لهم ضعف اختيارهم وتصويب اختيار غيرهم
وكلهم غير عصاة ولا مذنبين والى نحو هذا اشار الطبري وقوله
عليه السلام في هذه القضية لو نزل من السماء عذاب ما نجا منه الا
عمر اشارة الى هذا من تصويب رايه وراي من اخذ بماخذه في اعزاز
الدين واظهار كلمته وابادة عدوه وان هذه القضية لو استوجبت
عذابا نجا منه عمر ومثله وعين عمر لانه اول من اشار بقتلهم ولكن
الله لم يقدر عليهم في ذلك عذابا لحله لهم فيما سبق وقال الداودي والخبر

بهذا لا يثبت ولو ثبت لما جاز ان يظن ان النبي صلى الله عليه وسلم
حكم بما لا نص فيه ولا دليل من نص ولا جعل الامر اليه فيه وقد
نزهه الله عن ذلك وقال القاضي بكر بن العلاء اخبر الله نبيه في
هذه الاية ان تاويله وافق ما كتبه له من احلال الغنايم والفدا وقد
كان قبل هذا فادوا في سرية عبد الله بن جحش التي قتل فيها ابن
الحضرمي بالحكم بن كيسان وصاحبه فما عتب الله ذلك عليهم وذلك
قبل بدر بازيد من عام فهذا كله يدل على ان فعل النبي صلى الله عليه
وسلم في شان الاسرى كان على تاويل وبصيرة وعلى ما تقدم قبل
مثله فلم ينكره الله عليهم لكن الله تعالى اراد لعظم امر بدر وكثرة اسراها
والله اعلم اظهار نعمته وتاكيد منته بتعريفهم ما كتب في اللوح المحفو
من حل ذلك لهم لا على وجه عتاب وانكار وتذنيب هذا معنى كلامه
واما قوله عبس وتولى الايات فليس فيها اثبات ذنب له عليه
السلام بل اعلام الله ان ذلك المتصدى له ممن لا يتزكى وان الصواب
والاولى كان لو كشف لك حال الرجلين الاقبال على الاعمى وفعل
النبي صلى الله عليه وسلم لما فعل وتصديه لذلك الكافر كان طاعة لله
وتبليغا عنه واستيلافا له كما شرعه الله له لا معصية ومخالفة له
وما قصه الله عليه من ذلك اعلام بحال الرجلين وتوهين امر الكافر
عنده والاشارة الى الاعراض عنه بقوله وما عليك الا يزكى وقيل
اراد بعبس وتولى الكافر الذي كان مع النبي صلى الله عليه وسلم قاله

ابو تمام واما قصة آدم عليه السلام وقوله تعالى فكلا منها
بعد قوله ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين وقوله الم انهكما عن تلكما
الشجرة وتصريحه تعالى عليه بالمعصية بقوله وعصى آدم ربه فغوى
اى جهل وقيل اخطأ فان الله تعالى قد اخبر بعذره بقوله ولقد
عهدنا الى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزما قال ابن زيد نسى
عداوة ابليس له وما عهد الله اليه من ذلك بقوله ان هذا عدو
لك ولزوجك الاية قيل نسى ذلك بما اظهر لهما وقال ابن عباس انما
سمى الانسان انسانا لانه عهد اليه فنسى وقيل لم تقصد
المخالفة استحلالا لها ولكنهما اغترا بحلف ابليس لهما انى لكما لمن
الناصحين وتوهما ان احدا لا يحلف بالله حانثا وقد روى عذر
آدم بمثل هذا في بعض الاثار وقال ابن جبير حلف بالله لهما
حتى غرهما والمؤمن يخدع وقد قيل نسى ولم ينو المخالفة فلذلك
قال ولم نجد له عزما اى قصدا للمخالفة واكثر المفسرين على ان العزم
هنا الحزم والصبر وقيل كان عند اكله سكران وهذا فيه ضعف
لان الله تعالى وصف خمر الجنة انها لا تسكر واذا كان ناسيا لم تكن
معصية وكذلك ان كان ملبسا عليه غالطا اذ الاتفاق على
خروج الناسى والساهى عن حكم التكليف وقال الشيخ ابو بكر
ابن فورك وغيره انه يمكن ان يكون ذلك قبل النبوة ودليل ذلك
قوله تعالى وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى

فذكر ان الاجتباء والهداية كانا بعد العصيان وقيل بل
اكلها متأولا وهو لا يعلم انها الشجرة التي نهى عنها لانه تأول نهى
الله عن شجرة مخصوصة لا على الجنس ولهذا قيل انما كانت التوبة من
ترك التحفظ لا من المخالفة وقيل تأول ان الله لم ينهه عنها نهى
تحريم فان قيل فعلى كل حال فقد قال الله تعالى وعصى آدم
ربه وقال فتاب عليه وقوله في حديث الشفاعة ويذكر ذنبه وانى
نهيت عن اكل الشجرة فعصيت فسيأتى الجواب عنه وعن اشباهه
مجملا آخر الفصل ان شاء الله تعالى واما قصة يونس فقد مضى
الكلام على بعضها آنفا وليس في قصة يونس نص على ذنب وانما فيه
ابق وذهب مغاضبا وقد تكلمنا عليه وقيل انما نقم الله عليه
خروجه عن قومه فارا من نزول العذاب وقيل بل لما وعدهم العذاب
ثم عفا الله عنهم قال والله لا القاهم بوجه كذاب ابدا وقيل بل كانوا
يقتلون من كذب فخاف ذلك وقيل ضعف عن حمل اعباء الرسالة
وقد تقدم الكلام انه لم يكذبهم وهذا كله ليس فيه نص على معصية
الا على قول مرغوب عنه وقوله ابق الى الفلك المشحون قال المفسرون
تباعد واما قوله انى كنت من الظالمين فالظلم وضع الشئ في غير
موضعه فهذا اعتراف منه عند بعضهم بذنبه فاما ان يكون
لخروجه عن قومه بغير اذن ربه او لضعفه عما حمله او لدعائه
بالعذاب على قومه وقد دعا نوح بهلاك قومه فلم يؤاخذ

وقال الواسطي في معناه نزه ربه عن الظلم وأضاف الظلم الى
نفسه اعترافا واستحقاقا ومثل هذا قوله آدم وحوا ربنا ظلمنا
انفسنا اذ كانا السبب في وضعهما غير الموضع الذي انزلا فيه واخراجهما
من الجنة وانزالهما الى الارض واما قصة داود عليه السلم فلا يجب
ان يلتفت الى ما سطره فيه الاخباريون عن اهل الكتاب الذين بدلوا
وغيروا ونقله بعض المفسرين ولم ينص الله سبحانه وتعالى على شي من
ذلك ولا ورد في حديث صحيح والذي نص الله عليه قوله وظن داود
انما فتناه فاستغفر ربه الى قوله وحسن مآب وقوله فيه أواب
فمعنى فتناه اي اختبرناه وأواب قال قتادة مطيع وهذا التفسير
اولى قال ابن عباس وابن مسعود ما زاد داود على ان قال
للرجل انزل لي عن امراتك واكفلنيها فعاتبه الله على ذلك ونبهه
عليه وانكر عليه شغله بالدنيا وهذا الذي ينبغي ان يعول عليه من
امره وقد قيل خطبها على خطبته وقيل بل احب بقلبه ان يستشهد
وحكى السمرقندي ان ذنبه الذي استغفر منه قوله لاحد
الخصمين لقد ظلمك فظلمه بقول خصمه والى نفي ما اضيف في الاخبار
الى داود من ذلك ذهب احمد بن نصر وابو تمام وغيرهما من المحققين
قال الداودي ليس في قصة داود وأوريا خبر يثبت ولا يظن
بنبي قتل مسلم واما قصة يوسف عليه السلم واخوته فليس على
يوسف منها تعقب واما اخوته فلم تثبت نبوتهم فيلزم الكلام

على

على افعالهم وذكر الاسباط وعدهم في القران عند ذكر الانبيا
قال المفسرون يريد من نبي من ابناء الاسباط وقد قيل انهم كانوا
حين فعلوا بيوسف ما فعلوه صغار الاسنان ولهذا لم يميزوا يوسف
حين اجتمعوا به ولهذا قالوا ارسله معنا غدا نرتع ونلعب وان ثبتت
لهم نبوة فبعد هذا والله اعلم واما قول الله تعالى فيه ولقد همت به
وهم بها لولا ان رأى برهان ربه فعلى مذهب كثير من الفقها والمحدثين
ان هم النفس لا يواخذ به وليست سيئة لقوله عليه السلام عن ربه
اذا هم عبدي بسيئة فلم يعملها كتبت له حسنة فلا معصية في همه
اذا واما على مذهب المحققين من الفقها والمتكلمين فان الهم اذا وطنت
عليه النفس سيئة واما ما لم توطن عليه النفس من همومها وخواطرها
فهو المعفو عنه وهذا هو الحق فيكون ان شا الله هم يوسف من
هذا ويكون قوله وما ابرئ نفسي الاية اي ما ابرئها من هذا الهم
او يكون ذلك منه على طريق التواضع والاعتراف لمخالفة النفس
لما زكي قبل وبري فكيف وقد حكى ابو حاتم عن ابي عبيدة ان يوسف
لم يهم وان الكلام فيه تقديم وتاخير اي ولقد همت به ولولا ان
رأى برهان ربه لهم بها وقد قال الله تبارك وتعالى عن المراة ولقد
راودته عن نفسه فاستعصم وقال تعالى كذلك لنصرف عنه السوء
والفحشا وقال وغلقت الابواب وقالت هيت لك قال معاذ الله
انه ربي احسن مثواي قيل في ربي الله وقيل الملك وقيل هم بها اي

يزجرها ووعظها وقيل هم بها اي غمها امتناعه عنها وقيل هم
بها نظر اليها وقيل هم بضربها ودفعها وقيل هذا كله كان قبل نبوته
وقد ذكر بعضهم ما زال النسآء يملن الى يوسف ميل شهوة حتى نباه
الله فالقى عليه هيبة النبوة فشغلت هيبته كل من راه عن حسنه
واما خبر موسى مع قتيله الذي ذكره فقد نص الله تعالى انه من عدوه
قال كان من القبط الذين على دين فرعون ودليل السورة في هذا
كله انه قبل نبوة موسى وقال قتادة وكزه بالعصا ولم يتعمد قتله فعلى
هذا لا معصية في ذلك وقوله هذا من عمل الشيطان وقوله ظلمت
نفسي فاغفر لي قال ابن جريج قال ذلك من اجل انه لا ينبغي لنبي ان يقتل
حتى يومر وقال النقاش لم يقتله عن عمد مريدا للقتل وانما وكزه
وكزه يريد بها دفع ظلمه قال وقد قيل ان هذا كان قبل النبوة وهو
مقتضى التلاوة وقوله في قصته وفتناك فتونا اي ابتليناك ابتلا
بعد ابتلا قيل في هذه القصة وما جرى له مع فرعون وقيل القاوه
في التابوت واليم وغير ذلك وقيل معناه اخلصناك اخلاصا
قاله ابن جبير ومجاهد من قولهم فتنت الفضة في النار اذا اخلصتها
واصل الفتنة معنى الاختبار واظهار ما بطن الا انه يستعمل في عرف
الشرع في اختبار ادى الى ما يكره وكذلك ما روي في الخبر الصحيح من
ان ملك الموت جاءه فلطم عينه ففقاها الحديث ليس فيه ما يحكم
على موسى عليه السلم بالتعدي وفعل ما لا يجب له اذ هو ظاهر الامر

200 بين الوجه جايز الفعل لان موسى دافع عن نفسه من اتاه لاتلافها
وقد تصور له في صورة ادمي ولا يمكن انه علم حينيذ انه ملك
الموت فدافعه عن نفسه مدافعة ادت الى ذهاب عين تلك الصورة
التي تصور له فيها الملك امتحانا من الله فلما جاءه بعد واعلمه الله انه
رسوله اليه استسلم وللمتقدمين والمتاخرين على هذا الحديث اجوبة
هذا اسدها عندي وهو تاويل شيخنا الامام ابي عبد الله المازري
وقد تاوله قديما ابن عايشة وغيره على صكه ولطمه بالحجة وفقو عين
حجته وهو كلام مستعمل في هذا الباب في اللغة معروف
واما قصة سليمان وما حكى فيها اهل التفسير من ذنبه وقوله تعالى
ولقد فتنا سليمان فمعناه ابتليناه وابتلاوه ما حكي عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال لاطوفن الليلة على ماية امراة او تسع وتسعين
كلهن ياتين بفارس يجاهد في سبيل الله فقال له صاحبه قل ان شاء
الله فلم يقل فلم تحمل منهن الا امراة واحدة جاءت بشق رجل قال
النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا
في سبيل الله قال اصحاب المعاني والشق هو الجسد الذي القي على
كرسيه حين عرض عليه وهي عقوبته ومحنته وقيل بل مات فالقي
على كرسيه ميتا وقيل ذنبه حرصه على ذلك وتمنيه وقيل لانه لم
يستثن لما استغرقه من الحرص وغلب عليه من التمني وقيل عقوبته
ان سلب ملكه وذنبه ان احب بقلبه ان يكون الحق لاختانه

على خصمهم وقيل أوخذ بذنب قارفه بعض نسائه ولا يصح ما
نقله الأخباريون من تشبه الشيطان به وتسلطه على ملكه وتصرفه
في أمته بالجور في حكمه لأن الشياطين لا يسلطون على مثل هذا
وقد عصم الأنبيا من مثله وان سيل لم لم يقل سليمان في القصة
المذكورة ان شا الله فعنه أجوبة أحدها ما روي في الحديث
الصحيح انه نسي أن يقولها وذلك لينفذ مراد الله تعالى والثاني انه لم
يسمع صاحبه وشغل عنه وقوله هب لي ملكا لا ينبغي لأحد من
بعدي لم يفعل هذا سليمان غيرة على الدنيا ولا نفاسة بها ولكن
مقصده في ذلك على ما ذكره المفسرون أن لا يسلط عليه أحد كما
سلط عليه الشيطان الذي سلبه اياه مدة امتحانه على قول من قال
ذلك وقيل بل أراد أن يكون له من الله فضيلة وخاصة يختص بها
كاختصاص غيره من انبيا الله ورسله بخواص منه وقيل ليكون ذلك
دليلا وحجة على نبوته كالانة الحديد لابيه واحيا الموتى لعيسى
واختصاص محمد صلى الله عليه وسلم بالشفاعة ونحو هذا واما
قصة نوح عليه السلام فظاهرة العذر وانه اخذ فيها بالتاويل
وظاهر اللفظ لقوله تعالى واهلك فطلب مقتضى هذا اللفظ
واراد عليه السلم علم ما طوي عنه من ذلك لا انه شك في وعد
الله فبين الله عليه انه ليس من اهله الذين وعده بنجاتهم لكفره وعمله
الذي هو غير صالح وقد اعلمه انه مغرق الذين ظلموا ونهاه عن

مخاطبته

مخاطبته فيهم فاوخذ بهذا التاويل وعتب عليه واشفق هو من
اقدامه على ربه لسواله ما لم يوذن له في السوال فيه وكان نوح
فيما حكاه النقاش لا يعلم بكفر ابنه وقيل في الآية غير هذا ولا يقضى
على نوح بمعصية سوى ما ذكرناه من تاويله واقدامه بالسوال فيما لم
يوذن له فيه ولا نهي عنه وما روي في الصحيح من ان نبيا قرصته
نملة فحرق قرية النمل فاوحى الله تعالى اليه ان قرصتك نملة احرقت
امة من الامم تسبح فليس في هذا الحديث ان هذا الذي اتى معصية بل
فعل ما راه مصلحة وصوابا بقتل من يوذي جنسه ويمنع المنفعة بما اباح
الله الا ترى ان هذا النبي كان نازلا تحت الشجرة فلما اذته النملة تحول برحله
عنها مخافة تكرار الاذى عليه وليس فيما اوحى الله اليه ما يوجب عليه
معصية بل ندبه الى احتمال الصبر وترك التشفي كما قال تعالى ولين صبرتم
لهو خير للصابرين اذ ظاهر فعله انما كان لاجل انها اذته هو في خاصته
فكان انتقاما لنفسه وقطع مضرة يتوقعها من بقية النمل هناك ولم يات
في كل هذا امرا نهي عنه فيعصي به ولا نص فيما اوحى الله اليه بذلك ولا
بالتوبة والاستغفار منه والله اعلم **فصل** فان قلت فاذا نفيت
عنهم صلوات الله عليهم الذنوب والمعاصي بما ذكرته من اختلاف المفسرين
وتاويل المحققين فما معنى قوله تعالى وعصى آدم ربه فغوى وما تكرر في
القران والحديث الصحيح من اعتراف الانبيا بذنوبهم وتوبتهم واستغفارهم
وبكايهم على ما سلف منهم واشفاقهم وهل يشفق ويتاب

وتستغفر من لا شئ فاعلم وفقنا الله واياك ان درجة الانبياء
في الرفعة والعلو والمعرفة بالله وسنته في عباده وعظم سلطانه
وقوة بطشه مما يحملهم على الخوف منه جل جلاله والاشفاق
من المواخذة بما لا يواخذ به غيرهم وانهم في تصرفهم بامور لم
ينهوا عنها ولا امروا ثم اوخذوا عليها وعوتبوا بسببها او حذروا
من المواخذة بها واتوها على وجه التاويل او السهو او تزيد من
امور الدنيا المباحة خايفون وجلون وهي ذنوب بالاضافة الى
علي منصبهم ومعاص بالنسبة الى كمال طاعتهم لا انها كذنوب
غيرهم ومعاصيهم فان الذنب ماخوذ من الشي الدني الرذل
ومنه ذنب كل شي اخره واذناب الناس رذالهم فكان هذه ا
ادنى افعالهم واسوا ما يجري من احوالهم لتطهيرهم وتنزيههم
وعمارة بواطنهم وظواهرهم بالعمل الصالح والكلم الطيب
والذكر الظاهر والخفي والخشية لله واعظامه في السر والعلانية
وغيرهم يتلوث من الكباير والقبايح والفواحش ما تكون بالاضافة
اليه هذه الهنات في حقه كالحسنات كما قيل حسنات الابرار
سيات المقربين اي يرونها بالاضافة الى علي احوالهم كالسيات
وكذلك العصيان الترك والمخالفة فعلى مقتضى اللفظة كيف ما
كانت من سهو او تاويل فهي مخالفة وترك وقوله غوى اي جهل ان
تلك الشجرة هي التي نهي عنها والغي الجهل وقيل اخطا ما طلب
من

من الخلود اذ اكلها وخابت امنيته وهذا يوسف عليه السلم قد
اوخذ بقوله لاحد صاحبي السجن اذكرني عند ربك فانساه الشيطان
ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين قيل انسي يوسف ذكر الله وقيل
انسي صاحبه ان يذكره لسيده الملك قال النبي صلى الله وسلم لولا كلمة
يوسف ما لبث في السجن ما لبث وقال ابن دينار لما قال ذلك يوسف
قيل له اتخذت من دوني وكيلا لاطيلن حبسك وقال يا رب انسى
قلبي كثرة البلوى وقال بعضهم يواخذ الانبيا بمثاقيل الذر لمكانتهم
عنده ويجاوز عن ساير الخلق لقلة مبالاته بهم في اضعاف ما اتوا
به من سو الادب وقد قال المحتج للفرقة الاولى على سياق ما
قلناه اذا كان الانبيا يواخذون بهذا مما لا يواخذ به غيرهم من السهو
والنسيان وما ذكرته وحالهم ارفع فحالهم اذا في هذا اسوا حالا من
غيرهم فاعلم اكرمك الله انا لا نثبت لك المواخذة في هذا على حد
مواخذة غيرهم بل نقول انهم يواخذون بذلك في الدنيا ليكون
ذلك زيادة في درجاتهم ويبتلون بذلك ليكون استشعارهم له سببا
لنماء رتبتهم كما قال ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى وقال لداود
فغفرنا له ذلك الاية وقال بعد قول موسى تبت اليك اني اصطفيتك
على الناس وقال بعد ذكر فتنة سليمان وانابته فسخرنا له الريح الى
حسن ماب قال بعض المتكلمين زلات الانبيا في الظاهر زلات
وفي الحقيقة كرامات وزلف واشار الى نحو مما قدمناه وايضا فينبه

غيرهم من البشر منهم او ممن ليس في درجتهم بمواخذه تهمد لك
فيستشعروا الحذر وتعقده والمحاسبه ليلتزموا الشكر على النعم وبعد الصبر
على المحن بملاحظه ما وقع باهل هذا النصاب الرفيع المعصوم فكيف
بمن سواهم ولهذا قال صالح المري ذكر داود بسطه للتوابين ۝
وقال ابن عطاء لم يكن ما نص الله من قصه صاحب الحوت نقصا
له ولكن استزاده من نبينا عليه السلم وايضا فقال لهم فانكم ومن
وافقكم تقولون بغفران الصغاير باجتناب الكباير ولا خلاف ۝
بعصمه الانبيا من الكباير فما جوزتم من وقوع الصغاير عليهم
هي مغفوره على هذا فما معنى المواخذه بها اذا عندكم وخوف
الانبيا وتوبتهم منها وهي مغفوره لو كانت فما اجابوا به فهو جوابنا
عن المواخذه بافعال السهو والتاويل وقد قيل ان كثره استغفار
النبي صلى الله عليه وسلم وتوبته وغيره من الانبيا على وجه ملازمه
الخضوع والعبوديه والاعتراف بالتقصير شكرا لله على نعمه كما قال
عليه السلم وقد امن من المواخذه بما تقدم وما تاخر فلا اكون عبدا
شكورا وقال اني اخشاكم لله واعلمكم بما اتقي قال الحارث ابن
اسد خوف الملايكه والانبيا خوف اعظام وتعبد لله لانهم امنون
وقيل فعلوا ذلك ليقتدي بهم وتستن بهم اممهم كما قال عليه
السلم لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وايضا فان في
التوبه والاستغفار معنى اخر لطيفا اشار اليه بعض العلما وهو ۝

استدعا محبه الله قال الله تعالى ان الله يحب التوابين ويحب
المتطهرين فاحداث الرسل والانبيا للاستغفار والتوبه والانابه
والاوبه في كل حين استدعا لمحبه الله والاستغفار فيه معنى التوبه
وقد قال الله تعالى لنبيه بعد ان غفر له ما تقدم وما تاخر
لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الايه وقال فسبح
بحمد ربك واستغفره انه كان توابا **فصل** قد استبان لك ايها
الناظر بما قررناه ما هو الحق من عصمته عليه السلم عن الجهل بالله ۝
وصفاته او كونه على حاله تنافي العلم بشي من ذلك كله جمله بعد
النبوه عقلا واجماعا وقبلها سمعا ونقلا ولا بشي مما قررته من
امور الشرع واداه عن ربه من الوحي قطعا عقلا وشرعا وعصمته
عن الكذب وخلف القول منذ نباه الله وارسله قصدا او غير
قصد واستحاله ذلك عليه شرعا واجماعا ونظرا وبرهانا وتنزيهه
عنه قبل النبوه قطعا وتنزيهه عن الكباير اجماعا وعن الصغاير
تحقيقا وعن استدامه السهو والغفله واستمرار الغلط والنسيان
عليه فيما شرعه للامه وعصمته في كل حالاته من رضى وغضب
وجد ومزح فيجب لك ان تتلقاه باليمين وتشد عليه يد الضنين ۝
وتقدر هذه الفصول حق قدرها وتعلم عظيم فايدتها وخطرها
فان من يجهل ما يجب للنبي عليه السلم او يجوز او يستحيل عليه ولا يعرف
صور احكامه لا يامن ان يعتقد في بعضها خلاف ما هي عليه ولا

ينزهه عما لا يجب أن يضاف إليه فيهلك من حيث لا يدري ۝
ويسقط في هوة الدرك الأسفل من النار إذ ظن الباطل به واعتقاد ما
لا يجوز عليه يحل بصاحبه دار البوار ولهذا ما احتاط عليه
السلام على الرجلين اللذين رأياه ليلاً وهو معتكف في المسجد مع صفية
فقال لهما إنها صفية ثم قال لهما إن الشيطان يجري من ابن آدم
مجرى الدم وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شيئاً فتهلكا
هذه أكرمك الله إحدى فوائد ما تكلمنا عليه في هذه الفصول ولعل
جاهلاً لا يعلم بجهله إذا سمع شيئاً منها يرى أن الكلام فيها جملة من
فضول العلم وأن السكوت أولى وقد استبان لك أنه متعين ۝
للفائدة التي ذكرناها وفائدة ثانية يضطر إليها في أصول الفقه
ويبنى عليها مسائل لا تنعد من الفقه ويتخلص بها من تشغيب مختلفي
الفقهاء في عدة منها وهي الحكم في أقوال النبي صلى الله عليه وسلم وأفعاله
وهو باب عظيم وأصل كبير من أصول الفقه ولا بد من بنائه على ۝
صدق النبي عليه السلام في أخباره وبلاغه وأنه لا يجوز عليه السهو
فيه وعصمته من المخالفة في أفعاله عمداً وبحسب اختلافهم في وقوع
الصغائر وقع خلاف في امتثال الفعل بسط بيانه في كتب ذلك العلم
فلا نطول به وفائدة ثالثة يحتاج إليها الحاكم والمفتي فيمن أضاف
إلى النبي صلى الله عليه وسلم شيئاً من هذه الأمور ووصفه بها فمن لم
يعرف ما يجوز وما يمتنع عليه وما وقع الإجماع فيه والخلاف

كيف يصمم في الفتيا في ذلك ومن أين يدري هل ما قاله فيه
أو مدح فإما أن يجترئ على سفك دم مسلم حرام أو يسقط حقاً
ويضيع حرمة للنبي صلى الله عليه وسلم وبسبيل هذا ما قد اختلف
أرباب الأصول وأئمة العلماء المحققين في عصمة الملائكة

فصل

في القول في عصمة الملائكة عليهم السلام أجمع المسلمون أن الملائكة
مؤمنون فضلاء واتفق أئمة المسلمين أن حكم المرسلين منهم حكم النبيين
سواء في العصمة مما ذكرنا عصمتهم منه وأنهم في حقوق الأنبياء
والتبليغ إليهم كالأنبياء مع الأمم واختلفوا في غير المرسلين منهم
فذهبت طائفة منهم إلى عصمة جميعهم عن المعاصي واحتجوا بقوله
تعالى لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون وبقوله وما
منا إلا له مقام معلوم وإنا لنحن الصافون وإنا لنحن المسبحون ۝
وبقوله ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون
الآية وبقوله إن الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته وبقوله
كرام بررة ولا يمسه إلا المطهرون ونحوه من السمعيات وذهبت
طائفة إلى أن هذا خصوص للمرسلين منهم والمقربين واحتجوا
بأشياء ذكرها أهل الأخبار والتفاسير نحن نذكرها إن شاء الله بعد
ونبين الوجه فيها إن شاء الله والصواب عصمة جميعهم وتنزيه نصابهم
الرفيع عن جميع ما يحط من رتبتهم ومنزلتهم عن جليل مقدارهم ورأيت
بعض شيوخنا أشار إلى أن لا حاجة بالفقيه إلى الكلام في عصمتهم

وانا اقول ان للكلام في ذلك ما للكلام في عصمة الانبيا من
الفوايد التي ذكرناها سوى فايدة الكلام في الاقوال والافعال
فهي ساقطة هاهنا فمما احتج به من لم يوجب عصمة جميعهم قصة
هاروت وماروت وما ذكر فيها اهل الاخبار ونقله المفسرين
وما روي عن علي وابن عباس في خبرهما وابتلايهما فاعلم اكرمك الله
ان هذه الاخبار لم تروَ منها شي لا سقيم ولا صحيح عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم وليس هو شي يوخذ بقياس والذي منه في القران
اختلف المفسرون في معناه وانكر ما قال بعضهم فيه كثير من السلف
كما سنذكره وهذه الاخبار من كتب اليهود وافترايهم كما نصه الله
اول الايات من افترايهم بذلك على سليمان وتكفيرهم اياه وقد انطوت
القصة على شنع عظيمة وها نحن نخبر في ذلك ما يكشف غطا هذه
الاشكالات ان شا الله فاختلف اولا في هاروت وماروت هل
هما ملكان او انسيان وهل هما المراد بالملكين ام لا وهل القراة
ملكين او ملكين وهل ما في قوله وما انزل وما يعلمان من احد نافية
او موجبة فاكثر المفسرين ان الله امتحن الناس بالملكين لتعليم السحر وتبيينه
وان عمله كفر فمن تعلمه كفر ومن تركه امن قال الله تعالى انما نحن فتنة
فلا تكفر وتعليمهما الناس له تعليم انذار اي يقولان لمن جا يطلب
تعلمه لا تفعلوا كذا فانه يفرق بين المرء وزوجه ولا تتحيلوا بكذا
فانه سحر فلا تكفروا فعلى هذا فعل الملكين طاعة وتصرفهما فيما امرا

به ليس بمعصية وهو لغيرهما فتنة وروى ابن وهب عن خالد بن ابي
عمران انه ذكر عنده هاروت وماروت وانهما يعلمان السحر فقال نحن
ننزههما عن هذا فقرا بعضهم وما انزل على الملكين فقال خالد لم ينزل
عليهما فهذا خالد على جلالته وعلمه نزههما عن تعليم السحر الذي قد ذكر
غيره انهما ماذون لهما في تعليمه بشريطة ان يبينا انه كفر وانه امتحان من
الله وابتلا فكيف لا ينزههما عن كباير المعاصي والكفر المذكور في تلك
الاخبار وقول خالد لم ينزل يريد ان السحر الذي افتعله عليه الشيا
واتبعهم في ذلك اليهود وما انزل على الملكين قال مكي هما جبريل وميكايل
ادعى اليهود عليهما المجي به كما ادعوا على سليمان فاكذبهم الله في ذلك
ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ببابل هاروت وماروت
قيل هما رجلان تعلماه قال الحسن هما علجان من اهل بابل وقرا وما
انزل على الملكين بكسر اللام وتكون ما ايجابا على هذا وكذلك قراه
عبد الرحمن بن ابزي بكسر اللام ولكنه قال الملكان هنا داود
وسليمان وتكون ما نفيا على ما تقدم وقيل كانا ملكين من بني
اسرايل فمسخهما الله حكاه السمرقندي والقراة بكسر اللام شاذة فحمل
الاية على تقدير ابي محمد مكي حسن ينزه الملايكة ويذهب الرجس عنهم
ويطهرهم تطهيرا وقد وصفهم الله بانهم مطهرون وكرام بررة ولا
يعصون الله ما امرهم ومما يذكرونه قصة ابليس وانه كان من الملايكة
ورييسا فيهم ومن خزان الجنة الى اخر ما حكوه وانه استثناه من

انه ما نافية وهو قول ابن عباس وغيره
يكون تقدير الكلام وما كفر سليمان ولم ينزل
الشياطين

الملايكة بقوله فسجدوا الا ابليس وهذا ايضا لم يتفق عليه بل
الاكثر ينفون ذلك وانه ابو الجن كما آدم ابو الانس وهو قول
الحسن وقتادة وابن زيد وقال شهر بن حوشب كان من الجن الذين
طردتهم الملايكة في الارض حين افسدوا والاستثنا من غير الجنس
شايع في كلام العرب سايغ وقد قال الله تعالى ما لهم به من علم الا
اتباع الظن وما رووه في الاخبار ان خلقا من الملايكة عصوا الله
فحرقوا وامروا ان يسجدوا لآدم فابوا فحرقوا ثم آخرون كذلك حتى
سجد له من ذكر الله الا ابليس في اخبار لا اصل لها تردها صحاح الاخبار
فلا نشتغل بها

الباب الثاني

فيما يخصهم من الامور الدنيوية ويطرا عليهم من العوارض البشرية
قد قدمنا انه عليه السلام وساير الانبيا والرسل من البشر وان
جسمه وظاهره خالص للبشر يجوز عليه من الآفات والتغييرات
والآلام والاسقام وتجرع كاس الحمام ما يجوز على البشر وهذا كله
ليس بنقيصة فيه لان الشي انما يسمى ناقصا بالاضافة الى ما هو
اتم منه واكمل من نوعه وقد كتب الله على اهل هذه الدار فيها تحيون
وفيها تموتون ومنها تخرجون وخلق جميع البشر بمدرجة الغير فقد
مرض عليه السلام واشتكى واصابه الحر والقر وادركه الجوع
والعطش ولحقه الغضب والضجر وناله الاعيا والتعب ومسه الضعف
والكبر وسقط فجحش شقه وشجه الكفار وكسروا رباعيته وسقي السم

وسحر وتداوى واحتجم وتنشر وتعوذ ثم قضى نحبه فتوفي صلى الله
عليه وسلم ولحق بالرفيق الاعلى وتخلص من دار الامتحان والبلوى
وهذه سمات البشر التي لا محيص عنها واصاب غيره من الانبيا ما هو
اعظم منها فقتلوا قتلا ورموا في النار ووشروا بالمناشير ومنهم من
وقاه الله ذلك في بعض الاوقات ومنهم من عصمه كما عصم بعد نبينا
من الناس فلئن لم يكف نبينا ربه يد ابن قمية يوم احد ولا حجبه عن
عيون عداه عند دعوته اهل الطايف فلقد اخذ على عيون
قريش عند خروجه الى ثور وامسك عنه سيف غورث وحجر ابي
جهل وفرس سراقة ولئن لم يقه من سحر ابن الاعصم فلقد وقاه ما هو
اعظم من سم اليهودية وهكذا ساير انبيايه مبتلا ومعافا وذلك
من تمام حكمته ليظهر شرفهم في هذه المقامات ويبين امرهم ويتم كلمته
فيهم وليحقق بامتحانهم بشريتهم ويرتفع الالتباس عن اهل الضعف
فيهم لئلا يضلوا بما يظهر من العجايب على ايديهم ضلال النصارى
بعيسى وليكون في محنهم تسلية لاممهم ووفور لاجورهم عند ربهم
تماما على الذي احسن اليهم قال بعض المحققين وهذه الطواري
والتغييرات المذكورة انما تختص باجسامهم البشرية المقصود بها
مقاومة البشر ومعاناة بني آدم لمشاكلة الجنس واما بواطنهم
فمنزهة غالبا عن ذلك معصومة منه متعلقة بالملا الاعلى والملايكة
لاخذها عنهم وتلقيها الوحي منهم قال وقد قال عليه السلم

ان عيني تنامان ولا ينام قلبي وقوله اني لست كهيئتكم اني ابيت يطعمني
ربي ويسقيني وقوله لست انسى ولكن انسى ليستن بي فاخبر ان سره
وباطنه وروحه بخلاف جسمه وظاهره وان الافات التي تحل ظاهره
من ضعف وجوع وسهر ونوم لا يحل منها شي باطنه بخلاف غيره
من البشر في حكم الباطن لان غيره اذا نام استغرق النوم جسمه
وقلبه وهو عليه السلم في نومه حاضر القلب كما هو في يقظته قد جا
في بعض الاثار انه كان محروسا من الحدث في نومه لكون قلبه
يقظان كما ذكرناه وكذلك غيره اذا جاع ضعف لذلك جسمه وخارت
قوته فبطلت بالكلية جملته وهو عليه السلم قد اخبر انه لا يعتريه
ذلك وانه بخلافهم بقوله لست كهيئتكم اني ابيت يطعمني ربي ويسقيني
وكذلك اقول انه في هذه الاحوال كلها من وصب ومرض وسحر
وغضب لم يجر على باطنه ما يخل به ولا فاض منه على لسانه وجوارحه
ما لا يليق به كما يعتري غيره من البشر مما ناخذ بعد في بيانه فصل
فان قلت فقد جاءت الاخبار الصحيحة انه عليه السلم سحر كما حدثنا
الشيخ ابو محمد العتابي بقراتي عليه قال حدثنا حاتم بن محمد حدثنا ابو الحسن
علي بن خلف حدثنا محمد بن احمد حدثنا محمد بن يوسف حدثنا البخاري
حدثنا عبيد بن اسمعيل حدثنا ابو اسامة عن هشام بن عروة عن ابيه
عن عايشة قالت سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انه ليخيل
اليه انه فعل الشي وما فعله وفي رواية اخرى حتى كان يخيل اليه

انه كان ياتي النسا ولا ياتيهن الحديث واذا كان هذا من التباس
الامر على المسحور فكيف حال النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك وكيف
جاز عليه وهو معصوم فاعلم وفقنا الله واياك ان هذا
الحديث صحيح متفق عليه وقد طعنت فيه الملحدة وتذرعت به لسخف
عقولها وتلبيسها على امثالها الى التشكيك في الشرع وقد نزه الله
الشرع والنبي عما يدخل في امره لبسا وانما السحر مرض من الامراض
وعارض من العلل يجوز عليه كانواع الامراض مما لا ينكر ولا يقدح
في نبوته واما ما ورد انه كان يخيل اليه انه فعل الشي ولا يفعله
فليس في هذا ما يدخل عليه داخلة في شي من تبليغه او شريعته او
يقدح في صدقه لقيام الدليل والاجماع على عصمته من هذا
وانما هذا فيما يجوز طروه عليه في امر دنياه التي لم يبعث بسببها ولا
فضل من اجلها وهو فيها عرضة للافات كساير البشر فغير بعيد ان
يخيل اليه من امورها ما لا حقيقة له ثم ينجلي عنه كما كان وايضا
فقد فسر هذا الفصل الحديث الاخر من قوله حتى يخيل اليه انه ياتي
اهله ولا ياتيهن وقد قال سفيان وهذا اشد ما يكون من السحر
ولم يات في خبر منها انه نقل عنه في ذلك قول بخلاف ما كان
اخبر انه فعله ولم يفعله وانما كانت خواطر وتخيلات وقد قيل
ان المراد بالحديث انه كان يتخيل الشي انه فعله وما فعله لكنه
تخييل لا يعتقد صحته فتكون اعتقاداته كلها على السداد واقواله

على الصحة هذا ما وقفت عليه لأئمتنا من الأجوبة عن هذا ٥
الحديث مع ما أوضحناه من معنى كلامهم وزدناه بيانا من تلويحهم
وكل وجه منها مقنع لكنه قد ظهر لي في الحديث تأويل أجلى وأبعد
من مطاعن ذوي الأضاليل يستفاد من نفس الحديث وهو أن
عبد الرزاق قد روى هذا الحديث عن ابن المسيب وعروة بن
الزبير وقال فيه عنهما سحر يهود بني زريق رسول الله صلى الله
عليه وسلم فجعلوه في بئر حتى كاد رسول الله صلى الله عليه وسلم
أن ينكر بصره ثم دله الله على ما صنعوا فاستخرجه من البئر وذكر
عن عطاء الخراساني عن يحيى بن يعمر حبس رسول الله صلى الله عليه
وسلم عن عائشة سنة فبينا هو نائم أتاه ملكان فقعد أحدهما
عند رأسه والآخر عند رجليه الحديث قال عبد الرزاق
حبس رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عائشة سنة خاصة حتى
أنكر بصره فقد استبان لك من مضمون هذه الروايات أن السحر
إنما تسلط على ظاهره وجوارحه لا على قلبه واعتقاده وعقله وأنه
إنما حبسه عن وطء نسائه ويكون معنى قوله يخيل إليه أنه يأتي ٥
أهله ولا يأتيهن أي يظهر له من نشاطه ومتقدم عادته القدرة
على النساء فإذا دنى منهن أصابته أخذة السحر فلم يقدر على إتيانهن
كما يعتري من أخذ واعترض ولعله لمثل هذا أشار سفيان بقوله
وهذا أشد ما يكون من السحر ويكون قول عائشة في الرواية الأخرى

أنه ليخيل إليه أنه فعل الشيء وما فعله من باب ما اختل من بصره كما ذكر
في الحديث فيظن أنه رأى شخصا من بعض أزواجه أو شاهد فعلا من غيره
ولم يكن على ما يخيل إليه لما أصابه في بصره وضعف نظره لا لشيء ٥
طرأ عليه في ميزه وإذا كان هذا لم يكن فيما ذكر من إصابة السحر له وتأثيره
فيه ما يدخل لبسا ولا يجد به الملحد المعترض أنسا فصل هذه
حاله في جسمه فأما أحواله في أمور الدنيا فنحن نسبرها على أسلوبها
المتقدم بالعقد والقول والفعل أما العقد منها فقد يعتقد في أمور
الدنيا الشيء على وجه ويظهر خلافه أو يكون منه على شك أو ظن بخلاف
أمور الشرع كما حدثنا أبو بحر سفيان بن العاص وغير واحد سماعا وقراءة
قالوا حدثنا أبو العباس أحمد بن عمر قال حدثنا أبو العباس الرازي ٥
حدثنا أبو أحمد بن عمرويه حدثنا ابن سفيان حدثنا مسلم حدثنا عبد
الله بن الرومي وعباس العنبري وأحمد المعقري قالوا حدثنا النضر بن
محمد قال حدثني عكرمة حدثنا أبو النجاشي حدثنا رافع بن خديج قال
قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وهم يأبرون النخل فقال ما تصنعون
قالوا كنا نصنعه قال لعلكم لو لم تفعلوا كان خيرا فتركوه فنقصت فذكروا
ذلك له فقال إنما أنا بشر إذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به وإذا أمرتكم
بشيء من رأي فإنما أنا بشر وفي رواية أنس أنتم أعلم بأمر دنياكم وفي حديث
آخر إنما ظننت ظنا ولا تؤاخذوني بالظن وفي حديث ابن عباس في قصة
الخرص فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما أنا بشر فما حدثتكم

عن الله فهو حق وما قلت فيه من قبل نفسي فانما انا بشر اخطئ واصيب
وهذا على ما قررناه فيما قاله من قبل نفسه في امور الدنيا وظنه من
احوالها لا ما قاله من قبل نفسه واجتهاده في شرع شرعه وسنة
سنها وكما حكى ابن اسحق انه عليه السلم لما نزل بادنى مياه بدر
قال له الحباب بن المنذر اهذا منزل انزلكه الله ليس لنا ان نتقدمه
ام هو الراي والحرب والمكيدة قال فانه ليس بمنزل انهض حتى
ناتي ادنى ماء من القوم فننزله ثم نغور ما وراءه من القلب فنشرب
ولا يشربون فقال اشرت بالراي وفعل ما قاله وقد قال
له الله تعالى وشاورهم في الامر واراد مصالحة بعض عدوه على ثلث
ثمر المدينة فاستشار الانصار فلما اخبروه برايهم رجع عنه فمثل
هذا واشباهه من امور الدنيا التي لا مدخل فيها لعلم ديانة ولا
اعتقادها ولا تعليمها يجوز عليه فيه ما ذكرناه اذ ليس في هذا كله
نقيصة ولا محطة وانما هي امور اعتيادية يعرفها من جربها وجعلها
همه وشغل نفسه بها والنبي صلى الله عليه وسلم مشحون القلب بمعرفة
الربوبية ملآن الجوانح بعلوم الشريعة مقيد البال بمصالح الامة
الدينية والدنيوية ولكن هذا انما يكون في بعض الامور ويجوز في
النادر وفيما سبيله التدقيق في حراسة الدنيا واستثمارها لا في الكثير
المؤذن بالبله والغفلة وقد تواتر بالنقل عنه عليه السلم من المعرفة
بامور الدنيا ودقايق مصالحها وسياسة فرق اهلها ما هو معجز

في البشر مما قد نبهنا عليه في باب معجزاته من هذا الكتاب

فصل

واما ما يعتقد في امور احكام البشر الجارية على يديه وقضاياهم ومعرفة
المحق من المبطل وعلم المصلح من المفسد فبهذه السبيل لقوله عليه
السلم انما انا بشر وانكم تختصمون الي ولعل بعضكم ان يكون الحن
بحجته من بعض فاقضي له على نحو ما اسمع فمن قضيت له من حق اخيه بشيء
فلا ياخذ منه شيئا فانما اقطع له قطعة من النار حدثنا الفقيه
ابو الوليد رحمه الله حدثنا الحسين بن محمد الحافظ حدثنا ابو عمر
حدثنا ابو محمد حدثنا ابو بكر حدثنا ابو داود حدثنا محمد بن كثير
اخبرنا سفيان عن هشام بن عروة عن ابيه عن زينب بنت ام سلمة
عن ام سلمة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث
وفي رواية الزهري عن عروة فلعل بعضكم ان يكون ابلغ من بعض
فاحسب انه صادق فاقضي له وتجري احكامه عليه السلم على الظاهر
وموجب غلبات الظن بشهادة الشاهد ويمين الحالف ومراعاة
الاشبه ومعرفة العفاص والوكاء مع مقتضى حكمة الله تعالى في ذلك
وانه تعالى لو شاء لاطلعه على سرائر عباده ومخبآت ضمائر امته
فتولى الحكم بينهم بمجرد يقينه وعلمه دون حاجة الى اعتراف او بينة
او يمين او شبهة ولكن لما امر الله امته باتباعه والاقتداء به في افعاله
واحواله وقضاياه وسيره وكان هذا لو كان مما يختص بعلمه
ويؤثره الله به لم يكن للامة سبيل الى الاقتداء به في شيء من ذلك

ولا قامت حجة بقضية من قضاياه لأحد في شريعته لأنا لا نعلم
ما اطلع عليه هو في تلك القضية لحكمه هو اذا في ذلك بالمكنون من
اعلام الله له بما اطلعه عليه من سرائرهم وهذا مما لا تعلمه الامة
فأجرى الله احكامه على ظواهرهم التي يستوي في ذلك هو
وغيره من البشر ليتم اقتداء امته به في تعيين قضاياه وتنزيل احكامه
ويأتون ما اتوا من ذلك على علم ويقين من سنته اذ البيان بالفعل
اوقع منه بالقول وارفع لاحتمال اللفظ وتاويل المتاول وكان
حكمه على الظاهر اجلى في البيان واوضح في وجوه الاحكام واكثر فائدة
لموجبات التشاجر والخصام وليقتدي بذلك كله حكام امته
ويستوثق بما يؤثر عنه وينضبط قانون شريعته وطي ذلك عنه
من علم الغيب الذي استأثر به عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا
الا من ارتضى من رسول فيعلمه منه بما شاء ويستأثر بما شاء ولا يقدح
هذا في نبوته ولا يفصم عروة من عصمته **فصل** واما اقواله
الدنيوية من اخباره عن احواله واحوال غيره وما يفعله او فعله
فقد قدمنا ان الخلف فيها ممتنع عليه في كل حال وعلى اي وجه من
عمد او سهو او صحة او مرض او رضا او غضب وانه معصوم منه
صلى الله عليه وسلم هذا فيما طريقه الخبر المحض مما يدخله الصدق
والكذب فاما المعاريض الموهم ظاهرها خلاف باطنها فجائز
ورودها منه في الامور الدنيوية لا سيما لقصد المصلحة كتوريته

عن وجه مغازيه لئلا يأخذ العدو حذره وكما روي من ممازحته
ودعابته لبسط امته وتطييب قلوب المؤمنين من صحابته وتأكيدا في
تحببهم ومسرة نفوسهم كقوله لاحملنك على ابن الناقة وقوله للمرأة التي
سألته عن زوجها اهو الذي بعينه بياض وقد قال عليه السلم
اني لأمزح ولا اقول الا حقا هذا كله فيما بابه الخبر واما ما بابه غير
الخبر مما صورته صورة الامر والنهي في الامور الدنيوية فلا يصح منه
ايضا ولا يجوز عليه ان يأمر احدا بشيء او ينهى احدا عن شيء وهو يبطن
خلافه وقد قال عليه السلم ما كان لنبي ان تكون له خائنة
الاعين فكيف ان تكون له خيانة قلب فان قلت فما معنى قوله
تعالى اذ في قصة زيد واذ تقول للذي انعم الله عليه وانعمت عليه
امسك عليك زوجك الاية فاعلم اكرمك الله ولا تسترب في تنزيه
النبي صلى الله عليه وسلم عن هذا الظاهر وان يأمر زيدا بامساكها
وهو يحب تطليقه اياها كما ذكر عن جماعة من المفسرين واصح ما في
هذا ما حكاه اهل التفسير عن علي بن حسين ان الله تعالى كان
اعلم نبيه ان زينب ستكون من ازواجه فلما شكاها اليه زيد قال له
امسك عليك زوجك واتق الله واخفى منه في نفسه ما اعلمه الله به
من انه سيتزوجها مما الله مبديه ومظهره بتمام التزويج وطلاق
زيد لها وروى نحوه عمرو بن فائد عن الزهري قال نزل جبريل على
النبي صلى الله عليه وسلم يعلمه ان الله يزوجه زينب بنت جحش فذلك

الذي اخفى في نفسه ويصحح هذا قول المفسرين في قوله بعد هذا
وكان امر الله مفعولا اي لابد لك ان تتزوجها ويوضح هذا ان الله
لم يبد من امره معها غير زواجه لها فدل انه الذي اخفاه عليه السلم
مما كان اعلمه به تعالى وقوله تعالى في القصة ما كان على النبي من حرج
فيما فرض الله له سنة الله الاية فدل انه لم يكن عليه حرج في الامر ٥
قال الطبري ما كان الله ليؤثم نبيه فيما احل مثال فعله لمن قبله
من الرسل قال الله سنة الله التي قد خلت من قبل اي النبيين فيما احل
لهم ولو كان على ما روي في حديث قتادة من وقوعها من قلب النبي
صلى الله عليه وسلم عندما اعجبته ومحبته طلاق زيد لها لكان فيه
اعظم الحرج وما يليق به من مد عينيه لما نهي عنه من زهرة الدنيا
ولكان هذا نفس الحسد المذموم الذي لا يرضاه ولا يتسم به
الاتقيا فكيف سيد الانبيا قال القشيري وهذا اقدام عظيم
من قايله وقلة معرفة بحق النبي صلى الله عليه وسلم وبفضله وكيف
يقال راها فاعجبته وهي بنت عمته ولم يزل يراها منذ ولدت
ولا كان النسا يحتجبن منه صلى الله عليه وسلم وهو زوجها لزيد
وانما جعل الله طلاق زيد لها وتزويج النبي صلى الله عليه وسلم
اياها لازالة حرمة التبني وابطال سنته كما قال ما كان محمد ابا
احد من رجالكم وقال لكي لا يكون على المومنين حرج في ازواج
ادعيائهم ونحوه لابن فورك وقال ابو الليث السمرقندي فان قيل

فما الفايدة في امر النبي صلى الله عليه وسلم لزيد بامساكها فهو ان
الله اعلم نبيه انها زوجته فنهاه النبي صلى الله عليه وسلم عن طلاقها
اذ لم تكن بينهما الفة واخفى في نفسه ما اعلمه الله به فلما طلقها زيد
خشي قول الناس يتزوج امراة ابنه فامره الله بزواجها ليباح مثل ذلك لامته
كما قال تعالى لكي لا يكون على المومنين حرج في ازواج ادعيائهم
وقد قيل كان امره لزيد بامساكها قمعا للشهوة وردا للنفس عن هواها
وهذا اذا جوزنا عليه انه راها فجاة واستحسنها ومثل هذا لا نكرة
فيه لما طبع عليه ابن ادم من استحسانه للحسن ونظرة الفجاة معفو
عنها ثم قمع نفسه عنها وامر زيدا بامساكها وانما تنكر تلك الزيادات
التي في القصة والتعويل والاولى ما ذكرناه عن علي بن حسين وحكاه
السمرقندي وهو قول ابن عطا وصححه واستحسنه القاضي القشيري ٥
وان خشيته عليه السلم من الناس كانت من ارجاف المنافقين ٥
واليهود وتشغيبهم على المسلمين بقولهم تزوج زوجة ابنه بعد نهيه
عن نكاح حلايل الابنا كما كان فعتبه الله على هذا ونزهه عن الالتفات
اليهم فيما احله له كما عتبه على مراعاة رضا ازواجه في سورة التحريم
بقوله لم تحرم ما احل الله لك الاية كذلك قوله له ها هنا وتخشى الناس
والله احق ان تخشاه وقد روي عن الحسن وعايشة لو كتم رسول
الله صلى الله عليه وسلم شيا لكتم هذه الاية لما فيها من عتبه وابدا
ما اخفاه فصل فان قلت قد تقررت عصمته عليه السلام

في اقواله في جميع احواله وانما لا يصح منه فيما خلف ولا اضطراب
في عمد ولا سهو ولا صحة ولا مرض ولا جد ولا مزح ولا رضى ولا
غضب ولكن ما معنى الحديث في وصيته عليه السلم الذي حدثنا به
القاضي الشهيد ابو علي رحمه الله قال حدثنا القاضي ابو الوليد قال
حدثنا ابو ذر قال حدثنا ابو محمد وابو الهيثم وابو اسحق قالوا
حدثنا محمد بن يوسف قال حدثنا محمد بن اسمعيل قال حدثنا علي بن عبد
الله حدثنا عبد الرزاق اخبرنا معمر عن الزهري عن عبيد الله بن
عبد الله عن ابن عباس قال لما حضر رسول الله صلى الله عليه
وسلم وفي البيت رجال فقال النبي صلى الله عليه وسلم هلموا اكتب
لكم كتابا لن تضلوا بعده فقال بعضهم ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قد غلبه الوجع الحديث وفي رواية ايتوني اكتب لكم
كتابا لن تضلوا بعدي ابدا فتنازعوا فقالوا ما له اهجر استفهموه
فقال دعوني فان الذي انا فيه خير وفي بعض طرقه ان النبي صلى الله
عليه وسلم يهجر وفي رواية هجر ويروى اهجر ويروى اهجرا وفيه
فقال عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قد اشتد به الوجع وعندنا
كتاب الله حسبنا وكثر اللغط فقال قوموا عني وفي رواية واختلف
اهل البيت واختصموا فمنهم من يقول قربوا يكتب لكم رسول الله
صلى الله عليه وسلم كتابا ومنهم من يقول ما قال عمر قال
ائمتنا في هذا الحديث النبي صلى الله عليه وسلم غير معصوم من

الامراض وما يكون من عوارضها من شدة وجع وغشي ونحوه مما
يطرا على جسمه معصوم ان يكون منه من القول اثناء ذلك ما يطعن في
معجزته ويؤدي الى فساد في شريعته من هذيان او اختلال في كلام
وعلى هذا لا يصح ظاهر رواية من روى في الحديث هجرا اذ معناه هذى
يقال هجر هجرا اذا هذى واهجر هجرا اذا افحش واهجر تعدية هجر
وانما الاصح والاولى اهجر على طريق الانكار على من قال لا يكتب
وهكذا روايتنا فيه في صحيح البخاري من رواية جميع الرواة في حديث
الزهري المتقدم وفي حديث محمد بن سلام عن ابن عيينة وكذا ضبطه
الاصيلي بخطه في كتابه وغيره من هذه الطرق وكذا رويناه عن مسلم
في حديث سفيان وعن غيره وقد تحمل عليه رواية من رواه هجر على
حذف الف الاستفهام والتقدير اهجر او ان تحمل قول القايل هجر
او اهجر دهشة من قايل ذلك وحيرة لعظيم ما شاهد من حال الرسول
صلى الله عليه وسلم وشدة وجعه وهول المقام الذي اختلف فيه
عليه والامر الذي هم بالكتاب فيه حتى لم تضبط هذا القايل لفظه
واجرى الهجر مجرى شدة الوجع لا انه اعتقد انه يجوز عليه الهجر
كما حملهم الاشفاق على حراسته والله يقول والله يعصمك من الناس
ونحو هذا واما على رواية اهجرا وهي رواية ابي اسحق المستملي في
الصحيح في حديث ابن جبير عن ابن عباس من رواية قتيبة فقد يكون
هذا راجعا الى المختلفين عنده صلى الله عليه وسلم ومخاطبة لهم من

بعضهم اي حسبتم باختلافكم على رسول الله صلى الله عليه وسلم
ويريد به هجرا ومنكرا من القول والهجر بضم الهاء الفحش في المنطق
وقد اختلف العلماء في معنى هذا الحديث وكيف اختلفوا بعد امره لهم
عليه السلام ان ياتوه بالكتاب فقال بعضهم اوامر النبي صلى الله عليه
وسلم يفهم ايجابها من ندبها من اباحتها بقراين فلعل قد ظهر من قراين
قوله عليه السلام لبعضهم ما فهموا انه لم تكن منه عزمة بل امر رده
الى اختيارهم وبعضهم لم يفهم ذلك فقال استفهموه فلما اختلفوا كف
عنه اذ لم تكن عزمة ولما راوه من صواب راي عمر ثم هولاء قالوا
ويكون امتناع عمر اما اشفاقا على النبي صلى الله عليه وسلم من تكليفه
في تلك الحال املاء الكتاب وان يدخل عليه مشقة من ذلك كما قال
ان النبي صلى الله عليه وسلم اشتد به الوجع وقيل خشي عمر ان يكتب
امورا يعجزون عنها فيحصلون في الحرج بالمخالفة وراى ان الارفق
بالامة في تلك الامور سعة الاجتهاد وحكم النظر وطلب الصواب
فيكون المصيب والمخطي ماجورا وقد علم عمر تقرر الشرع وتاسيس
الملة وان الله قال اليوم اكملت لكم دينكم وقوله عليه السلام
اوصيكم بكتاب الله وعترتي وقول عمر حسبنا كتاب الله ردا
على من نازعه لا على امر النبي صلى الله عليه وسلم وقد قيل ان عمر
خشي تطرق المنافقين ومن في قلبه مرض لما كتب في ذلك الكتاب في الخلوة
وان يتقولوا في ذلك الاقاويل كادعاء الرافضة الوصية وغير

ذلك وقالت طايفة اخرى ان معنى الحديث ان النبي صلى الله عليه
وسلم كان مجيبا في هذا الكتاب لما طلب منه لا انه ابتدا بالامر به بل
اقتضاه منه بعض اصحابه فاجاب رغبتهم وكره ذلك غيرهم للعلل التي
ذكرناها واستدل في مثل هذه القصة بقول العباس لعلي انطلق
بنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فان كان الامر فينا علمناه
وكراهة علي هذا وقوله لا والله لا افعل الحديث واستدل بقوله
دعوني فان الذي انا فيه خير اي خير من ارسال الامر وترككم وكتاب
الله وان تدعوني مما طلبتم وذكر ان الذي طلب كتابة امر الخلافة بعده
وتعيين ذلك **فصل** فان قيل فما وجه حديثه ايضا الذي حدثناه
الفقيه ابو محمد بقراتي عليه حدثنا ابو علي الطبري حدثنا عبد الغافر
الفارسي حدثنا ابو احمد الجلودي قال حدثنا ابرهيم بن سفيان
حدثنا مسلم ابن الحجاج حدثنا قتيبة حدثنا ليث عن سعيد بن ابي سعيد
عن سالم مولى النصريين قال سمعت ابا هريرة يقول سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول اللهم انما محمد بشر يغضب كما يغضب البشر
واني اتخذت عندك عهدا لن تخلفنيه فايما اذيته او سببته او
جلدته فاجعلها له كفارة وقربة تقربه بها اليك يوم القيامة وفي
رواية اتما احد دعوت عليه دعوة وفي رواية ليس لها باهل وفي رواية
فايما رجل من المسلمين سببته او لعنته او جلدته فاجعلها له
زكاة وصلاة ورحمة وكيف يصح ان يلعن النبي صلى الله عليه وسلم

من لا يستحق اللعن ويسب من لا يستحق السب ويجلد من لا يستحق
الجلد او يفعل مثل ذلك عند الغضب وهو معصوم من هذا كله فاعلم
شرح الله صدرك ان قوله اولا ليس لها باهل اي عندك يا رب في باطن
امره فان حكمه عليه السلام على الظاهر كما قال وللحكمة التي ذكرناها فحكم
عليه السلام بجلده او ادبه بسبه او لعنه بما اقتضاه عنده حال ظاهره
ثم دعا عليه السلام لشفقته على امته ورافته ورحمته للمؤمنين
التي وصفه الله بها وحذره ان يتقبل فيمن دعا عليه دعوته ان يجعل
دعاه وفعله له رحمة فهو معنى قوله ليس لها باهل لا انه عليه السلام
يحمله الغضب ويستفزه الضجر لان يفعل مثل هذا بمن لا يستحقه
من مسلم وهذا معنى صحيح ولا يفهم من قوله اغضب كما يغضب
البشر ان الغضب حمله على ما لا يجب بل يجوز ان يكون المراد بهذا
ان الغضب لله حمله على معاقبته بلعنه او سبه وانه مما كان يحتمل
ويجوز عفوه عنه او كان مما خير بين المعاقبة فيه او العفو عنه وقد
يحمل انه خرج مخرج الاشفاق وتعليم امته الخوف والحذر من
تعدي حدود الله وقد يحمل ما ورد من دعائه هنا ومن دعواته على غير
واحد في غير موطن على غير العقد والقصد بل بما جرت به عادة
العرب وليس المراد بها الاجابة كقوله تربت يمينك ولا اشبع الله
بطنك وعقرى حلقى وغيرها من دعواته وقد ورد في صفته في غير
حديث انه عليه السلام لم يكن فحاشا وقال انس لم يكن سبابا ولا فاحشا

ولا لعانا وكان يقول لاحدنا عند المعتبة ما له تربت جبينه
فيكون حمل الحديث على هذا المعنى ثم اشفق عليه السلام من موافقة
امثالها اجابة فعاهد ربه كما قال في الحديث ان يجعل ذلك للمقول له
زكاة ورحمة وقربة وقد يكون ذلك اشفاقا على المدعو عليه وتانيسا
له لئلا يلحقه من استشعار الخوف والحذر من لعن النبي صلى الله عليه
وسلم وتقبل دعائه ما يحمله على اليأس والقنوط وقد يكون ذلك
سؤالا منه لربه عز وجل لمن جلده او سبه على حق وبوجه
صحيح ان يجعل ذلك كفارة لما اصاب وتمحية لما اجترم وان تكون
عقوبته له في الدنيا سبب العفو والغفران كما جاء في الحديث الاخر
ومن اصاب من ذلك شيئا فعوقب فهو له كفارة فان قلت
فما معنى حديث الزبير وقول النبي صلى الله عليه وسلم حين تخاصمه مع
الانصاري في شراج الحرة اسق يا زبير حتى يبلغ الكعبين فقال له الانصا
ري آن كان ابن عمتك يا رسول الله فتلون وجه رسول الله صلى الله عليه
وسلم ثم قال اسق يا زبير ثم احبس حتى يبلغ الجدر الحديث فالجواب
ان النبي صلى الله عليه وسلم منزه ان يقع بنفس مسلم منه في هذه
القصة امر يريب ولكنه صلى الله عليه وسلم ندب الزبير اولا الى
الاقتصار على بعض حقه على طريق التوسط والصلح فلما لم يرض بذلك
الآخر ولج وقال ما لا يجب استوفى النبي صلى الله عليه وسلم
للزبير حقه ولهذا ترجم البخاري على هذا الحديث باب اذا اشار

الإمام بالصلح بأي حكم عليه بالحكم وذكر في آخر الحديث فاستوعى
رسول الله صلى الله عليه وسلم حينئذ حقه للزبير وقد جعل المسلمون هذا
الحديث أصلاً في قضيته وفيه الاقتداء به صلى الله عليه وسلم في كل
ما فعله في حال غضبه ورضاه وأنه وإن نهاه يقضي القاضي وهو
غضبان فإنه في حكمه في حال الغضب والرضى سواء لكونه فيهما معصوماً
وغضب النبي صلى الله عليه وسلم في هذا إنما كان لله تعالى لا لنفسه
كما جاء في الحديث الصحيح وكذلك الحديث في إقادته عكاشة من نفسه
لم يكن لتعمد حمله الغضب عليه بل وقع في الحديث نفسه أن عكاشة
قال له وضربتني بالقضيب فلا أدري أعمداً أم أردت ضرب الناقة
فقال النبي صلى الله عليه وسلم أعيذك بالله يا عكاشة أن يتعمدك
رسول الله وكذلك في حديثه الآخر مع الأعرابي حين طلب عليه
السلام الاقتصاص منه فقال الأعرابي قد عفوت عنك وكان
النبي صلى الله عليه وسلم قد ضربه بالسوط لتعلقه بزمام ناقته مرة
مرة بعد أخرى والنبي صلى الله عليه وسلم ينهاه ويقول له تدرك
حاجتك وهو يأبى فضربه بعد ثلاث مرات وهذا منه عليه السلام
لمن لم يقف عند نهيه صواب وموضع أدب لكنه عليه السلام
أشفق إذ كان حق نفسه من الأمر حتى عفا عنه وأما حديث
سواد بن عمرو أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وأنا متخلق فقال ورس
ورس حط حط وغشيني بقضيب في يده في بطني فأوجعني قلت

القصاص يا رسول الله فكشف لي عن بطنه إنما ضربه النبي صلى
الله عليه وسلم لمنكر رآه به ولعله لم يرد بضربه بالقضيب إلا تنبيهه
فلما كان منه إيجاع لم يقصده طلب التحلل منه على ما قدمناه

فصل وأما أفعاله صلى الله عليه وسلم الدنيوية فحكمه فيها من
توقي المعاصي والمكروهات ما قدمناه ومن جواز السهو والغلط
في بعضها ما ذكرناه وكله غير قادح في النبوة بل إن هذا فيها
على الندور إذ عامة أفعاله على السداد والصواب بل أكثرها أو
جلها جارية مجرى العبادات والقرب على ما بيناه إذ كان عليه السلام
لا يأخذ منها لنفسه إلا الضرورة وما يقيم رمق جسمه وفيه مصلحة
ذاته التي بها يعبد ربه ويقيم شريعته ويسوس أمته وما كان فيما
بينه وبين الناس من ذلك فبين معروف يصنعه أو بر يوسعه أو
كلام حسن يقوله أو يسمعه أو تألف شارد أو قهر معاند أو
مداراة حاسد وكل هذا لاحق بصالح أعماله منتظم في زاكي وظائف
عباداته وقد كان يخالف في أفعاله الدنيوية بحسب اختلاف
الأحوال ويعد للأمور أشباهها فيركب في تصرفه لما قرب الحمار
وفي أسفاره الراحلة ويركب البغلة في معارك الحرب دليلاً على
الثبات ويركب الخيل ويعدها ليوم الفزع وإجابة الصارخ وكذلك
في لباسه وسائر أحواله بحسب اعتبار مصالحه ومصالح أمته
وكذلك يفعل الفعل من أمور الدنيا مساعدة لأمته وسياسة

وكراهيته خلافها وان كان قد يرى غيره خيرا منه كما ترك
الفعل لهذا وقد يرى فعله خيرا منه وقد يفعل هذا في الامور الدينية
مما له الخروج في احد وحبسه نحو وجه من المدينة لاحد وكان مذهبه
التحصن بها وتركه قتل المنافقين وهو على يقين من امرهم موالفة
لغيرهم ورعاية للمومنين من قرابتهم وكراهة لان يقول الناس ان محمدا
يقتل اصحابه كما جاء في الحديث وتركه بناء الكعبة على قواعد ابرهيم
عليه السلم مراعاة لقلوب قريش وتعظيمهم لتغيرها وحذرا من نفار
قلوبهم لذلك وتحريك متقدم عداوتهم للدين واهله فقال
لعائشة في الحديث الصحيح لولا حدثان قومك بالكفر لاتممت البيت
على قواعد ابرهيم ويفعل الفعل ثم يتركه لكون غيره خيرا منه
كانتقاله من ادنى مياه بدر الى اقربها للعدو من قريش وقوله لو
استقبلت من امري ما استدبرت ما سقت الهدي ويبسط وجهه
للكافر والعدو رجاء استئلافه ويصبر للجاهل ويقول ان من شر
الناس من اتقاه الناس لشره ويبذل الرغائب ليحبب اليه شريعته
ودين ربه ويتولى في منزله ما يتولى الخادم من مهنته ويتسمت في
ملابسه حتى لا يبدو منه شيء من اطرافه وحتى كان على رؤوس جلسائه
الطير ويتحدث مع جلسائه بحديث اولهم ويتعجب مما يتعجبون منه
ويضحك مما يضحكون منه قد وسع الناس بشره وعدله لا يستفزه
الغضب ولا يقصر عن الحق ولا يبطن على جلسائه يقول ما كان

لنبي ان يكون له خائنة الاعين فان قلت فما معنى قوله لعائشة
في الداخل عليه بئس ابن العشيرة فلما دخل الان له القول وضحك معه
فلما سالته عن ذلك قال ان من شر الناس من اتقاه الناس لشره وكيف
جاز ان يظهر له خلاف ما يبطن ويقول في ظهره ما قال فالجواب
ان فعله عليه السلم كان استئلافا لمثله وتطييبا لنفسه ليتمكن ايمانه
ويدخل في الاسلام بسببه اتباعه ويراه مثله فينجذب بذلك الى
الاسلام ومثل هذا على هذا الوجه قد خرج من حد مداراة الدنيا الى
السياسة الدينية وقد كان يستالفهم باموال الله العريضة
فكيف بالكلمة اللينة قال صفوان لقد اعطاني وهو ابغض الخلق الي فما
زال يعطيني حتى صار احب الخلق الي وقوله فيه بئس ابن العشيرة هو
غير غيبة بل هو تعريف ما علمه منه لمن لم يعلم ليحذر حاله ويحترز منه
ولا يوثق بجانبه كل الثقة لا سيما وكان مطاعا متبوعا ومثل هذا
اذا كان لضرورة ودفع مضرة لم يكن بغيبة بل كان جائزا بل واجبا
في بعض الاحيان كعادة المحدثين في تجريح الرواة والمزكين في الشهود
فان قيل فما معنى المعضل الوارد في حديث بريرة من قوله عليه السلم
لعائشة وقد اخبرته ان موالي بريرة ابوا بيعها الا ان يكون لهم الولا
فقال لها عليه السلم اشتريها واشترطي لهم الولا ففعلت ثم
قام خطيبا فقال ما بال اقوام يشترطون شروطا ليست في كتاب الله
كل شرط ليس في كتاب الله فهو باطل والنبي صلى الله عليه وسلم قد امرها

بالشرط لهم وعليه باعوا ولولاه لما باعوها من عايشة كما لم يبيعوها
قبل حتى شرطوا ذلك عليها ثم ابطله عليه السلم وهو قد حرم
الغش والخديعة فاعلم اكرمك الله ان النبي صلى الله عليه وسلم منزه عن
ما يقع في باب الجاهل من هذا ولتنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن
ذلك ما قد انكر قوم هذه الزيادة قوله اشترطي لهم الولاء اذ ليست
في اكثر طرق الحديث ومع ثباتها فلا اعتراض بها اذ تقع لهم بمعنى عليهم
قال الله تعالى اوليك لهم اللعنة وقال ان اسأتم فلها فعلى هذا
اشترطي عليهم الولاء لك ويكون قيام النبي صلى الله عليه وسلم ووعظه لما
سلف لهم من شرط الولاء لانفسهم قبل ذلك ووجه ثان ان قوله عليه
السلم اشترطي لهم الولاء ليس على معنى الامر لكن على معنى التسوية والاعلام
بان شرطه لهم لا ينفعهم بعد بيان النبي صلى الله عليه وسلم لهم قبل ان
الولاء لمن اعتق فكانه قال اشترطي او لا تشترطي فانه شرط غير نافع
والى هذا ذهب الداودي وغيره وتوبيخ النبي صلى الله عليه وسلم وتقريعهم
على ذلك يدل على علمهم به قبل هذا الوجه الثالث ان معنى قوله
اشترطي لهم الولاء اي اظهري لهم حكمه وبيني عندهم سنته ان الولاء انما
هو لمن اعتق ثم بعد هذا قام صلى الله عليه وسلم مبينا ذلك وموبخا
على مخالفة ما تقدم منه فان قيل ما معنى فعل يوسف عليه السلم
باخيه اذ جعل السقاية في رحله واخذه باسم سرقتها وما جرى على اخوته
في ذلك وقوله انكم لسارقون ولم يسرقوا فاعلم اكرمك الله ان

الاية

الآية تدل على ان فعل يوسف كان عن امر الله لقوله تعالى كذلك
كدنا ليوسف ما كان لياخذ اخاه في دين الملك الا ان يشا الله الآية
فاذا كان ذلك فلا اعتراض به كان فيه ما فيه وايضا فان
يوسف كان اعلم اخاه باني انا اخوك فلا تبتيس فكان ما جرى عليه
بعد هذا من وفقه ورغبته وعلى يقين من عقبى الخير له به وازاحة السوء
والمضرة عنه بذلك واما قوله ايتها العير انكم لسارقون فليس من قول
يوسف فيلزم عليه جواب لحل شبهه ولعل قايله ان حسن له التاويل
كاينا من كان ظن على صورة الحال ذلك وقد قيل قال ذلك
لفعلهم قبل بيوسف وبيعهم له وقيل غير هذا ولا يلزم ان يقول الانبيا
ما لم يات انهم قالوه حتى يطلب الخلاص منه ولا يلزم الاعتذار عن
زلات غيرهم فان قيل فما الحكمة في اجراء الامراض وشدتها عليه وعلى
غيره من الانبيا على جميعهم السلم وما الوجه فيما ابتلاهم الله به من البلا
وامتحانهم بما امتحنوا به كايوب ويعقوب ودانيال ويحيى وعيسى وابرهيم
وزكريا ويوسف وغيرهم صلوات الله عليهم اجمعين وهم خيرته من
خلقه واحباوه واصفياوه فاعلم وفقنا الله واياك ان افعال الله تعالى
كلها عدل وكلماته جميعها صدق لا مبدل لكلماته يبتلي عباده كما قال
لهم لننظر كيف تعملون وليبلوكم ايكم احسن عملا ولما يعلم الله الذين
جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ويعلم الصابرين ونبلوا اخباركم فامتحانه
اياهم بضروب من المحن زيادة في مكانتهم ورفعة في درجاتهم واسباب

الجاهدين منكم

لاستخراج حالات الصبر والرضى والشكر والتسليم والتوكل
والتفويض والدعاء والتضرع منهم وتاكيد البصاير هم في رحمة الممتحنين
والشفقة على المبتلين فيتسلوا في المحن بما جرى عليهم ويقتدوا بهم في
الصبر ومحو الهنات فرطت منهم او غفلات سلفت لهم ليلقوا الله
تعالى طيبين مهذبين وليكون اجرهم اكمل وثوابهم اوفر واجزل
حدثنا القاضي ابو علي الحافظ حدثنا ابو الحسين الصيرفي وابو الفضل
ابن خيرون قالا حدثنا ابو يعلى البغدادي قال حدثنا ابو علي السنجي
حدثنا محمد بن محبوب حدثنا ابو عيسى الترمذي حدثنا قتيبة حدثنا حماد
ابن زيد عن عاصم بن بهدلة عن مصعب ابن سعد عن ابيه قال قلت يا رسول
الله اي الناس اشد بلاء قال الانبياء ثم الامثل فالامثل يبتلى الرجل
على حسب دينه فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الارض ما عليه
خطية وكما قال تعالى وكاين من نبي قتل معه ربيون كثير الايات الثلاث
وعن ابي هريرة ما يزال البلاء بالمومن في نفسه وولده وماله حتى يلقى الله
وما عليه خطية وعن انس عنه عليه السلام اذا اراد الله بعبد
الخير عجل له العقوبة في الدنيا واذا اراد الله بعبد الشر امسك عنه
بذنبه حتى يوافي به يوم القيامة وفي حديث آخر اذا احب الله عبدا
ابتلاه ليسمع تضرعه وحكى السمرقندي ان كل من كان اكرم على الله
تعالى كان بلاؤه اشد كي يتبين فضله ويستوجب الثواب كما روي
عن لقمان انه قال يا بني الذهب والفضة يختبران بالنار والمومن يختبر

بالبلاء وقد حكي ان ابتلاء يعقوب بيوسف كان سببه التفاته في
صلاته اليه ويوسف نايم محبة له وقيل بل اجتمع يوما هو وابنه يوسف
على اكل حمل مشوي وهما يضحكان وكان لهم جار يتيم فشم ريحه واشتهاه
وبكى وبكت جدة له عجوز لبكايه وبينهما جدار ولا علم عند يعقوب
وابنه فعوقب يعقوب بالبكاء اسفا على يوسف الى ان سالت حدقتاه
وابيضت عيناه من الحزن فلما علم بذلك كان بقية حياته يامر مناديا
ينادي على سطحه الا من كان مفطرا فليتغد عند آل يعقوب وعوقب
يوسف بالمحنة التي نص الله عليها وروي عن الليث ان سبب بلاء ايوب
انه دخل مع اهل قريته على ملكهم فكلموه في ظلمه واغلظوا له الا ايوب
فانه رفق به مخافة على زرعه فعاقبه الله ببلايه ومحنة سليمان لما ذكرناه
من نيته في كون الحق في جنبه اصهاره او العمل للمعصية في داره ولا
علم عنده وهذه فايدة شدة المرض والوجع بالنبي عليه السلام قالت
عايشة ما رايت الوجع على احد اشد منه على رسول الله صلى الله
عليه وسلم وعن عبد الله رايت النبي صلى الله عليه وسلم يوعك وعكا
شديدا فقلت انك لتوعك وعكا شديدا فقال اجل اني اوعك كما
يوعك رجلان منكم قلت ذلك ان لك الاجر مرتين قال اجل ذلك
كذلك وفي حديث ابي سعيد ان رجلا وضع يده على النبي صلى الله عليه
وسلم فقال والله ما اطيق اضع يدي عليك من شدة حماك فقال النبي
صلى الله عليه وسلم انا معشر الانبياء يضاعف لنا البلاء ان كان

النبي صلى الله عليه وسلم ليبتلى بالقمل حتى يقتله وان كان النبي ۝
ليبتلى بالفقر وان كانوا ليفرحون بالبلاء كما تفرحون بالرخاء وعن
انس عنه صلى الله عليه وسلم ان عظم الجزاء مع عظم البلاء وان الله اذا
احب قوما ابتلاهم فمن رضي فله الرضى ومن سخط فله السخط وقد قال
المفسرون في قوله تعالى من يعمل سوءا يجز به ان المسلم يجزى بمصايب
الدنيا فيكون له كفارة وروى هذا عن عايشة وابي ومجاهد وقال ابو
هريرة عنه عليه السلام من يرد الله به خيرا يصب منه وقال في رواية
عايشة ما من مصيبة تصيب المسلم الا يكفر الله بها عنه حتى الشوكة
يشاكها وقال في رواية ابي سعيد ما يصيب المومن من نصب ولا ۝
وصب ولا هم ولا حزن ولا اذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها
الا كفر الله بها من خطاياه وفي حديث ابن مسعود ما من مسلم ۝
يصيبه اذى الا حات الله عنه خطاياه كما تحت ورق الشجر وحكمة
اخرى اودعها الله في الامراض لاجسامهم وتعاقب الاوجاع عليها
وشدتها عند مماتهم لتضعف قوى نفوسهم فيسهل خروجها
عند قبضهم وتخف عليهم مونة النزع وشدة السكرات بتقدم ۝
المرض وضعف الجسم والنفس لذلك خلاف موت الفجاة واخذه كما
يشاهد من اختلاف احوال الموتى في الشدة واللين والصعوبة
والسهولة وقد قال عليه السلام مثل المومن مثل خامة الزرع
تفيئها الريح هكذا وهكذا وفي رواية ابي هريرة من حيث اتتها الريح

تحفاها

تحفاها فاذا سكنت اعتدلت وكذلك المومن يكفا بالبلاء
ومثل الكافر كمثل الارزة صما معتدلة حتى يقصمها الله معناه ان
المومن مرزا مصاب بالبلاء والامراض راض بتصريفه بين اقدار ۝
الله منطاع لذلك لين الجانب برضاه وقلة تسخطه كطاعة خامة الزرع
وانقيادها للرياح وتمايلها لهبوبها وترنحها من حيث ما اتتها فاذا ۝
ازاح الله عن المومن رياح البلايا واعتدل صحيحا كما اعتدلت خامة
الزرع عند سكون رياح الجو رجع الى شكر ربه ومعرفة نعمته عليه
برفع بلايه منتظرا رحمته وثوابه عليه فاذا كان بهذه السبيل
لم يصعب عليه مرض الموت ولا نزوله ولا اشتدت عليه سكراته
ونزعه لعادته بما تقدمه من الالام ومعرفة ما له فيها من الاجر
وتوطينه نفسه على المصايب ورقتها وضعفها بتوالي المرض وشدته
والكافر بخلاف هذا معافى في غالب حاله ممتع بصحة جسمه ۝
كالارزة الصما حتى اذا اراد الله هلاكه قصمه لحينه على غرة
واخذه بغتة من غير لطف ولا رفق فكان موته اشد عليه حسرة ۝
ومقاساة نزعه مع قوة نفسه وصحة جسمه اشد الما وعذابا ولعذاب
الاخرة اشد كانجعاف الارزة وكما قال تعالى فاخذناهم بغتة
وهم لا يشعرون وكذلك عادة الله في اعدايه كما قال تعالى فكلا اخذنا
بذنبه فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا ومنهم من اخذته الصيحة الاية
ففجا جميعهم بالموت على حال عتو وغفلة وصبحهم به على غير استعداد

بغتة ولهذا ما كره السلف موت الفجاءة ومنه في حديث ابرهيم
كانوا يكرهون اخذة كاخذة الاسف يريد موت الفجاءة وحكمة
الله ان الامراض نذير الممات وبقدر شدتها شدة الخوف من نزول
الموت فيستعد من اصابته ويعلم تعاهدها له للقاء ربه ويعرض
عن دار الدنيا الكثيرة الانكاد ويكون قلبه معلقا بالمعاد فيتنصل
من كل ما يخشى تباعته من قبل الله وقبل العباد ويودي الحقوق الى
اهلها وينظر فيما يحتاج اليه من وصية فيمن يخلفه او امر يعهده
وهذا نبينا صلى الله عليه وسلم المغفور له ما تقدم وما تاخر قد
طلب التنصل في مرضه ممن كان له عليه مال او حق من بدن
واقاد من نفسه وماله وامكن من القصاص منه على ما ورد في
حديث الفضل وحديث الوفاة واوصى بالثقلين بعده كتاب الله
وعترته وبالانصار عيبته ودعا الى كتب كتاب لئلا تضل امته بعده
اما في النص على الخلافة او الله اعلم بمراده ثم راى الامساك عنه افضل
وخيرا وهكذا سير عباد الله المومنين واوليآء المتقين وهذا كله
يحرمه غالبا الكفار لاملاء الله لهم ليزدادوا اثما وليستدرجهم
من حيث لا يعلمون قال الله تعالى ما ينظرون الا صيحة واحدة
تاخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا الى اهلهم
يرجعون ولذلك قال عليه السلم في رجل مات فجاة سبحان الله
كانه على غضب المحروم من حرم وصيته وقال موت الفجاءة

راحة للمومن واخذة اسف للكافر او الفاجر وذلك لان الموت
ياتي المومن وهو غالبا مستعد له منتظر لحلوله فهان امره عليه كيف
ما جاء وافضى الى راحته من نصب الدنيا واذاها كما قال
عليه السلم مستريح ومستراح منه وياتي الكافر والفاجر منيته
على غير استعداد ولا اهبة ولا مقدمات منذرة مزعجة بل تاتيهم
بغتة فتبهتهم فلا يستطيعون ردها ولا هم ينظرون فكان الموت
اشد شيء عليه وفراق الدنيا افظع امر صدمه واكره شيء له والى
هذا المعنى اشار عليه السلم بقوله من احب لقاء الله احب الله لقاءه
ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه **القسم الرابع** في تصرف
وجوه الاحكام فيمن تنقصه او سبه عليه السلم قال القاضي
ابو الفضل رضي الله عنه قد تقدم من الكتاب والسنة واجماع
الامة ما يجب من الحقوق للنبي صلى الله عليه وسلم وما يتعين له
من بر وتوقير وتعظيم واكرام وبحسب هذا حرم الله تعالى اذاه في
كتابه واجمعت الامة على قتل منتقصه من المسلمين وسابه
قال الله تعالى ان الذين يوذون الله ورسوله لعنهم الله في
الدنيا والاخرة واعد لهم عذابا مهينا وقال والذين يوذون رسول
الله لهم عذاب اليم وقال تعالى وما كان لكم ان توذوا رسول
الله ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا ان ذلكم كان عند الله
عظيما وقال في تحريم التعريض له يا ايها الذين امنوا لا تقولوا راعنا

وقولوا انظرنا واسمعوا الآية وذلك ان اليهود كانوا يقولون
راعنا يا محمد اى ارعنا سمعك واسمع منا ويعرضون بالكلمة يريدون
الرعونة فنهى الله المؤمنين عن التشبه بهم وقطع الذريعة بنهى المؤمنين
عنها لئلا يتوصل بها الكافر والمنافق الى سبه والاستهزاء به
وقيل بل لما فيها من مشاركة اللفظ لانها عند اليهود بمعنى اسمع لا
سمعت وقيل بل لما فيها من قلة الادب وعدم توقير النبى صلى الله عليه
وسلم وتعظيمه لانها فى لغة الانصار بمعنى ارعنا نرعك فنهوا عن ذلك
اذ مضمنه انهم لا يرعونه الا برعايته لهم وهو عليه السلم واجب
الرعاية بكل حال وهذا هو عليه السلام قد نهى عن التكنى بكنيته
فقال تسموا باسمى ولا تكنوا بكنيتى صيانة لنفسه وحماية
عن اذاه اذ كان صلى الله عليه وسلم استجاب لرجل نادى يا ابا القاسم فقال
لم اعنك انما دعوت هذا فنهى حينئذ عن التكنى بكنيته لئلا يتأذى
باجابة دعوة غيره ممن لم يدعه ويجد بذلك المنافقون والمستهزئون
ذريعة الى اذاه والازراء به فينادونه فاذا التفت قالوا انما
اردنا هذا لسواه تعنيتا له واستخفافا بحقه على عادة المجان
والمستهزئين فحمى عليه السلام حمى اذاه بكل وجه فحمل محققوا العلماء
نهيه عن هذا على مدة حياته واجازوه بعد وفاته لارتفاع العلة
وللناس فى هذا الحديث مذاهب ليس هذا موضعها وما ذكرناه هو
مذهب الجمهور والصواب ان شاء الله وان ذلك على طريق

تعظيمه

تعظيمه وتوقيره وعلى سبيل الندب والاستحباب لا على التحريم
فلذلك لم ينه عن اسمه لانه قد كان منع من ندائه به بقوله لا
تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا وانما كان المسلمون
يدعونه يا رسول الله ويا نبى الله وقد يدعوه بكنيته ابا القاسم
بعضهم فى بعض الاحوال وقد روى انس عنه عليه السلم ما يدل
على كراهة التسمى باسمه وتنزيهه عن ذلك اذا لم يوقر فقال تسمون
اولادكم محمدا ثم تلعنونهم وروى ان عمر كتب الى اهل الكوفة لا
يسمى احد باسم النبى صلى الله عليه وسلم حكاه ابو جعفر الطبرى
والصواب جواز هذا كله بعده عليه السلم بدليل اطباق الصحابة
على ذلك وقد سمى جماعة منهم ابنه محمدا وكناه بابى القاسم وروى ان النبى
صلى الله عليه وسلم اذن فى ذلك لعلى رضى الله عنه وقد اخبر عليه السلم
ان ذلك اسم المهدى وكنيته وقد فصلت الكلام فى هذا القسم على بابين
كما قدمناه

الباب الاول فى بيان ما هو

فى حقه عليه السلام سب او نقص من تعريض او نص اعلم
وفقنا الله واياك ان جميع من سب النبى صلى الله عليه وسلم او عابه
او الحق به نقصا فى نفسه او نسبه او دينه او خصلة من خصاله
او عرض به او شبهه بشىء على طريق السب له او الازراء عليه
والتصغير لشانه او الغض منه والعيب له فهو ساب له والحكم
فيه حكم الساب يقتل كما نبينه ولا نستثنى فصلا من فصول

هذا الباب على هذا المقصد ولا يمترى فيه تصريحا كان او
تلويحا وكذلك من لعنه او دعا عليه او تمنى مضرة له او نسب اليه ما
لا يليق بمنصبه على طريق الذم او عبث فى جهته العزيزة بسخف
من الكلام وهجر ومنكر من القول وزور او عيره بشئ مما جرى من
البلاء والمحنة عليه او غمصه ببعض العوارض البشرية الجائزة والمعهودة
لديه وهذا كله اجماع من العلماء وائمة الفتوى من لدن الصحابة رضوان
الله عليهم الى هلم جرا قال ابو بكر بن المنذر اجمع عوام اهل العلم
على ان من سب النبى صلى الله عليه وسلم يقتل وممن قال ذلك مالك
ابن انس والليث واحمد واسحق وهو مذهب الشافعى قال القاضى ابو الفضل
وهو مقتضى قول ابى بكر الصديق رضى الله عنه ولا تقبل توبته
عند هولاء وبمثله قال ابو حنيفة واصحابه والثورى واهل الكوفة
والاوزاعى فى المسلم لكنهم قالوا هى ردة وروى مثله الوليد بن
مسلم عن مالك وحكى الطبرى مثله عن ابى حنيفة واصحابه فيمن
تنقصه صلى الله عليه وسلم او برئ منه او كذبه وقال سحنون فيمن
سبه ذلك ردة كالزندقة وعلى هذا وقع الخلاف فى استتابته وتكفيره
وهل قتله حد او كفر كما سنبينه ان شاء الله فى الباب الثانى ولا نعلم
خلافا فى استباحة دمه بين علماء الامصار وسلف الامة وقد
ذكر غير واحد الاجماع على قتله وتكفيره واشار بعض الظاهرية وهو
ابو محمد على بن احمد الفارسى الى الخلاف فى تكفير المستخف به

والمعروف ما قدمناه قال محمد بن سحنون اجمع العلماء ان شاتم
النبى صلى الله عليه وسلم المتنقص له كافر والوعيد جار عليه بعذاب
الله له وحكمه عند الامة القتل ومن شك فى كفره وعذابه كفر واحتج
ابرهيم بن حسين بن خالد الفقيه فى مثل هذا بقتل خالد بن الوليد مالك
ابن نويرة لقوله عن النبى صلى الله عليه وسلم صاحبكم وقال
ابو سليمان الخطابى لا اعلم احدا من المسلمين اختلف فى وجوب قتله
اذا كان مسلما وقال ابن القاسم عن مالك فى كتاب ابن سحنون والمبسوط
والعتبية وحكاه مطرف عن مالك فى كتاب ابن حبيب من سب
النبى صلى الله عليه وسلم من المسلمين قتل ولم يستتب قال ابن القاسم
فى العتبية او شتمه او عابه او تنقصه فانه يقتل وحكمه عند الامة
القتل كالزنديق وقد فرض الله توقيره وبره وفى المبسوط عن عثمان بن
كنانة من شتم النبى صلى الله عليه وسلم من المسلمين قتل او صلب
حيا ولم يستتب والامام مخير فى صلبه حيا او قتله ومن رواية
ابى المصعب وابن ابى اويس سمعنا مالكا يقول من سب رسول الله صلى
الله عليه وسلم او شتمه او عابه او تنقصه قتل مسلما كان او كافرا
ولا يستتاب وفى كتاب محمد اخبرنا اصحاب مالك انه قال من سب
النبى صلى الله عليه وسلم او غيره من النبيين من مسلم او كافر قتل
ولم يستتب وقال اصبغ يقتل على كل حال اسر ذلك او اظهره
ولا يستتاب لان توبته لا تعرف وقال عبد الله بن عبد الحكم

من سب النبي صلى الله عليه وسلم من مسلم او كافر قتل ولم يستتب
وحكى الطبري مثله عن اشهب عن مالك وروى ابن وهب عن مالك
من قال ان رداء النبي صلى الله عليه وسلم ويروى زر النبي صلى الله عليه
وسلم وسخ اراد به عيبه قتل وقال بعض علمائنا اجمع العلماء على ان من دعا
على نبي من الانبياء بالويل او بشيء من المكروه انه يقتل بلا استتابة وافتى
وافتى بذلك ابو الحسن القابسي فيمن قال في النبي الحمال يتيم ابي طالب
بالقتل وافتى ابو محمد بن ابي زيد بقتل رجل سمع قوما يتذاكرون صفة
النبي صلى الله عليه وسلم اذ مر بهم رجل قبيح الوجه واللحية فقال
لهم تريدون صفة النبي صلى الله عليه وسلم تعرفون صفته هي في صفة
هذا المار في خلقه ولحيته قال ولا تقبل توبته وقد كذب لعنه الله
وليس يخرج من قلب سليم الايمان وقال احمد بن ابي سليمان صاحب
سحنون من قال ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اسود يقتل
وقال في رجل قيل له لا وحق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال فعل
الله برسول الله كذا وذكر كلاما قبيحا فقيل له ما تقول يا عدو الله فقال
اشد من كلامه الاول ثم قال انما اردت برسول الله العقرب فقال
ابن ابي سليمان للذي سأله اشهد عليه وانا شريكك يريد في قتله وثواب
ذلك قال حبيب ابن الربيع لان ادعاءه التأويل في لفظ صراح لا
يقبل لانه امتهان وهو غير معزر لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ولا موقر له فوجب اباحة دمه وافتى ابو عبد الله بن عتاب في عشار

قال لرجل ادّ واشك الى النبي وقال ان سألت او جهلت فقد سأل
وجهل النبي بالقتل وافتى فقهاء الاندلس بقتل ابن حاتم المتفقه الطليطلي
وصلبه بما شهد به عليه من استخفافه بحق النبي صلى الله عليه وسلم وتسميته
اياه اثناء مناظرته باليتيم وختن حيدرة وزعمه ان زهده لم يكن
قصدا ولو قدر على الطيبات اكلها الى اشباه لهذا وافتى فقهاء القيروان
واصحاب سحنون بقتل ابرهيم الفزاري وكان شاعرا متفننا في كثير من
العلوم وكان ممن يحضر مجلس القاضي ابي العباس بن طالب للمناظرة
فرفعت عليه امور منكرة من هذا الباب في الاستهزاء بالله وانبيائه ونبينا
عليه السلام فاحضر له القاضي يحيى بن عمر وغيره من الفقهاء وامر
بقتله وصلبه فطعن بالسكين وصلب منكسا ثم انزل واحرق
بالنار وحكى بعض المؤرخين انه لما رفعت خشبته وزالت عنها
الايدي استدارت وحولته عن القبلة فكان آية للجميع وكبر الناس
وجاء كلب فولغ في دمه فقال يحيى بن عمر صدق رسول الله صلى
الله عليه وسلم وذكر حديثا عنه عليه السلام انه قال لا يلغ الكلب
في دم مسلم وقال القاضي ابو عبد الله بن المرابط من قال ان النبي
صلى الله عليه وسلم هزم يستتاب فان تاب والا قتل لانه تنقص
اذ لا يجوز ذلك عليه في خاصته اذ هو على بصيرة من امره ويقين
من عصمته وقال حبيب بن ربيع القروي مذهب مالك واصحابه
ان من قال فيه عليه السلام ما فيه نقص قتل دون استتابة

وقال ابن عتاب الكتاب والسنة موجبان ان من قصد
النبي صلى الله عليه وسلم باذى او نقص معرضا او مصرحا وان قل
فقتله واجب فهذا الباب كله مما عده العلماء سبا وتنقصا يجب
قتل قايله لم يختلف في ذلك متقدمهم ولا متاخرهم وان
اختلفوا في حكم قتله على ما اشرنا اليه ونبينه بعد وكذلك اقول
حكم من غمصه او عيره برعاية الغنم او السهو او النسيان او السحر
او ما اصابه من جرح او هزيمة لبعض جيوشه او اذى من عدوه
او شدة من زمنه او بالميل الى نسايه فحكم هذا كله لمن قصد به
نقصه القتل وقد مضى من مذاهب العلماء في ذلك ويأتي ما يدل
عليه **فصل** في الحجة في ايجاب قتل من سبه او عابه عليه السلام
فمن القران لعنه تعالى لموذيه في الدنيا والاخرة وقرانه تعالى
اذاه باذاه ولا خلاف في قتل من سب الله سبحانه وان اللعن
انما يستوجبه من هو كافر وحكم الكافر القتل فقال ان الذين
يوذون الله ورسوله الآية وقال في قاتل المومن مثل ذلك فمن
لعنته في الدنيا القتل قال الله تعالى ملعونين اينما ثقفوا اخذوا
وقتلوا تقتيلا وقال في المحاربين وذكر عقوبتهم ذلك لهم خزي في الدنيا
وقد يقع القتل بمعنى اللعن قال الله تعالى قتل الخراصون وقاتلهم
الله اي لعنهم الله ولانه فرق بين اذاهما واذى المومنين وفي اذى
المومنين ما دون القتل من الضرب والنكال وكان حكم موذي الله

ونبيه اشد من ذلك وهو القتل وقال تعالى فلا وربك
لا يومنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم الآية فسلب اسم الايمان عن
من وجد في صدره حرجا من قضايه ولم يسلم له ومن تنقصه فقد
ناقض هذا وقال تعالى يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم
فوق صوت النبي الى قوله ان تحبط اعمالكم ولا يحبط العمل الا الكفر
والكافر يقتل وقال تعالى واذا جاوك حيوك بما لم يحيك به الله
ثم قال حسبهم جهنم يصلونها فبيس المصير وقال ومنهم الذين
يوذون النبي ويقولون هو اذن ثم قال والذين يوذون رسول
الله لهم عذاب اليم وقال تعالى ولين سالتهم ليقولن انما
كنا نخوض ونلعب الى قوله قد كفرتم بعد ايمانكم قال اهل
التفسير كفرتم بقولكم في رسول الله صلى الله عليه وسلم واما الاجماع
فقد ذكرناه واما الاثار فحدثنا الشيخ ابو عبد الله احمد بن محمد بن
غلبون عن الشيخ ابي ذر الهروي اجازة قال حدثنا ابو الحسن الدار
قطني وابو عمر بن حيويه قالا حدثنا محمد بن نوح حدثنا عبد العزيز
ابن محمد بن الحسن بن زبالة حدثنا عبد الله بن موسى بن جعفر عن
علي بن موسى عن ابيه عن جده عن محمد بن علي بن الحسين عن ابيه عن
الحسين بن علي عن ابيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من
سب نبيا فاقتلوه ومن سب اصحابي فاضربوه وفي الحديث
الصحيح امر النبي صلى الله عليه وسلم بقتل كعب بن الاشرف وقوله

من لكعب بن الاشرف فانه يؤذي الله ورسوله ووجه اليه من
قتله غيلة دون دعوة بخلاف غيره من المشركين وعلل باذاه له
فدل ان قتله اياه لغير الاشراك بل للاذى وكذلك قتل ابا رافع
قال البراء وكان يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعين
عليه وكذلك امره يوم الفتح بقتل ابن خطل وجاريتيه اللتين كانتا
تغنيان بسبه عليه السلام وفي حديث آخر ان رجلا كان
يسبه عليه السلام فقال من يكفيني عدوي فقال خالد انا فبعثه
النبي صلى الله عليه وسلم فقتله وكذلك لم يقتل جماعة ممن كان
يؤذيه من الكفار ويسبه كالنضر بن الحارث وعقبة بن ابي معيط
وعهد بقتل جماعة منهم قبل الفتح وبعده فقتلوا الا من بادر
باسلامه قبل القدرة عليه وقد روى البزار عن ابن عباس ان
عقبة بن ابي معيط نادى يا معشر قريش ما لي اقتل من بينكم صبرا
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم بكفرك وافترائك على رسول الله
صلى الله عليه وسلم وذكر عبد الرزاق ان النبي صلى الله عليه وسلم
سبه رجل فقال من يكفيني عدوي فقال الزبير انا فبارزه
فقتله الزبير وروى ايضا ان امراة كانت تسبه عليه السلام فقال
من يكفيني عدوتي فخرج اليها خالد بن الوليد فقتلها وروى ان رجلا
كذب على النبي صلى الله عليه وسلم فبعث عليا والزبير اليه ليقتلاه
وروى ابن قانع ان رجلا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال

يا رسول الله سمعت ابي يقول فيك قولا قبيحا فقتلته فلم يشق
ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم وبلغ المهاجر بن ابي امية امير اليمن
لابي بكر رضي الله عنه ان امراة هنالك في الردة غنت بسب النبي
صلى الله عليه وسلم فقطع يدها ونزع ثنيتها فبلغ ابا بكر ذلك
فقال لولا ما فعلت لامرتك بقتلها لان حد الانبياء ليس يشبه
الحدود وعن ابن عباس هجت امراة من خطمة النبي صلى الله عليه وسلم
فقال من لي بها فقال رجل من قومها انا يا رسول الله فنهض فقتلها
فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال لا ينتطح فيها عنزان وعن
ابن عباس ان اعمى كانت له ام ولد تسب النبي صلى الله عليه وسلم
فيزجرها فلا تنزجر فلما كانت ذات ليلة جعلت تقع في النبي صلى
الله عليه وسلم وتشتمه فقتلها واعلم النبي صلى الله عليه وسلم
بذلك فاهدر دمها وفي حديث ابي برزة الاسلمي كنت يوما جالسا
عند ابي بكر الصديق رضي الله عنه فغضب على رجل من المسلمين
وحكى القاضي اسمعيل وغير واحد من الائمة في هذا الحديث
انه سب ابا بكر ورواه النسائي اتيت ابا بكر وقد اغلظ لرجل فرد
عليه قال فقلت يا خليفة رسول الله دعني اضرب عنقه فقال
اجلس فليس ذلك لاحد الا لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال
القاضي ابو محمد بن نصر ولم يخالف عليه احد فاستدل الائمة
بهذا الحديث على قتل من اغضب النبي صلى الله عليه وسلم بكل ما

اغضبه او اذاه او سبه ومن ذلك كتاب عمر بن عبد العزيز الى
عامله بالكوفة وقد استشاره في قتل رجل سب عمر رضي الله عنه
فكتب اليه عمر لا يحل قتل امرء مسلم بسب احد من الناس الا رجلا
سب رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن سبه فقد حل دمه وسال
الرشيد مالكا في رجل شتم النبي صلى الله عليه وسلم وذكر له ان
فقهاء العراق افتوه بجلده فغضب مالك وقال يا امير المومنين ما
بقاء الامة بعد شتم نبيها صلى الله عليه وسلم من شتم الانبياء قتل ومن
شتم اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم جلد قال القاضي ابو
الفضل هكذا وقع في هذه الحكاية رواها غير واحد من اصحاب
مناقب مالك ومولف اخباره وغيرهم ولا ادري من هولاء الفقهاء
بالعراق الذين افتوا الرشيد بما ذكر وقد ذكرنا مذهب العراقيين
بقتله ولعلهم ممن لا يشهر بعلم او من لا يوثق بفتواه او يميل به
هواه او يكون ما قاله يحمل على غير السب فيكون الخلاف هل هو
سب او غير سب او يكون رجع وتاب عن سبه كما قدمناه وبدله
على قتله من جهة النظر والاعتبار ان من سبه او تنقصه عليه
السلام فقد ظهرت علامة مرض قلبه وبرهان سر طويته وكفره ولهذا
ما حكم له كثير من العلماء بالردة وهي رواية الشاميين عن مالك
والاوزاعي وقول الثوري وابي حنيفة والكوفيين والقول الاخر
انه دليل على الكفر فيقتل حدا وان لم يحكم له بالكفر الا ان

يكون متماديا على قوله غير منكر له ولا مقلع عنه فهذا كافر
وقوله اما صريح كفر كالتكذيب ونحوه او من كلمات الاستهزاء والذم
فاعترافه بها وترك توبته عنها دليل استحلاله لذلك وهو كفر ايضا
فهذا كافر بلا خلاف قال الله تعالى في مثله يحلفون بالله ما قالوا
ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم قال اهل التفسير
هي قولهم ان كان ما يقول محمد حقا لنحن شر من الحمير وقيل قول
بعضهم ما مثلنا ومثل محمد الا قول القايل سمن كلبك ياكلك ولين
رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل وقد قيل ان قايل مثل
هذا ان كان مستترا ان حكمه حكم الزنديق يقتل ولانه قد
غير دينه وقد قال صلى الله عليه وسلم من غير دينه فاضربوا
عنقه ولان لحكم النبي صلى الله عليه وسلم في الحرمة مزية على امته
وساب الحر من امته يحد فكانت العقوبة لمن سبه عليه السلام
القتل لعظيم قدره وشفوف منزلته على غيره فصل فان قلت
فلم لم يقتل النبي صلى الله عليه وسلم اليهودي الذي قال له السام
عليكم وهذا دعا عليه ولا قتل الاخر الذي قال له ان هذه لقسمة
ما اريد بها وجه الله وقد تاذى النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك
وقال قد اوذي موسى باكثر من هذا فصبر ولا قتل المنافقين
الذين كانوا يوذونه في اكثر الاحيان فاعلم وفقنا الله واياك
ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اول الاسلام يستالف

عليه الناس وتميل قلوبهم اليه ويحبب اليهم الايمان ويزينه
في قلوبهم ويداريهم ولا ينفروا ويقول لا تتحدث الناس ان
محمدا يقتل اصحابه وكان صلى الله عليه وسلم يداري الكفار والمنافقين
ويحمل صحبتهم ويغضي عليهم ويحتمل من اذاهم ويصبر على جفايهم ما لا
يجوز لنا اليوم الصبر لهم عليه وكان يرفقهم بالعطاء والاحسان
وبذلك امره تعالى فقال ولا تزال تطلع على خاينة منهم الا قليلا
منهم فاعف عنهم واصفح ان الله يحب المحسنين وقال ادفع بالتي
هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم وذلك لحاجة
الناس للتالف اول الاسلام وجمع الكلام عليه فلما استقر واظهره
الله على الدين كله قتل من قدر عليه واشتهر امره كفعله بابن خطل
ومن عهد بقتله يوم الفتح ومن امكنه قتله غيلة من يهود وغيرهم
او غلبه ممن لم ينضمه قبل سلك صحبته والانخراط في جملة مظهري الايمان
به ممن كان يوذيه كابن الاشرف وابي رافع والنضر وعقبة وكذلك
نذر دم جماعة سواهم ككعب بن زهير وابن الزبعرى وغيرهما ممن
اذاه حتى القوا بايديهم ولقوه مسلمين وبواطن المنافقين مستترة
وحكمه عليه السلام على الظاهر واكثر تلك الكلمات انما كان
يقولها القايل منهم خفية ومع امثاله ويحلفون عليها اذا نميت وينكرونها
ويحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا وكان مع هذا يطمع
في فيئتهم ورجوعهم الى الاسلام وتوبتهم فيصبر عليه السلام على

هناتهم

هناتهم وجفوتهم كما صبر اولوا العزم من الرسل حتى فاء كثير منهم
باطنا كما فاء ظاهرا واخلص سرا كما اظهر جهرا ونفع الله بعد بكثير منهم
وقام منهم للدين وزرا واعوان وحماة وانصار كما جاءت به الاخبار
وبهذا اجاب بعض ايمتنا رحمهم الله عن هذا السوال وقال لعله لم
يثبت عنده عليه السلام من اقوالهم ما رفع وانما نقله الواحد ومن لم يصل
ح رتبة الشهادة في هذا الباب من صبي او عبد او امراة والدما لا تستباح
الا بعدلين وعلى هذا يحمل امر اليهود في السلام وانهم لووا به
السنتهم ولم يبينوه الا ترى كيف نبهت عليه عايشة ولو كان صرح
بذلك لم تنفرد بعلمه ولهذا نبه النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه على
فعلهم وقلة صدقهم في سلامهم وخيانتهم في ذلك ليا بالسنتهم
وطعنا في الدين فقال ان اليهود اذا سلم احدهم فانما يقول
السام عليكم فقولوا عليكم وكذلك قال بعض اصحابنا البغداديين
ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يقتل المنافقين بعلمه فيهم ولم يات انه قامت
بينة على نفاقهم فلذلك تركهم وايضا فان الامر كان سرا وباطنا
وظاهرهم الاسلام والايمان وان كان من اهل الذمة بالعهد والجوار
والناس قريب عهدهم بالاسلام لم يتميز بعد الخبيث من الطيب
وقد شاع عن المذكورين في العرب كون من يتهم بالنفاق من جملة
المومنين وصحابة سيد المرسلين وانصار الدين بحكم ظاهرهم فلو
قتلهم النبي صلى الله عليه وسلم لنفاقهم وما يبدر منهم وعلمه بما

اسيروا في انفسهم لوجد المنفر ما يقول ولارتاب الشارد
وارجف المعاند وارتاع من صحبة النبي صلى الله عليه وسلم غير واحد
وزعم الزاعم وظن العدو والظالم ان القتل انما كان للعداوة وطلب
اخذ الثار وقد رايت معنى ما حررته منسوبا الى مالك بن انس رحمه الله
قال عليه السلام لا يتحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه وقال اولئك
الذين نهاني الله عن قتلهم وهذا بخلاف اجراء الاحكام الظاهرة
عليهم من حد الزنا والقتل وشبهه لظهورها واستواء الناس في
علمها وقد قال محمد بن المواز لو اظهر المنافقون نفاقهم لقتلهم النبي
صلى الله عليه وسلم وقاله القاضي الحسين بن القصار وقال
قتادة في تفسير قوله تعالى لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم
مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا
ملعونين اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا سنة الله الاية قال
معناه اذا اظهروا النفاق وحكى محمد بن مسلمة في المبسوط عن زيد
ابن اسلم ان قوله تعالى يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين نسخت ما
كان قبلها وقال بعض مشايخنا لعل القايل هذه قسمة ما اريد بها
وجه الله وقوله اعدل لم يفهم النبي صلى الله عليه وسلم منه الطعن
عليه والتهمة له وانما راها من وجه الغلط في الراي وامور الدنيا
والاجتهاد في مصالح اهلها فلم ير ذلك سبا وراى انه من الاذى
الذي له العفو عنه والصبر عليه فلذلك لم يعاقبه وكذلك يقال في

اليهود

اليهود اذ قالوا السام عليكم ليس فيه صريح سب ولا دعاء الا
بما لا بد منه من الموت الذي لا بد من لحاقه جميع البشر وقيل بل المراد
تسامون دينكم والسام والسامة الملال وهذا دعا على سامة الدين
ليس بصريح سب ولهذا ترجم البخاري على هذا الحديث باب اذا عرض
الذمي او غيره بسب النبي صلى الله عليه وسلم قال بعض علمائنا وليس هذا
تعريض بالسب وانما هو تعريض بالاذى قال القاضي ابو الفضل قد قدمنا
ان الاذى والسب في حقه عليه السلام سوا وقال القاضي ابو محمد بن نصر
محتجا عن هذا الحديث ببعض ما تقدم ثم قال ولم يذكر في الحديث هل
كان هذا اليهودي من اهل العهد والذمة والحرب ولا يترك موجب
الادلة للامر المحتمل والاولى في ذلك كله والاظهر من هذه الوجوه
مقصد الاستيلاف والمداراة على الدين لعلهم يؤمنون ولذلك ترجم
البخاري على حديث القسمة والخوارج باب من ترك قتال الخوارج
للتالف ولئلا ينفر الناس عنه ولما ذكرنا معناه عن مالك وقررناه قبل
وقد صبر لهم عليه السلام على سحره وسمه وهو اعظم من سبه الى
ان نصره الله عليهم واذن له في قتل من حينه منهم وانزلهم من صياصيهم
وقذف في قلوبهم الرعب وكتب على من شا منهم الجلا واخرجهم من
ديارهم وخرب بيوتهم بايديهم وايدي المومنين وكاشفهم بالسب
فقال يا اخوة القردة والخنازير وحكم فيهم سيوف المسلمين واجلاهم
من جوارهم فان قلت فقد جا في الحديث الصحيح عن عايشة انه

عليه السلام ما انتقم لنفسه في شيء يؤتى اليه قط الا ان تنتهك
حرمة الله فينتقم لله فاعلم ان هذا لا يقتضي انه لم ينتقم ممن سبه
او اذاه وكذبه فان هذه من حرمات الله التي انتقم لها وانما يكون
ما لا ينتقم له فيما تعلق بسوء ادب او معاملة من القول والفعل
بالنفس والمال مما لم يقصد به فاعله اذاه لكن مما جبلت عليه
الاعراب من الجفاء والجهل او جبل عليه البشر من الغفلة كجبذ الاعرابي
بازاره حتى اثر في عنقه وكرفع صوت الآخر عنده وكجحد الاعرابي
شراءه منه فرسه التي شهد فيها خزيمة وكما كان من تظاهر زوجيه
عليه واشباه هذا مما يحسن الصفح عنه او يكون هذا مما اذاه به
كافر وجاء بعد ذلك اسلامه كعفوه عن اليهودي الذي سحره وعن
الاعرابي الذي اراد قتله وعن اليهودية التي سمته وقد قيل قتلها ومثل
هذا مما يبلغه من اذى اهل الكتاب والمنافقين وصفح عنهم رجاء
استئلافهم واستئلاف غيرهم به كما قررناه قبل وبالله التوفيق فصل
تقدم الكلام في قتل القاصد لسبه والازراء به وغمصه باي
وجه كان من ممكن او محال فهذا وجه بين لا اشكال فيه الوجه
الثاني لاحق به في البيان والجلاء وهو ان يكون القائل لما قال في
جهته عليه السلام غير قاصد للسب والازراء ولا معتقد له
ولكنه تكلم في جهته عليه السلام بكلمة الكفر من لعنه او سبه او
تكذيبه او اضافة ما لا يجوز عليه او نفي ما يجب له مما هو في حقه

عليه السلام نقيصة مثل ان ينسب اليه اتيان كبيرة او مداهنة
في تبليغ الرسالة او في حكم بين الناس او يغض من مرتبته او شرف
نسبه صلى الله عليه وسلم او وفور علمه او زهده او يكذب بما اشتهر
من امور اخبر بها عليه السلام وتواتر الخبر بها عنه عن قصد لرد
خبره او ياتي بسفه من القول وقبيح من الكلام ونوع من السب في
جهته وان ظهر بدليل حاله انه لم يتعمد ذمه ولا يقصد سبه اما
لجهالة حملته على ما قاله او لضجر او سكر اضطره اليه او قلة مراقبة
وضبط للسانه وعجرفة وتهور في كلامه فحكم هذا الوجه حكم
الوجه الاول القتل دون تلعثم اذ لا يعذر احد في الكفر بالجهالة
ولا بدعوى زلل اللسان ولا بشيء مما ذكرناه اذا كان عقله في فطرته
سليما الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان وبهذا افتى الاندلسيون
على ابن حاتم في نفيه الزهد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي
قدمناه وقال محمد بن سحنون في الماسور يسب النبي صلى الله عليه
وسلم في ايدي العدو يقتل الا ان يعلم تنصره او اكراهه وعن ابي محمد
ابن ابي زيد لا يعذر بدعوى زلل اللسان في مثل هذا وافتى ابو
الحسن القابسي فيمن شتم النبي صلى الله عليه وسلم في سكره يقتل لانه
يظن به انه يعتقد هذا ويفعله في صحوه وايضا فانه حد لا يسقطه
السكر كالقذف والقتل وسائر الحدود لانه ادخله على نفسه
لان من شرب الخمر على علم من زوال عقله بها واتيان ما ينكر منه

فهو كالعامد لما يكون بسببه وعلى هذا الزمناه الطلاق
والعتاق والقصاص والحدود ولا يعترض على هذا بحديث حمزة وقوله
للنبي صلى الله عليه وسلم وهل انتم الا عبيد لابي قال فعرف النبي
صلى الله عليه وسلم انه ثمل فانصرف لان الخمر كانت حينئذ غير محرمة
فلم يكن في جنايتها اثم وكان حكم ما يحدث عنها معفوا عنه كما يحدث
من النوم وشرب الدواء المأمون فصل الوجه الثاني ان يقصد
الى تكذيبه فيما قاله واتى به او نفي نبوته او رسالته او وجوده
او يكفر به انتقل بقوله ذلك الى دين آخر غير ملته ام لا فهذا كافر
باجماع يجب قتله ثم ينظر فان كان مصرحا بذلك كان حكمه اشبه
بحكم المرتد وقوي الخلاف في استتابته وعلى القول الآخر لا تسقط
القتل عنه توبته لحق النبي صلى الله عليه وسلم ان كان ذكره
بنقيصة فيما قاله من كذب او غيره وان كان متسترا بذلك فحكمه
حكم الزنديق لا يسقط قتله التوبة عندنا كما سنبينه قال
ابو حنيفة واصحابه من برئ من محمد او كذب به فهو مرتد حلال
الدم الا ان يرجع وقال ابن القاسم في المسلم اذا قال ان محمدا
ليس بنبي او لم يرسل او لم ينزل عليه قرآن وانما هو شيء يتقوله
يقتل قال ومن كفر برسول الله صلى الله عليه وسلم وانكره من
المسلمين فهو بمنزلة المرتد وكذلك من اعلن بتكذيبه انه كالمرتد
يستتاب وكذلك قال فيمن تنبأ وزعم انه يوحى اليه وقاله سحنون

وقال ابن القاسم دعا الى ذلك سرا او جهرا قال اصبغ وهو
كالمرتد لانه قد كفر بكتاب الله مع الفرية على الله وقال اشهب
في يهودي تنبأ او زعم انه ارسل الى الناس او قال بعد نبيكم
نبي انه يستتاب ان كان معلنا بذلك فان تاب والا قتل وذلك
لانه مكذب للنبي صلى الله عليه وسلم في قوله لا نبي بعدي مفتر على
الله تعالى في دعواه عليه الرسالة والنبوة وقال محمد بن سحنون
من شك في حرف مما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم عن الله فهو كافر
جاحد وقال من كذب النبي صلى الله عليه وسلم كان حكمه عند الامة
القتل وقال احمد بن ابي سليمان صاحب سحنون من قال ان النبي صلى
الله عليه وسلم اسود قتل لم يكن عليه السلام باسود وقال
نحوه ابو عثمان الحداد قال لو قال انه مات قبل ان يلتحي او انه كان
بتاهرت ولم يكن بتهامة قتل لان هذا نفي قال حبيب ابن ربيع تبديل
صفته ومواضعه كفر والمظهر له كافر وفيه الاستتابة والمسر له
زنديق يقتل دون استتابة فصل الوجه الرابع يأتي من الكلام
بمجمل ويلفظ من القول بمشكل يمكن حمله على النبي او غيره او تردد
في المراد به من سلامته من المكروه او شره فهاهنا متردد النظر
وحيرة العبر ومظنة اختلاف المجتهدين ووقفة استبراء المقلدين
ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة فمنهم من غلب حرمة
النبي صلى الله عليه وسلم وحمى حمى عرضه فجسر على القتل ومنهم

من عظم حرمة الدم ودرا الحد بالشبهة لاحتمال القول
وقد اختلف ايمتنا في رجل اغضبه غريمه فقال له صل على النبي
محمد فقال له الطالب لا صلى الله على من صلى عليه فقيل لسحنون
هل هو كمن شتم النبي صلى الله عليه وسلم او شتم الملايكة الذين
يصلون عليه قال لا اذا كان على ما وصفت من الغضب لانه لم يكن
مضمرا للشتم وقال ابو اسحاق البرقي واصبغ ابن الفرج لا يقتل
لانه انما شتم الناس وهذا نحو قول سحنون لانه لم يعذره بالغضب في
شتم النبي صلى الله عليه وسلم ولكنه لما احتمل الكلام عنده ولم يكن معه
قرينة تدل على شتم النبي صلى الله عليه وسلم او شتم الملايكة صلوات
الله عليهم ولا مقدمة يحمل عليها كلامه بل القرينة تدل على ان مراده
الناس غير هولا لاجل قول الاخر له صل على النبي محمد فحمل قوله
معنى قول سحنون وهو مطابق لعلة صاحبيه وذهب الحارث
ابن مسكين القاضي وغيره في مثل هذا الى القتل وتوقف ابو الحسن
القابسي في قتل رجل قال كل صاحب فندق قرنان ولو كان
نبيا مرسلا فامر بشده بالقيود والتضييق عليه حتى يستفهم
البينة على جملة الفاظه ما يدل على مقصده هل اراد اصحاب
الفنادق الان فمعلوم انه ليس فيهم نبي مرسل فيكون امره اخف قال
ولكن ظاهر لفظه العموم لكل صاحب فندق من المتقدمين
والمتاخرين وقد كان فيمن تقدم من الانبيا والرسل من اكتسب
المال

المال قال ودم المسلم لا يقدم عليه الا بامر بين وما ترد اليه
التاويلات لا بد من اعمال النظر فيه هذا معنى كلامه وحكي
عن ابي محمد بن ابي زيد رحمه الله فيمن قال لعن الله العرب ولعن الله بني
اسرايل ولعن الله بني ادم وذكر انه لم يرد الانبيا وانما اردت
الظالمين منهم ان عليه الادب بقدر اجتهاد السلطان وكذلك
افتى فيمن قال لعن الله من حرم المسكر وقال لم اعلم من حرمه وفيمن لعن
حديث لا يبع حاضر لباد ولعن ما جا به انه ان كان يعذر
بالجهل وعدم معرفة السنن فعليه الادب الوجيع وذلك ان هذا
لم يقصد بظاهر حاله سب الله تعالى ولا سب رسوله وانما لعن
من حرمه من الناس على نحو فتوى سحنون واصحابه في المسئلة المتقدمة
ومثل هذا ما يجري في كلام الناس من قول بعضهم لبعض يا ابن الف
خنزير ويا ابن مائة كلب وشبهه من هجر القول ولا شك انه يدخل
في مثل هذا العدد من ابايه واجداده جماعة من الانبيا ولعل
بعض هذا العدد منقطع الى ادم عليه السلام فينبغي الزجر عنه
وتبيين ما جهل قايله منه وشدة الادب فيه ولو علم انه قصد
سب من في ابايه من الانبيا على علم لقتل وقد يضيق القول في
نحو هذا لو قال لرجل هاشمي لعن الله بني هاشم وقال اردت الظالمين
منهم او قال لرجل من ذرية النبي صلى الله عليه وسلم قولا قبيحا في
ابايه او من نسله او ولده على علم منه انه من ذرية النبي صلى الله

عليه وسلم ولم تكن قرينة في المسئلتين تقتضي تخصيص بعض آبائه
واخراج النبي صلى الله عليه وسلم ممن سبه منهم وقد كان اختلف
شيوخنا فيمن قال لشاهد شهد عليه بشيء ثم قال له تتهمني فقال
له الاخر الانبيا يتهمون فكيف انت فكان شيخنا ابو اسحاق بن
جعفر يرى قتله لبشاعة ظاهر اللفظ وكان القاضي ابو محمد بن
منصور يتوقف عن القتل لاحتمال اللفظ عنده ان يكون خبرا عمن
اتهمهم من الكفار وافتى فيها قاضي قرطبة ابو عبد الله بن الحاج
بنحو من هذا وشدد القاضي ابو محمد تصفيده واطال سجنه ثم
استحلفه بعد على تكذيب ما شهد به عليه اذ دخل في شهادة بعض
من شهد عليه وهن ثم اطلقه وشاهدت شيخنا القاضي ابا عبد
الله ابن عيسى ايام قضائه اتي برجل هاتر رجلا اسمه محمد ثم قصد
الى كلب فضربه برجله وقال له قم يا محمد فانكر الرجل ان يكون
قال ذلك وشهد عليه لفيف من الناس فامر به الى السجن وتقصى
عن حاله وهل يصحب من يستراب بدينه فلما لم يجد ما يقوي الريبة
باعتقاده ضربه بالسوط واطلقه **فصل** الوجه الخامس الا
يقصد نقصا ولا يذكر عيبا ولا سبا لكنه ينزع بذكر بعض اوصافه
او يستشهد ببعض احواله عليه السلم الجائز عليه في الدنيا على
طريق ضرب المثل والحجة لنفسه او لغيره او على التشبه به او
عند هضيمة نالته او غضاضة لحقته ليس على طريق التاسي

وطريق التحقيق بل على مقصد الترفيع لنفسه او لغيره او سبيل
التمثيل وعدم التوقير لنبيه عليه السلم او قصد الهزل والتندير
بقوله كقول القائل ان قيل في السو فقد قيل في النبي او ان
كذبت فقد كذب الانبيا او ان اذنبت فقد اذنبوا او انا اسلم
من السنة الناس ولم يسلم منهم انبيا الله ورسله او قد صبرت
كما صبر اولوا العزم من الرسل او كصبر ايوب او قد صبر نبي الله عن
عداه وحلم على اكثر مما صبرت وكقول المتنبي انا في امة تداركها
الله غريب كصالح في ثموده ونحوه من اشعار المتعجرفين في القول
المتساهلين في الكلام كقول المعري كنت موسى وافته بنت
شعيب غير ان ليس فيكما من فقيره على ان آخر البيت شديد وداخل
في باب الازراء والتحقير بالنبي عليه السلام وتفضيل حال غيره
عليه وكذلك قوله لولا انقطاع الوحي بعد محمد قلنا محمد من
ابيه بديل هو مثله في الفضل الا انه لم ياته برسالة جبريل
فصدر البيت الثاني من هذا الفصل شديد لتشبيهه غير النبي في فضله
بالنبي والعجز محتمل لوجهين احدهما ان هذه الفضيلة نقصت
الممدوح والاخر استغناؤه عنها وهذه اشد ونحو منه قول
الاخر واذا ما رفعت راياته صفقت بين جناحي جبرين
وقول الاخر من اهل العصر فر من الخلد واستجار بنا فصبر
الله قلب رضوان وكقول حسان المصيصي من شعراء

الاندلسي في محمد بن عباد المعروف بالمعتمد ووزيره ابي بكر بن
زيدون ٥ كان ابا بكر ابو بكر الرضا وحسان حسان وانت محمد
الى امثال هذا وانما كثرنا بشاهدها مع استثقالنا حكايتها
لتعريف امثلتها ولتساهل كثير من الناس في ولوج هذا الباب
الضنك واستخفافهم فادح هذا العبء وقلة علمهم بعظيم ما فيه
من الوزر وكلامهم منه بما ليس لهم به علم "وتحسبونه هينا
وهو عند الله عظيم" لا سيما الشعراء واشدهم فيه تصريحا وللسانه
تسريحا ابن هانئ الاندلسي وابن سليمان المعري بل قد خرج كثير
من كلامهما الى حد الاستخفاف والنقص وصريح الكفر وقد اجبنا
عنه وغرضنا الان الكلام في هذا الفصل الذي سقنا امثلته
فان هذه كلها وان لم تتضمن سبا ولا اضافت الى الانبياء
والملائكة نقصا ولست اعني عجزي بيتي المعري ولا قصد قائلها
ازرا وغضا فما وقر النبوة ولا عظم الرسالة ولا عزر حرمة
الاصطفاء ولا عزر حظوة الكرامة حتى شبه من شبه في
كرامة نالها او معرة قصد الانتفاء منها او ضرب مثل لتطييب
مجلسه او اغلاء في وصف لتحسين كلامه بمن عظم الله خطره
وشرف قدره والزم توقيره وبره ونهى عن جهر القول له ورفع
الصوت عنده فحق هذا ان درئ عنه القتل الادب
والسجن وقوة تعزيره بحسب شنعة مقاله ومقتضى قبح ما نطق

به ومالوف عادته لمثله او ندوره وقرينة كلامه او ندمه
على ما سبق منه ولم يزل المتقدمون ينكرون مثل هذا ممن جاء
به وقد انكر الرشيد على ابي نواس قوله ٥ فان يك باقي سحر فرعون
فيكم فان عصى موسى بكف خصيب ٥ وقال له يا ابن اللخناء انت
المستهزئ بعصا موسى وامر باخراجه من عسكره من ليلته
وذكر القتبي ان مما اخذ عليه ايضا وكفر به او قارب قوله في
محمد الامين وتشبيهه اياه بالنبي صلى الله عليه وسلم ٥ تنازع الاحمدان
الشبه فاشتبها خلقا وخلقا كما قد الشراكان ٥ وقد انكروا
ايضا قوله عليه ٥ كيف لا يدنيك من امل من رسول الله من نفره
لان حق الرسول وموجب تعظيمه وانافة منزلته ان يضاف
اليه ولا يضاف فالحكم في امثال هذا ما بسطناه في طريق الفتيا
على هذا المنهج جاءت فتيا امام مذهبنا مالك بن انس رحمه الله ٥
واصحابه ففي النوادر من رواية ابن ابي مريم عنه في رجل عير رجلا
بالفقر فقال تعيرني بالفقر وقد رعى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال مالك قد عرض بذكر النبي صلى الله عليه وسلم في غير
موضعه ارى ان يؤدب قال ولا ينبغي لاهل الذنوب اذا
عوتبوا ان يقولوا قد اخطات الانبياء قبلنا ٥ وقال
عمر بن عبد العزيز لرجل انظر لنا كاتبا يكون ابوه عربيا فقال كاتب
له قد كان ابو النبي كافرا فقال جعلت هذا مثلا فعزله وقال لا

يسقط ابدا وقد كره سحنون ان يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم
عند التعجب الا على طريق الثواب والاحتساب توقيرا له وتعظيما كما
امرنا الله وسئل القابسي عن رجل قال لرجل قبيح كانه وجه نكير
ولرجل عبوس كانه وجه مالك الغضبان فقال اى شى اراد بهذا
ونكير احد فتاني القبر وهما ملكان فما الذى اراد اروع دخل عليه حين
راه من وجهه ام عاف النظر اليه لدمامة خلقه فان كان هذا فهو شديد
لانه جرى مجرى التحقير والتهوين فهو اشد عقوبة وليس فيه تصريح
بالسب للملك وانما السب واقع على المخاطب وفي الادب بالسوط
والسجن نكال للسفهاء قال واما ذاكر مالك خازن النار فقد
جفا الذى ذكره عند ما انكر من عبوس الاخر الا ان يكون المعبس له يد
فيرهب بعبسته فيشبهه القايل على طريق الذم لهذا في فعله ولزومه
في ظلمه صفة المالك المطيع لربه في فعله فيقول كانه لله يغضب غضب
مالك فيكون اخف وما كان ينبغى له التعرض لمثل هذا ولو كان
اثنى على العبوس بعبسته واحتج بصفة مالك كان اشد ويعاقب
المعاقبة الشديدة وليس في هذا ذم للملك ولو قصد ذمه لقتل
وقال ابو الحسن ايضا في شاب معروف بالخير قال لرجل شيا
فقال له الرجل اسكت فانك امي فقال الشاب اليس كان النبي صلى
الله عليه وسلم اميا فشنع عليه مقاله وكفره الناس واشفق
الشاب مما قال واظهر الندم عليه فقال ابو الحسن اما اطلاق

الكفر عليه فخطا لكنه مخطى في استشهاده بصفة النبي صلى
الله عليه وسلم وكون النبي عليه السلام اميا اية له وكون هذا
اميا نقيصة فيه وجهالة ومن جهالته احتجاجه بصفة النبي صلى الله
عليه وسلم لكنه اذا استغفر وتاب واعترف ولجا الى الله فيترك
لان قوله لا ينتهى الى حد القتل وما طريقه الادب فطوع فاعله
بالندم عليه يوجب الكف عنه ونزلت ايضا مسئلة استفتى فيها
بعض قضاة الاندلس شيخنا القاضي ابا محمد بن منصور رحمه الله في رجل
تنقصه اخر بشى فقال له انما تريد نقصي بقولك وانا بشر وجميع
البشر يلحقهم النقص حتى النبي صلى الله عليه وسلم فافتاه باطالة سجنه
وايجاع ادبه اذ لم يقصد السب وكان بعض فقهاء الاندلس افتى
بقتله **فصل** الوجه السادس ان يقول القايل ذلك حاكيا عن غيره
واثرا له عن سواه فهذا ينظر في صورة حكايته وقرينة مقالته ويختلف
الحكم باختلاف ذلك على اربعة وجوه الوجوب والندب والتحريم
والكراهة فان كان اخبر به على وجه الشهادة والتعريف بقايله
والانكار والاعلام بقوله والتنفير منه والتجريح له فهذا مما ينبغى
امتثاله ويحمد فاعله وكذلك ان حكاه في كتاب او في مجلس على طريق
الرد له والنقض على قايله والفتيا بما يلزمه وهذا منه ما يجب
ومنه ما يستحب بحسب حالات الحاكي لذلك والمحكي عنه فان
كان القايل لذلك ممن تصدى لان يوخذ عنه العلم او رواية

الحديث او يقطع بحكمه او شهادته او فتياه في الحقوق وجب على سامعه
الاشادة بما سمع منه والتنفير للناس عنه والشهادة عليه بما قاله ۝
ووجب ووجب على من بلغه ذلك من ايمة المسلمين انكاره وبيان كفره
وفساد قوله لقطع ضرره عن المسلمين وقياما بحق سيد المرسلين ۝
وكذلك ان كان ممن يعظ العامة او يودب الصبيان فان من هذه
سريرته لا يومن على القاء ذلك في قلوبهم فيتاكد في هولاء الايجاب
لحق النبي صلى الله عليه وسلم ولحق شريعته وان لم يكن القايل بهذه
السبيل فالقيام بحق النبي صلى الله عليه وسلم واجب وحماية عرضه
متعين ونصرته عن الاذى حيا وميتا مستحق على كل مومن لكنه اذا قام
بهذا من ظهر به الحق وفصلت به القضية وبان به الامر سقط عن
الباقي الفرض وبقي الاستحباب في تكثير الشهادة وعضد التحذير
منه وقد اجمع السلف على بيان حال المتهم في الحديث فكيف بمثل
هذا وقد سيل ابو محمد بن ابي زيد عن الشاهد يسمع مثل هذا في
حق الله تعالى ايسعه الا يودي شهادته قال ان رجا نفاذ الحكم
بشهادته فليشهد وكذلك ان علم ان الحاكم لا يرى القتل بما شهد
به ويرى الاستتابة والادب فليشهد ويلزمه ذلك واما
الاباحة لحكاية قوله لغير هذين المقصدين فلا ارى لها مدخلا في
الباب فليس التفكه بعرض النبي صلى الله عليه وسلم والتمضمض بسو
ذكره لاحد لا ذاكرا ولا آثرا لغير غرض شرعي بمباح واما ۝

للاغراض المتقدمة فمتردد بين الايجاب والاستحباب وقد حكى
الله تعالى مقالات المفترين عليه وعلى رسله في كتابه على وجه
الانكار بقولهم والتحذير من كفرهم والوعيد عليه والرد عليهم
بما تلاه الله علينا في محكم كتابه وكذلك وقع من امثاله في احاديث
النبي صلى الله عليه وسلم الصحيحة على الوجوه المتقدمة واجمع السلف
والخلف من ايمة الهدى على حكايات مقالات الكفرة والملحدين في
كتبهم ومجالسهم ليبينوها للناس وينقضوا شبهها عليهم وان كان ۝
ورد لاحمد بن حنبل انكار لبعض هذا على الحارث بن اسد فقد صنع
احمد مثله في رده على الجهمية والقايلين بالمخلوق وهذه الوجوه
السايغة الحكاية عنها فاما ذكرها على غير هذا من حكاية سبه
والازراء بمنصبه على وجه الحكايات والاسمار والطرف
واحاديث الناس ومقالاتهم في الغث والسمين ومضاحك ۝
المجان ونوادر السخفاء والخوض في قيل وقال وما لا يعني فكل
هذا ممنوع وبعضه اشد في المنع والعقوبة من بعض فما كان من
قايله الحاكي له على غير قصد او معرفة بمقدار ما حكاه او لم
تكن عادته او لم يكن الكلام من البشاعة حيث هو ولم يظهر على ۝
حاكيه استحسانه واستصوابه زجر عن ذلك ونهي عن العودة ۝
اليه وان قوم ببعض الادب فهو مستوجب له وان كان
لفظه في البشاعة حيث هو كان الادب اشد وقد حكى ۝

ان رجلا سأله مبتدئا عمن يقول القرآن مخلوق فقال مالك كافر
فاقتلوه فقال انما حكيته عن غيري فقال مالك انما سمعناه منك
وهذا من مالك رحمه الله على طريق الزجر والتغليظ بدليل لم ينفذ
قتله وان اتهم هذا الحاكي فيما حكاه انه اختلقه ونسبه الى غيره
او كانت تلك عادة له او ظهر استحسانه لذلك او كان مولعا بمثله
والاستخفاف له او التحفظ لمثله وطلبه ورواية اشعار هجوه
عليه السلام وسبه فحكم هذا حكم الساب نفسه يؤاخذ بقوله
ولا تنفعه نسبته الى غيره فيبادر بقتله ويعجل الى الهاوية امه
وقد قال ابو عبيد القاسم بن سلام في من حفظ شطر بيت
مما هجي به النبي صلى الله عليه وسلم فهو كفر وقد ذكر بعض من الف
في الاجماع اجماع المسلمين على تحريم رواية ما هجي به النبي صلى
الله عليه وسلم وكتابه وقراءته وتركه متى وجد دون محو ورحم
الله اسلافنا المتقين المتحرزين لدينهم فقد اسقطوا من احاديث
المغازي والسير ما كان هذا سبيله وتركوا روايته الا اشيا
ذكروها يسيرة وغير مستبشعة على نحو الوجوه الاول ليروا
نقمة الله من قائلها واخذه المفتري عليه بذنبه وهذا ابو عبيد
القاسم بن سلام رحمه الله قد تحرى فيما اضطر الى الاستشهاد
به من اهاجي اشعار العرب في كتبه فكنى عن اسم المهجو بوزن
اسمه استبراء لدينه وتحفظا من المشاركة في ذم احد بروايته

او نشره فكيف بما يتطرق الى عرض سيد البشر صلى الله عليه
وسلم **فصل** الوجه السابع ان يذكر ما يجوز على النبي صلى الله
عليه وسلم او يختلف في جوازه عليه وما يطرأ من الامور البشرية
به ويمكن اضافتها اليه او يذكر ما امتحن به وصبر في ذات الله على
شدة من مقاساة اعدائه واذاهم له ومعرفة ابتداء حاله وسيرته
وما لقيه من بؤس زمنه ومر عليه من معاناة عيشته كل ذلك على
طريق الرواية ومذاكرة العلم ومعرفة ما صحت منه العصمة للانبيا
وما يجوز عليهم فهذا فن خارج عن هذه الفنون الستة اذ ليس
فيه غمص ولا نقص ولا ازرا ولا استخفاف لا في ظاهر اللفظ ولا
في مقصد اللافظ لكن يجب ان يكون الكلام فيه مع اهل العلم
وفهماء طلبة الدين ممن يفهم مقاصده ويحققون فوائده ويجنب
ذلك من عساه لا يفقه او يخشى به فتنته فقد كره بعض السلف تعليم
النساء سورة يوسف لما انطوت عليه من تلك القصص لضعف
معرفتهن ونقص عقولهن وادراكهن فقد قال عليه السلام
مخبرا عن نفسه باستئجاره لرعاية الغنم في ابتداء حاله وقال
ما من نبي الا وقد رعى الغنم واخبرنا الله بذلك عن موسى عليه
السلام وهذا لا غضاضة فيه جملة واحدة لمن ذكره على وجهه
بخلاف من قصد به الغضاضة والتحقير بل كانت عادة جميع
العرب نعم في ذلك للانبيا حكمة بالغة وتدريج منه تعالى لهم

الى كرامته وتدريب برعايتها لسياسة امتهم من خليقته باسبق
لهم من الكرامة في الازل ومتقدم العلم وكذلك قد ذكر الله نبيه
وعيلته على طريق المنة عليه والتعريف بكرامته له فذكر الذاكر
لها على وجه تعريف حاله والخبر عن مبتدايه والتعجب من منح الله ٥
قبله وعظيم منته عنده ليس فيه غضاضة بل فيه دلالة على نبوته
وصحة دعوته اذ اظهره الله تعالى بعد هذا على صناديد العرب
ومن ناواه من اشرافهم شيئا فشيئا ونمى امره حتى قهرهم وتمكن من
ملك مقاليدهم واستباحة ممالك كثير من الامم غيرهم باظهار الله
تعالى له وتاييده بنصره وبالمومنين والف بين قلوبهم وامداده
بالملائكة المسومين ولو كان ابن ملك او ذا اشياع متقدمين ٥
لحسب كثير من الجهال ان ذلك موجب ظهوره ومقتضى علوه
ولهذا قال هرقل حين سال ابا سفيان عنه هل في اباه من ملك
ثم قال ولو كان في اباه ملك لقلنا رجل يطلب ملك ابيه وان
اليتيم من صفته واحدى علاماته في الكتب المتقدمة واخبار الامم
السالفة وكذا وقع ذكره في كتاب ارميا وبهذا وصفه ابن ذي يزن
لعبد المطلب وبحيرا لابي طالب وكذلك اذا وصف بانه امي
كما وصفه الله به فهي مدحة له وفضيلة ثابتة فيه وقاعدة معجزته
اذ معجزته العظمى من القرآن العظيم انما هي متعلقة بطريق المعارف
والعلوم مع ما منح صلى الله عليه وسلم وفضل به من ذلك كما قدمناه ٥

في الم

في القسم الاول ووجود مثل ذلك من رجل لم يقرا ولم يكتب
ولم يدارس ولا لقن مقتضى العجب ومنتهى العبر ومعجز البشر
وليس في ذلك نقيصة اذ المطلوب من الكتابة والقراءة المعرفة
وانما هي آلة لها وواسطة موصلة اليها غير مرادة في نفسها فاذا
حصلت الثمرة والمطلوب استغني عن الواسطة والسبب والامية
في غيره نقيصة لانها سبب الجهالة وعنوان الغباوة فسبحان من ٥
باين امره من امر غيره وجعل شرفه فيما فيه محطة سواه وحياته فيما
فيه هلاك من عداه هذا شق قلبه واخراج حشوته كان تمام
حيوته وغاية قوة نفسه وثبات روعه وهو فيمن سواه منتهى ٥
هلاكه وحتم موته وفنائه وهلم جرا الى سائر ما روي من ٥
اخباره وسيره وتقلله من الدنيا ومن الملبس والمطعم والمركب
وتواضعه ومهنته نفسه في اموره وخدمة بيته زهدا
ورغبة عن الدنيا وتسويته بين حقيرها وخطيرها لسرعة فناء
امورها وتقلب احوالها كل هذا من فضائله ومآثره وشرفه
كما ذكرناه فمن اورد شيئا منها مورده وقصد بها مقصده
كان حسنا ومن اورد ذلك على غير وجهه وعلم منه ٥
بذلك سوء قصده لحق بالفصول التي قدمناها وكذلك
ما ورد من اخباره واخبار سائر الانبياء عليهم السلام في الاحاديث
مما في ظاهره اشكال يقتضي امورا لا تليق بهم بحال ٥

ويحتاج إلى تأويل ويتردد احتمال ولا يجب أن يحدث منها إلا بالصحيح ولا يروى منها إلا المعلوم الثابت ورحم الله مالكا فلقد كره التحدث بمثل ذلك من الأحاديث الموهمة ۝ للتشبيه والمشكلة المعنى وقال ما يدعوا الناس إلى التحدث بمثل هذا فقيل له إن ابن عجلان يحدث بها فقال لم يكن من الفقهاء وليت الناس وافقوه على ترك الحديث بها وساعدوه على طيها فأكثرها ليس تحته عمل ۝ وقد حكي عن جماعة من السلف بل عنهم على الجملة أنهم كانوا يكرهون الكلام فيما ليس تحته عمل ۝ والنبي صلى الله عليه وسلم أوردها على قوم عرب يفهمون كلام العرب على وجهه وتصرفاتهم في حقيقته ومجازه واستعارته وبليغه وإيجازه فلم تكن في حقهم مشكلة ثم جاء من غلبت عليه العجمة وداخلته الأمية فلا يكاد يفهم من مقاصد العرب إلا نصها وصريحها ولا يتحقق إشاراتها إلى غرض الإيجاز ووحيها وتبليغها وتلويحها فتفرقوا في تأويلها شذر مذر فمنهم من آمن به ومنهم من كفر فأما ما لا يصح من هذه الأحاديث فواجب أن لا يذكر منها شيء في حق الله تعالى ولا في حق أنبيائه ولا يتحدث بها ولا يتكلف الكلام على معانيها والصواب طرحها وترك الشغل بها إلا أن تذكر على وجه التعريف بأنها ضعيفة المعاني واهية الإسناد ۝

وقد أنكر الأشياخ على أبي بكر ابن فورك تكلفه في مشكله الكلام على أحاديث ضعيفة موضوعة لا أصل لها أو منقولة عن أهل الكتاب الذين يلبسون الحق بالباطل كان يكفيه طرحها ويغنيه عن الكلام عليها التنبيه على ضعفها إذ المقصود بالكلام على مشكل ما فيه إزالة اللبس بها واجتثاثها من أصلها أكشف للبس وأشفى للنفس ۝

فصل وما يجب على المتكلم فيما يجوز على النبي صلى الله عليه وسلم وما لا يجوز والذاكر من حالاته ما قدمناه في الفصل قبل هذا على طريق المذاكرة والتعليم ۝ أن يلتزم في كلامه عند ذكره عليه السلام وذكر تلك الأحوال الواجب من توقيره وتعظيمه ويراقب حال لسانه ولا يهمله وتظهر عليه علامات الأدب عند ذكره فإذا ذكر ما قاساه من الشدائد ظهر عليه الإشفاق والارتماض والغيظ على عدوه ومودة الفداء للنبي صلى الله عليه وسلم لو قدر عليه والنصرة له لو أمكنته وإذا أخذ في أبواب العصمة وتكلم على مجاري أعماله وأقواله عليه السلام تحرى أحسن اللفظ وأدب العبارة ما أمكنه واجتنب بشيع ذلك وهجر من العبارة ما يقبح كلفظة الجهل ۝ والكذب والمعصية فإذا تكلم في الأقوال قال هل يجوز عليه الخلف في القول والإخبار بخلاف ما وقع سهوا أو غلطا ونحوه من العبارة ويتجنب لفظة الكذب جملة واحدة وإذا تكلم

على العلم قال هل يجوز ان لا يعلم الا ما علم وهل يمكن
ان لا يكون عنده علم من بعض الاشياء حتى يوحى اليه ولا يقول
بجهل لقبح اللفظ وبشاعته واذا تكلم في الافعال قال هل
يجوز منه المخالفة في بعض الاوامر والنواهي ومواقعة الصغائر
فهو اولى وادب من قوله هل يجوز ان يعصي او يذنب او يفعل
كذا وكذا من انواع المعاصي فهذا من حق توقيره صلى الله
عليه وسلم وما يجب له من تعزير واعظام وقد رايت بعض العلما
لم يتحفظ من هذا فقبح منه ولم استصوب عبارته فيه ووجدت
بعض الجائرين قوله لاجل ترك تحفظه في العبارة ما لم يقله ۝
وشنع عليه بما ياباه ويكفر قائله واذا كان مثل هذا بين
الناس مستعملا في آدابهم وحسن معاشرتهم وخطابهم
فاستعماله في حقه عليه السلام اوجب والتزامه اكد فجودة
العبارة تقبح الشيء او تحسنه وتحريرها وتهذيبها يعظم الامر او
يهونه ولهذا قال عليه السلام ان من البيان لسحرا فاما
ما اورده على جهة النفي عنه والتنزيه فلا حرج في شرح العبارة
وتصريحها فيه كقوله لا يجوز عليه الكذب جملة ولا اتيان الكبائر
بوجه ولا الجور في الحكم حال ولكن مع هذا يجب ظهور توقيره
وتعظيمه وتعزيره عند ذكره مجردا فكيف عند ذكر مثل
هذا وقد كان السلف تظهر عليهم حالات شديدة عند

مجرد

مجرد ذكره كما قدمناه في القسم الثاني وكان بعضهم
يلتزم مثل ذلك عند تلاوة اي من القرآن حكى الله فيها مقال
عداه ومن كفر باياته وافترى عليه الكذب فكان يخفض بها صوته
اعظاما لربه واجلالا له واشفاقا من التشبه بمن كفره ۝ ۝

الباب الثاني في حكم سابه وشانيه ومتنقصه

ومؤذيه وعقوبته وذكر استتابته ووراثته قد قدمنا ما هو
سب واذى في حقه صلى الله عليه وسلم وذكرنا اجماع العلماء
على قتل فاعل ذلك وقائله او تخيير الامام في قتله او صلبه على ما
ذكرناه وقررنا الحجج عليه وبعد فاعلم ان مشهور مذهب مالك
واصحابه وقول السلف وجمهور العلماء قتله حدا لا كفرا ان اظهر
التوبة منه ولهذا لا تقبل عندهم توبته ولا تنفعه استقالته
ولا فيئته كما قدمناه قبل وحكمه حكم الزنديق ومسر الكفر
في هذا القول وسواء كانت توبته على هذا بعد القدرة عليه
والشهادة على قوله او جاء تائبا من قبل نفسه لانه حد وجب
لا تسقطه التوبة كسائر الحدود قال الشيخ ابو الحسن القابسي
رحمه الله اذا اقر بالسب وتاب منه واظهر التوبة قتل بالسب لانه
هو حده وقال ابو محمد بن ابي زيد مثله واما ما بينه
وبين الله تعالى فتوبته تنفعه وقال ابن سحنون من شتم النبي صلى
الله عليه وسلم من الموحدين ثم تاب عن ذلك لم تزل توبته عنه

القتل وكذلك قد اختلف في الزنديق اذا جا تايبا فحكى
القاضي ابو الحسن ابن القصار في ذلك قولين قال من شيوخنا
من قال اقتله باقراره لانه كان يقدر على ستر نفسه فلما اعترف
خفنا انه خشي الظهور عليه فبادر لذلك ومنهم من قال
اقبل توبته لاني استدل على صحتها بمجيه فكانا وقفنا على باطنه
بخلاف من اسرته البينة قال القاضي ابو الفضل وهذا قول
اصبغ ومسئلة ساب النبي صلى الله عليه وسلم اقوى لا يتصور
فيها الخلاف على الاصل المتقدم لانه حق متعلق للنبي صلى الله
عليه وسلم ولامته بسببه لا تسقطه التوبة كساير حقوق الادميين
والزنديق اذا تاب بعد القدرة عليه فعند مالك والليث
واسحق واحمد لا تقبل توبته وعند الشافعي تقبل واختلف فيه
عن ابي حنيفة وابي يوسف وحكى ابن المنذر عن علي بن ابي
طالب رضي الله عنه يستتاب قال محمد بن سحنون ولم يزل القتل
عن المسلم بالتوبة من سبه عليه السلام لانه لم ينتقل من دين
الى غيره وانما فعل شيا حده عندنا القتل لا عفو فيه لاحد
كالزنديق لانه لم ينتقل من ظاهر الى ظاهر وقال القاضي
ابو محمد بن نصر محتجا لسقوط اعتبار توبته والفرق بينه وبين
من سب الله تعالى على مشهور القول باستتابته ان النبي صلى
الله عليه وسلم بشر والبشر جنس يلحقهم المعرة الا من اكرمه الله

بنبوته

بنبوته والباري تعالى منزه عن جميع المعايب قطعا وليس من
جنس تلحق المعرة بجنسه وليس سبه عليه السلام كالارتداد
المقبول فيه التوبة لان الارتداد معنى ينفرد به المرتد لا حق
فيه لغيره من الادميين فقبلت توبته ومن سب النبي تعلق به
حق لادمي فكان كالمرتد يقتل حين ارتداده او يقذف فان
توبته لا تسقط عنه حد القتل والقذف وايضا فان توبة
المرتد اذا قبلت لا تسقط ذنوبه من زنا وسرقة وغيرها ولم
يقتل ساب النبي صلى الله عليه وسلم لكفره لكن لمعنى يرجع الى
تعظيم حرمته وزوال المعرة به وذلك لا تسقطه التوبة قال
القاضي ابو الفضل يريد والله اعلم لان سبه لم يكن بكلمة
تقتضي الكفر ولكن بمعنى الازراء والاستخفاف ولان بتوبته
واظهار انابته ارتفع عنه اسم الكفر ظاهرا والله اعلم بسريرته وبقي
حكم السب عليه وكلام شيوخنا هولاء مبني على القول
بقتله حدا لا كفرا وهو يحتاج الى تفصيل واما على رواية الوليد
ابن مسلم عن مالك ومن وافقه على ذلك ممن ذكرناه وقال به
من اهل العلم فقد صرحوا انه ردة قالوا ويستتاب منها فان
تاب نكل وان ابى قتل فحكم له بحكم المرتد مطلقا في هذا الوجه
والوجه الاول اشهر واظهر لما قدمناه ونحن نبسط الكلام
فيه فنقول من لم يره ردة فهو يوجب القتل فيه حدا وانما

بقول ذلك مع فصلين اما مع انكاره ما شهد عليه به واظهاره
الاقلاع والتوبة عنه فقتله حدا لثبات كلمة الكفر عليه في حق
النبي صلى الله عليه وسلم وتحقيره ما عظم الله من حقه واجرينا
حكمه في ميراثه وغير ذلك حكم الزنديق اذا ظهر عليه وانكر او
تاب فان قيل فكيف تثبتون عليه الكفر وتشهد عليه بكلمة
الكفر ولا تحكمون عليه بحكمه من الاستتابة وتوابعها قلنا
نحن وان اثبتنا له حكم الكافر في القتل فلا نقطع عليه بذلك
لاقراره بالتوحيد والنبوة وانكاره ما شهد به عليه او زعمه
ان ذلك كان منه وهلا ومعصية وانه مقلع عن ذلك
نادم عليه ولا يمتنع اثبات بعض لاحكام الكفر على بعض
الاشخاص وان لم تثبت له خصائصه كقتل تارك الصلاة واما
من علم انه سبه معتقدا لاستحلاله فلا شك في كفره بذلك
وكذلك ان كان سبه في نفسه كفرا كتكذيبه او تكفيره ونحوه
فهذا مما لا اشكال فيه ويقتل وان تاب منه لانا لا نقبل
توبته ونقتله بعد التوبة حدا لقوله ومتقدم كفره وامره بعد
الى الله المطلع على صحة اقلاعه العالم بسره وكذلك من لم يظهر
التوبة واعترف بما شهد به عليه وصمم عليه فهذا كافر بقوله
وباستحلاله هتك حرمة الله وحرمة نبيه يقتل كافرا بلا
خلاف فعلى هذا التفصيلات خذ كلام العلماء ونزل مختلف

عبارتهم في الاحتجاج عليها واجر اختلافهم في الموارثة
وغيرها على ترتيبها تتضح لك مقاصدهم ان شاء الله تعالى

فصل اذا قلنا بالاستتابة حيث تصح فالاختلاف
فيها على الاختلاف في توبة المرتد اذ لا فرق وقد اختلف
السلف في وجوبها وصورتها ومدتها فذهب جمهور اهل
العلم الى ان المرتد يستتاب وحكى ابن القصار انه اجماع
من الصحابة على تصويب قول عمر في الاستتابة ولم ينكره واحد
منهم وهو قول عثمان وعلي وابن مسعود وبه قال عطاء بن ابي
رباح والنخعي والثوري ومالك واصحابه والاوزاعي والشافعي
واحمد واسحق واصحاب الراي وذهب طاوس وعبيد بن
عمير والحسن في احدى الروايتين عنه انه لا يستتاب وقاله عبد
العزيز بن ابي سلمة وذكره عن معاذ وانكره سحنون عن معاذ
وحكاه الطحاوي عن ابي يوسف وهو قول اهل الظاهر قالوا
وتنفعه توبته عند الله ولكن لا ندرا القتل عنه لقوله صلى الله
عليه وسلم فاقتلوه وحكي ايضا عن عطاء ان كان ممن ولد
في الاسلام لم يستتب ويستتاب الاسلامي وجمهور العلماء
على ان المرتد والمرتدة في ذلك سوا وروي عن علي لا تقتل المرتدة
وتسترق وقاله عطا وقتادة وروي عن ابن عباس لا تقتل
النسا في الردة وبه قال ابو حنيفة قال مالك والحر والعبد

والذكر والانثى في ذلك سوا واما مذهب
الجمهور وروى عن عمر انه يستتاب ثلاثة ايام يحبس فيها وقد
اختلف فيه عن عمر وهو احد قولي الشافعي وقول احمد واسحق
واستحسنه ملك وقاله لا ياتي الاستظهار والاخير وليس ه
عليه جماعة التابعين ه قال الشيخ ابو محمد بن ابي زيد في
الاستتابة ثلاثا وقال ملك ايضا الذي اخذ به في المرتد قول
عمر يحبس ثلاثة ايام ويعرض عليه كل يوم فان تاب والا قتل
وقال ابو الحسن ابن القصار في تاخيره ثلاثا روايتان ه
عن ملك هل ذلك واجب او مستحب واستحسن الاتابة ه
والاستتابة ثلاثا اصحاب الراي وروى عن ابي بكر الصديق انه
استتاب امراة فلم تتب فقتلها وقاله الشافعي مرة فقال ان لم
يتب مكانه قتل واستحسنه المزني وقال الزهري يدعا الى
الاسلام ثلاث مرات فان ابا قتل وروى عن علي يستتاب ه
شهرين وقال النخعي يستتاب ابدا وبه اخذ الثوري ما رجيت
توبته وحكى ابن القصار عن ابي حنيفة انه يستتاب ثلاث
مرات في ثلاثة ايام او ثلاث جمع كل يوم او جمعة مرة وفي كتاب
محمد عن ابن القاسم يدعا المرتد الى الاسلام ثلاث مرات
فان ابى ضربت عنقه واختلف على هذا هل يهدد او يشدد
عليه ايام الاستتابة ليتوب ام لا فقال ملك ما علمت في الا

تجويعا

تجويعا ولا تعطيشا ويؤتى من الطعام بما لا يضره وقال
اصبغ يخوف ايام الاستتابة بالقتل ويعرض عليه الاسلام وفي
كتاب ابي الحسن الطابثي يوعظ في تلك الايام ويذكر بالجنة ه
ويخوف بالنار وقال اصبغ واي المواضع حبس فيها من السجون
مع الناس او وحده اذا استوثق منه سوا ويوقف ماله اذا ه
خيف ان يتلفه على المسلمين ويطعم منه ويسقى وكذلك يستتاب
ابدا كلما رجع وارتد وقد استتاب النبي صلى الله عليه وسلم
نبهان الذي ارتد اربع مرات او خمسا قال ابن وهب عن ملك
يستتاب ابدا كلما رجع وهو قول الشافعي واحمد وقاله ابن ه
القاسم وقال اسحاق يقتل في الرابعة وقال اصحاب الراي ان لم
يتب في الرابعة قتل دون استتابة وان تاب ضرب ضربا وجيعا
ولم يخرج من السجن حتى يظهر عليه خشوع التوبة قال ابن ه
المنذر ولا نعلم احدا اوجب على المرتد في المرة الاولى ادبا اذا
رجع وهو على مذهب ملك والشافعي والكوفي ه **فصل**
هذا حكم من ثبت عليه ذلك بما يجب ثبوته من اقرار او عدول
لم يدفع فيهم فاما من لم تتم الشهادة عليه بما شهد عليه الواحد
او اللفيف من الناس او ثبت قوله لكن احتمل ولم يكن صريحا وكذلك
ان تاب على القول بقبول توبته فهذا يدرا عنه القتل ه
ويتسلط عليه اجتهاد الامام بقدر شهرة حاله وقوة الشهادة

عليه وضعفها وكثرة السماع عنه وصورة حاله من التهمة في
الدين والنبز بالسفه والمجون فمن قوي امره اذاقه من شديد
النكال من التضييق في السجن والشد في القيود الى الغاية
التي هي منتهى طاقته مما لا يمنعه القيام لضرورته ولا يقعده
عن صلاته وهو حكم كل من وجب عليه القتل لكن وقف عن
قتله لمعنى اوجبه وتربص به لاشكال وعاقه اقتضاء امره
وحالات الشدة في نكاله تختلف بحسب اختلاف حاله
وقد روى الوليد عن مالك والاوزاعي انها ردة فاذا تاب
نكل ولمالك في العتبية وكتاب محمد من رواية اشهب اذا تاب
المرتد فلا عقوبة عليه وقاله سحنون وافتى ابو عبد الله بن
عتاب في من سب النبي صلى الله عليه وسلم فشهد عليه شاهدان
عدل احدهما بالادب الموجع والتنكيل والسجن الطويل
حتى تظهر توبته وقال القابسي في مثل هذا ومن كان
اقصى امره القتل فعاق عائق اشكل في القتل لم ينبغ ان يطلق
من السجن ولا يستطال سجنه ولو كان فيه من المدة ما عسى
ان يقيم وحمل عليه من القيد ما يطيق وقال في مثله ممن
اشكل امره يشد في القيود شدا ويضيق عليه في السجن
حتى ينظر فيما يجب عليه وقال في مسئلة اخرى مثلها ولا تهراق
الدماء الا بالامر الواضح وفي الادب بالسوط والسجن نكال

للسفهاء ويعاقب عقوبة شديدة فاما ان لم يشهد عليه
سوى شاهدين فاثبت من عداوتهما او جرحتهما ما اسقطهما عنه
ولم يسمع ذلك من غيرهما فامره اخف لسقوط الحكم عنه وكانه
لم يشهد عليه الا ان يكون ممن يليق به ذلك ويكون الشاهد
من اهل التبريز فاسقطهما بعداوة فهو وان لم ينفذ الحكم عليه
بشهادتهما فلا يدفع الظن صدقهما وللحاكم هنا في تنكيله
موضع اجتهاد والله ولي الارشاد **فصل** هذا حكم المسلم
فاما الذمي اذا صرح بسبه او عرض او استخف بقدره او
وصفه بغير الوجه الذي كفر به فلا خلاف عندنا في قتله ان لم
يسلم لانا لم نعطه الذمة او العهد على هذا وهو قول عامة
العلماء الا ابا حنيفة والثوري واتباعهما من اهل الكوفة
فانهم قالوا لا يقتل ما هو عليه من الشرك اعظم ولكن يؤدب
ويعزر واستدل بعض شيوخنا على قتله بقوله تعالى
وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم الآية
ويستدل عليه ايضا بقتل النبي صلى الله عليه وسلم لابن
الاشرف واشباهه ولانا لم نعاهدهم ولم نعطهم الذمة على
هذا ولا يجوز لنا ان نفعل ذلك معهم فاذا اتوا ما لم يعطوا
عليه العهد ولا الذمة فقد نقضوا ذمتهم وصاروا كفارا
يقتلون لكفرهم وايضا فان ذمتهم لا تسقط حدود الاسلام

عنهم من القطع في سرقة اموالهم والقتل لمن قتلوه منهم
وان كان ذلك حلالا عندهم فكذلك سبهم للنبي صلى الله عليه
وسلم يقتلون به وورد لاصحابنا ظواهر تقتضي الخلاف
اذا ذكره الذمي بالوجه الذي كفر به ستقف عليها من كلام ابن القاسم
وابن سحنون بعد وحكى ابو مصعب الخلاف فيها عن اصحابه
المدنيين واختلفوا اذا سبه ثم اسلم فقيل يسقط اسلامه قتله لان
الاسلام يجب ما قبله بخلاف المسلم اذا سبه ثم تاب لانا نعلم
باطنه الكافر في بغضه له وتنقصه بقلبه لكنا منعناه من اظهاره فلم
يزدنا ما اظهره الا مخالفة للامر ونقضا للعهد فاذا رجع عن دينه
الاول الى الاسلام سقط ما قبله قال الله تعالى قل للذين
كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف والمسلم بخلافه اذ كان
ظننا بباطنه حكم ظاهره وخلاف ما بدا منه الان فلم نقبل بعد
رجوعه ولا استنمنا الى باطنه اذ قد بدت سرائره وما ثبت
عليه من الاحكام باقية عليه لم يسقطها شي وقيل لا يسقط اسلام
الذمي الساب قتله لانه حق للنبي صلى الله عليه وسلم وجب عليه
لانتهاكه حرمته وقصده الحاق النقيصة والمعرة به فلم يكن
رجوعه الى الاسلام بالذي يسقطه كما وجب عليه من
حقوق المسلمين من قبل اسلامه من قتل وقذف واذا كنا لا
نقبل توبة المسلم فان لا نقبل توبة الكافر اولى قال

مالك في كتاب ابن حبيب والمبسوط وابن القاسم وابن الماجشون
وابن عبد الحكم واصبغ فيمن شتم نبينا صلى الله عليه وسلم من اهل
الذمة او احدا من الانبياء عليهم السلام قتل الا ان يسلم وقاله
ابن القاسم في العتبية وعند محمد وابن سحنون وقال سحنون
واصبغ لا يقال له اسلم ولا لا تسلم ولكن ان اسلم فذلك له توبة
وفي كتاب محمد اخبرنا اصحاب مالك انه قال من سب رسول الله
صلى الله عليه وسلم او غيره من النبيين من مسلم او كافر قتل
ولم يستتب وروي لنا عن مالك الا ان يسلم الكافر وقد روى
ابن وهب عن ابن عمر ان راهبا تناول النبي صلى الله عليه وسلم
فقال ابن عمر فهلا قتلتموه وروى عيسى عن ابن القاسم في ذمي
قال ان محمدا لم يرسل الينا وانما ارسل اليكم وانما نبينا موسى
او عيسى ونحو هذا لا شي عليهم لان الله اقرهم على مثله واما ان
سبه فقال ليس بنبي او لم يرسل او لم ينزل عليه قران وانما هو
شي تقوله او نحو هذا فيقتل قال ابن القاسم واذا قال
النصراني ديننا خير من دينكم انما دينكم دين الحمير ونحو هذا
من القبيح او سمع المؤذن يقول اشهد ان محمدا رسول الله فقال
كذلك يعطيكم الله ففي هذا الادب الموجع والسجن الطويل
قال واما ان شتم النبي صلى الله عليه وسلم شتما يعرف فانه
يقتل الا ان يسلم قاله مالك غير مرة ولم يقل يستتاب قال

ابن القاسم وتحمل قوله عندي ان اسلم طايعا وقال
محمد بن سحنون في سوالات سليمان بن سالم في اليهودي يقول
للموذن اذا تشهد كذبت يعاقب العقوبة الموجعة مع السجن الطويل
وفي النوادر من رواية سحنون عنه من شتم الانبيا من اليهود
والنصارى بغير الوجه الذي به كفروا ضربت عنقه الا ان يسلم قال
محمد بن سحنون فان قيل لم قتلته في سب النبي صلى الله عليه وسلم
ومن دينه سبه وتكذيبه قيل لانا لم نعطهم العهد على ذلك ولا
على قتلنا واخذ اموالنا فاذا قتل واحدا منا قتلناه وان كان من
دينه استحلاله فكذلك اظهاره لسب نبينا قال سحنون كما لو
بذل لنا اهل الحرب الجزية على اقرارهم على سبه لم يجز لنا ذلك في
قول قايل كذلك ينتقض عهده من سب منهم ويحل لنا دمه وكما
لم يحصن الاسلام من سبه من القتل كذلك لا تحصنه الذمة
قال القاضي ابو الفضل ما ذكره ابن سحنون عن نفسه وعن
ابيه مخالف لقول ابن القاسم فيما خفف عقوبتهم فيه مما به كفروا
فتامله ويدل على انه خلاف ما روي عن المدنيين في ذلك فحكى ابو
المصعب الزهري قال اتيت بنصراني قال والذي اصطفى عيسى
على محمد فاختلف علي فيه فضربته حتى قتلته او عاش يوما
وليلة وامرت من جر برجله وطرح على مزبلة فاكلته الكلاب
وسيل ابو المصعب عن نصراني قال عيسى خلق محمدا فقال يقتل

وقال ابن القاسم سالنا مالكا عن نصراني بمصر شهد عليه
انه قال مسكين محمد يخبركم انه في الجنة ما له لم ينفع نفسه اذ
كانت الكلاب تاكل ساقيه لو قتلوه استراح منه الناس
قال مالك ارى ان تضرب عنقه قال ولقد كدت ان لا اتكلم
فيها ثم رايت انه لا يسعني الصمت قال ابن كنانة في المبسوطة
من شتم النبي صلى الله عليه وسلم من اليهود والنصارى فارى
للامام ان يحرقه بالنار وان شا قتله ثم حرق جثته وان شا احرقه
بالنار حيا اذا تهافتوا في سبه ولقد كتب الى مالك من مصر وذكر
مسلة ابن القاسم المتقدمة قال فامرني مالك فكتبت بان يقتل
تضرب عنقه وكتبت ثم قلت يا ابا عبد الله واكتب ثم يحرق بالنار فقال
انه لحقيق بذلك وما اولاه به فكتبته بيدي بين يديه فما انكره
ولا عابه ونفذت الصحيفة بذلك فقتل وحرق وافتى عبيد
الله بن يحيى وابن لبابة في جماعة سلف اصحابنا الاندلسيين
بقتل نصرانية استهلت بنفي الربوبية ونبوة عيسى لله وتكذيب
محمد في النبوة وبقبول اسلامها ودرا الحد عنها به قال
غير واحد من المتاخرين منهم القابسي وابن الكاتب وقال ابو
القاسم بن الجلاب في كتابه من سب الله تعالى ورسوله من مسلم
او كافر قتل ولا يستتاب وحكى القاضي ابو محمد في الذمي
يسب روايتين في درا القتل عنه باسلامه وقال ابن سحنون

وحد القذف وشبهه من حقوق العباد لا يسقطه عن الذمي
اسلامه وانما تسقط عنه باسلامه حدود الله فاما حد القذف
فحق للعباد كان ذلك لنبي او غيره فاوجب على الذمي اذا قذف
النبي صلى الله عليه وسلم ثم اسلم حد القذف ولكن انظر ماذا يجب
عليه هل حد القذف في حق النبي صلى الله عليه وسلم وهو القتل
لزيادة حرمة النبي صلى الله عليه وسلم على غيره ام هل يسقط القتل
باسلامه ويحد ثمانين فتامله **فصل** في ميراث من قتل بسب
النبي صلى الله عليه وسلم وغسله والصلاة عليه اختلف
العلما في ميراث من قتل بسب النبي صلى الله عليه وسلم فذهب
سحنون الى انه لجماعة المسلمين من قبل ان شتم النبي صلى الله عليه
وسلم كفر يشبه كفر الزندقة وقال اصبغ ميراثه لورثته من
المسلمين ان كان مستسرا بذلك وان كان مظهرا له مستهلا
به فميراثه للمسلمين ويقتل على كل حال ولا يستتاب قال ابو الحسن
القابسي ان قتل وهو منكر للشهادة فالحكم في ميراثه على ما اظهر
من اقراره يعني لورثته والقتل حد ثبت عليه ليس من الميراث
في شيء وكذلك لو اقر بالسب واظهر التوبة يقتل اذ هو حده
وحكمه في ميراثه وساير احكامه حكم الاسلام ولو اقر بالسب
وتمادى عليه وابى التوبة منه فقتل على ذلك كان كافرا وميراثه
للمسلمين ولا يغسل ولا يصلى عليه ولا يكفن وتستر عورته

ويوارى كما يفعل بالكفار وقول الشيخ ابي الحسن في المجاهر
المتمادي بين لا يمكن الخلاف فيه لانه كافر مرتد غير تائب ولا
مقلع وهو مثل قول اصبغ وكذلك في كتاب ابن سحنون في الزنديق
يتمادى على قوله ومثله لابن القاسم في العتبية ولجماعة من اصحاب
مالك في كتاب ابن حبيب فيمن اعلن كفره مثله قال ابن القاسم وحكمه
حكم المرتد لا يرثه ورثته من المسلمين ولا من اهل الدين الذي ارتد
اليه ولا تجوز وصاياه ولا عتقه وقاله اصبغ قتل على ذلك
او مات عليه وقال ابو محمد بن ابي زيد وانما يختلف في ميراث
الزنديق الذي يستهل بالتوبة فلا تقبل منه فاما المتمادي فلا خلاف
انه لا يورث وقال ابو محمد في من سب الله تعالى ثم مات ولم تعدل
عليه بينة او لم تقبل انه يصلى عليه وروى اصبغ عن ابن القاسم في
كتاب ابن حبيب فيمن كذب برسول او اعلن دينا مما يفارق به الاسلام
ان ميراثه للمسلمين وقال بقول مالك ان ميراث المرتد للمسلمين ولا
يرثه ورثته ربيعة والشافعي وابو ثور وابن ابي ليلى واختلف
فيه عن احمد وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه وابن مسعود وابن
المسيب والحسن والشعبي وعمر بن عبد العزيز والحكم والاوزاعي
والليث واسحاق وابو حنيفة يرثه ورثته من المسلمين وقيل
ذلك فيما كسبه قبل ارتداده وما كسبه في الارتداد فللمسلمين
وتفصيل ابي الحسن في باقي جوابه حسن بين وهو على راي

اصبغ وخلاف قول سحنون واختلافهما على قولى مالك فى ميراث
الزنديق فمرة ورثه ورثته من المسلمين قامت عليه بذلك بينة
فانكرها او اعترف بذلك واظهر التوبة وقال اصبغ ومحمد بن
مسلمة وغير واحد من اصحابه لانه مظهر للاسلام بانكاره او توبته
وحكمه حكم المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله
عليه وسلم وروى ابن نافع عنه فى العتبية وكتاب محمد ان ميراثه
لجماعة المسلمين لان ماله تبع لدمه وقال به ايضا جماعة من
اصحابه وقاله اشهب والمغيرة وعبد الملك ومحمد وسحنون وذهب
ابن القاسم فى العتبية الى انه ان اعترف بما شهد عليه به وتاب
قتل ولا يورث وان لم يقر حتى قتل او مات ورث قال وكذلك
كل من اسر كفرا فانهم يتوارثون بوراثة الاسلام وسئل ابو
القاسم ابن الكاتب عن النصرانى يسب النبى صلى الله عليه وسلم فيقتل
هل يرثه اهل دينه او المسلمون فاجاب انه للمسلمين ليس على جهة
الميراث لانه لا توارث بين اهل ملتين ولكن لانه من فيئهم لنقضه
العهد هذا معنى قوله واختصاره

الباب الثالث

فى حكم من سب الله تعالى وملائكته وانبياءه وكتبه وال
النبى صلى الله عليه وسلم وازواجه وصحبه لا خلاف ان ساب
الله تعالى من المسلمين كافر حلال الدم واختلف فى استتابته فقال
ابن القاسم فى المبسوط وفى كتاب ابن سحنون ورواه ابن القاسم

عن مالك فى كتاب اسحق بن يحيى من سب الله تعالى من المسلمين
قتل ولم يستتب الا ان يكون افترا على الله بارتداده الى دين
دان به واظهره فيستتاب وان لم يظهره لم يستتب وقال
فى المبسوطة مطرف وعبد الملك مثله وقال المخزومى ومحمد بن
مسلمة وابن ابى حازم لا يقتل المسلم بالسب حتى يستتاب
وكذلك اليهودى والنصرانى فان تابوا قبل منهم وان لم يتوبوا
قتلوا ولا بد من الاستتابة وذلك كله كالردة وهو الذى حكاه
القاضى ابن نصر عن المذهب وافتى ابو محمد بن ابى زيد فيما حكى
فى رجل لعن رجلا ولعن الله تعالى فقال انما اردت ان العن الشيطان
فزل لسانى فقال يقتل بظاهر كفره ولا يقبل عذره واما فيما
بينه وبين الله تعالى فمعذور واختلف فقها قرطبة فى مسئلة
هارون بن حبيب اخى عبد الملك الفقيه وكان ضيق الصدر
كثير التبرم وكان قد شهد عليه بشهادات منها انه قال عند
استقلاله من مرض لقيت فى مرضى هذا ما لو قتلت ابا بكر وعمر
لم استوجب هذا كله فافتى ابرهيم بن حسين بن خالد بقتله
وان مضمن قوله تجوير لله تعالى وتظلم منه والتعريض فيه
كالتصريح وافتى اخوه عبد الملك بن حبيب وابرهيم بن حسين
ابن عاصم وسعيد بن سليمان القاضى بطرح القتل عنه الا ان
القاضى راى عليه التثقيل فى الحبس والشد فى الادب لاحتمال

كلامه وصرفه الى التشكي فوجه من قال في سب الله تعالى
بالاستتابة انه كفر وردة محضة لم تتعلق بها حق لغير الله فاشبه
قصد الكفر بغير سب الله تعالى واظهار الانتقال الى دين آخر من
الاديان المخالفة للاسلام ووجه ترك استتابته انه لما ظهر منه
ذلك بعد اظهار الاسلام قبل اتهمناه وظننا ان لسانه لم ينطق به
الا وهو معتقد له اذ لا يتساهل في هذا احد فحكم له بحكم الزنديق
ولم تقبل توبته واذا انتقل من دين الى آخر واظهر السب بمعنى
الارتداد فهذا قد علم انه خلع ربقة الاسلام من عنقه بخلاف
الاول المستمسك به وحكم هذا حكم المرتد يستتاب على مشهور
مذاهب اكثر العلما وهو مذهب مالك واصحابه على ما بيناه قبل
وذكرنا الخلاف في فصوله فصل واما من اضاف الى الله ما لا
يليق به ليس على طريق السب ولا الردة والكفر ولكن على طريق
التاويل والاجتهاد والخطا المفضي الى الهوى والبدعة من تشبيه
او نعت لجارحة او نفي صفة كمال فهذا مما اختلف السلف والخلف
في تكفير قايله ومعتقده واختلف قول مالك واصحابه في ذلك
ولم يختلفوا في قتالهم اذا تحيزوا فية وانهم يستتابون فان
تابوا والا قتلوا وانما اختلفوا في المنفرد منهم فاكثر قول
مالك واصحابه ترك القول بتكفيرهم وترك قتلهم والمبالغة في
عقوبتهم واطالة سجنهم حتى يظهر اقلاعهم وتستبين توبتهم

كما فعل عمر بصبيغ وهذا قول محمد بن المواز في الخوارج وعبد
الملك بن الماجشون وقول سحنون في جميع اهل الاهواء وبه فسر
قول مالك في الموطا وما رواه عن عمر بن عبد العزيز وجده وعمه
من قولهم في القدرية يستتابون فان تابوا والا قتلوا وقال
عيسى عن ابن القاسم في اهل الاهواء من الاباضية والقدرية
وشبههم ممن خالف الجماعة من اهل البدع والتحريف لتاويل كتاب الله
يستتابون اظهروا ذلك او اسروه فان تابوا والا قتلوا وميراثهم
لورثتهم وقال مثله ايضا ابن القاسم في كتاب محمد في اهل القدر
وغيرهم قال واستتابتهم ان يقال لهم اتركوا ما انتم عليه
ومثله في المبسوط في الاباضية والقدرية وساير اهل البدع
قال وهم مسلمون وانما قتلوا لرايهم السو وبهذا عمل عمر بن عبد
العزيز قال ابن القاسم من قال ان الله لم يكلم موسى تكليما استتيب فان
تاب والا قتل وابن حبيب وغيره من اصحابنا يرى تكفيرهم وتكفير
امثالهم من الخوارج والقدرية والمرجية وقد روي ايضا عن سحنون
مثله فيمن قال ليس لله كلام انه كافر واختلفت الروايات
عن مالك فاطلق في رواية الشاميين ابي مسهر ومروان بن محمد الطا
الكفر عليهم وقد شوور في زواج القدري فقال لا تزوجه قال
الله تعالى ولعبد مومن خير من مشرك ولو اعجبكم وروي عنه ايضا
اهل الاهوا كلهم كفار وقال من وصف شيا من ذات الله

تعالى واشار الى جسده بيد او سمع او بصر قطع ذلك منه لانه
شبه الله بنفسه وقاله فيمن قال القران مخلوق كافر فاقتلوه وقال
ايضا في رواية ابن نافع يجلد ويوجع ضربا ويحبس حتى يتوب وفي
رواية بشر ابن بكر التنيسي عنه يقتل ولا يقبل توبته قال
القاضي ابو عبد الله البرنكاني والقاضي ابو عبد الله التستري من ايمة
العراقيين جوابه مختلف يقتل المستبصر الداعيه وعلى هذا الخلاف
اختلف قوله في اعادة الصلاة خلفهم وحكى ابن المنذر عن الشافعي
لا يستتاب القدري واكثر اقوال السلف تكفيرهم وممن
قال به الليث وابن عيينه وابن لهيعه وروي عنهم ذلك فيمن قال
بخلق القران وقاله ابن المبارك والاودي ووكيع وحفص ابن
غياث وابو اسحاق الفزاري وهشيم وعلي بن عاصم في اخرين وهو
من قول اكثر المحدثين والفقها والمتكلمين فيهم وفي الخوارج
والقدريه واهل الاهوا المضله واصحاب البدع المتاولين
وهو قول احمد بن حنبل وكذلك قالوا في الواقفه والشاكة في
هذه الاصول وممن روي عنه معنى القول الاخر تكفيرهم
علي بن ابي طالب رضي الله عنه وابن عمر والحسن البصري وهو
راي جماعة من الفقها النظار والمتكلمين واحتجوا بتوريث الصحابه
والتابعين ورثه اهل حروراء وممن عرف بالقدر ممن مات
منهم ودفنهم في مقابر المسلمين وجرا احكام الاسلام عليهم

قال اسمعيل القاضي وانما قال مالك في القدريه وساير
اهل البدع يستتابون فان تابوا والا قتلوا لانه من الفساد
في الارض كما قال في المحارب ان راى الامام قتله وان لم يقتل
قتله وفساد المحارب انما هو في الاموال ومصالح الدنيا وان
كان قد يدخل ايضا في امر الدين من سبيل الحج والجهاد
وفساد اهل البدع معظمه على الدين وقد يدخل في امر الدنيا
بما يلقون بين المسلمين من العداوه **فصل** في تحقيق القول
في اكفار المتاولين قد ذكرنا مذاهب السلف في اكفار اصحاب
البدع والاهواء المتاولين ممن قال قولا لا يوديه مساقه
الى كفر هو اذا وقف عليه لا يقول بما يوديه قوله اليه وعلى
اختلافهم اختلف الفقها والمتكلمون في ذلك فمنهم من صوب
التكفير الذي قال به الجمهور من السلف ومنهم من اباه ولم يرا اخراجهم
من سواد المومنين وهو قول اكثر الفقها والمتكلمين وقالوا
هم فساق عصاة ضلال ونوارثهم من المسلمين ونحكم لهم
باحكامهم ولهذا قال سحنون لا اعاده على من صلى خلفهم قال
وهو قول جميع اصحاب مالك المغيره وابن كنانه واشهب قال لانه
مسلم وذنبه لم يخرجه من الاسلام واضطرب اخرون في ذلك
ووقفوا عن القول بالتكفير او ضده واختلاف قول مالك
في ذلك وتوقفه عن اعادة الصلاة خلفهم منه والى نحو من

هذا مذهب القاضي أبو بكر امام أهل التحقيق والحق وقال انها
من المعوصات اذ القوم لم يصرحوا باسم الكفر وانما قالوا قولا يودي
اليه واضطرب قوله في المسئلة على نحو اضطراب قول امامه مالك
ابن انس حتى قال في بعض كلامه انهم على راي من كفرهم بالتاويل
لا تحل مناكحتهم ولا اكل ذبايحهم ولا الصلاة على ميتهم ويختلف
في موارثتهم على الخلاف في ميراث المرتد وقال ايضا يورث ميتهم
ورثتهم من المسلمين واكثر ميله الى ترك التكفير بالمال وكذلك
اضطرب فيه قول شيخنا ابي الحسن الاشعري واكثر قوله ترك التكفير
وان الكفر خصلة واحدة وهو الجهل بوجود الباري سبحانه
وتعالى وقال مرة من اعتقد ان الله جسم او المسيح او بعض من يلقاه
في الطرق فليس بعارف به وهو كافر ولمثل هذا ذهب ابو المعالي
رحمه الله في اجوبته لابي محمد عبد الحق وكان سأله عن المسئلة
فاعتذر له بان الغلط فيها يصعب لان ادخال كافر في الملة
واخراج مسلم عنها عظيم في الدين وقال غيرهما من المحققين
الذي يجب الاحتراز من التكفير في اهل التاويل فان استباحة دما
المصلين الموحدين خطر والخطا في ترك الف كافر اهون من الخطا
في سفك محجمة من دم مسلم واحد وقد قال صلى الله عليه وسلم
فاذا قالوها يعني الشهادة عصموا مني دماهم واموالهم الا بحقها
وحسابهم على الله فالعصمة مقطوع بها مع الشهادة ولا ترتفع

250
ويستباح خلافها الا بقاطع ولا قاطع من شرع ولا قياس عليه
والفاظ الاحاديث الواردة في الباب معرضة للتاويل فما جا منها في
التصريح بكفر القدرية وقوله لا سهم لهم في الاسلام وتسمية
الرافضة بالشرك واطلاق اللعنة عليهم وكذلك في الخوارج وغيرهم
من اهل الاهوا فقد يحتج بها من يقول بالتكفير وقد يجيب الاخر
عنها بانه قد ورد مثل هذه الالفاظ في الحديث في غير الكفرة على
طريق التغليظ وكفر دون كفر واشراك دون اشراك وقد ورد مثله
في الريا وعقوق الوالدين والزوج وغير معصية واذا كان
محتملا للامرين فلا يقطع على احدهما الا بدليل قاطع وقوله في الخوارج
هم من شرار البرية وهذه صفة الكفار وقال شر قتيل تحت اديم
السما طوبى لمن قتلهم او قتلوه وقال فاذا وجدتموهم فاقتلوهم
قتل عاد وظاهر هذا الكفر لا سيما مع تشبيههم بعاد فيحتج به من
يرى تكفيرهم فيقول له الاخر انما ذلك من قتلهم لخروجهم على المسلمين
وبغيهم عليهم بدليله من الحديث نفسه يقتلون اهل الاسلام فقتلهم
هاهنا حد لا كفر وذكر عاد تشبيه للقتل وحله لا للمقتول وليس
كل من حكم بقتله يحكم بكفره ويعارضه بقول خالد في الحديث
دعني اضرب عنقه يا رسول الله فقال لعله يصلي فان احتجوا بقوله
عليه السلام يقرون القران لا يجاوز حناجرهم فاخبر ان
الايمان لم يدخل قلوبهم وكذلك قوله يمرقون من الدين مروق

السهم من الرمية ثم لا يعودون اليه حتى يعود السهم على فوقه
وبقوله سبق الفرث والدم يدل على انه لم يتعلق من الاسلام بشيء
اجاب الاخرون ان معنى لا يجاوز حناجرهم لا يفهمون معانيه
بقلوبهم ولا ينشرح له صدورهم ولا تعمل به جوارحهم عارضوهم
بقوله ويتمارى في الفوق وهذا يقتضي التشكك في حاله ۞ وان
احتجوا بقول ابي سعيد الخدري في هذا الحديث سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول يخرج في هذه الامة ولم يقل من هذه ۞
وتحرير ابي سعيد الرواية واتقانه اللفظ اجابهم الاخرون بان
العبارة بفي لا تقتضي تصريحا بكونهم من غير الامة بخلاف لفظة
من التي هي للتبعيض وكونهم من الامة مع انه قد روي عن ابي ذر وعلي ۞
وابي امامة وغيرهم في هذا الحديث يخرج من امتي وسيكون ۞
من امتي وحروف المعاني مشتركة فلا تعويل على اخراجهم من
الامة بفي ولا على ادخالهم فيها بمن لكن ابا سعيد رضي الله عنه اجاد
ما شاء في التنبيه الذي نبه عليه وهذا مما يدل على سعة فقه
الصحابة وتحقيقهم للمعاني واستنباطها من الالفاظ وتحريرهم لها
وتوقيهم في الرواية هذه المذاهب المعروفة لاهل السنة ۞
ولغيرهم من الفرق فيها مقالات كثيرة مضطربة سخيفة اقربها قول
جهم ومحمد بن شبيب ان الكفر بالله الجهل به لا يكفر احد بغير ذلك
وقال ابو الهذيل ان كل متاول كان تاويله تشبيها لله بخلقه

وتجويرا له في فعله وتكذيبا لخبره فهو كافر وكل من اثبت شيئا قديما
لا يقال له الله فهو كافر وقال بعض المتكلمين ان كان ممن عرف
الاصل وبنى عليه وكان فيما هو من اوصاف الله تعالى فهو كافر وان
لم يكن من هذا الباب ففاسق الا ان يكون ممن لم يعرف الاصل
فهو مخطئ غير كافر وذهب عبيد الله بن الحسن العنبري الى تصويب
اقوال المجتهدين في اصول الدين فيما كان عرضة للتاويل وفارق في
ذلك فرق الامة اذ اجمعوا سواه على ان الحق في اصول الدين في
واحد والمخطئ فيه اثم عاص فاسق وانما الخلاف في تكفيره وقد حكى ۞
القاضي ابو بكر الباقلاني مثل قول عبيد الله عن داود الاصبهاني
قال وحكى قوم عنهما انهما قالا ذلك في كل من علم الله من حاله
استفراغ الوسع في طلب الحق من اهل ملتنا او من غيرهم وقال ۞
نحو هذا القول الجاحظ وثمامة في ان كثيرا من العامة والنساء
والبله ومقلدة النصارى واليهود وغيرهم لا حجة لله عليهم اذ لم يكن
لهم طباع يمكن معها الاستدلال وقد نحا الغزالي قريبا من ۞
هذا النحو في كتاب التفرقة وقائل هذا كله كافر بالاجماع على كفر
من لم يكفر احدا من النصارى واليهود وكل من فارق دين
المسلمين او وقف في تكفيرهم او شك قال القاضي ابو بكر لان
التوقيف والاجماع على كفرهم فمن وقف في ذلك فقد كذب
النص والتوقيف او شك فيه والتكذيب والشك فيه لا يقع

الا من كافر **فصل** في بيان ما هو من المقالات كفر وما يتوقف
او يختلف فيه وما ليس بكفر اعلم ان تحقيق هذا الفصل وكشف
اللبس فيه مورده الشرع ولا مجال للعقل فيه والفصل البين في
هذا ان كل مقالة صرحت بنفي الربوبية او الوحدانية او عبادة
احد غير الله او مع الله فهي كفر كمقالة الدهرية وساير فرق اصحاب
الاثنين من الديصانية والمانوية واشباههم من الصابين والنصارى
والمجوس والذين اشركوا بعبادة الاوثان والملايكة والشياطين
او الشمس او النجوم او النار او احد غير الله من مشركي العرب
واهل الهند والصين والسودان وغيرهم ممن لا يرجع الى كتاب
وكذلك القرامطة واصحاب الحلول والتناسخ من الباطنية والطيارة
من الروافض وكذلك من اعترف بالاهية الله ووحدانيته ولكنه
اعتقد انه غير حي او غير قديم وانه محدث او مصور او ادعى
له ولدا او صاحبة او والدا وانه متولد من شي او كاين عنه
او ان معه في الازل شيا قديما غيره وان ثم صانعا للعالم سواه
او مدبرا غيره فذلك كله كفر باجماع المسلمين كقول الالاهيين
من الفلاسفة والمنجمين والطبايعين وكذلك من ادعى مجالسة
الله والعروج اليه ومكالمته او حلوله في احد الاشخاص كقول
بعض المتصوفة والباطنية والنصارى والقرامطة وكذلك
نقطع على كفر من قال بقدم العالم او بقايه او شك في ذلك على

مذهب بعض الفلاسفة والدهرية او قال بتناسخ الارواح
وانتقالها ابد الاباد في الاشخاص وتعذيبها او تنعمها فيها بحسب
زكايها وخبثها وكذلك من اعترف بالالهية والوحدانية ولكنه
جحد النبوة من اصلها عموما او نبوة نبينا خصوصا او احد من
الانبيا الذين نص الله عليهم بعد علمه بذلك فهو كافر بلا ريب
كالبراهمة ومعظم اليهود والاروسية من النصارى والغرابية
من الروافض الزاعمين ان عليا كان المبعوث اليه جبريل وكالمعطلة
والقرامطة والاسماعلية والعنبرية من الرافضة وان كان بعض
هولاء قد اشركوا في كفر اخر مع من قبلهم وكذلك من دان بالوحدانية
وصحة النبوة ونبوة نبينا عليه السلام ولكن جوز على الانبيا
الكذب فيما اتوا به ادعى في ذلك المصلحة بزعمه او لم يدعها فهو كافر
باجماع كالمتفلسفين وبعض الباطنية والروافض وغلاة
المتصوفة واصحاب الاباحة فان هولاء زعموا ان ظواهر الشرع
واكثر ما جاءت به الرسل من الاخبار عما كان ويكون من اموره
الاخرة والحشر والقيامة والجنة والنار ليس منها شي على مقتضى
لفظها ومفهوم خطابها وانما خاطبوا بها الخلق على جهة
المصلحة لهم اذ لم يمكنهم التصريح لقصور افهامهم فمضمن
مقالاتهم ابطال الشرايع وتعطيل الاوامر والنواهي وتكذيب
الرسل والارتياب فيما اتوا به وكذلك من اضاف الى نبينا

تعمد الكذب فيما بلغه واخبر به او شك في صدقه او سبه
او قال انه لم يبلغ او استخف به او باحد من الانبياء او ازرى
عليهم او اذاهم او قتل نبيا او حاربه فهو كافر باجماع وكذلك
نكفر من ذهب مذهب بعض القدماء في ان في كل جنس من الحيوان
نذيرا ونبيا من القردة والخنازير والدواب والدود ويحتج بقوله
تعالى وان من امة الا خلا فيها نذير اذ ذلك يؤدي الى ان يوصف
انبيا هذه الاجناس بصفاتهم المذمومة وفيه من الازراء على
هذا المنصب المنيف ما فيه مع اجماع المسلمين على خلافه وتكذيب
قايله وكذلك نكفر من اعترف من الاصول الصحيحة بما تقدم
ونبوة نبينا عليه السلام ولكن قال كان اسود او مات قبل ان
يلتحي وليس هو الذي كان بمكة والحجاز او ليس بقرشي لان وصفه
بغير صفاته المعلومة نفي له وتكذيب به وكذلك من ادعى نبوة
احد مع نبينا عليه السلام او بعده كالعيسوية من اليهود القائلين
بتخصيص رسالته الى العرب وكالخرمية القائلين بتواتر الرسل
وكاكثر الرافضة القائلين بمشاركة علي في الرسالة للنبي صلى
الله عليه وسلم وبعده وكذلك كل امام عند هولاء يقوم مقامه
في النبوة والحجة وكالبزيعية والبيانية منهم القائلين بنبوة بزيع
وبيان واشباه هولاء ومن ادعى النبوة لنفسه او جوز اكتسابها
والبلوغ بصفاء القلب الى مرتبتها كالفلاسفة وغلاة المتصوفة

وكذلك من ادعى منهم انه يوحى اليه وان لم يدع النبوة او انه
يصعد الى السما ويدخل الجنة وياكل من ثمارها ويعانق الحور
العين فهولاء كلهم كفار مكذبون للنبي صلى الله عليه وسلم
لانه اخبر عليه السلام انه خاتم النبيين ولا نبي بعده واخبر عن الله
تعالى انه خاتم النبيين وانه ارسل كافة للناس واجمعت
الامة على حمل هذا الكلام على ظاهره وان مفهومه المراد به
دون تاويل ولا تخصيص فلا شك في كفر هولاء الطوائف
كلها قطعا اجماعا وسمعا وكذلك وقع الاجماع على تكفير كل من
دافع نص الكتاب او خص حديثا مجمعا على نقله مقطوعا به
مجمعا على حمله على ظاهره كتكفير الخوارج بابطال الرجم ولهذا
نكفر من دان بغير ملة المسلمين من الملل او وقف فيهم او شك او
صحح مذهبهم وان اظهر مع ذلك الاسلام واعتقده واعتقد
ابطال كل مذهب سواه فهو كافر باظهاره ما اظهر من خلاف
ذلك وكذلك نقطع بتكفير كل قايل قال قولا يتوصل به الى تضليل
الامة وتكفير جميع الصحابة كقول الكميلية من الرافضة بتكفير
جميع الامة بعد النبي صلى الله عليه وسلم اذ لم تقدم عليا
وكفرت عليا اذ لم يتقدم ويطلب حقه في التقديم فهولاء قد
كفروا من وجوه لانهم ابطلوا الشريعة باسرها اذ قد انقطع
نقلها ونقل القران اذ ناقلوه كفرة على زعمهم والى هذا والله اعلم

اشار مالك في احد قوليه بقتل من كفر الصحابة ثم كفروا من وجه
اخر بسبهم النبي صلى الله عليه وسلم على مقتضى قولهم وزعمهم انه
عهد الى علي وهو يعلم انه يكفر بعده على قولهم لعنة الله عليهم
وصلى على رسوله واله وكذلك نكفر بكل فعل اجمع المسلمون
انه لا يصدر الا من كافر وان كان صاحبه مصرحا بالاسلام
مع فعله ذلك الفعل كالسجود للصنم او للشمس والقمر والصليب
والنار والسعي الى الكنايس والبيع مع اهلها بزيهم من شد الزنانير
وفحص الرؤوس فقد اجمع المسلمون ان هذا لا يوجد الا من
كافر وان هذه الافعال علامة على الكفر وان صرح فاعلها بالاسلام
وكذلك اجمع المسلمون على تكفير كل من استحل القتل او شرب الخمر
والزنا مما حرم الله بعد علمه بتحريمه كاصحاب الاباحة من القرامطة
وبعض علماء المتصوفة وكذلك نقطع بتكفير كل من كذب وانكر
قاعدة من قواعد الشرع وما عرف يقينا بالنقل المتواتر من فعل
الرسول ووقع الاجماع المتصل عليه كمن انكر وجوب الصلوات
الخمس وعدد ركعاتها وسجداتها ويقول انما اوجب الله علينا في
كتابه الصلاة على الجملة وكونها خمسا وعلى هذه الصفات
والشروط لا اعلمه اذ لم يرد فيه في القران نص جلي والخبر عن
الرسول خبر واحد وكذلك اجمع على تكفير من قال من الخوارج
ان الصلاة طرفي النهار وعلى تكفير الباطنية في قولهم ان الفرايض

اسماء رجال امروا بولايتهم والخبايث والمحارم اسماء رجال
امروا بالبراءة منهم وقول بعض المتصوفة ان العبادة وطول
المجاهدة اذا صفت نفوسهم افضت بهم الى اسقاطها واباحة كل
شيء لهم ورفع عهدة الشرايع عنهم وكذلك ان انكر منكر مكة او
البيت الحرام او صفة الحج وقال الحج واجب في القران واستقبال
القبلة كذلك ولكن كونه على هذه الهيئة المتعارفة وان تلك
البقعة هي مكة والبيت والمسجد الحرام لا ادري هل هي تلك
او غيرها ولعل الناقلين ان النبي صلى الله عليه وسلم فسرها بهذه
التفاسير غلطوا ووهموا فهذا ومثله لا مرية في تكفيره ان كان
ممن يظن به علم ذلك وممن خالط المسلمين فلا تجد بينهم خلافا
كافة عن كافة الى معاصري الرسول صلى الله عليه وسلم
ان هذه الامور كما قيل لك وان تلك البقعة هي مكة والبيت
الذي فيها هي الكعبة والقبلة التي صلى لها الرسول صلى الله عليه
وسلم وحجوا اليه وطافوا بها وان تلك الافعال هي صفات
عبادة الحج والمراد به وهي التي فعلها النبي صلى الله عليه وسلم
والمسلمون وان صفة الصلوات المذكورة هي التي فعل النبي
صلى الله عليه وسلم وشرح مراد الله تعالى بذلك وابان حدودها
فيقع لك العلم كما وقع لهم ولا ترتاب بذلك بعد والمرتاب في ذلك
والمنكر بعد البحث وصحبة المسلمين كافر باتفاق ولا يعذره

بقوله لا ادري ولا يصدق فيه بل ظاهره التستر عن الكذب
اذ لا يمكن انه لا يدري وايضا فانه اذا جوز على جميع الامة الوهم
والغلط فيما نقلوه من ذلك واجمعوا انه قول الرسول صلى الله عليه
وسلم وفعله وتفسير مراد الله تعالى به ادخل الاسترابة في جميع
الشريعة اذ هم الناقلون لها وللقرآن وانحلت عرا الدين كره ومن
قال هذا كافر وكذلك من انكر القرآن او حرفا او غير شيا
منه او زاد فيه كفعل الباطنية والاسماعيلية او زعم انه ليس بحجة
للنبي صلى الله عليه وسلم او ليس فيه حجة ولا معجزة كقول هشام
الفوطي ومعمر الصيمري انه لا يدل على الله ولا حجة فيه لرسوله
ولا يدل على ثواب ولا عقاب ولا حكم ولا محالة في كفرهما بذلك
القول وكذلك تكفيرهما بانكارهما ان يكون في ساير معجزات النبي
صلى الله عليه وسلم حجة له او في خلق السموات والارض دليل
على الله لمخالفتهم الاجماع والنقل المتواتر عن النبي صلى الله عليه
وسلم باحتجاجه بهذا كله وتصريح القرآن به وكذلك من انكر
شيا مما نص فيه بعد علمه انه من القرآن الذي في ايدي الناس
ومصاحف المسلمين ولم يكن جاهلا به ولا قريب عهد بالاسلام
واحتج لانكاره اما بانه لم يصح النقل عنه ولا بلغه العلم
به او لتجويز الوهم على ناقليه فنكفره بالطريقين المتقدمين لانه
مكذب للقرآن مكذب للنبي صلى الله عليه وسلم لكنه تستر

بدعواه وكذلك من انكر الجنة او النار او البعث والحساب
والقيامة فهو كافر باجماع للنص عليه واجماع الامة على صحة نقله
متواترا وكذلك من اعترف بذلك ولكنه قال ان المراد بالجنة
والنار والحشر والنشر والثواب والعقاب معنى غير ظاهره
وانها لذات روحانية ومعان باطنة كقول النصارى والفلاسفة
والباطنية وبعض المتصوفة وزعم ان معنى القيامة الموت او
فنا محض وانتقاض هيئة الافلاك وتحليل العالم كقول بعض
الفلاسفة وكذلك نقطع بتكفير غلاة الرافضة في قولهم ان الايمة
افضل من الانبياء فاما من انكر ما عرف بالتواتر من الاخبار
والسير والبلاد التي لا ترجع الى ابطال شريعة ولا تفضي الى
انكار قاعدة من الدين كانكاره غزوة تبوك او موتة او وجود
ابي بكر وعمر او قتل عثمان او خلافة علي مما علم بالنقل ضرورة
وليس في انكاره جحد شريعة فلا سبيل الى تكفيره بانكار وقوع
العلم له اذ ليس في ذلك اكثر من المباهتة كانكار هشام
وعباد وقعة الجمل ومحاربة علي من خالفه فاما ان ضعف ذلك
من اجل تهمة الناقلين ووهم المسلمين اجمع فنكفره بذلك
لسريانه الى ابطال الشريعة فاما من انكر الاجماع المجرد الذي
ليس طريقه النقل المتواتر عن الشارع فاكثر المتكلمين
من الفقهاء والنظار في هذا الباب قالوا بتكفير كل من خالف

الاجماع الصحيح الجامع لشروط الاجماع المتفق عليه عموما ومن
حجتهم قوله تعالى ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين لهم الهدى الاية
وقوله عليه السلام من خالف الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة
الاسلام من عنقه وحكوا الاجماع على تكفير من خالف الاجماع
وذهب آخرون الى الوقف عن القطع بتكفير من خالف الاجماع
الذي يختص بنقله العلما وذهب آخرون الى الوقف في تكفير
من خالف الاجماع الكاين عن نظر كتكفير النظام بانكاره الاجماع
لانه بقوله هذا مخالف اجماع السلف على احتجاجهم به خارق
للاجماع قال القاضي ابو بكر القول عندي ان الكفر بالله
هو الجهل بوجوده والايمان بالله هو العلم بوجوده فانه لا
يكفر احد بقول ولا راي الا ان يكون هو الجهل بالله فان عصى
بقول او فعل نص الله ورسوله او اجمع المسلمون انه لا يوجد
الا من كافر او يقوم دليل على ذلك فقد كفر ليس لاجل قوله
او فعله لكن لما يقارنه من الكفر فالكفر بالله لا يكون الا باحد
ثلاثة امور احدها الجهل بالله تعالى والثاني ان ياتي فعلا او
يقول قولا يخبر الله ورسوله او يجمع المسلمون ان ذلك لا يكون
الا من كافر كالسجود للصنم والمشي الى الكنايس بالتزام
الزنار مع اصحابها في اعيادهم او يكون ذلك القول او الفعل
لا يمكن معه العلم بالله قال فهذان الضربان وان لم يكونا

جهلا بالله فهما علم ان فاعلهما كافر منسلخ من الايمان فاما
من نفى صفة من صفات الله تعالى الذاتية او جحدها مستبصرا
في ذلك كقوله ليس بعالم ولا قادر ولا مريد ولا متكلم وشبه
ذلك من صفات الكمال الواجبة له تعالى فقد نص ايمتنا على
الاجماع على كفر من نفى عنه تعالى الوصف بها واعراه عنها
وعلى هذا احمل قول سحنون من قال ليس لله كلام فهو كافر
وهو لا يكفر المتأولين كما قدمناه فاما من جهل صفة من هذه
الصفات فاختلف العلما ها هنا فكفره بعضهم وحكى ذلك
عن ابي جعفر الطبري وغيره وقال به ابو الحسن الاشعري مرة
وذهبت طايفة الى ان هذا لا يخرجه عن اسم الايمان واليه
رجع الاشعري قال لانه لم يعتقد ذلك اعتقادا يقطع بصوابه
ويراه دينا وشرعا وانما يكفر من اعتقد ان مقالته حق واحتج هولاء
بحديث السودا وان النبي صلى الله عليه وسلم انما طلب منها
التوحيد لا غير وبحديث القايل لين قدر الله علي وفي رواية
فيه لعلي اضل الله ثم قال فغفر الله له قالوا ولو بوحث اكثر
الناس عن الصفات وكوشفوا عنها لما وجد من يعلمها الا الاقل
وقد اجاب الاخر عن هذا الحديث بوجوه منها ان قدر
بمعنى قدّر ولا يكون شكه في القدرة على احيايه بل في نفس البعث
الذي لا يعلم الا بشرع ولعله لم يكن ورد عندهم به شرع بقطع

عليه فيكون الشك فيه حينئذ كفرا فاما ما لم يرد به شرع
فهو مجوزات العقول او يكون قد رعنى ضيق ويكون ما
فعله بنفسه ازرا عليها وغضبا لعصيانها وقيل ما قاله
وهو غير عاقل لكلامه ولا ضابط للفظه مما استولى عليه
من الجزع والخشيه التي اذهلت لبه فلم يؤاخذ به وقيل
بل هذا من مجاز كلام العرب الذي صورته الشك ومعناه التحقيق
وهو يسمى تجاهل العارف وله امثله في كلامهم كقوله لعله يتذكر
او يخشى وقوله وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين فاما
من اثبت الوصف ونفى الصفة فقال اقول عالم ولكن لا علم له
ومتكلم ولكن لا كلام له وهكذا في ساير الصفات على مذهب
المعتزله فمن قال بالمال لما يؤديه اليه قوله ويسوقه اليه
مذهبه كفره لانه اذا نفى العلم انتفى وصف عالم اذ لا يوصف
بعالم الا من له علم فكانهم صرحوا عنده بما ادى اليه قولهم
وهكذا عند هذا ساير فرق اهل التاويل من المشبهه والقدريه
وغيرهم ومن لم ير اخذهم بمال قولهم ولا الزمهم موجب مذهبهم
لم ير اكفارهم قال لانهم اذا وقفوا على هذا قالوا لا نقول
ليس بعالم ونحن ننتفي من القول بالمال الذي الزمتموه لنا
ونعتقده نحن وانتم انه كفر بل نقول ان قولنا لا يؤول اليه على
ما اصلناه فعلى هذين الماخذين اختلف الناس في اكفار اهل

التاويل واذا فهمته اتضح لك الموجب لاختلاف الناس في
ذلك والصواب ترك اكفارهم والاعراض عن الحتم عليهم بالخسران
واجرا حكم الاسلام عليهم في قصاصهم ووراثاتهم ومناكحاتهم ودياتهم
والصلاه عليهم ودفنهم في مقابر المسلمين وساير معاملاتهم لكنهم
يغلظ عليهم بوجيع الادب وشديد الزجر والهجر حتى يرجعوا عن
بدعتهم وهذه كانت سيرة الصدر الاول فيهم فقد نشا على
زمان الصحابه وبعدهم في التابعين من قال بهذه الاقوال من القدر
وراي الخوارج والاعتزال فما ازاحوا لهم قبرا ولا قطعوا لاحد
منهم ميراثا لكنهم هجروهم وادبوهم بالضرب والنفي والقتل على قدر
احوالهم لانهم فساق ضلال عصاه اصحاب كباير عند المحققين واهل
واهل السنه ممن لم يقل بكفرهم منهم خلافا لمن راى غير ذلك والله
الموفق للصواب قال القاضي ابو بكر واما مسايل الوعد
والوعيد والرويه والمخلوق وخلق الافعال وبقا الاعراض
والتولد وشبهها من الدقايق فالمنع في اكفار المتاولين فيها اوضح
اذ ليس في الجهل بشي منها جهل بالله تعالى ولا اجمع المسلمون على
اكفار من جهل شيا منها وقد قدمنا في الفصل قبله من الكلام
وصوره الخلاف في هذا ما اغنى عن اعادته بحول الله تعالى
فصل هذا حكم المسلم الساب لله تعالى واما الذمي فروي
عن عبد الله بن عمر في ذمي تناول من حرمة الله تعالى غير ما هو

عليه من دينه وحاج فيه فخرج ابن عمر عليه بالسيف وطلبه
فهرب وقال ملك في كتاب ابن حبيب والمبسوطة وابن
القاسم في المبسوط وكتاب محمد وابن سحنون من شتم الله تعالى من
اليهود والنصارى بغير الوجه الذي به كفروا قتل ولم يستتب
قال ابن القاسم الا ان يسلم قال في المبسوطة طوعا قال اصبغ
لان الوجه الذي به كفروا هو دينهم وعليه عوهدوا من دعوى
الصاحبة والشريك والولد واما غير هذا من الفرية والشتم
فلم يعاهدوا عليه فهو نقض للعهد قال ابن القاسم في كتاب محمد
ومن شتم من غير اهل الاديان الله تعالى بغير الوجه الذي ذكر في
كتابه قتل الا ان يسلم وقال المخزومي في المبسوطة ومحمد بن
مسلمة وابن ابي حازم لا يقتل حتى يستتاب مسلما كان او كافرا
فان تاب والا قتل وقال مطرف وعبد الملك مثل قول مالك
وقال ابو محمد بن ابي زيد من سب الله تعالى بغير الوجه الذي به كفر
قتل الا ان يسلم وقد ذكرنا قول ابن الجلاب قتل وذكرنا قول
عبيد الله وابن لبابة وشيوخ الاندلسيين في النصرانية وفتياهم
بقتلها لسبها بالوجه الذي به كفرت لله والنبي صلى الله عليه وسلم واجماعهم
على ذلك وهو نحو القول الاخر في من سب النبي صلى الله عليه
وسلم منهم بالوجه الذي كفر به ولا فرق في ذلك بين سب الله
تعالى به وسب نبيه لانا عاهدناهم على ان لا يظهروا لنا شيئا

من كفرهم والا يسمعونا شيئا من ذلك فمتى فعلوا شيئا منه فهو
نقض لعهدهم واختلف العلماء في الذمي اذا تزندق فقال
مالك ومطرف وابن عبد الحكم واصبغ لا يقتل لانه خرج من كفر الى
كفر وقال عبد الملك ابن الماجشون يقتل لانه دين لا يقر عليه
احد ولا يؤخذ عليه جزية وقال ابن حبيب ولا اعلم من قاله
غيره **فصل** هذا حكم من صرح بسبه واضافة ما لا يليق بجلاله
والاهيته فاما مفتري الكذب عليه تبارك وتعالى بادعاء الالهية
او الرسالة او النافي ان يكون الله خالقه او ربه او قال ليس لي رب
او المتكلم بما لا يعقل من ذلك في سكره او غمرة جنونه فلا خلاف
في كفر قائل ذلك ومدعيه مع سلامة عقله كما قدمناه لكنه
تقبل توبته على المشهور وتنفعه انابته وتنجيه من القتل فيئته
لكنه لا يسلم من عظيم النكال ولا يرفه عن شديد العقاب
ليكون ذلك زجرا لمثله عن قوله وله عن العودة لكفره او جهله الا من
تكرر ذلك منه وعرف استهانته بما اتى به فهو دليل على سوء طويته
وكذب توبته وصار كالزنديق الذي لا نامن باطنه ولا نقبل
رجوعه وحكم السكران في ذلك حكم الصاحي واما المجنون والمعتوه
فما علم انه قاله في حال غمرته وذهاب ميزه بالكلية
فلا نظر فيه وما فعله من ذلك في حال ميزه وان لم يكن معه عقله
وسقط تكليفه ادب على ذلك لينزجر عنه كما يؤدب على قبائح

الافعال ويوالي أدبه على ذلك حتى يكف عنه كما تودب البهيمة
على سوء الخلق حتى تراض وقد حرق علي بن ابي طالب من ادعى له
الالاهية وقد قتل عبد الملك ابن مروان الحارث المتنبي وصلبه
وفعل ذلك غير واحد من الخلفاء والملوك باشباههم واجمع علماء
وقتهم على صواب فعلهم والمخالف في ذلك من كفرهم كافر واجمع
فقهاء بغداد ايام المقتدر من المالكية وقاضي قضاتها ابو عمر
المالكي على قتل الحلاج وصلبه لدعواه الالاهية والقول بالحلول
وقوله انا الحق مع تمسكه بالظاهر بالشريعة ولم يقبلوا توبته
وكذلك حكموا في ابن ابي العزاقيد وكان على نحو مذهب الحلاج بعد
هذا ايام الراضي وقاضي قضاة بغداد يومئذ ابو الحسين ابن ابي عمر
المالكي وقال ابن عبد الحكم في المبسوط من تنبأ قتل وقال
ابو حنيفة واصحابه من جحد ان الله خالقه او ربه او قال ليس لي رب
فهو مرتد وقال ابن القاسم في كتاب ابن حبيب ومحمد في العتبية فيمن تنبأ
يستتاب اسر ذلك او اعلنه وهو كالمرتد وقاله سحنون وغيره
وقاله اشهب في يهودي تنبأ وادعى انه رسول الينا ان كان
معلنا بذلك استتيب فان تاب والا قتل وقال ابو محمد ابن ابي زيد
فيمن لعن ربه وادعى ان لسانه زل وانما اراد لعن الشيطان يقتل
بكفره ولا يقبل عذره وهذا على القول الآخر انه لا تقبل توبته
وقال ابو الحسن القابسي في سكران قال انا الله انا الله ان تاب

ادب فان عاد الى مثل قوله طولب مطالبة الزنديق لان هذا
كفر المتلاعبين فصل واما من تكلم من سقط القول وسخف
اللفظ ممن لم يضبط كلامه واهمل لسانه بما يقتضي الاستخفاف
بعظمة ربه وجلالة مولاه او تمثل في بعض الاشياء ببعض ما عظم
الله في ملكوته او نزع من الكلام لمخلوق بما لا يليق الا في حق
خالقه غير قاصد للكفر والاستخفاف ولا عامد للالحاد فان
تكرر هذا منه وعرف به دل على تلاعبه بدينه واستخفافه بحرمة
ربه وجهله بعظيم عزته وكبريائه وهذا كفر لا مرية فيه وكذلك
ان كان ما اورده يوجب الاستخفاف والتنقص لربه وقد افتى
ابن حبيب واصبغ ابن خليل من فقهاء قرطبة بقتل المعروف بابن اخي
عجب وكان خرج يوما فاخذه المطر فقال بدا الخراز يرش
جلوده وكان بعض الفقهاء بها ابو زيد صاحب الثمانية وعبد الاعلى
ابن وهب وابان ابن عيسى قد توقفوا عن سفك دمه واشاروا الى
انه عبث من القول يكفي فيه الادب وافتى بمثله القاضي حينئذ
موسى ابن زياد فقال ابن حبيب دمه في عنقي ايشتم رب عبدناه ثم
لا ننتصر له انا اذا لعبيد سوء ما نحن له بعابدين وبكى ورفع المجلس
الى الامير بها عبد الرحمن ابن الحكم الاموي وكانت عجب عمة هذا
المطلوب من حظاياه واعلم باختلاف الفقهاء فخرج الاذن
من عنده بالاخذ بقول ابن حبيب وصاحبه وامر بقتله فقتل

وقلب بعض الفقهاء وعن القاضي لتسميته بالمداهنة في
هذه القصة ووبخ بقية الفقهاء وسبهم واما من صدرت عنه من
ذلك الهنة الواحدة والفلتة الشاردة ما لم يكن تنقصا وازرا فيعاقب
عليها ويؤدب بقدر مقتضاها وشنعة معناها وصورة حال
قائلها وشرح سببها ومقارنها وقد سئل ابن القاسم رحمه الله عن
رجل نادى رجلا باسمه فاجابه لبيك اللهم لبيك قال ان كان
جاهلا او قاله على وجه سفه فلا شيء عليه قال ابو الفضل وشرح
قوله انه لا قتل عليه والجاهل يزجر ويعلم والسفيه يؤدب ولو
قالها على اعتقاد انزاله منزلة ربه لكفر هذا مقتضى قوله وقد اسرف
كثير من سخفاء الشعراء ومتهميهم في هذا الباب واستخفوا عظيم هذه
الحرمة فأتوا من ذلك بما ننزه كتابنا ولساننا واقلامنا عن ذكره ولولا
انا قصدنا نص مسائل حكيناها لما ذكرنا شيئا مما يثقل ذكره علينا
مما حكيناه في هذه الفصول واما ما ورد في هذا من اهل
الجهالة واغاليط اللسان كقول بعض الاعراب
رب العباد ما لنا وما لكا قد كنت تسقينا فما بدا لكا انزل علينا
الغيث لا ابا لكا في اشباه لهذا من كلام الجهال ومن لم تقومه
ثقاف تاديب الشريعة والعلم في هذا الباب فقل ما يصدر الا
من جاهل يجب تعليمه وزجره والاغلاظ له عن العودة الى مثله
قال ابو سليمان الخطابي وهذا تهور من القول والله تعالى
منزه

منزه عن هذه الامور وقد روينا عن عون بن عبد الله انه قال
ليعظم احدكم ربه ان يذكر اسمه في كل شيء حتى يقول اخزى الله الكلب
وفعل به كذا وكذا وكان بعض من ادركنا من مشايخنا قلما يذكر
اسم الله تعالى الا فيما يتصل بطاعته وكان يقول للانسان جزيت
خيرا وقل ما يقول جزاك الله خيرا اعظاما لاسمه تعالى ان يمتهن
في غير قربة وحدثنا الثقة ان الامام ابا بكر الشاشي كان يعيب
على اهل الكلام كثرة خوضهم فيه تعالى وفي ذكر صفاته اجلالا لاسمه
تعالى ويقول هؤلاء يتمندلون بالله عز وجل وينزل الكلام في هذا
الباب تنزيله في باب ساب النبي صلى الله عليه وسلم على الوجوه التي
فصلناها والله الموفق **فصل** وحكم من سب سائر انبياء الله تعالى
وملائكته واستخف بهم او كذبهم فيما اتوا به او انكرهم وجحدهم حكم
نبينا صلى الله عليه وسلم على مساق ما قدمناه قال الله تعالى
ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله
الاية وقال تعالى قولوا امنا بالله وما انزل الينا وما انزل
الى ابراهيم الاية الى قوله لا نفرق بين احد منهم وقال كل امن بالله
وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين احد من رسله قال مالك
في كتاب ابن حبيب ومحمد وقاله ابن القاسم وابن الماجشون وابن
عبد الحكم واصبغ وسحنون فيمن شتم الانبياء او واحدا منهم او
تنقصه قتل ولم يستتب ومن سبهم من اهل الذمة قتل الا

ان يسلم وروى سحنون عن ابن القاسم من سب الانبيا من اليهود
والنصارى بغير الوجه الذى به كفر فاضرب عنقه الا ان يسلم وقد
تقدم الخلاف في هذا الاصل وقال القاضي بقرطبة سعيد
ابن سليمان في بعض اجوبته من سب الله تعالى وملايكته قتل وقال
سحنون من شتم ملكا من الملايكة فعليه القتل وفي النوادر عن
مالك فيمن قال ان جبريل اخطا بالوحي وانما كان النبي علي بن ابي طالب
استتيب فان تاب والا قتل ونحوه عن سحنون وهذا قول
الغرابية من الروافض سموا بذلك لقولهم كان النبي صلى الله عليه
وسلم اشبه بعلي من الغراب بالغراب وقال ابو حنيفة واصحابه
على اصلهم من كذب باحد من الانبيا او تنقص احدا منهم او برى
منه فهو مرتد وقال ابو الحسن القابسي في الذي قال لاخر كانه
وجه مالك الغضبان لو عرف انه قصد ذم الملك قتل قال
القاضي ابو الفضل وهذا كله فيمن تكلم فيهم بما قلناه على جملة
الملايكة والنبيين او على معين ممن حققنا كونه من الملايكة
والنبيين ممن نص الله عليه في كتابه او حققنا علمه بالخبر المتواتر
والمشتهر المتفق عليه بالاجماع القاطع كجبريل وميكايل ومالك
وخزنة الجنة وجهنم والزبانية وحملة العرش المذكورين في القران
من الملايكة ومن سمي فيه من الانبيا وكعزرائيل واسرافيل
ورضوان والحفظة ومنكر ونكير من الملايكة المتفق على قبول

الخبر بهما فاما من لم تثبت الاخبار بتعيينه ولا وقع الاجماع
على كونه من الملايكة او الانبيا كهاروت وماروت في الملايكة
والخضر ولقمان وذي القرنين ومريم واسية وخالد بن سنان المذكور
انه نبي اهل الرس وزرادشت الذي تدعي المجوس والمورخون
نبوته فليس الحكم في سابهم والكافر بهم كالحكم فيمن قدمناه اذ لم
تثبت لهم تلك الحرمة ولكن يزجر من تنقصهم واذاهم ويودب
بقدر حال المقول فيه لا سيما من عرفت صديقيته وفضله
منهم وان لم تثبت نبوته واما انكار نبوتهم او كون الاخر من
الملايكة فان كان المتكلم في ذلك من اهل العلم فلا حرج لاختلاف
العلما في ذلك وان كان من عوام الناس زجر عن الخوض في مثل
هذا فان عاد ادب اذ ليس لهم الكلام في مثل هذا وقد كره
السلف الكلام في مثل هذا ما ليس تحته عمل لاهل العلم فكيف
للعامة **فصل** واعلم ان من استخف بالقران او المصحف او بشي
منه او سبهما او جحده او حرفا منه او اية او كذب به او بشي منه
او كذب بشي مما صرح به فيه من حكم او خبر او اثبت ما نفاه او نفى ما
اثبته على علم منه بذلك او شك في شي من ذلك فهو كافر عند
اهل العلم باجماع قال الله تعالى وانه لكتاب عزيز لا ياتيه الباطل
من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد حدثنا القاضي
ابو الوليد هشام بن احمد رحمه الله حدثنا ابو علي حدثنا ابن عبد

البرحدثنا ابن عبد المومن حدثنا ابن داسه حدثنا ابو داود
حدثنا احمد بن حنبل حدثنا يزيد بن هارون حدثنا محمد بن عمرو عن ابي سلمة
عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال المرآء في القران كفر
تؤول بمعنى الشك وبمعنى الجدال وعن ابن عباس عن النبي صلى الله
عليه وسلم من جحد آية من كتاب الله من المسلمين فقد حل ضرب
عنقه وكذلك ان جحد التوراة والانجيل وكتب الله المنزلة او
كفر بها او لعنها او سبها او استخف بها فهو كافر وقد اجمع
المسلمون ان القران المتلو في جميع اقطار الارض المكتوب في
المصحف بايدي المسلمين مما جمعه الدفتان من اول الحمد لله رب
العالمين الى آخر قل اعوذ برب الناس انه كلام الله ووحيه المنزل
على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وان جميع ما فيه حق وان من
نقص منه حرفا قاصدا لذلك او بدله بحرف آخر مكانه او زاد
فيه حرفا مما لم يشتمل عليه المصحف الذي وقع الاجماع عليه
واجمع على انه ليس من القران عامدا لكل هذا انه كافر ولهذا راي
ملك قتل من سب عائشة رضي الله عنها بالفرية لانه خالف
القران ومن خالف القران قتل اي لانه كذب بما فيه وقال ابن
القاسم من قال ان الله تعالى لم يكلم موسى تكليما يقتل وقاله عبد
الرحمن بن مهدي وقال محمد بن سحنون فيمن قال المعوذتان
ليستا من كتاب الله تضرب عنقه الا ان يتوب وكذلك كل

من كذب

من كذب بحرف منه قال وكذلك ان شهد شاهد على من قال
ان الله لم يكلم موسى تكليما وشهد آخر عليه انه قال ان الله ما اتخذ
ابرهيم خليلا لانهما اجتمعا على انه كذب النبي صلى الله عليه وسلم
وقال ابو عثمان الحداد جميع من ينتحل التوحيد متفقون ان
الجحد لحرف من التنزيل كفر وكان ابو العالية اذا قرا عنده رجل
لم يقل له ليس كما قرات ويقول اما انا فاقرا كذا فبلغ ذلك
ابرهيم فقال اراه سمع انه من كفر بحرف منه فقد كفر به كله
وقال عبد الله بن مسعود من كفر باية من القران فقد كفر به
كله وقال اصبغ بن الفرج من كذب ببعض القران فقد كذب
به كله ومن كذب به فقد كفر به ومن كفر به فقد كفر بالله وقد سيل
القابسي عمن خاصم يهوديا فحلف له بالتوراة فقال الاخر لعن
الله التوراة فشهد عليه بذلك شاهد ثم شهد آخر انه سأله
عن القضية فقال انما لعنت توراة اليهود فقال الحسن الشاهد ربع
الواحد لا يوجب القتل والثاني علق الامر بصفة تحتمل التاويل
اذ لعله لا يرى اليهود متمسكين بشي من عند الله لتبديلهم
وتحريفهم ولو اتفق الشاهدان على لعن التوراة مجردا لضاق
التاويل وقد اتفق فقها بغداد على استتابة ابن شنبوذ المقري
احد ايمة المقريين المتصدرين بها مع ابن مجاهد لقراته واقرايه
بشواذ من الحروف مما ليس في المصحف وعقدوا عليه بالرجوع

عنه والتوبة منه سجلا اشهد بذلك فيه على نفسه في مجلس
الوزير ابي علي بن مقلة سنة ثلاث وعشرين وثلاث مائة وكان فيمن
افتى عليه بذلك ابو بكر الابهري وغيره وافتى ابو محمد بن ابي زيد
بالادب فيمن قال لصبي لعن الله معلمك وما علمك وقال اردت
سوء الادب ولم ارد القران قال ابو محمد واما من لعن المصحف
فانه يقتل **فصل** وسب آل بيته وازواجه واصحابه عليه السلام
وتنقصهم حرام ملعون فاعله حدثنا القاضي الشهيد حدثنا
ابو علي حدثنا ابو الحسين الصيرفي وابو الفضل العدل حدثنا
ابو يعلى حدثنا ابو علي السنجي حدثنا ابن محبوب حدثنا الترمذي حدثنا
محمد بن يحيى حدثنا يعقوب ابن ابرهيم حدثنا عبيدة بن ابي رابطة
عن عبد الرحمن بن زياد عن عبد الله ابن مغفل قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم الله الله في اصحابي الله الله في اصحابي
لا تتخذوهم غرضا بعدي فمن احبهم فبحبي احبهم ومن ابغضهم فببغضي
ابغضهم ومن اذاهم فقد اذاني ومن اذاني فقد اذى الله ومن اذى
الله يوشك ان ياخذه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا تسبوا اصحابي فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس
اجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا وقال عليه السلم لا
تسبوا اصحابي فانه يجي قوم في اخر الزمان يسبون اصحابي فلا
تصلوا عليهم ولا تصلوا معهم ولا تناكحوهم ولا تجالسوهم

وان مرضوا فلا تعودوهم وعنه عليه السلم من سب اصحابي
فاضربوه وقد اعلم النبي صلى الله عليه وسلم ان سبهم واذاهم
يوذيه واذى النبي صلى الله عليه وسلم حرام فقال لا توذوني في
اصحابي ومن اذاهم فقد اذاني وقال لا توذوني في عايشة وقال
في فاطمة بضعة مني يوذيني ما اذاها وقد اختلف العلما
في هذا فمشهور مذهب مالك في ذلك الاجتهاد والادب
الموجع قال مالك رحمه الله من شتم النبي صلى الله عليه وسلم
قتل ومن شتم اصحابه ادب وقال ايضا من شتم احدا من اصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم ابا بكر او عمر او عثمان او معوية او عمرو بن
العاصي فان قال كانوا على ضلال وكفر قتل وان شتمهم بغير هذا
من مشاتمة الناس نكل نكالا شديدا وقال ابن حبيب من
غلا من الشيعة الى بغض عثمان والبراة منه ادب ادبا شديدا
ومن زاد الى بغض ابي بكر وعمر فالعقوبة عليه اشد ويكرر ضربه
ويطال سجنه حتى يموت ولا يبلغ به القتل الا في سب النبي صلى
الله عليه وسلم وقال سحنون من كفر احدا من اصحاب النبي
صلى الله عليه وسلم عليا او عثمان او غيرهما يوجع ضربا وحكى
ابو محمد بن زيد عن سحنون من قال في ابي بكر وعمر وعثمان وعلي انهم
كانوا على ضلال وكفر قتل ومن شتم غيرهم من الصحابة
بمثل هذا نكل النكال الشديد وروي عن مالك من سب

ابا بكر جلد ومن سب عايشة قتل قيل له لم قال من رماها
فقد خالف القران وقال ابن شعبان عنه لان الله يقول
يعظكم الله ان تعودوا لمثله ابدا ان كنتم مومنين فمن عاد لمثله
فقد كفر وحكى ابو الحسن الصقلي ان القاضي ابا بكر ابن
الطيب قال ان الله تعالى اذا ذكر في القران ما نسبه اليه المشركون
سبح نفسه لنفسه كقوله تعالى وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه
في اي كثير وذكر تعالى ما نسبه المنافقون الى عايشة
فقال ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا ان نتكلم بهذا سبحانك
سبح نفسه في تبريتها من السوء كما سبح نفسه في تبريته من السوء
وهذا يشهد لقول مالك في قتل من سب عايشه ومعنى هذا والله
اعلم ان الله لما عظم سبها كما عظم سبه وكان سبها سبا لنبيه
وقرن سب نبيه واذاه باذاه تعالى وكان حكم موذيه تعالى
القتل كان موذي نبيه عليه السلام كذلك كما قدمناه وشتم
رجل عايشه بالكوفه فقدم الى موسى ابن عيسى العباسي فقال
من حضر هذا فقال ابن ابي ليلى انا فجلده ثمانين وحلق راسه واسلمه
الى الحجامين وروى عن عمر بن الخطاب انه نذر قطع لسان عبيد الله
ابن عمر اذ شتم المقداد بن الاسود فكلم في ذلك فقال دعوني
اقطع لسانه حتى لا يشتم احد بعد اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم
وروى ابو ذر الهروي ان عمر بن الخطاب اتى باعرابي يهجو الانصار

فقال لولا ان له صحبة لكفيتكموه قال مالك من تنقص احدا من
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فليس له في هذا الفيء حق
قد قسم الله الفيء في ثلاثة اصناف فقال للفقراء المهاجرين
الاية ثم قال والذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم الاية وهولاء
الانصار ثم قال والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا
ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان الاية فمن تنقصهم فلا حق له
في فيء المسلمين وفي كتاب ابن شعبان من قال في واحد منهم ابن
زانية وامه مسلمة حد عند بعض اصحابنا حدين حدا للقذف
وحدا لامه ولا اجعله كقاذف الجماعة في كلمة لفضل هذا على
غيره ولقوله عليه السلام من سب اصحابي فاجلدوه قال ومن قذف
ام احدهم وهي كافرة حد حد الفرية لانه سب له فان كان احد
من ولد هذا الصحابي حيا قام بما يجب له والا فمن قام به من
المسلمين كان على الامام قبول قيامه قال وليس هذا كحقوق
غير الصحابة لحرمة هولاء بنبيهم ولو سمعه الامام واشهد عليه كان
ولي القيام به قال ومن سب غير عايشه من ازواج النبي
صلى الله عليه وسلم ففيها قولان احدهما يقتل لانه سب النبي صلى
الله عليه وسلم بسب حليلته والاخر انها كسائر الصحابة يجلد حد
المفتري قال وبالاول اقول وروى ابو مصعب عن مالك من
انتسب الى بيت النبي صلى الله عليه وسلم يضرب ضربا وجيعا

ويشهر ويحبس طويلا حتى تظهر توبته لانه استخفاف بحق الرسول
وافتى ابو المطرف الشعبي فقيه مالقة في رجل انكر تحليف امراه
بالليل وقال لو كانت بنت ابي بكر الصديق ما حلفت الا بالنهار
وصوب قوله بعض المتسمين بالفقه فقال ابو المطرف ذكر هذا
لابنة ابي بكر في مثل هذا يوجب عليه الضرب الشديد والسجن
الطويل والفقيه الذي صوب قوله هو احق باسم الفسق من اسم
الفقه فيتقدم اليه في ذلك ويزجر ولا تقبل فتواه ولا شهادته
وهي جرحة ثابتة فيه ويبغض في الله قال القاضي ابو الفضل هنا
انتهى القول بنا فيما حررناه وانتجز الغرض الذي انتحيناه واستوفي
الشرط الذي شرطناه مما ارجو ان في كل قسم منه للمريد مقنع وفي
كل باب منهج الى بغيته ومنزع وقد سفرت فيه عن نكت تستغرب
وتستبدع وكرعت في مشارب من التحقيق لم يورد لها في
اكثر التصانيف مشرع واودعته غير ما فصل وددت لو وجدت
من بسط قبلي الكلام فيه او مقتدي يفيدنيه عن كتابه او فيه
لاكتفي بما ارويه عما ارويه والى الله تعالى جزيل الضراعة في المنة بقبول
ما منه لوجهه والعفو عما تخلله من تزين وتصنع لغيره وان يهب
لنا ذلك بجميل كرمه وعفوه لما اودعناه من شرف مصطفاه
وامين وحيه واسهرنا به جفوننا لتتبع فضائله واعملنا فيه
خواطرنا من ابراز خصائصه ووسائله ويحمي اعراضنا عن ناره

الموقده لحمايتنا كريم عرضه ويجعلنا ممن لا يذاد اذا ذيد المبدل
عن حوضه ويجعله لنا ولمن تهمم باكتتابه واكتسابه سببا يصلنا
باسبابه وذخيرة نجدها يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا
نحوز بها رضاه وجزيل ثوابه ويخصنا بخصيصى زمرة نبينا وجماعته
ويحشرنا في الرعيل الاول واهل الباب الايمن من اهل شفاعته
ونحمده تعالى على ما هدى اليه من جمعه والهم وفتح البصيره
لدرك حقايق ما اودعناه وفهم ونستعيذه جل اسمه من دعاء لا
يسمع وعلم لا ينفع وعمل لا يرفع فهو الجواد الذي لا يخيب من امله
ولا ينتصر من خذله ولا يرد دعوة القاصدين ولا يصلح عمل
المفسدين وهو حسبنا ونعم الوكيل ٥ تم الجزء الثاني من كتاب
الشفا بتعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم وعلى اله واصحابه
على يد العبد الفقير المعروف بالقصاص محمد بن احمد بن علي
الانصاري الشافعي عفا الله عنهم بمنه وكرمه